الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٦١ - ربيع الأول ١٤١٩ هـ - يوليو ١٩٩٨ م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 261 - JUL 1998



- صناعة الوعي
- البطالة في الاقتصاد الإسلامي
- الحملة الفرنسية: استعمار أم تحرير؟
- حقائق الجن ومداخل الشياطين

التعليم عن بعد في دول الخليج

الموطأ

للإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) برواية أحمد بن أبي بكر الزهري، أبي مصعب.

كُتب على ورق أوربي بخط تعليق في سنة ١٢٣١هـ على يد أبي البركات حسين بن محيي الدين بن إسماعيل الشافعي القادري.

وتتميز هذه النسخة النادرة بأنها منقولة من نسخة الشيخ محمد غوث بن ناصر الدين محمد الشافعي الأركاتي، التي جمع فيها بين رواية أبي مصعب الزهري ورواية يحيى بن يحيى الأندلسي، حيث كتب رواية الزهري في المتن، وكتب ما خالفها من الثانية على الهوامش، وجعل علامتها (يحـ) بالحمرة.

وفي نهاية المخطوط سماع نصه: «بلغ سماعه من الحبر الفهامة شيخنا محمد غوث... في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٢ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية. كتبه العبد المذنب حسين بن محيي الدين كان الله لهما في كل حين».

يقع المخطوط في ٣٨٩ ورقة، ومسطرته ١٧ سطرًا، ومقاسه ٥ر٢٩×٥ر١٨سم.



والمخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم ١٢٩٧٩.

إعداد : فراج عطا سالم





في العدد القادم

- في مفهوم الضحك
- الصراع الحضاري في أدب الرافعي
- تطوانيات مشرقية

رئيس التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية



عن العدد الماضي

طالعت العدد ٢٦٠ مبتدئًا بإطلالته المعنونة «هكذا بدت لي العولمة»، ومنتهيًا بباب على موعد الذي كتبه د. حلمي القاعود عن «الأدب الأصفر». وإذا كان لي أن أبدأ تعليقي بإطلالة رئيس التحرير، فإنني أجده قد لامس قضية شائكة هي العولمة التي تمثل قضية الساعة، أو ينبغي لها أن تكون كذلك؛ لما لها من تأثيرات واسعة في قيم المجتمعات وتصوراتها. وما جاء في الإطلالة من دعوة إلى تفعيل التعليم من أبرز الدعوات التي تستحق أن تجد طريقها إلى الواقع، لأن التعليم مرتكزنا لمواجهة كل تحديات القرن القادم، والقرون التي تليه.

أما موضوع «الأدب الأصفر» الذي يشير إلى ذلك الأدب السافر الذي يقدم تحت دعاوى الحرية ـ أو «العصرنة» كما يقول بعض دعاته ـ، فإنه يمس نسيج القيم الاجتماعية، وينبغي لها أن تلفظه كي لا يمتد أثره إلى عقول شبابنا، وكفانا ما نعانيه من هذا الفيض الإعلامي القادم من كل صوب وحدب بلا رقيب.

وبين البداية والنهاية، جاءت جملة موضوعات ناقشت قضايا مهمة وحيوية، مما يضيق المجال عن ذكرها، إلا أن ما جذب انتباهي تلك الفكرة الجميلة التي يقوم عليها «البريد الثقافي»، الذي يقدم إجابات عن أسئلة القراء الثقافية والفكرية، ويشتمل على وجهات نظر مختلفة. وجميل أن تضم «الفيصل» موضوعات علمية قيمة مثل تلك المقالة التي كتبتها د. شذى الدركزلي عن المذنبات، أو ذلك الاستطلاع المصور عن الحاسوب تريتون بقلم عدنان عضيمة.

كما أن تنوع جنسيات الكتّاب يعطي موضوعات المجلة عمقًا ونكهة خاصة، بوصفها منبرًا للحوار وساحة لتبادل الأفكار، وهذا ما يجعلنا نأمل كثيرًا من «الفيصل» من خلال التجديد المستمر في أبوابها وموضوعاتها.

تركي محمد الرداحي
قسم القانون، كلية العلوم الإدارية
جامعة الملك سعود

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ ـ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

٥ ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيه ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

أسهُم الفيصلِ في بورصة الجودة

علاقتي بهذه المجلة حديثة نوعًا ما، وعلى الرغم من ذلك أيقنت أنها المجلة التي تستحق المتابعة، لما تحويه من موضوعات جيدة ومفيدة، ولقد بنيت قراري هذا، أو قل استنتاجي على موازنة أجريتها بين أعداد قديمة وجدتها أثناء مطالعتي لمحتويات المكتبة المدرسية، وأعداد حديثة ولاسيما العدد ٢٥٩، الذي اشتمل على موضوعات شائقة، مثل زاوية د. الخويطر «أقوال الماضي للحاضر» التي كتب فيها عن الشورى، ومقالة د. كريم حسان الدين بعنوان «الوقت قيمة إسلامية في حياة المسلم»، وغير ذلك من الموضوعات الجادة التي تغذي العقل والروح معًا.

وكانت حصيلة الموازنة أن أسَهُمَ الفيصل في بورصة الجودة في تصاعد مستمر، وأنها تساهم مساهمة فاعلة في تثقيف كل من يطلع عليها. فهنيئًا لكم هذا الجهد وهذه الميزة.

محمد بن عبدالله المواشي
الأفلاج - ص.ب ٤٠١ - السعودية

حتى نتجنب التهميش الثقافي

أشكر لكم إجابة طلبي بنشر عناوين بعض الإصدارات الخليجية، حقيقة باب «عناوين» الذي تلبّون من خلاله طلبات القراء الشغوفين بالاطلاع والبحث عن مصادر الثقافة، هذا الباب مفيد جدًا؛ فعبره علم كثير من القرّاء، الإنتاج الثقافي المميز الذي تساهم منطقة الخليج العربي في الفكر العربي والإسلامي، فكثير مما يصدر في تلك البلاد متقن ويواكب العصر، ولكن للأسف لا يصل إلى أسواقنا، فحتى المحظوظون من الناس والحريصون لا يجدون تلك الإصدارات إلا بحيلة.

إننا نحتاج إلى المطبوعات الراقية لمواكبة مجريات الأحداث وتجنب التهميش الثقافي السائد في أيامنا هذه.

الوليد (مقدم)
طريق الوطن رقم ٣٤٠
برج بوعريريج - الجزائر

بعيدًا من التعصب أو جلد الذات

في زحمة الحياة الصاخبة في كل جوانبها، والسريعة في إيقاعاتها، والضاغطة على نفس الإنسان في كل الاتجاهات، فإني أتناول كل عدد جديد من «الفيصل» وأتصفح هذه الهديةالغالية الآتية من أرض الدين. أرض العرب والمسلمين وقبلتنا في كل صلاة، أستعرض موضوعاتها.. ثم أبدأ قراءتي الهادئة البطيئة لأكثر مقالاتها، «فالفيصل» تحمل القارئ على التروي والفهم الدقيق لكل ما تحويه من الفكر السامي والكلمة الصادقة الطيبة.

فإطلالتها تحمل دائمًا همًا عربيًا وإسلاميًا ملّحًا تناقشه دون تعصب أعمى أو جلد الذات وهما حدّا التطرف الذي نلاحظه في أغلب نقاشات الكتاب والمفكرين والإعلاميين العرب.

أما مقالات الدكتور حسن ظاظا وما فيها من كشف للمستور من فكر أعدائنا وتاريخه فإنها - ولا شك - خطوة يُثاب عليها من الله تعالى؛ لأنه يقدم جزءًا من حقائق يحاول العدو طمسها في هذا الزمن على الخصوص، زمن التطبيع أو التركيع بالحقيقة.

لعل هذا الحديث لا يفي الفيصل حقها من التقدير، ولا يوضح تمامًا ما أحمله تجاهها من احترام، له المثيل في قلوب الكثيرين ممن تعلموا منها الكثير، وشعروا دائمًا بالاعتزاز لانتمائهم لمدرستها الفكرية الراقية، وهي تحمل راية تهذيب الفكر واستئصال أدران الدسائس التي تحيط بالمواطن العربي في ظل إعلام خارجي مسموم و(قصف) فكري أو (أسلحة تدمير ثقافي شامل) تنهال علينا عبر الأقمار الصناعية!

وأحب أن أضيف شيئًا أردت ذكره في رسائلي السابقة، ولم تُتح لي الفرصة، أوّد أن أقدم الشكر لكم على الكتيبات المرافقة لأعداد سابقة من الفيصل والتي تتحدث عن الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز، لفائدتها أولاً لموقع الملك الشهيد في قلبي أنا، فالشهيد العظيم كان على رأس عمله في خدمة الإسلام والعروبة عندما كنت طفلاً صغيرًا أعيش في مدينة الخرج بالمملكة مع عائلتي. وكان تعلقي بالملك الشهيد كتعلق أي طفل برمز البلاد الذي يذكر اسمه في المدرسة والتلفزة، ولعل أول صدمة نفسية تعرضت لها مع الملايين من المسلمين يوم استشهاده، كان أول عزيز أفقده، وأول راحل أذرف الدمع عليه. كيف لا وقد كان ولا يزال حبيب كل عربي مسلم، طفلاً أو كهلاً... يرحمه الله فمنذ دمعتي الأولى عندما استشهد، وأنا ازداد إعجابًا به، واعتزازًا به، ولربما كان مجرد ذكر اسم الفيضل على هذه المجلة الطيبة يجعلني اهتّز من داخلي وأتناول العدد قبل أي مجلة أخرى. وكما يقال «ذاكرة الطفل لا يمكن محوها».

د. حسام الدين معلم
إدلب - ص.ب ٢٠٢ - سورية

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

دور ثقافي ونهضة حضارية

تحية طيبة مباركة لجهودكم العظيمة التي تبذلونها في ميدان الثقافة العربية والإسلامية والفكر النير المضيء والأدب الهادف الرصين.

تحية من تلميذ من تلامذة مدرسة الفيصل الثقافية والفكرية والأدبية، أرسل إليكم هذه التحية تقديراً واعترافًا بمدى ما قدمته هذه الدوريات التي تتكفل بإصدارها دول الخليج العربي مساهمة منها في النهضة الحضارية، وهو دور جد خطير.

والحق أن هذا الدور الذي تؤديه دول الخليج العربي لا يقل عن الدور الذي تقوم به بعض الدول الأخرى في الذود عن حياض الوطن، لأن الدور الثقافي وتوعية الجماهير العريضة هو الذي ينير الطريق أمام من يقومون بالذود عن البلاد وحماية مقدساتها وقيمها وكذا ترابها.

ومن هنا كان دور دول الخليج الثقافي لبثّ الحضارة الإسلامية التي أثرت الحضارة الإنسانية قاطبة، لأنها هي منبع النور، ومهبط الوحي الإلهي الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل إلى نور العلم والثقافة والحضارة. وإذا كانت رسالات السماء ختمت برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإن النور الذي يخرج من هذه الرسالة وإشعاعاته المضيئة لتنير لنا طريق الحق، وترشدنا إلى الصراط الهادي إلى سواء السبيل، وذلك الشعاع يتمثل فيما يصدر من دوريات، ولا سيما مجلتنا الفيصل الغراء.

أحمد إسماعيل أحمد عبدالكريم
قنا ـ البراهمة ٨٣٧٢٦
نجع سعد. ـ مصر

والحق يقال

كنت أظن أن هذه المجلة متعصبة، مثل بعض المطبوعات ذات التوجهات السياسية، ولكنني، والحق يقال، وجدت فيها الفكر الحر الذي يفسح المجال لكل عالم أن يساهم بفكره في إطار من الالتزام الذي لا يشوه الحقائق، فمن يكتب في هذه المجلة «لا يخش حرقًا أو إعدامًا»

تبدو حرية الكاتب بوضوح في مقالات الكاتب الدكتور حسن ظاظا ـ متّعه الله بالصحة ـ الذي سفّه دعوى الصهاينة، بخاصة في مقاله الموسوم بـ «الشعر اليهودي وبداياته»، حيث تحدث بموضوعية عن الأساطير الموجودة في التوراة، وبالذات في قصة عبور البحر، وانتشار الوباء بين الفراعنة دون بني إسرائيل، ووجود البئر في الصحراء.

لقد هدم د. ظاظا أساس الفكر الصهيوني القائم على نبذ الآخر ما دام ليس مؤمنًا بـ «شعب الله المختار»

ثائر عيسى جرّدح
سورية

إنها ثروة معلوماتية

تحية عربية صادقة، تحية تقدير وإعجاب لمجلتكم القيمة، ولن أبالغ إن قلت ـ والحق يقال ـ إنها في الطليعة، وستبقى كذلك بين المجلات الثقافية المعدودة.

تحية لكل فرد ينتمي إلى هذه المجلة، وكان سببًا في ميلادها من رئيس تحرير إلى آخر فرد ساهم في تدوير أوراق الطباعة، أثمن الجهود التي تبذلونها من أجل تنمية الثقافة للقراءفي العالم العربي، وذلك أن هذه المجلة تهم شريحة كبيرة من المجتمع، برأيي إنها ثروة معلوماتية على المستوى العربي لقيمة الموضوعات المطروحة فيها، لأن في وطننا العربي مثقفين قادرين على إفادة القراء بتجاربهم وإبداعاتهم واكتشافاتهم. إنها مرجع ضروري لكل باحث ومهتم .

وأتمنى لكم مخلصًا دوام التقدم والنجاح، ويفرحني جدًا أن أرى هذه المجلة تحقق الانتشار، وتثبّت ركائز الثقة بينها وبين القراء، وهي ترفل بثوب الجدية والوعي والمسؤولية تجاه الثقافة والإنسان.

محيسن رزق المطر
قضاء بعبدا ـ كفر شيما
بيروت ـ لبنان

أما آن حل معضلة توزيع الفيصل في اليمن؟

اسمحوا لي أن أثير مجدداً موضوع توزيع الفيصل في اليمن، لقد حصلت على العدد (٢٥٨)، ثم قرأت في زاوية «ردود خاصة» أن المجلة توزع في اليمن بانتظام، وما أذكره هو أن آخر عدد وزّع، كان موجوداً في المكتبات قبل عامين بالتمام، وبعد ذلك لم نر أي عدد، علمًا بأنني من سكان العاصمة صنعاء.

الغريب في الأمر أنكم في ردودكم في باب «البريد» و«ردود خاصة» تؤكدون أن المجلة توزع في اليمن، وعندما نبحث عنها، ونسأل يقال: إن الفيصل لم تعد تصل، وليس لها وكيل، وقد تابعت شكاوى القرّاء عبر المجلة، وفي المحاورات الخاصة، ولا بارقة أمل لحل هذه المعضلة الغريبة. والسؤال هل المجلة توزّع في اليمن، وهل لديكم وكيل أم لا؟

حصلت على بعض الأعداد من طريق شخص، ولم أفهم كيف يحصل عليها؟ رجائي، ورجاء كل القرّاء أن يجد هذا الموضوع الاهتمام اللائق من إدارة المجلة، لتأكيد تعلق القراء في اليمن بهذه المجلة الأثيرة. وأوضح أن المجلة عندما كانت تصل بانتظام لم تكن تمكث في المكتبات ومنافذ البيع أكثر من يومين أو ثلاثة، ذلك أن جمهور الفيصل من محبي الثقافة الأصيلة التي قلما يجدونها في غيرها من المجلات.

محمد أحمد صُلح
ص.ب ٢٥١١٩ ـ صنعاء ـ اليمن

بإذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

العولمة..



في العدد الماضي تطرقت إلى جوانب من الإشكالات التي تثيرها العولمة، إلا أن هذه القضية تظل في حاجة إلى استجلاء أبعادها المعقدة والمتشابكة. وأهم ما يقتضيه تناولها الإحاطة بالظروف المحلية والدولية المعيشة، ومعرفة تأثيراتها في توجيه الأمور في العالم، وما أحدثته وسائل الاتصال من تقارب بين أجزائه.

فلم يتصور الكاتب التشيكي كارل تشابك Carl Cha-pek حين وضع - عام ١٩٢١م - مسرحيته رور Ror التي تدور حول آلات تشبه الإنسان، وتقوم بعمله وتصرفاته من غير أي تدخل بشري، أن هذا الإغراق في الخيال يمكن أن يصبح واقعًا في يوم من الأيام، إذ تقوم الروبوتات Robots اليوم بكثير من عمل الإنسان في مجالات التصنيع المختلفة؛ بل إن الكلمة التشيكية Robota التي أطلقها تشابك على تلك الآلات الشبيهة بالإنسان، والتي تعني العمل المرهق والشاق، أخذت مكانها في معاجم اللغات في العالم.

وتطور الحاسوب من آلة حاسبة رقمية تُستخدم في العمليات الحسابية والتمثيل الرياضي، وتتميز بارتفاع تكلفتها، وكبر حجمها، وصعوبة استخدامها وقلة إمكاناتها، إلى نظام معلوماتي متكامل معقد تعوّل عليه الدول في تحقيق تطلعها نحو التقدم والرقي. وأصبح مصطلح «المعلوماتية» هو الأكثر تعبيرًا عن العصر الذي نعيش فيه، ومن أهم مدلولاته التطبيق المنظم للمعلومات في المشكلات الاقتصادية والتقنية والصناعية والاجتماعية والسياسية؛ وهذا التطبيق يتضمن إجراء عمليات كبيرة معقدة يعجز عنها العقل البشري، ويُعتمد فيها على الحاسوب وعلى وسائل الاتصالات الأخرى التي ترتبط به مباشرة. وقد أدت تطبيقات المعلوماتية إلى تقدم هائل في التقنيات التي تعالج كميات كبيرة من المعلومات وتقوم بتخزينها وتحليلها، حتى إن صناعة المعلومات أصبحت تمثل النسبة الأعلى من إجمالي الناتج الصناعي في الدول الأكثر تقدمًا صناعيًا.

ولم يكن غريبًا - والحال كذلك - أن يصبح تعبير: الوقت هو النقود Time is Money شعار العصر، بعد أن اختصرت وسائل الاتصال الحديثة المسافات، وربطت العالم، وجعلت للوقت في عصرنا قيمة أكبر عن أي عصر مضى، حتى تغيرت وحدة القياس الزمني، فأصبحت تستخدم الـNanosecond التي تعادل جزءًا من الألف من الثانية، وصار الإنسان قادرًا على القيام بعدة أعمال في وقت واحد، وفي أماكن مختلفة؛ فهو يطوع الهاتف والفاكس والإنترنت وغيرها من وسائل الاتصال للقيام بذلك، بينما يتابع أحداث العالم على شاشات القنوات الفضائية، ويضع في ذهنه احتمالات تأثير هذه الأحداث فيما يقوم به من أعمال، ليتخذ في ضوء ذلك القرارات المناسبة.

فإذا كان الإنسان العادي يملك هذه الإمكانات للاستفادة من وقته؛ فإن الشركات العملاقة تملك شبكات واسعة من وسائل الاتصال التي توفر لها المعلومات، وتقوم بتخزينها وتصنيفها وتحليلها من خلال فريق مؤهل. والحكمة التي تؤمن بها مثل هذه الشركات أن الوقت كالسيف إن لم تقطعه «قتلك»؛ لأن المنافسة المحتدمة بين الشركات العملاقة للسيطرة على أسواق العالم لا تترك لأحد وقتًا لالتقاط الأنفاس.

على أن هذا الاتصال الواسع بين أجزاء العالم في ظل ثورة الاتصالات والمعلومات في هذا العصر لا ينبغي أن يترك انطباعًا بأن هذا الاتصال هو وليد هذا العصر، أو عصر الثورة الصناعية؛ إذ إن الاتصال لم ينقطع بين الأمم على مر العصور، فقد ظلت علاقات التبادل التجاري والحروب قائمة بينها، ومنطوية على آثار ثقافية وحضارية واضحة، تدل عليها أية نظرة ثاقبة إلى الحضارات الكبرى في العالم، التي يشتمل كل منها على ملامح ثقافية أو علمية أو معمارية من الحضارات الأخرى، مما يؤكد ما كان بينها من اتصال وتأثر وتأثير، وإن لم يكن بسرعة اتصال اليوم وتأثيره. وأصبح الإنسان العادي يشعر بالمؤثرات الدولية، إذ يشاهد ما يحدث في العالم، ويتابعه لحظة بلحظة، ويرى أثره في مأكله ومشربه وملبسه، بل إنه صار قادرًا على توقع ما يمكن أن يترتب على الأحداث من تأثيرات في المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، اعتمادًا على التعامل مع المعلومات المختلفة من خلال الآلة السحرية: الحاسوب (أو الرتاب كما يحلو للإخوة في الجزائر أن يسموه)، مما يمكنه من الدراسة ويعطيه القدرة على رسم صورة لمستقبله.

ولم يعد تسابق القوى الدولية اليوم يتمحور حول التوسع في السيطرة على دول العالم باستعمارها عسكريًا وتوجيه مواردها الطبيعية إلى مصانعها، لتعود سلعًا مصنعة يتم ترويجها في أسواق المستعمرات، وإنما أصبح سباق اليوم على التحكم في تدفق المعلومات ومصادرها، والقدرة على توجيهها وفقًا لمصالحها، وتحقيق الهيمنة على موجات الأثير التي يُبث من خلالها الإعلام المرئي والمسموع، فمن يملك المعلومة والقدرة على توظيفها فإنما يمتلك مفاتيح المعرفة التي تمثل القوة التي تفتح مغاليق الأبواب، وتساعد على إحكام السيطرة، وتحقق التقدم في مجالات الصناعة والتجارة والخدمات والتسويق، ومن ثم تحقق السيطرة على مجريات الأحداث في العالم من غير حاجة إلى جيوش جرارة.

وكان بالإمكان توظيف هذا التراكم المعرفي الناتج من الثورة المعلوماتية في تحقيق طموحات الإنسان الذي ما زال على إنسانيته لإيجاد عالم أكثر عدلاً وإنسانية، تُحل فيه مشكلاته، وتنصرف فيه الجهود إلى تحقيق التعاون البناء في ظل اصطباغ المشكلات بالصبغة العالمية، وما بلغته من تعقيد وتداخل، بحيث صار من الصعب حل كثير منها على المستوى الوطني حسب. إلا أن هذه الآمال الإنسانية تصطدم بالروح الأنانية التي تتلبس بعض من يمتلكون أدوات القوة المادية؛ تلك الروح التي تعبر عنها كثير من الأفكار التي تشيع في عالم اليوم.

ومن تلك الأفكار ما ذهب إليه بعض الكتاب والمفكرين الأمريكيين من أمثال ديفيد روثكوف David Rothkopf من أن تصدير النموذج الأمريكي في الثقافة والاقتصاد والسياسة فيه تحقيق لمصلحة أمريكا والعالم معًا، بدعوى أن أمريكا تمثل الأمة الأكثر عدلاً، والأكثر تسامحًا في العالم، وأن نموذجها هو الأصلح للمستقبل، وأنها حققت تمازجًا فعالاً بين العناصر المكونة لها! ومثل هذا الرأي لا يعبر إلا عن سيطرة الرؤية الأحادية على التفكير، والتغافل عن الحقائق التي يؤكدها الواقع، لأن هناك شكًا كبيرًا في ذلك التمازج الفعّال الذي تحقق، كما أن المشكلات الاجتماعية الخطيرة التي من أعراضها الانحلال الخلقي والتفكك الأسري وانتشار المخدرات وتفشي ظاهرة العنف والإرهاب ليست إلا تعبيرًا عن القيم السائدة في ذلك المجتمع. وإذا كنا لا نغفل الجوانب المضيئة فيه؛ إلا أن صيغة أفعل التفضيل لا يمكن أن تلائم الواقع، الذي يعد المحك الرئيسي لاختبار طبيعة ما تحمله أية حضارة من قيم. وقد أظهر هذا الواقع جوانب إخفاق لا تُحصى لقيم الغرب تبعًا للاحتكام إلى قيم إنسانية عليا. كما أن في استخدام هذه الصيغة تجاهلاً للقيم الإنسانية التي تنطوي عليها الحضارات الأخرى، التي تصلح أن تسود العالم لتحقيق مصلحة الإنسان فيه، لأن امتلاك أي أمة للقوة المادية لا يعني أن قيمها هي النموذج الذي ينبغي أن يسود.

ويشتمل مثل هذا الرأي على تناقض واضح، لأنه يشير إلى إمكان تحقيق استقرار دولي وتكامل بين الأمم في ظل سيطرة قوة أحادية على العالم بحجة خبرتها في معالجة قضاياه، بينما يشير الواقع إلى أن هذا العالم يتحول تحت سيطرة الحضارة الغربية إلى معمل ضخم لتجارب مستمرة في الاختراع والابتكار التقني بلا أدنى إشراف على البيئة، ودون الانتباه إلى العواقب الوخيمة التي يمكن أن تترتب على الاسراف في استهلاك الموارد الطبيعية مما يُحدث خللاً في التوازن البيئي يخالف سنن الكون ونواميسه، اعتقادًا بأن التقدم التقني سوف يستمر إلى ما لا نهاية! فغدت مجتمعات العالم مواقع مخاطر غير محسوبة مما يهدد الحياة الإنسانية بالدمار والفناء، وهو ما نبه عليه جون جراي في مؤلفه «لعبة النهاية».

وتَصَوُّر احتكار أصحاب أي حضارة الحلول لمشكلات العالم فيه تجاهل لخصوصيات الأمم الأخرى، ومدى اعتزازها بهوياتها. بل إن روثكوف يصور التمسك بها، والدفاع عنها نوعًا من التقوقع والانكفاء على الذات! وهذا الرأي يمارس نوعًا من الوصاية على الآخرين، وتصويرهم على أنهم في حاجة دائمة إلى من يوجههم إلى أساليب تحقيق مصالحهم، وفيه استخفاف واضح بإمكانات الآخرين، وقدرتهم على المشاركة الفعّالة بوصفهم جزءًا من هذا العالم.

وتصدير نموذج ثقافي معين وتخيل إمكان سيطرته على العالم أمر بعيد المنال، مهما كانت القوة التي تقف وراءه، لأنه يتناقض مع الفطرة الإنسانية ومع نواميس الكون، إذ في تنوع الثقافات، وتعدد الحضارات إغناء للفكر الإنساني، وتوكيد لقدرة الإنسان على التجديد والإبداع، والإفادة من الآخرين في إطار قيمه وثقافته، بينما لا يؤدي أسلوب الفرض، ومحاولة الهيمنة إلا إلى تمزيق العالم، بزيادة الصراعات والنزاعات التي تدلع فيه.

والمثال الواضح على ذلك الجزم بأن الديموقراطية الليبرالية الغربية أفضل أسلوب حكم عرفته البشرية ما زعمه فرنسيس فوكوياما في كتابه «نهاية التاريخ»، مما يوهم أنه قام بتحليل كل نظم الحكم التي عرفتها الإنسانية خلال الحضارات التي نشأت منذ بدء الحياة في الأرض، ووازن بينها إلى أن انتهى إلى قناعته هذه.

والأسئلة المحيرة!

وبالتأكيد أن شيئًا من هذا لم يحدث، وإلا كان سيقف طويلاً عند نظام الحكم في الإسلام، وتطبيقاته في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلافته الراشدة، قبل أن يصدر حكمه السابق الذي ليس سوى مؤشر على الاستهانة بالإرث الحضاري لأمم الأرض جميعها، اعتمادًا على ما تعيشه الحضارة الغربية من مظاهر التقدم التقني في العصر الحاضر، ومتجاوزًا عما تنطوي عليه من تناقضات تتمثل في تفاقم الظلم الاجتماعي، إذ تشير الإحصاءات إلى استئثار ٢٠٪ من الفئات الأكثر ثراءً بـ ٤٦.٥٪ من الدخل في عام ١٩٩١م في الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى استشراء النظرة العنصرية، وارتفاع نسبة العاطلين عن العمل. وكل هذه المشكلات وغيرها لها حلولها في المنظور الإسلامي الذي تجاهله فوكوياما، ليقفز إلى نتيجته القائلة بانتصار الديموقراطية الليبرالية وسيادتها على العالم بوصفها أفضل نماذج الحكم التي عرفها البشر. ومثل هذا الرأي يدل على انحياز واضح لحضارة معينة بسبب المفهومات المسبقة، والأحكام الجاهزة، والصور النمطية المتوارثة عبر التاريخ عن الثقافات الأخرى.

ومما يؤكد هذا التوجه أن مصطلح العولمة - الذي لا يزال محل جدل لاستجلاء أهدافه - ليس مقتصرًا على جانب محدد من الحياة، وإنما هو منظور عام يحاول أن يصبغ الحياة بكل جوانبها وفق ما يفرضه هذا المنظور من قيم وتصورات.

وتفنيد هذا الرأي الذي يفتقد إلى ما يسنده من الواقع يصبح يسيرًا إذا تم الاعتماد على آراء أخرى تنبع من الثقافة محل الانحياز، إذ يوجد عدد كبير من مفكري الغرب الذين يرون أن قيم الديموقراطية الغربية، وإفرازات الثورة الصناعية الثالثة أوجدت ما يسميه «ألفن توفلر»: ديموقراطية الأقلية، مشيرًا إلى أن الأقلية التي تقود عمليات الإبداع والتطوير يحق لها أن تمسك بزمام الحكم، وأن تتولى عملية صناعة القرار! بينما يرى عالم الاجتماع الأمريكي «ريفكين» أن مجتمع «الخُمس» هو الذي سيسيطر في ظل العولمة، ويقصد بذلك أن خمس السكان سيقومون بالعمل والإنتاج والاستهلاك، بينما ستُهمَّش الأغلبية الباقية، بوصفها زائدة على الحاجة.

وإذا كان هذان الرأيان يشيران إلى سيطرة الأقلية على مقدرات الإنتاج، فإن من أخطر تأثيرات العولمة انفتاح المجال أمام الجرائم المنظمة التي لا تعترف بأية حدود، والتي لها ما يشبه الحكومات الخفية التي تحركها من وراء ستار، بما لها من نفوذ واسع في بعض الأوساط، وقدرتها على اختراق مراكز السلطة من الطرق الرسمية كالانتخابات. كما أصبحت عمليات الفساد المالي والإداري، وغسيل الأموال، وتهريب المخدرات، وتجارة الأسلحة تتم عبر الحدود. بل إن الدلائل تشير إلى إمكان سرقة المواد النووية والمتاجرة بها في السوق السوداء، إضافة إلى احتمالات اختراق حجب خصوصية المعلومات المتعلقة بالدول والمختزنة في الأجهزة الحاسوبية.

وفي الوقت الذي تنفتح فيه حدود الدول المسماة بالنامية أمام عصابات الإجرام العاملة في المجالات المختلفة، فإنها تعاني من ضعف الاستثمار الأجنبي المباشر، إذ تستحوذ أمريكا الشمالية وأوربا واليابان على ٩٠٪ من الاستثمار الأجنبي، على حين أن ٧٠٪ من مناطق العالم تحظى بما مقداره ١٠٪ من هذا الاستثمار. كما أن الدول التي ترحب بالهجرات القادمة إليها من أنحاء العالم تعمل على استنزاف العقول العلمية للبلدان الفقيرة، واستقطاب أصحاب الاستثمارات الكبرى إليها، في حين تزيد قيود الهجرة وتوصد أبوابها حتى أمام العمالة شبه المؤهلة الراغبة في المزيد من التدريب.

ويوضح تقرير لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن سلع الدول الصناعية تتمتع بتخفيضات جمركية أكبر من السلع المستوردة من البلدان النامية، إضافة إلى ارتفاع التعريفات الجمركية على السلع ذات التقانة العالية المصنعة في الدول الصناعية الكبرى، في مقابل انخفاض التعريفات الجمركية على منتجات الدول الفقيرة كالمنسوجات والجلود والسلع الزراعية الأساسية، فضلاً عن الأثمان البخسة للمواد الخام المستوردة من هذه الدول. وتفرض حقوق الملكية الفكرية قيودًا واضحة أمام انتقال التقنية إلى الدول الفقيرة، بينما استفادت الدول الصناعية من التدفق الحر للأفكار والتقنيات خلال القرن الماضي وفي هذا القرن.

ويشير هذا التقرير إلى أن خسارة الدول النامية من تضييق الفرص في مجالات التجارة والعمل والمال تبلغ نحو ٥٠٠ مليار دولار سنويا، وهو ما يقارب ١٠ أضعاف ما تحصل عليه تلك الدول من المساعدات الأجنبية.

وفي ظل هذا النزوع إلى تحقيق السيطرة الاقتصادية، وإذابة الفوارق بين الثقافات لتصب جميعها في بوتقة الثقافة الغربية، تبرز بعض الآراء المتعقلة التي تدعو إلى ضرورة التخلي عن فكرة الحضارة الكونية التي تسيطر على أذهان كثير من المفكرين وصنّاع القرار في الغرب. ومن أصحاب هذه الآراء جون جراي الذي لا يرى في هذه الفكرة سوى اجترار لأفكار قديمة سادت حين هيمن الغرب عسكريًا وسياسًا واقتصاديًا على المجتمعات الأخرى، كما أن عولمة السوق ليست سوى إرث قديم يرجع إلى زمن الإمبراطوريات، ومحاولة لجعل السوق الأداة التي تسيطر على المؤسسات الاجتماعية الأخرى، مما ينزع قيم الانتماء والإحساس بالأمن من المجتمعات، لتسود النزعة الفردية التي هي صفة الحضارة الغربية.

والمفارقة أن هناك كثيرًا من الكتاب والمفكرين في عالمنا العربي والإسلامي يروّجون لفكرة العولمة دون أي تنبه لآثارها! ولا تعليل لذلك إلا أنه صورة جديدة للانبهار بكل ما يصدر عن الغرب من أفكار، حتى لو كانت تلك الأفكار تعني محاولة تغريب العالم، وتغييب الثقافات الأخرى، وتذويب خصوصياتها، مما قد يقود العالم إلى «لعبة النهاية» التي أشار إليها جراي، والتي تعني ضيق الفرص وخطورة الموقف وقلة الخيارات واحتدام الصراع الذي يضر بالأطراف جميعها، كما يحدث تمامًا في لعبة الشطرنج عندما تتناقص القطع الخاصة بكل لاعب، فيضحي كل واحد منهما بقطعة مقابل الاقتراب خطوة نحو الحسم.

ولعل ما يمثله عام ٢٠٠٠م من تهديد لحضارة المعلومات، وما أحدثه هذا التهديد من اضطرابات شديدة في الأوساط الدولية من دول وشركات ومؤسسات كبرى تمارس نشاطها على مستوى العالم يؤكد أن القوة اليوم هي قوة المعلومات المرادفة للمعرفة.

ويتلخص ذلك التهديد في أن شبكات الحاسوب الرئيسية العاملة في جميع أنحاء العالم عرضة للتجمد والارتباك مع حلول عام ٢٠٠٠م، لأن تخزين التاريخ في هذه الشبكات كان يتم بصورة مختصرة، إذ كان يدون الرقمان الأخيران من التاريخ الميلادي، لقلة سعة الذاكرة عند بدايات الحاسوب، وهذا ما سيجعل الحاسوب يرفض قبول أن عام ٢٠٠٠م يلي عام ١٩٩٩م. وتراكم استخدام المختصرات جعل من الصعب التراجع عنه، وأي تعديل لهذا النظام المستخدم، والاستمرار في استعماله عند حلول عام ٢٠٠٠م سوف يربك شبكات الحاسوب، ويسبب اختلال المعلومات المخزنة فيها وتغير دلالاتها وفقا لتغير الدلالة الزمنية. وسيمتد أثر هذه المشكلة ليشمل مجالات الاتصالات والطب والكهرباء والصناعة وأنظمة الأسلحة وتقنيات الحروب والمؤسسات المالية والطيران المدني والحربي، وجميع مجالات الحياة التي تعتمد في عملها على الحاسوب. بل إن إصلاح هذا المسار الذي يبدو بسيطًا يحتاج إلى نحو ٦٠٠ مليار دولار حسب تقدير المتخصصين، وكان المفروض أن يتم هذا الإصلاح قبل حلول عام ٢٠٠٠م بوقت كاف.

وقد تنبهت بعض الشركات إلى هذه المشكلة، واستطاعت في سرية تامة أن توجد حلولاً لها، ولكنها في انتظار اللحظة الحاسمة، أي تلك التي تسبق نهاية القرن بوقت قليل، لكي تقفز وتتصدر القمة، متجاوزة شركات قد تكون عملاقة، مما يوجد انقلابًا في أوضاع الشركات، وتبدلاً في مكانتها الاقتصادية؛ بل إن ٥٪ أو أكثر من الشركات مهددة بالإفلاس، وسيترتب على ذلك فقدان مئات الآلاف من العمال وظائفهم.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو: ما الموقف الذي يجب أن تتخذه الدول التي ليس لديها القدرة على التحكم في المعلومات أو توجيهها؟ وهل لها دور في ذلك أم إنها مجرد متلقية ومستهلكة للمعلومات؟

وهذا السؤال ليس إلا واحدًا من أسئلة كثيرة يكمن في الإجابة عنها ما يواجه إدارة العولمة وخططها، وتبدأ هذه الأسئلة بالسؤال عن: ما حقيقة العولمة؟ وما أبعاد تأثيرها سلبًا أو إيجابًا في مجتمعاتنا العربية الإسلامية؟ وهل أدركنا نحن هذه الأبعاد؟ وما المعايير التي يجب استخدامها في تحديد هذه الأبعاد؟ وما الموقف الذي يجب اتخاذه حيالها في كلتا الحالتين؟ ومتى؟ وكيف؟

عندما نستطيع أن نجيب عن هذه الأسئلة وغيرها بكل وضوح وثقة، ستأتي مواقفنا حيال العولمة مبنية على حقائق تؤهل للبدء في تحديد الخطوات المطلوبة لنكون شركاء للإسهام فيما ينفع الناس جميعًا دون استثناء، ودون فوقية أو استعلاء أو استغلال، وفقًا لما أراده الله لنا لنكون شهداء على الناس ويكون الرسول علينا شهيدًا.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

في ظل النزوع إلى تحقيق السيطرة الاقتصادية، وإذابة الفوارق بين الثقافات لتصب جميعها في بوتقة الثقافة الغربية، تبرز بعض الآراء المتعقلة التي تدعو إلى ضرورة التخلي عن فكرة الحضارة الكونية

غسيل الأموال القذرة



قضية اقتصادية ذات أبعاد اجتماعية غسيل الأموال أوتطهيرها أو تبييضها ثلاث كلمات لها مدلول واحد يعني إخفاء حقيقة الأموال المستمدة من طريق غير مشروع بتصديرها أو إيداعها في مصارف دول أخرى، أو نقل إيداعها، أو توظيفها، أو استثمارها في أنشطة مشروعة للإفلات من الضبط والمصادرة، وإظهارها على أنها مستمدة من مصادر مشروعة، سواء أكان الإيداع أو التمويه أو النقل أو التحويل أو التوظيف أو الاستثمار قد تم في دول متقدمة أم نامية. هذه القضية الاقتصادية الخطيرة ذات الأبعاد الاجتماعية على مستوى العالم، أعد عنها قسم التحرير موضوعًا مصورًا تناول كثيرًا من جوانبها.

طالع ص١٥

التعليم عن بعد ودول الخليج العربي (الجامعة المفتوحة)



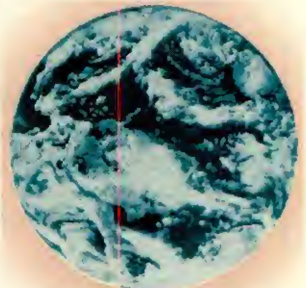
الجامعة المفتوحة تعني توفير الفرصة للآلاف من الناس القادرين على مواصلة التعليم العالي، ولا سيما الكبار، الذين لم يستطيعوا إكمال تعليمهم لأسباب اجتماعية أو وظيفية أوجغرافية أو مادية أو لكبر سنهم، واكتشفوا أنهم في حاجة إلى متابعة تعليمهم الجامعي، لسهولة الانضمام إليها، ولأنها تنقل المعلومات إلى حيث يوجد المتعلم. فالبرامج التعليمية فيها تبث من طريق المذياع، والأقمار الصناعية، والحقائب التعليمية، والمراكز التعليمية الإقليمية وغيرها، ولا وجود لشروط خاصة فيها. وقد تخرج فيها في إنجلترا وحدها أكثر من ربع مليون فرد حتى عام ١٩٨٧م، وهو رقم يدل على أهمية هذه الجامعة.

وتدرس دول الخليج الآن دراسات جادة لفتح مثل هذه الجامعة.

موضوع مهم يتطلع إليه كثير من الناس يناقشه د.زكريا يحيى لال

طالع ص٣٠

مخاطر تحدق بكوكبنا



هبت الهيئات والمؤسسات الدولية اليوم منادية بالاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها مما يحيق بها من كوارث كخطر زحف الرمال والصحارى المتزايد عامًا بعد عام، الذي يهدد حياة مليار نسمة من البشر تهديدًا مباشرًا، وسخونة الغلاف الجوي بسبب ماتقذفه مصانع الدول الكبرى من ثاني أوكسيد الكربون والنفايات، وقطع الغابات، وقتل الحيوانات النادرة المهددة بالانقراض. ولخطورة التصحر والتلوث التي سينتج عنها كوارث مستقبلية تنادى المخلصون من بني البشر للحفاظ على البيئة، والحد من خطر الكوارث فعقدت المؤتمرات الكثيرة وشكلت الجمعيات، واتخذت التوصيات وسنت القوانين للحفاظ على الإنسان وبيئته، ولكن إلى أي حد تم تطبيق مثل تلك التوصيات والقوانين؟

في العدد موضوع شائق ومخيف في الوقت نفسه يسلط الأضواء على هذه القضية الخطيرة.

طالع ص٨٤

أدب وفكر

تربية وتعليم

علوم

لغة

اقتصاد

تراث وتاريخ

شخصيات

شعر وقصة

الأبواب والزوايا الثابتة

من كتاب العدد



د. عبدالحميد عليوة عبدالحميد مسعد

- من مواليد مصر.
- حاصل على الدكتوراه في علم اللغة ١٩٨٩م، جامعة القاهرة.
- يعمل أستاذًا مساعدًا بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- من مؤلفاته:

شعر الأعمى التطيلي: دراسة دلالية، فونولوجيا اللهجة القاهرية المعاصرة: دراسة صوتية، اتجاهات الشعر في العصر الأموي: دراسة أدبية تحليلية، الاسم في اللغة العربية: دراسة نحوية، فن المقال بين النظرية والتطبيق، إيقاع الشعر العربي بين الكم والكيف.

د. محمد عبدو فلفل

- من مواليد حماة، سورية ١٩٦٠م.
- حاصل على الدكتوراه في الآداب، تخصص نحو وصرف ١٩٩٣م، كلية الآداب، جامعة دمشق.
- يعمل مدرسًا للنحو والصرف في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، بجامعة البعث في حمص.
- له عدة بحوث علمية منشورة في المجلات المحلية والعربية.

أمير المؤمن

- من مواليد العراق ١٩٤٦م.
- تخرج في الجامعة المستنصرية ١٩٧١م.
- كاتب وباحث متفرغ، متخصص في تاريخ الفلك وتاريخ العلم منذ ربع قرن.
- له مقالات وبحوث منشورة في الصحف والمجلات العربية.



س. نعيم شلالا

- من مواليد الغينة ١٩٥٢م ، لبنان.
- أكمل دراسته الثانوية في لبنان، وسافر إلى روما، وحصل هناك على الماجستير في الآداب ١٩٨١م.
- عمل بالترجمة في منظمة الأغذية العالمية FAO في روما، بإيطاليا.
- يجيد اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية واللاتينية وبعض اللغات القديمة.
- يعمل حاليًا على نشر ديوانه: «البدويّات» في بيروت - تسعة أجزاء، دار النشر: مركز أدونيس للإعلام والتوثيق.
- يشغل حاليًا منصب مساعد الملحق الاقتصادي والتجاري لدى سفارة بلجيكا بالرياض.

عبدالكريم خلف الحمصي

- من مواليد درعا، سورية ١٩٥٠م.
- حاصل على دبلوم تربية فنية.
- عمل مدرسًا للفنون، وهو صاحب مكتبة تجارية حاليًا.
- شارك في عدد من الندوات والمهرجانات والأمسيات الأدبية.
- له دواوين: ألحان من يرموك، وعشاق بلا قلوب، وسراب الشذى وهديل الغمام.



الدلافين وعلاج حالة التوحد لدى الأطفال..

يعيش الخبـراء في «المركز البشري الدلفيني» بولاية فلوريدا الأمريكية حالة من الاندهاش، للأثر الإيجابي الواضح والسريع الذي تحدثه الدلافين في فئة من الأطفال المعوَّقين، المصابين بحالة التوحد (الاسترسال في التخيُّل هربًا من الواقع). فقد وُجد أن تعامل هؤلاء الصغار مع الدلافين يؤدي إلى نتائج جيدة.. وقد ذكرت صحيفة الإكسبريس اللندنية أن طفلاً يبلغ من العمر ثماني سنوات ـ هو الطفل نكي برايس ـ عولج في مركز فلوريدا، ولم يكن ينطق من قبل، وانطلق لسانه أول مرة في هذا المركز.

ويبدو أن هذه الأخبار والمعلومات المثيرة حتى لدهشة الخبراء، شجعت والدي الطفلة لورين جيد توماس، من سكان جورنج ـ أون سي في بريطانيا. فهذه الطفلة تعاني خللاً عصبيًا نادرًا، وهي حالة من أصل ١٣ حالة في بريطانيا. ونتيجة لهذا الخلل لا تستطيع لورين التركيز، وهي غير قادرة على التعلم. حتى أبسط الواجبات الأساسية ـ مثل تناول طعامها بنفسها ـ لا تستطيع القيام بها، ولا هي قادرة على الكلام أو المشي! ولأنها غير قادرة على التعبير عن نفسها بابتسامة، فإن والديها يلمسان استجاباتها ومشاعرها من خلال تعبيرات وجهها، فعندما يعانقها أحد الأبوين يضيء وجهها.

أقصى ما يأمله والدا لورين هو أن يسمعاها تنطق ولو بمجرد حروف متقطعة، ولذلك فهما يعولان الكثير على مركز فلوريدا (الدلفيني). يقول والد لورين، الذي يعمل بوظيفة «فني مخدرات» في الدوائر القضائية: «إن نطقها بكلمة «بابا» سيكون حلمًا قد تحقق..».

وهذا الحلم كان الدافع لهذا الأب المتلهف للقيام بحملة لجمع عشرة آلاف جنيه إسترليني تساعده على الانتقال بطفلته إلى الولايات المتحدة. يقول: «إن هذا المبلغ الذي يسعى لجمعه سيكون أجر علاج مدة ثلاثة أسابيع في المركز الدلفيني. ولعل الله يجعل شفاء الصغيرة لورين من هذه الحالة النادرة حافزًا للأطباء والخبراء إلى دراسة العلاقة الغامضة القائمة بين الدلافين وعلاج الأطفال من ذوي حالة التوحد».



عدسة حاسوبية
لفــــرز المواد البـــــريدية

أمام العدد الهائل من الرسائل والطرود وبطاقات التهنئة والصحف والمجلات والمطبوعات المختلفة التي تنهال يوميًا على مراكز المبادلات البريدية عبر العالم، لم يجد خبراء الميكنة الحاسوبية في الدول المتطورة بدًا من الاستهداء إلى طريقة لفرز هذه المواد وتوجيهها إلى مقاصدها بطريقة آلية تضمن اختصار الوقت وخفض التكاليف وإنقاص المجهود.



ولقد أثمرت جهود خبراء شركة AEG الألمانية عن ابتكار نظام واعد للفرز الآلي يتألف من عدسة حاسوبية قارئة مرتبطة بجملة توجيه وتحريك آلية. وتتولى العدسة تصوير كتلة العنوان ليتولى الحاسوب المتصل بها مهمة تحويل الحروف والأرقام إلى جملة من خطوط التشفير السوداء العمودية والمتوازية؛ ليتم بعد ذلك توجيه كل رسالة آليًا إلى صندوق الإرسال المناسب وفقًا لهذه الخطوط. ويمكن لهذا النظام المبتكر أن يفرز عشر رسائل في كل ثانية.

ولقد دلّت إحصائية أنجزها خبراء سويسريون على أن أحد أهم مراكز المبادلات البريدية العالمية المقام في مدينة زيورخ ويدعى: مكتب سيهل البريدي SIHL POSTAL OFFICE يتلقى يوميًا نحو ١٥٠٠٠ كيس تجميع بريدي تتضمن ٢٥٠٠٠ طرد مستعجل و ٢,٥ مليون رسالة. ويقتضي الأمر بذل جهود جبارة من قِبَل عدد كبير من العاملين لفرز هذه المواد ونقلها إلى مقاصدها.

وخلال عامين فقط من تشغيل الفارزات الآلية تمكن مكتب «سيهل» من تحطيم الأرقام القياسية المعروفة، حيث نجح في فرز وإمرار ملياري مادة بريدية.

وتُعَدّ شركة AEG الألمانية رائدة في صناعة أجهزة الفرز البريدي الآلية وتطويرها. وعلى إثر النجاح الذي حققته في سويسرا فإنها أصبحت تبيع منتوجاتها لنحو ٢٥ دولة عبر العالم. وفي عام ١٩٩٦م فازت بعقد بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار زوّدت بموجبه مؤسسة الخدمات البريدية للولايات المتحدة USPS بنحو ١٠٠٠ فارزة بريدية جديدة.

بروتين مُهنْدَس يحسِّن فرص شفاء الخاضعين لجراحات القلب



تُجرى في الولايات المتحدة الأمريكية سنويًا نحو ٣٠٠ ألف عملية كبرى في القلب، ويتوقع أن يرتفع هذا العدد مع تزايد كبار السن، وتشير الأدلةإلى أن التعقيدات التي تنجم عن إجراءات عمليات جراحية في القلب هي نتيجة رد فعل جهاز المناعة الذي يطلق عليه اسم (الشلال المتمم).

ويقول هاورلد ليزر الطبيب الجراح في بوسطن NEWS SCIENTIST ٢٥ إبريل الماضي: إن هذه المشكلة كبيرة، فهي تؤدي إلى وفاة المريض أو إطالة أمد إقامته في المستشفى، أو قد تسبب تعقيدات أخرى. ويُعَدّ الشلال المتمم جزءًا حيويًا في نظام المناعة، الذي يتدخل لقتل الكائنات المجهرية، في الوقت الذي تستعد فيه الخلايا للعراك مع الدخلاء.

ويعتقد الأطباء أن الدم الذي يجري خلال جهاز يقوم بعمل القلب والرئة، ويزود دم المريض بالأكسجين، أثناء توقف القلب مؤقتًا، خلال إجراء العملية ـ يحفز الشلال المتمم، أما وجود جسيمات غريبة أو خلايا معروفة بالأجسام المضادة فيمكن أن تحفز رد الفعل، حتى إن استخدام شبكة الأنابيب المتناغمة قد أخفقت في إيقاف رد الفعل ذلك.

الجديد في هذا المجال هو أن فرص نجاة أولئك الذين يخضعون لعمليات جراحية في القلب تتحسن، ذلك بمساعدة بروتين بشري تمت هندسته وراثيًا، فقد اكتشف أطباء جراحون في بوسطن أن البروتين المسمى (المتقبل المتمم البشري) القابل للذوبان نمط SCRI يسد الطريق أمام رد فعل جهاز المناعة، الذي يقضي على حياة من تُجرَى لهم جراحة في القلب، وأوضح الأطباء أن هذا البروتين أعاد للخنازير وعيها بطريقة مثيرة، بعد أن أجريت لها عمليات القلب.

وآلية عمل البروتين SCRI هي: أنه يسد الطريق أمام نمط من الفيلكو بروتين يسمى « C3 الذي يُعد جزءًا محوريًا في الشلال، وأن سد الطريق يعوق أو يعترض ذلك الشلال مما يمنع استمراره، ومن تقليل التلف الذي قد يلحق بالأنسجة.

تتضمن العملية الكيماوية في الشلال المتمم ٢٠ غليكوبروتين على الأقل تنشط بالتتابع. ينتج عن التصاق بروتين متمم واحد أو إضافة بروتين متمم على سطح الخلية.

وأخيرًا فإن بنية (تركيبة) أحد البروتينات التي تسمى غشاء تهاجم أشكالاً معقدة على سطح الخلية مما يتسبب في انفجار الخلية. كما أن الشلال المتمم ينشط أيضًا خلايا تدعى نوتروفيل، تطلق جذورًا طليقة الحركة ارتكاسية مما قد يساهم في إلحاق الضرر بالأنسجة.

يريد لازار وزملاؤه أن اختيار العقار الجديد الذي أنتجته شركة تي لعلوم الخلية (تي. سل سينز) ب يندهام بولاية ما ساشوسيتس على مرضى البشر، يقول لازار بأنهم يأملون أن يكونوا قادرين أن يوضحوا بأن قلوب هؤلاء المرضى سوف تعمل بشكل أفضل وبتعقيدات أقل بعد الجراحة.

يحذر دوغ فيرون المختص بعلم جهاز المناعة الاستشاري لشركة تي لعلوم الخلية الذي اكتشف الـ CRI في التسعينيات بأن هذا العقار يمكن أن يكبت قدرة جهاز المناعة على الشفاء من الأمراض بعد إجراء العمليات، ولكنه يضيف بأنه يعتقد أن لذلك العقار إمكانيات طبية. إلى جانب كونه يوفِّر كثيرًا من النفقات بتقليل مدة الإقامة (التنويم) في المستشفى يجعله أكثر جاذبية.



الطائرات تسهم في تفاقم ظاهرة «البيوت الزجاجية»

تحذر دراسة أجرتها لجنة حكومية عن التغير المناخي من أن الطائرات قد تكون مسؤولة عما نسبته من ٥ - ٦٪ من التسخين، الذي تسببه غازات الانحباس الحراري (غازات البيوت الدفيئة). ويقر بعض المشاركين في تلك الدراسة بأن هذه النسبة مرتكزة على نماذج قديمة الطراز من الكيمياء الجوية، وإن الرقم الحقيقي قد يبلغ ١٠٪ وربما أكثر. وهذا يعني أن ما تنفثه الطائرات من دخان يشكل أكثر من نصف التسخين الكوني المحتمل لما ينفث من حركة النقل البري

وستجبر هذه المزاعم الحكومات على أخذ ما تنفثه الطائرات الذي يتضاعف كل عشر سنوات مأخذ الجد. وفي الوقت الحاضر، فإن الاتفاقيات الدولية التي تحدد انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون والغازات الأخرى التي يُظن أنها تسبب ظاهرة التسخين الكوني لا تغطي الغازات المنبعثة من الطائرات. لقد استثنت اتفاقية بروتوكول كيوتو التي وُقعت في شهر كانون الأول/ديسمبر الماضي غازات الطائرات لأن المؤتمرين المتفاوضين بشأنها لم يستطيعوا التوصل إلى تحديد نسبة المسؤولية عما ينفث من دخان أثناء الرحلات الجوية الدولية.

وتؤثر الطائرات في ظاهرة التسخين الكوني بطريقتين رئيستين: فالأولى أنها تنفث ثاني أكسيد الكربون، حيث تستهلك الطائرات ما نسبته ٣٪ من الوقود الأحفوري المستخدم على مستوى العالم، أي ما يعادل ما تستهلكه المركبات، والأمر الثاني أنها تنتج أكاسيد النيتروجين التي تتحول إلى أوزون في أعلى طبقة التروبوسفير (الطبقة السفلى من الغلاف الجوي) التي تعلو الأرض بمسافة تراوح ما بين ٩ - ١٣ كيلاً وهو مدى الارتفاع الذي تحلق به معظم الطائرات. وفي الوقت الذي يسد فيه الأوزون، في طبقة الستراتوسفير (الجزء الأعلى من الغلاف الجوي)، الطريق أمام الإشعاعات فوق البنفسجية الضارة، كما أنه يعمل في طبقة التروبوسفير الدنيا غازات دفيئية قوية، وبموجب مسودة اللجنة الحكومية عن التغير المناخي فإن للأوزون الذي تنتجه الطائرات في طبقة التروبوسفير أثرًا كبيرًا في ظاهرة التسخين الحراري يماثل أثر غاز ثاني أكسيد الكربون الذي تنتجه.

لكن بول وينبيرغ PAUL WENNBERG من معهد كاليفورنيا للتقنية في باسيدينا، وهو مؤلف مشارك في إعداد (فصل) الأوزون في تقرير اللجنة الحكومية عن التغير المناخي، يقول ضمن تقرير أوردته «نيوسنتست» في عدد أبريل ١٩٩٨م: إن إنتاج الأوزون يحدث بشكل أسرع، وربما بمقدار الضعف عما ذُكر في التقرير. وهذا الزعم يرتكز على تحليلاته للمعطيات التي جمعتها طائرة ER2 التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) في عامي ١٩٩٥م و ١٩٩٦م. فقد اكتشفت رحلات الطائرة تلك أن الجزء الأعلى من طبقة التروبوسفير تحتوي على تركيزات أكبر بكثير مما كان متوقعًا من الهيدروكسيل الأصلي الذي يؤكسد أكاسيد النيتروجين لتحويلها إلى أوزون من خلال سلسلة من التفاعلات التي ينشطها الضوء، وباستخدام هذه المعطيات حذَّر وينبيرغ و٢٣ مؤلفًا مشاركًا في مجلة العلم SCIENCE (مجلد ٢٧٩، ص ٤٩) من أن النماذج الجوية الراهنة - بما في ذلك تلك المستخدمة في نشرة اللجنة الحكومية عن التغير المناخي - تتضمن أخطاءً خطيرة.

وأما دكْ ديروينت DICK. DERWENT رئيس المجموعة التي كتبت باب الأوزون في تقرير اللجنة الحكومية عن التغير المناخي من إدارة الأرصاد الجوية البريطانية في براكنل فيصف ورقة البحث التي قدمها وينبرغ بأنها ممتازة جدًا، وعلى أية حال فهو يشير إلى أن ما تنفثه الطائرات من دخان يساعد على ظاهرة التسخين الكوني التي احتسبها وينبيرغ، إلا أنها يمكن أن تُعوِّض بأثر آخر اكتشفه العلماء حديثًا، حيث إن بعض الباحثين قد استخلصوا بأن التفاعلات التي تتضمن أكاسيد النيتروجين الناجمة عن دخان الطائرات تعمل على تدمير غاز الميثان، وهو غاز فعال في ظاهرة التسخين الكوني.



توظيف المسرح لنشر ثقافة المحافظة على البيئة

من تقاليد الصيادين في جزيرة بالي الأندونيسية ذبح السلاحف الخضراء تقليديًا احتفالاً ببعض المواسم الدينية. ولكن الآن، بعد أن أخذ الصندوق الدولي للمحافظة على الطبيعة يحذر من الأخطار التي قد تلحق بهذا النوع من السلاحف، بدأت مجتمعات الصيد تغير من أساليبها.

وتتعرض السلاحف الخضراء للقتل في بالي أكثر من أي مكان آخر على وجه الأرض، ويعود ذلك بشكل كبير إلى أن هذه السلاحف تؤدي دورًا كبيرًا في الشعائر الهندوسية التي تشكل الديانة الرئيسة في هذه الجزيرة. واعتاد الصيادون، لعدة قرون، أن يبحروا بقواربهم الصغيرة المعروفة باسم جوكونغز JUKUNGS، وهم يصطادون السلاحف بالحراب اليدوية.

يقول وايان تيرها، أحد صيادي السلاحف على الساحل الغربي في بالي لمدة تزيد على أربعين سنة: كان يوجد كثير من السلاحف، لدرجة أن الصياد كان عليه أن يتكئ على القارب ويصطادها بحربته، ولكن هذه الأساليب البطيئة للصيد لم تكن تمكننا إلا من اصطياد القليل، بمعدل خمس أو ست سلاحف تقسم بين اثني عشر صيادًا، أما الآن فإن الأساليب الفنية الحديثة قد تجاوزت تلك القديمة ووفرت صيدًا كثيرًا.

وبمرور الزمن تدنى تعداد السلاحف في بالي بحيث لا يتمكن الصياد من الحصول إلا على واحدة أو اثنتين في الأسبوع بعد عناء كبير. فقد اختفت جميعها ونزلت إلى القاع بسبب ما تلاقيه من إزعاج. ويشير كيتوت سارجانا المختص بالأحياء البحرية، الذي يعمل في بالي مع صندوق المحافظة على الطبيعة: يوجد في أندونيسيا ستة أنواع من السلاحف، وتتوافر الحماية لخمسة منها. وفي بادئ الأمر لم تكن السلاحف الخضراء معرضة للخطر، ولذلك أُعطي الصيادون الحرية الكاملة لاصطياد أكبر عدد منها. ونتيجة لذلك تعرض هذا النوع للاصطياد الجائر، فدفعت هذه الأزمة صندوق الحياة الفطرية والسلطات الأندونيسية لبذل المساعي للمحافظة على البيئة والبحث عن وسائل للإبقاء على السلاحف الخضراء وحمايتها من حالة التدهور، وذلك دون المساس بالأعراف والثقافة المحلية.

ويقول كيتوت سارجانا في تقرير أوردته مجلة (الأمة والحياة) NATIONAL & WORLD: إن أول شيء فعلوه هو التحدث إلى القادة الدينيين، وذكر أنهم شعروا بالارتياح عندما علموا أن لحم السلاحف ليس بالشيء الذي لا يمكن لسكان بالي الاستغناء عنه في الاحتفالات الدينية، وأنهم يمكنهم الاستعاضة عنها بلحوم أخرى مثل لحم البط.



وبعد التأكد من وجود أبدال للحم السلحفاة قام سارجانا وزملاؤه بجمع زعماء القرى ليشرحوا المأزق الذي تمر به السلاحف الخضراء وطلبوا منهم المساعدة، ولكن إقناع القرويين لم يكن سهلاً. إلا أن دعاة المحافظة على البيئة عملوا بجد مع المجتمعات المحلية لنشر تلك الرسالة، ووظفوا المسرح لتحقيق هذا الهدف، وقاموا بعرض مسرحي بعنوان «غونغ» GONG وهي تمثيلية قروية تتحدث عن الصراع بين الخير والشر، وتستقي مشاهدها من الحياة اليومية. ذلك إلى جانب أشكال ثقافية أخرى تم توظيفها لهذا الغرض.

والآن يمكن تسويق ٥٠٠٠ سلحفاة خضراء في بالي كل عام، بطريقة قانونية. وأوصت الحكومة بأن يخفض هذا العدد إلى ٣٠٠٠ سلحفاة. ولكن صندوق الحياة الفطرية لا يشعر بأن هذه الحصة يمكن فرضها، لأنها ليست ملزمة قانونيًا. ويرى الصندوق أن برنامجه يحقق نجاحًا، ومن مظاهر هذا النجاح إقلاع بعض السكان عن ممارسة الصيد، فقد ترك وايان تيرها هذه المهنة وتحول إلى قطاع صناعة السياحة، كما أنه في الوقت نفسه يساعد الحياة الفطرية من طريق مراقبة تجار السلاحف الخضراء في بينوا، الميناء الرئيس لجزيرة بالي، الذي يجلب إليه الصيادون حصيلتهم اليومية. ويقول كيتوت سارجانا: إلى أن يجد الصيادون سبلاً أخرى للحصول على المال الذي فقدوه من جراء تدهور تجارة السلاحف، فمن الصعب عليهم أن يقللوا من الصيد، ولذلك سيخصص صندوق الحياة الفطرية جزءًا من جهوده لمساعدة الصيادين على إيجاد مصادر أخرى للدخل.



غسيل الأموال القذرة

دمار الاقتصاد وخراب الذمم



عندما يذكر اسم سويسرا تقفز إلى الأذهان مجموعة من الميزات والأوصاف التي انفرد بها هذا البلد الصغير، فجعلت منه دولة مرموقة.

إن النظام السياسي الذي تطبقه سويسرا أفرز ديمقراطية فريدة بعيدة من النماذج الغربية المحيطة بها، الحياد السياسي الذي تلتزمه هذه الدولة جعلها بمنأى عن المشكلات التي عصفت بالعالم، ومن الأوصاف التي اعتاد الناس عليها وأصبح هناك ارتباط شرطي بينها وبين سويسرا الدولة السرية المطلقة المتبعة في مصارفها، مما جعل هذا البلد ملاذًا لكثير من أثرياء العالم، ممن حصلوا على المال بطرائق مشروعة أو من اغتنوا بالخروج على القوانين والأنظمة، ولكن هذا الصنف الأخير يشكل

غالبية المتعاملين مع المصارف السويسرية، وهم بارونات المخدرات، ورجال السياسة الفاسدون، الذين يمتصون دماء الشعوب وينهبون موارد بلادهم، كذلك زعماء العصابات الإجرامية، فهؤلاء يجدون في سرية المصارف السويسرية حماية لأموالهم القذرة التي يكتنزونها لينعموا بها مستقبلاً. ولكن غالبًا ما يكون هذا المستقبل المأمول سرابًا، فلا يخرج هؤلاء من معاركهم التي يسعون من خلالها لاغتيال القيم الفاضلة، والانتصار للشر إلا صفر اليدين بعد أن تتمكن منهم يد العدالة، أو ينبذوا ويطردوا من بلدانهم، وعلى الرغم من أن النهايات المأساوية هي مآل كثير من المتعاملين بالأموال القذرة، فقليل من يتعظ ويعود إلى الجادة.

يبلغ عدد سكان سويسرا نحو ٧ ملايين نسمة، وتجتذب مصارفها نحو ثلث الموجودات العالمية الثمينة القادمة من خارج الحدود، غير أن السنوات الأخيرة حملت معها تطورات أثرت تأثيرًا (سلبيًا) في الإغراءات التي كانت تتمتع بها سويسرا بوصفها الملاذ الآمن للأموال. فبعد الانتقادات العالمية اللاذعة التي وجهت إلى المصارف السويسرية قامت سلطات هذا البلد بسن تشريعات توصف بأنها قاسية، ضد معتادي غسيل الأموال أو تبييضها، وقد وجه مدير هيئة الصرافة الفيدرالية دانيل زوير بوهلر رسالة إلى تجار المخدرات والسياسة الفاسدين وأعضاء العصابات الإجرامية، بأنهم إذا أتوا بأموالهم إلى سويسرا سيواجهون (وقتًا قاسيًا).

وغسيل الأموال أو تبييضها أو تطهيرها، ثلاث كلمات بمدلول واحد يبيّنه د. محمد محيي الدين عوض بقوله: «إخفاء حقيقة الأموال المستمدة من طريق غير مشروع بتصديرها، أو إيداعها في مصارف دول أخرى، أو نقل إيداعها، أو توظيفها، أو استثمارها في أنشطة مشروعة للإفلات من الضبط والمصادرة، وإظهارها على أنها مستمدة من مصادر مشروعة، سواء أكان الإيداع أو التمويه أو النقل أو التحويل أو التوظيف أو الاستثمار قد تم في دول متقدمة أم نامية»



وابتداءً من شهر/نيسان إبريل الماضي تقرر أن يقوم المصرفيون السويسريون والمديرون الماليون بالإبلاغ عن عمليات مالية تكون موضع شك، وأن يعلقوا فورًا الحسابات المالية المثيرة للجدل. وفي تقرير أوردته مجلة U.S. NEWS OF WORLD REPORT يقول تشارلز أنترياجوCHARLES INTIAGO ناشرة الرسالة الإخبارية الخاصة (التحذير من غسيل الأموال) التي تصدر في ميامي: لقد أقام السويسريون الآن المعايير العالمية لضوابط غسيل الأموال، بل إنهم تقدموا على الولايات المتحدة نفسها في هذا المجال.

ويكمل القانون الجديد سلسلة من الإصلاحات تم سنها بعد الكشف عن فضائح محرجة بأن حكامًا طغاة مثل حاكم الفلبين فرديناند ماركوس وحاكم زائير موبوتوسيسي سيكو، فضلاً عن العديد من تجار المخدرات والأسلحة، قد اختاروا سويسرا لإيداع أموالهم، لقد شعرت مصارف رئيسة ومن يرعاها من السياسيين بأن سمعة سويسرا بحاجة إلى اصلاح. كما أن مسألة ضحايا النازية مؤخرًا قد عمقت المشكلة، وأن التصريح الذي صدر عن أكبر ثلاثة بنوك في سويسرا بأنها استحدثت صندوقًا ماليًا عالميًا لضحايا المحرقة هو جزء من إعادة تجديد صورة سويسرا.

ولايكاد يمر شهر واحد لا تجمد فيه سويسرا حسابًا موضع شك أو تشن حملة تحقيقات على غسيل الأموال.

وتقول المصارف: إنها تتعاون مع القوانين الجديدة وتفرز المزيد من الأموال المشكوك في أصولها، وتخضع العملاء القادمين من بلدان (مشهورة بالفساد) للتدقيق والتمحيص. وذكر مصرفيون أنهم أغلقوا بشكل فردي حسابات بعض رؤساء الدول ورؤساء الوزارات وذلك بعد ما





لاحظوا أنهم يودعون شهريًا ما يزيد على مليون دولار.

ويعمل النائب العام السويسري حاليًا على استقصاء أخبار العصابات الإجرامية الروسية التي يُظن أنها أدخلت مايزيد على ٤٠ مليون دولار في التسعينيات، وفي فصل الشتاء الماضي اكتشفت السلطات السويسرية حسابات بنكية لضباط عسكريين أرجنتينيين سابقين يزعم بأنهم قد احتلوا أصول موجودات ثمينة من ضحايا الحرب القذرة التي أشعلتها عصبة العسكريين وامتدت من ١٩٧٦ - ١٩٨٣م.

ولكن ليس جميع المصرفيين مسرورين بالقوانين الجديدة، والتغيير الذي حدث من المثال القديم المريح الذي لا يتقيد بمعايير أخلاقية. يشكو هانس بيتر بويرالعضو المنتدب للشركة المصرفية السويسرية بأن واجبهم لا يتطلب منهم أن يكونوا رجال شرطة أو موظفي ضرائب للآخرين.

ويخشى بعض المصرفيين أن الطلب منهم الإبلاغ عن حركة الأموال موضع الشك سوف يضعف سرية الحسابات المصرفية التي ميزت سويسرا، ومن ثم يصيب الذعر عملاء البنوك فينأون عنها.

ومع تشديد التشريعات المناهضة للفساد وللمفسدين، ينشط المحتالون لابتكار طرائق أخرى غير مشروعة لحماية أموالهم القذرة، فحتى يتمتع هؤلاء المفسدون بما تبقى من سرية في المصارف السويسرية فإنهم يقومون بغسل أموالهم القذرة في بلدان عديدة قبل أن تصل إلى سويسرا، حتى يبعدوا مغانمهم من شكوك السلطات وملاحقتهم، ولكن على الرغم من ذلك فإن الأموال القذرة تأبى إلا أن تعلن عن نفسها فتفوح منها الروائح النتنة التي ترشد إليها السلطات، وذلك مثل ما حدث في قضية راؤول ساليناس دو جورتاي (الشقيق الأكبر للرئيس المكسيكي السابق)، وتقول السلطات السويسرية إنه استخدم جوازًا مزيفًا لإنشاء حسابات بمقدار مئة مليون دولار، وأن لوردات المخدرات المكسيكيين والكولمبيين قدموا له مدفوعات.

وقد أعلنت هيئة الأمم المتحدة مؤخرًا عن حملة ضد عمليات غسيل الأموال وتبييضها، وقال مدير مكتب الأمم المتحدة في فيينا، لمراقبة المخدرات ومنع الجريمة، بينو إرلاتشي: إن هذا الجهد الذي يقوم المكتب بتنسيقه يعدّ ميدانًا جديدًا نسبيًا في مجال التعاون الدولي.

وكانت دراسة أعدها مكتب الأمم المتحدة في فيينا أشارت إلى وجود عدد من المراكز الرئيسة لغسيل الأموال تمارس فيها هذه العمليات القذرة، مما يدعو حتمًا لإجراء مزيد من المناقشات حول هذه المشكلة من الدول المعنية. ترمي الدراسة أيضًا إلى تنبيه الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على قضيتين مهمتين تتطلبان تنسيقًا وعملاً، وهما سرية البنوك، ومراكز إخفاء الأموال بعيدًا من الرقابة المعتادة.

ولكن على الرغم من أن الاتفاقية الدولية التي تم توقيعها في العام ١٩٨٨م، طالبت الدول الموقعة بجعل عمليات تبييض أموال تهريب المخدرات جريمة تستوجب العقاب، إلا أن برنامج الأمم المتحدة لمراقبة المخدرات يقرر أن مانسبته ٤٠٪ فقط من دول العالم تقوم بذلك، ويقول إرلاتشي: إن هناك ما يقدر بنحو مليار دولار يتم غسيلها يوميًا في أنحاء مختلفة من العالم ومعظم هذه العمليات تتم عبرمراكز مالية في الكاريبي والمحيط الهادي وأوربا والشرق الأوسط وأفريقيا.

وتدعو خطة عمل صادق عليها في الشهر الماضي ممثلون لـ ١٥٥ دولة، إلى توسيع تفسير الأموال ليشمل العوائد



غسيل الأموال القذرة

الناجمة عن جرائم أخرى خطيرة، إضافة إلى تهريب المخدرات وتشجيع الخطة على وضع قوانين من شأنها تسهيل مهام المحققين الدوليين فيما يتعلق بالوصول إلى سجلات البنوك وكشوفها.

ومؤخرًا نظم معهد التدريب في أكاديمية نايف للعلوم الأمنية بالرياض حلقة علمية بعنوان: مخاطر غسيل الأموال على الاقتصاد الوطني حضرها ٧٧ مشاركًا من ١٠ دول عربية، وقدمت في الحلقة بحوث من بينها بحث للدكتور محمد محيي الدين عوض بعنوان: «تحريرالأموال القذرة ومدلول غسلها، وصور عملياته» وقد سأل الباحث لماذا هذا الاهتمام كله بغسيل الأموال، على الرغم من أنه صورة من صور إخفاء متعلقات الجريمة التقليدية، المنصوص عليها في قوانين العقوبات؟ وأجاب عن سؤاله بجملة من الإيضاحات:

المال بمثابة الأوكسجين لممارسي الإجرام المنظم، وهو سر قوتهم، فهم يسعون إلى تحقيق الأرباح الطائلة من وراء المتاجرة في السلع والخدمات غير المشروعة، وفي الوقت نفسه يعملون على تغطية مصدر هذه الأرباح غير المشروعة وأصولها، بحيث تبدو مشروعة. والسبيل إلى ذلك هو غسلها وتبييضها. إلا أن أجهزة العدالة من رجال الضبط والتحقيق والادعاء والقضاء تتقصى حقيقة هذه الأموال تمهيدًا لمصادرتها ومعاقبة أصحابها.

الأموال القذرة التي تفلت من المصادرة فيتم غسلها، تساعد جماعات الإجرام المنظم على التغلغل في الأوساط السياسية عن طريق مساندة بعض السياسيين في حملاتهم الانتخابية، وبالتالي يكون هؤلاء الساسة، بعد نجاحهم في الانتخابات متعاطفين مع الجماعات التي ساندتهم، مما يجعلهم يغضون الطرف عن نشاطاتهم الإجرامية.

الأموال التي يتم غسلها تساعد الجماعات الإجرامية على التغلغل في المشروعات الشريفة ليتخذوا منها واجهة يخفون وراءها تجارتهم غير المشروعة، ويكون ذلك إما بإقامة مشروعات جديدة أو شراء المشروعات القائمة، أو المساهمة فيها فتكون لهم غالبية رأس المال، ليتمكنوا من إرهاب المشروعات المنافسة، لأنهم يهمهم في المقام الأول المحافظة على أصول أموالهم، ولو من دون تحقيق أرباح، ولذلك فهم يتهربون من سداد الضرائب ويضيقون على المشروعات الشريفة. وفي حال إفلاس الأخيرة يقومون بفرض السعر الذي يروق لهم، وبذلك يعملون على تدمير جهاز الثمن المبني على قانون العرض والطلب أساس الاقتصاد الحر.

إن الأموال القذرة تساعد جماعات الإجرام المنظم على إفساد الموظفين، ولاسيما أولئك المختصون بإنفاذ القوانين بتقديم الرشاوي لهم ليأمنوا ملاحقة هؤلاء لهم فيعيشوا في حالة مهادنة معهم.

كما أن الأموال القذرة بما تتيحه لجماعات الجريمة المنظمة من قوة وسطوة، تجعلهم يشترون ذمم الشخصيات العامة والسياسية، وقد يقودهم ذلك إلى أن يكون لهم صوت مسموع ومؤثر في الأوساط السياسية والاقتصادية، وهكذا فإن الأموال القذرة لا تؤدي إلى فساد الكيان الاقتصادي فقط، بتغلغلها في التجارة المشروعة، وإنما تفسد أيضًا الكيانين الإداري والسياسي في الدول المتقدمة والنامية على السواء.

لو تركت الأموال غير المشروعة تتغلغل في الأوساط الاقتصادية والمشروعات الشريفة لفوجئ العالم يومًا بالاقتصاد الدولي قائمًا على قاعدة من الأموال القذرة، نظرًا للأرباح الضخمة الناجمة عن التجارة الإجرامية، التي قد تفوق ميزانيات بعض الدول.

إن ما تقوم به الجماعات الإجرامية المعتمدة على الأموال القذرة، من محاولات لإفساد الإدارات الحكومية وأصحاب النفوذ في سبيل حماية ممارساتهم غير المشروعة من شأنه أن يؤدي لإهدار القيم وزعزعة المعايير الأخلاقية من جانب المجرمين، واستمراء المسؤولين مخالفة القانون، وشعور الجمهور بالإحباط بمايفقدهم الثقة في المسؤولين، ويحمل الأفراد على الاعتقاد بأن المسؤولين مرتشون وفاسدون، ونتيجة لذلك تسود الأنانية ويزيد التطلع إلى الثراء السريع الحرام، فينخرط بعضهم في الجماعات الإجرامية.

وتعمل الجماعات الإجرامية على تحويل أموالها القذرة وأرباحها غير المشروعة عبر الحدود إلى دول أخرى للإفلات من الملاحقة والمصادرة، ولهذه الجماعات مؤسساتها المالية وبنوكها المشبوهة التي تسهل عمليات الغسيل والتبييض، ولذلك فإن الدولة المحول منها هذه الأموال لا تستفيد اقتصاديًا، كما أن هذه الممارسات تقلل الثقة في النظامين المالي والمصرفي للدولة المحولة إليها الأموال.

ويرى محيي الدين أن الأموال المغسولة تزيد كثيرًا على تلك المستمدة من تجارة المخدرات، فالنشاطات الرئيسة لهذا النوع من الإجرام ليست مقصورة على الاتجار في المخدرات والمؤثرات العقلية، وإنما تشمل الاتجار غير المشروع في سلع وخدمات أخرى بعضها تقليدي والآخر مستحدث، ومن الأنشطة التقليدية : الاتجار غير المشروع في الأسلحة والسيارات المسروقة، والنقود المزيفة، والدعارة، والاتجار في النساء والأطفال، والتحف والآثار المسروقة.

وأما الأنشطة المستخدمة في مجال غسيل الأموال القذرة فمنها الاتجار في الأعضاء البشرية وفي العمالة المهاجرة، والنباتات والحيوانات النادرة والمنقرضة، والأسلحة البيولوجية، والكيماوية، والمواد النووية ودفن النفايات المؤينة وتصريفها، وصور أخرى من الغش في الميدان الاقتصادي.

أيوب: ملحمة قديمة اغتصبها اليهود!!



د. حسن ظاظا

في بلاد (عوص) عاش رجل اسمه (أيوب). وكان ذلك الرجل كاملا عاقلاً، يتقي الله، ويحيد عن الشر. وولد له سبعة بنين وثلاث بنات، وكان يقتني سبعة آلاف رأس من الغنم، وخمسمئة زوج من البقر وخمسمئة أتان من الحمير، وله عبيد كثيرو العدد جدا، وكان ذلك الرجل أعظم من كل أبناء المشرق، وتعوّد أبناؤه السبعة أن يقيم كل منهم وليمة في بيته في يوم معلوم من الأسبوع وكانت الأخوات الثلاث يحضرن هذه الولائم فيأكلن، ويشربن مع إخوانهن. حتى تمت دورة المآدب الأسبوعية، بكّر أيوب في الصباح، وضحّى عن أولاده فدية بعددهم جميعا بعد أن باركهم جميعا، إذ كان أيوب يقول في نفسه ربما أخطؤوا في حق الله، وتطاولوا عليه في قلوبهم. هكذا اعتاد أيوب أن يعمل (سفر أيوب ـ فصل ١ من رقم ١ إلى رقم ٥)، ونقف قليلا عند هذه الكلمات الأولى من سفر أيوب، وهو سفر طويل جدا ـ يحتوي على ٤٢ فصلاً وافية الطول.

هذه البداية للسفر تطرح كثيرًا من الشكوك في أصالة هذه الملحمة في الشعر العبري القديم. إذ جرت عادة الراوية من قدماء اليهود أن يذكر اسم بطل القصة واسم أبيه، واسم السبط الذي ينتمي إليه من بني إسرائيل، أما هنا فنواجه اسمًا كأنما هو نكرة. صحيح أنه امتدحه بالكمال والاستقامة وسعة الثراء ورغد العيش، ولكنه ينسبه إلى (بلاد عوص)، وهو عوص بن إرم من «بني المشرق» كما يقول، وهم في الاستعمال العبري القديم يعنون به (العرب) سواء أكانوا قحطانية ـ في هذه الحالة ـ أم عدنانية عند ذكر قبائل البادية التي واجههم موسى عليه السلام في قصة خروجه من أرض مصر مع بني إسرائيل، وفي مناسبات أخرى كثيرة.

ثم نجد من جوانب ثروته المأثورة (الجمال) وهي حيوانات غير طاهرة، تحرمها الشريعة الموسوية ذبائح للأكل أو دواب للركوب، ولم ترد إليها أية إشارة في توراة موسى، لأن الإبل لم تكن قد شاعت تربيتها في تلك الأصقاع على عهد موسى، وكون هذه القصة قديمة جدًا ينبئ عن أصل (غريب) وغير معروف ترجع إليه. ثم إننا نجد الحمير مذكورة في هذا النص، مع تحديد أنها إناث؛ لأن ذكور الحمير لم يكن قد تم استئناسها تمامًا في ذاك الوقت. وأرض عوص التي كان يقيم فيها أيوب هي المنطقة الشرقية من شبه جزيرة العرب، وإذا كان حظ الحمار من العبودية للإنسان في تلك المناطق يبدو محدودا بالإناث كما ذكرنا، والخيل لم تكن استؤنست بعد، ويرجع استئناسها إلى أواسط النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، أي بين سنة ٢٠٠٠ وسنة ١٥٠٠ قبل المسيح، وهو العصر الذهبي للهكسوس الذين كانوا أول من روّض الخيل في المنطقة، وبهذا السلاح فتحوا مصر، وحكموها، وصاروا من أسرها الفرعونية الحاكمة، مما سهل على سيدنا يعقوب أن يرحل إلى مصر للقاء ولده يوسف الذي نصّبه فرعون (من الهكسوس غالبًا) على خزائن الأرض. وحتى على أيام موسى وخروجه من مصر ببني إسرائيل، لم يرد ذكر للخيل في العتاد الحربي لتلك العصور الموغلة في القدم، أما الإشارة لذبح أيوب للقرابين وتقديم ذلك كفّارة عن بنيه وبناته فقد يكون هذا التفصيل صحيحًا لأن كثيرا من الشعائر كان عامًا في الديانات، الوثنية منها، والسماوية. كما كانت هذه الشعائر تنقل من غير نظام، حيث لم تكن الأسوار المحكمة بين الشعائر قائمة، ولم تكن العامة تفرّق بين السنة والبدعة.

ومع ذلك، وعلى الرغم من إلحاق قصة أيوب بالتراث الديني المقدس في «أسفار العهد القديم» بسياقها وحجمها الكبير جداً، بل حتى بلغتها، ومغزاها، كل هذا تعيها عيّنة فريدة من نوعها عندهم، وتوجد أسبابٌ وجيهة جداً للإفضاء الشديد بأخلاقياتها فقط دون الدخول في التفاصيل في النص القرآني، ومع ذلك، وعلى الرغم من إلحاقها بنصها الضخم في العهد اليهودي القديم، بقيت تحوم حولها شكوك، منها أصل القصة ومنشؤها فإن اسم «أيوب» نفسه ليس اسمًا عبريًا! وعندنا في اللغة العربية الفعل آب ـ يؤوب، بمعنى عاد ورجع، وهو في الآرامية والسريانية له صيغتان: (تاب) بالتاء أي رجع عن الذنب الذي ارتكبه، ثم (ثاب) بالثاء ومعناها رجع بسلام، نقول: ثاب إلى رشده، وثاب إلى أهله ونحو ذلك. أما في العبرية فأصل الاشتقاق المقابل هذا المعنى هو «شاب ـ يشوب» بالشين. وعليه يكون «أيوب أقرب الألفاظ إلى الأصل العربي، وهو الرجل العائد إلى الله، وهو أوّاب أو أيّوب.

ولشهرة «أيوب» في الناطقين بالضاد من العرب ـ والمسلمين ـ عمومًا، كان يكفي ذكره في أربع آيات من القرآن الكريم حتى يصبح رمزا للصبر على البلاء، والتمسك بالإيمان، وتسليم الأمر كله إلى الله، وهذه الآيات الأربع

هي: (النساء ١٦٣ - الأنعام ٨٤ - سبأ ٨٣ - ياسين ٤١)، وأيوب في القرآن الكريم نبي كريم أوحي إليه بشهادة الآية الأولى من هذه الايات الكريمة الأربع.

أما كتاب العهد القديم فيذكر قصة أيوب مطولة جداً، وبحذافيرها، وبتفصيل مدهش، لم يزاحمه أحد في الاهتمام بالعرض الفكري، حتى يعقوب وإسحق وموسى وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل، أما الحبكة القصصية، والتحليل لأنماط البشر فقدم للقارئ فنًا جديداً، ليس من المألوف في فنون الأمم السامية.

ثم إن هذه القصة تخلو تماما من ذكر أي اسم لعدو الله الرجيم إلا اسم «الشيطان»، ويبدو أنه عندهم أعجمي، ينطقونه «ساطان» بالسين المهملة، فإذا سأل الله من أين جاء؟ يقول: مشّوط بارصْ، أي من التسكع في الأرض، فيعود ملتمسًا أصلا للاشتقاق بالشين، ولا يكون هذا في لغة إلا إذا أشبهت إحدى ألفاظها لغرابتها.

وتحرص القصة، على الرغم من أن أيوب له في نصوصها مكان ومكانة فإنه يتركه من دون تعريف أو نسبة أو ذكر سنة مولده أو مكان ميلاده أو السبط الذي ينتمي إليه من بني إسرائيل أو الأمة التي يُعزى إليها من الناس.

تقول قصتة في العهد القديم فهو في أرض «عوص» وكانت في ذاك الوقت اسمًا للبادية الشرقية من نجد، ويقول علماء الأنساب: إنها أرض عوص بن إرم، وسماه بعض النسابين العرب «العيص» وهو سيقان الشجر «العصا».

يقول سفر آب في مقدمته، بعد ذكره ثروة أيوب العظيمة: ذات يوم دخل أبناء الله ليمثلوا أمام الرب، ودخل الشيطان في وسطهم، فقال الرب للشيطان: من أين أتيت؟ فأجاب الشيطان قائلا للرب، من الضرب في الأرض، والعبث فيها. فقال الرب للشيطان: هل اهتممت بعبدي أيوب، العديم المثال في الأرض. رجل كامل، ومستقيم يخشى الله، ويحيد عن الشر؟ فأجاب الشيطان وقال للرب: أمجانا يخشى أيوب الله؟ ألم تكن قد وسّعت عليه وعلى بنيه، وعلى كل شيء له، من كل جهة؟ كما باركت في عمل يديه، فأثرى في الأرض، ولكن مدّ يدك ومّس جميع ماله، وسترى كيف يتطاول عليك بالتجديف في وجهك! فقال الرب للشيطان: ها هو ذا كل مايملك في يدك، لكن إياك أن تمد يدك إلى نفسه، فخرج الشيطان من مواجهة الرب، واتفق يومًا أن أبناءه وبناته كانوا يأكلون ويشربون نبيذًا في بيت أخيهم الأكبر، وأقبل رسول إلى أيوب وقال: كانت البقر تحرث، والأتن ترعى بجانبها، فهجم عليها أهل سبأ، وأخذوها، وقتلوا الغلمان بحد السيف، وأفلتُّ أنا وحدي لأخبرك. وبينما هو يتكلم جاء آخر وقال: سقطت نار الله من السماء، وأحرقت الغنم والغلمان فأفنتهم، ونجوت أنا وحدي لأخبرك. وبينما هو يتكلم وصل آخر وقال: افترق الكلدانيون ثلاث فرق، وهجموا على الإبل وأخذوها، وقتلوا الغلمان، وأفلت أنا وحدي لأخبرك. وبينما هو يتكلم حضر آخر يقول: كان أبناؤك وبناتك يأكلون ويشربون نبيذًا في بيت أخيهم الأكبر، فإذا ريح شديدة قد هبت من قلب الصحراء وصدمت زوايا البيت الأربع فسقط على الشباب فماتوا، ونجوت أنا وحدي لأخبرك!

في هذه الجمل العليلة وجد أيوب أنه فقد كل ما يملك، حتى أولاده (أيوب ١: من ١٣ إلى ١٩).

فقام أيوب، وشق ثوبه، وجزّ شعر رأسه، وخرّ على الأرض ساجدًا، وقال: عريانًا خرجت من بطن أمي، وعريانا أعود إلى بطن الأرض! الرب أعطى والرب أخذ! فليكن اسم الرب مباركا! (أيوب١ : ٢٠ - ٢١) ويختم هذا الفصل مأساة أيوب بجملة واحدة مختصرة: وفي كل هذا لم يخطئ أيوب، ولم يتكلم على الله بجهاله (رقم٢٢).

وإلى جانب دلائل كثيرة مثل لفظ الشيطان العربي الذي لم يرد في كل العهد القديم إلا في هذا السفر وكذلك ذكر الإبل، وهي مخلوقات غير طاهرة في شريعة اليهود، وذكر أرض عوص في شرقي شبه الجزيرة العربية، ثم إغفال القصة لذكر نسب أيوب، كل هذا جعل تلك القصة تبدو «غير أصيلة» في التراث اليهودي. ثم هذه الديموقراطية الساذجة في النقاش بين الرب والشيطان، الذي يصل من جانب الشيطان إلى درجة التحدّي، والجدل بين كائنين متساويين في المنزلة! كل هذا يبدو غير مألوف في القصص اليهودي: فالجبل يندك عندما يتجلى له وجه الله، وموسى يخر صعقًا، بعد أن طمأنه الله أنه هو، والأرض ترتعد تحت نظرة منه تعالى، فالكل عبيده حتى هذا المخلوق المتمرد الشيطان، وهكذا ظهرت قصة أيوب، وكأنها تحوم حول أصالتها وحول سماويتها شكوك كثيرة، في الشكل والمضمون. وعندما ورد ذكر سفر أيوب لم يوجد له نص عبري كما أشار إليه التلمود البابلي، وقال: إن تلاوتة عُرفت قديما باللغة الآرامية، لا العبرية، وأُقصي، من «المشنا» التي يجمع لديهم بأصح يقين من أحكام الشريعة اليهودية، وأدرج في «البَرّانيا» وهي مجموعة الشرائع (البرّانية) التي تفتقر إلى مزيد من الثبوت، وجاء موضوع تلاوة سفر أيوب فيها، كما ظهر من بعض كبار شيوخ الدين القدماء - في التلمود البابلي، الجزء الخاص بالسبت - خلاف حول سفر أيوب، واستمر الخلاف قرونا طويلة، إلى القرن العاشر الميلادي، إذ ترجمه إلى العربية العلامة سعديا سعيد بن يوسف القيومي كبير علماء الدين اليهودي في بغداد في أيام الدولة العباسية، ووضع عليه شرحا، وسماه «كتاب التعديل» أي إثبات العدل إلى الله سبحانه وتعالى، وعلى الرغم مما حلّ بأيوب من الكوارث والآلام، وعلى الرغم مما يحوم حول قصته من بعد عن الطرق المطروقة في القصص اليهودي، لدرجة أن بعض عبارات التلمود البابلي (باب السبت) لاتفرض على اليهود وجوب إنقاذ سفر أيوب من الحريق. وتواصل الاستشهاد بنصوص من قصة أيوب في العهد القديم، على الرغم مما خيّم على أصل هذا النص من مساحات غير واضحة. لكن الأداء الفني للقصة، والخلاف الذي يميزها من قصص التوراة، وأسفار العهد القديم جعلت من هذا السفر تراثًا شعبيًا في كثير من قصص الصبر على البلاء التي لايكاد

> جرت عادة الراوية من قدماء اليهود أن يذكر اسم بطل القصة واسم أبيه، واسم السبط الذي ينتمي إليه من بني إسرائيل، أما هنا فنواجه اسمًا كأنما هو نكرة

أيوب:
ملحمة قديمة اغتصبها اليهود!!

ينجو منها إلا النوادر من خلق الله، فقد رأيت من سيرة أيوب أغاني شعبية إسلامية في معظم البلدان العربية، وأذاعت مصر في إذاعتها منذ أكثر من عشرين عاما ملحمة شعبية عربية عن صبر أيوب، في عدة حلقات. كما قدمت باحثة من جامعة القاهرة ثلاث نسخ من قصة أيوب بلهجات عربية محلية واحدة من الصعيد وأخرى من شرق الدلتا، وأخرى - وهي النص الإذاعي - باللهجة القاهرية، وهذا النص كان حواراً مسرحيًا وليس قصة شعرية، ومازال الباب مفتوحا للباحثين حتى يتعمقوا في قصة من صميم التراث الإنساني. أما كيف ومتى انتقلت إلى كتب اليهود المقدسة، فلا يدري أحد؟ مع وجود بعض فروق في تفاصيل السياق. فزوج أيوب واسمها عند اليهود «دينة» تحمل هذا الاسم الذي معناه بالعبرية «إدانة» أو «حكم» على حين أن زوج «أيوب المصري» اسمها «رحمة» وكأن ذهن رجل الشارع المصري المظلوم دائما قد تطرق إلى الحكمة القديمة التي تقول: الرحمة فوق العدل. ونرى «دينة» اليهودية تنصح زوجها أن يطلق لسانه بما لايليق بحق الله حتى يقتله ربه لكفره وقلة صبره فيستريح، لكن لاأريد أن أسبق الحوادث في هذا السرد، حتى لانخدش مايمتاز به من أحكام.

ثم اتفق ذات يوم أن دخل بنو الله (الملائكة!) ليمثلوا أمام الرب، ودخل الشيطان بينهم أيضا للمثول أمام الرب، فقال الرب للشيطان من أين أقبلت؟ فأجاب الشيطان قائلا للرب: من الضرب في الأرض، والعبث فيها، فقال الرب للشيطان: هل لاحظت باهتمامك عبدي أيوب الذي لا مثيل له في الأرض، رجل سليم مستقيم يخاف الله ويحيد عن الشر، ومازال على سلامته واستقامته، وقد أغريتني به حتى أضربه بغير ذنب؟!! فأجاب الشيطان قائلا للرب: جلد بجلد (أي أن عداوة أيوب للشيطان جرت عليه مرارة المصائب) (أي واحدة بواحدة!) وكل مايحوزه الإنسان يبذله عن نفسه: ولكن مدّ يدك ومسّ عظمه ولحمه وستشاهد تطاوله عليك في وجهك. فقال الرب للشيطان: هاهو ذا في يدك، ولكن احفظ نفسه، فخرج الشيطان من لدن وجه الرب، وضرب أيوب بقرح خبيث من باطن قدمه إلى رأسه، فأخذ له شعفة ليحتك بها وهو جالس على الرماد. فقالت له زوجه: إلى الآن أنت تؤمل في سلامتك؟ تطاول على الله ومت، فقال لها: إن كلامك كلام إحدى السفيهات! أتقبل الخير من الله، والشر لاأتقبله منه، في هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه (أيوب ٢:١ - ١١)

وهنا يتغير المشهد. فأيوب أذعن لإرادة الله فيه، مريضا يتقزز منه من يراه بعد أن فقد كل ثروته وجميع أولاده وبناته، ولم يبق في محيطه إلا زوج سفيهة صخّابة. ويأتي أصدقاؤه لعيادته «وسمع ثلاثة من أصدقاء أيوب بكل ماأصابه من البلاء، فجاء كل واحد منهم من مكان إقامته: إليفاز التيمائي (إيلي: ربي، فاز: انتصر) وقد جاء من تيماء. وبلدد (بل أصلها بعل، ودَد أي الخير والوفاء) فاسمه أبو الوفاء، وصوفر النعماني، ولعل صوفر أصلها «سوفر» وهو الكاتب أو المثقف، المستنير، وهو نعماني، أي جاء من أرض النعمة، وأما الشوص فمن أرض شوح، بالقرب من الخليج ويبدو من حديث كل واحد من أولئك الثلاثة أن لكل منهم اتجاهاً ومشرباً مختلفا في الحياة، وبلدا مختلفا عن بلد صاحبه أيضا، وتنعقد بينهم وبين أيوب مناقشة طويلة هي الأساس في السياق، وهي المطلوب الرئيس في الحوار وتبدأ الجلسة بتقاليد مرسومة لعيادة مريض ميئوس من شفائه، فرفعوا أبصارهم من بعيد فلم يعرفوه، فرفعوا أصواتهم وبكوا، وشق كل منهم ثوبه، وهالوا على رؤوسهم نحو السماء ترابًا، وجلسوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليال، لم يكلمه واحد منهم بكلمة، إذ رأوا أن حزنه كان شديداً جداً (أيوب ٢: ١١-١٣).

بعد ذلك فتح أيوب فمه، ولعن يومه، وقال مجيبًا إياهم لا كان نهار ولدت فيه! ولا ليل قبل فيه: قد حل بإنسان ليكن ذلك النهار ظلاما، ولا رعاه الله من فوق، ولا أشرق عليه نور، لتستبد به الدياجير، وظلال الموت، وليشمله ركام، لتروّعه كواسف النهار، وذلك الليل لتلّفه الظلمة، ولا يحصى بين الأيام الحسنة، ولا يدخل في عدد الشهور! ليكن ذلك الليل ثاكلاً، ولا يسمع فيه ترنيم، ليشتمه لاعنو اليوم، الحاذقون في إثارة اللوياثان (الثعبان الهائل المحيط بكل الأرض، وهو كائن أسطوري)، لتظلم نجوم غسقه، وليترقب النور فلا يكون، ولا يبصر أجفان الفجر، لأنه لم يغلق على أبواب البطن، ولم يستر الشفاء عن عيني، لمَ لم أمت من الرحم؟ هلا فاضت روحي عند خروجي من البطن؟ لماذا صادفت ركبتين تستقبلانني، أو ثديين يرضعانني، إذن لكنت الآن مضطجعا ساكنا، وكنت نائمًا مستريحًا! مع ملوك الأرض وكبرائها الذين عمّروا فيها الخراب. أو مع أمراء عندهم ذهب وبيوتهم مملوءة فضة، أو مثل سقط مجهول لم ير الحياة؟ أو مثل أجنة لم تر النور. هناك يكف المنافقون عن البلبال. وهناك يستريح خائرو القوى، هناك الأسرى يطمئنون يومًا إذ لايسمعون صياح من يسخر منهم، هناك الصغير والكبير والعبد، الكل قد أعتق من مولاه. لماذا . يُعطى نور وحياة لذوي النفوس المرة؟ الذين ينتظرون الموت فلا يأتي، الباحثون عنه مثل البحث عن الكنوز، أولئك الذين يشعرون بالفرح والبهجة، ويستبشرون إن وجدوا قبرا، كرجل قد عميت عليه مذاهبه، وسد الله عليه كل ماحوله! إلا إن طعامي التنهّد، وتوجّعي ينساب كالماء، إذ إن ماكنت أخشاه قد غشيني، وما ارتعت منه قد أرهقني! فلا طمأنينة لي، ولا قرار، ولا راحة! وقد داهمني الهلع (أيوب - الفصل الثالث كله)، وهو غني عن التعريف في الألم والشكوى المرة من البلاء.

ويتوالى كلام أصدقاء أيوب الذين جاؤوا لعيادته، وشاركوه في آلامه وبكائه وأحزانه وكان أولهم إليفاز التيمائي، وهو من اسمه

الحبكة القصصية في قصة أيوب والتحليل لأنماط البشر قدم للقارئ فنًا جديدًا ليس مألوفًا في فنون الأمم السامية

عربي من تيماء، وأغلب في اسمه «إليفاز» أن يكون إيلي ـ أي إلهي «فاز ـ أي انتصر»، ويمثل هذا الرجل عدل القضاة، وهو عدل صلب رادع، يحكم بالظاهر، ولا يستطيع التوغل في ثنايا النفوس. ويبدأ بتذكير أيوب بفضله على الآخرين «إنك قد انهضت كثيرين، وشددت الأيدي المسترخية، وأقامت أقوالك العاثرين، وثبّتّ الركب المرتعشة، أما الآن فنزلت بك البلوى فجزعت، مستك فطار صوابك، أليست التقوى هي معتمدك؟ وسلامة طرفك هي رجاءك مع الذين يحرثون الإثم، ويزرعون المشقة، هم يحصدونها، نفحة الله تهلكهم، وريح غضبه تفنيهم، زئير الأسد، وصوت الليث، وأنياب الأشبال اقتعلت، في خطرات رؤى الليل، عندما يقع السحاب على الناس، أخذتني رجفة ورعدة، فارتجفت كل عظامي، خطر روح أمام وجهي، فاقشعر شعر بدني، ثم وقف ولم أعرف مرآه، كأنه خيال أمام عيني، وكان سكوت! ثم صوت أسمعه: أيكون الإنسان أعدل من الله؟ أم يكون المخلوق أطهر من خالقه؟ إلا إنه لا يأتمن عبيده، وإلى ملائكته ينسب نقيصة، فكيف من مأواهم بيوت من طين؟ وأصلهم من تراب؟ إنهم يسحقون سحق العث، وبين عشية وضحاها يحطّمون بلا مبالاة، وإلى الأبد يهلكون. أما يضمحلّ ما يبقى منهم؟ إنهم يموتون! ولا حكمة لهم. ادعُ، لعل لك من يجيب! وانظر إلى أي القديسين تلتفت ويصنع العظائم التي لاتمتحن، والعجائب التي لاتحصى، الذي يفيض الغيث على الأرض ويرسل المياه على الصحارى طوبى للرجل الذي يؤاخذه الله، فلا تبنذنّ تأديب القدير... وتدخل القبر في شيبة وافية كما يُرفع الكأس في أوانه، هذا ما اخترناه، وهو الحق فاسمعه، واحتفظ به (من أيوب الفصل الخامس).

ولكن آلام أيوب لا يستطيع صديق مهما بلغ من دقة الحاسة إدراكها فيرد أيوب على إليفاز قائلا: ليت كربي وزن وبلاءاتي رفعت جملةً في ميزان! إذن لكانت أثقل من رمل البحر، فلذلك يقع اللغو في كلامي، لأن سهام القدير فيّ تمتص سمها روحي، وقد اجتمعت أهوال الله أمام وجهي. ويسترسل أيوب في تأكيد أنه إذا كان يتأفف مما يعانيه فله عذره، ثم

لا أحد يدري كيف و متى انتقلت قصة أيوب إلى كتب اليهود المقدسة!!

يؤكد ذلك بما يعرفه الجميع من طبائع المخلوقات حتى البهائم.

وفي قراءة متأنيه لهذا النص، نشعر بوضوح أنه لاعلاقة له بالمجتمع العبري المنغلق على نعرة امتيازية تمنع اليهودي، حتى الأنبياء، أن ينحدر نحو ما هو دونها، مما يؤكد شعورنا بأن هذه القصة الشعرية تناقلتها حناجر كثيرة أبرزها القبائل العربية القديمة جداً في تاريخنا، والمساهمة في كل نشاط حضاري وفكري في التاريخ الثقافي والديني والفني لهذه الناحية من الأرض.

المنافسة الحامية بين الله والشيطان لا تحتاج إلى دليل في قصة أيوب، حتى بعد أن اغتصبها اليهود وادعوها لأنفسهم، وغيروا فيها وبدّلوا حتى تنحشر في تراثهم بشكل طبيعي، ولكن شيوخهم القدماء أحسوا بالصدع الكبير الذي يميز هذه القصة الإنسانية التي يمكن أن تأسر نفوساً جريحة في بني إسرائيل ـ وما أكثرها في تاريخهم ـ بحيث تكون قدراً مشتركاً بين كثير من شعوب العالم تحت شعار الصبر، والثقة بالله سبحانه وتعالى خالق الجميع من دون محاباة أو تمييز. والجميل في تلك القصة أن بطل الشر فيها ليس وحشا ولا بشراً ولكنه (الشيطان) شخصيا! ولو وجدت قصة أيوب في نسختها الأولى ـ بأية لغة كانت ـ لبهرتنا بقوتها ونضارتها وعفويتها، وبكثير من التفاصيل التي لانعلمها عن آبائنا الأولين. ولا أكاد أشك في أن أصل القصة (عربي) من الخليج ،فإن جميع محاولات الطمس لم تستطع محو الأثر الزرادشتي فيها، وهو وضع الله سبحانه وتعالى مع الشيطان الرجيم في كفتي ميزان. ثم أسماء أيوب وأصدقاؤه التي هي أقصر طريقا نحو العربية منها نحو أية حضارة أخرى.

والمتحدث الثاني من أصدقاء أيوب، يبدو لنا أقرب للخليج فاسمه «بلدد» يحل إلى «بل» وهو النطق الفارسي القديم للإله «بعل» ومنه «داد» وهو فعل العطاء بالفارسية، فيكون معنى هذا الاسم (عطاء الله) ولأن «بعل» كان إله المطر والزراعة، نشعر أن صديق أيوب «بلدد» كان معنيا بحالة السماء، ونزول الماء منها، وكان مستسلما للإرادة السماوية، فهو يرد على الشكوى التي يطلقها أيوب بإطناب ومرارة بقوله: إلى متى تنطق بمثل هذا؟ وأقوال فمك كريح عاصف؟ أتريد من الله أن يحرق الفضاء، أو يلوي القدير العدل؟ إن كان أبناؤك قد أخطؤوا في حقه فقد أسلمهم إلى يد معصيتهم، أما أنت، بادرت إلى الله، ورجوت رحمة القدير، وكنت زكيًا مستقيمًا فإنه ينتبه إليك، ويعيد قصر برّك إلى السلام، لتبدو أولاك قليلة الخصب بالنسبة إلى ما يكون في أخراك من الازدهار الوفير. اسأل القرون الماضية، أصغ إلى حقائق أسلافهم، فإنما نحن أبناء أمس، ولا علم لنا. أيامنا ما هي إلا ظلٌّ على الأرض، أما هم فيعلمونك ويكلمونك، ويوضحون لك خبايا قولهم هل ينمو البرديّ في غير المستنقع؟ أم تنبت الحلفاء بلا ماء؟ ومع أنها تخضر ولا تقطع، فإنها أسرع ذبولا من سائر النباتات. كذلك تكون سبل من ينسى الله، وكذلك يخيب أمل الكافر فتنقطع أمانيه، ويكون اعتماده على بيت عنكبوت. يستند إلى بيته فما يثبت ويتعلق به، وهو غير قائم. إنما هو شجرة تخضر في الشمس، وتبسط فروعها على بستانها، وتتشابك عروقها على الصخر، وتدخل إلى قلب الحجارة، لكنها إذا استأصلها أحد، وإذا بمكانها ينكرها قائلا: أنا لم أعرفك قط! ذلك منتهى حظها، ومن تربتها تنشأ أخرى، فالله لا يرفض الصالح، ولا يأخذ بأيدي المجرمين، فعسى الله أن يملأ فمك ابتساما، وشفتيك تهللا، ويخفي كارهيك، ويقطع دابر زيغ المنافقين.

ونشعر هنا بالمزارع البسيط، الذي خبر الحياة، وبشر أيوب بحسن العاقبة، وبمجيء الفرح. ولكن أيوب ظل فريسة المرارة التي ذاقها من تلك الأحداث التي لايد له فيها.

وجاء حديث الصديق الثالث «صوفر» النعماني، يؤكد اسمه ونسبه أنه عربي أصيل

أيوب:
ملحمة قديمة اغتصبها اليهود!!

أيضا، فصوفر أصله «صافر» وهو الطائر المبشر بالخير، والنعماني من النعيم، وقد يكون تحريفا لاسم موضع يدعى نعمان الأراك، وهو إقليم معشب كثير الخضرة والثمار، في غرب الجزيرة العربية، وبدأ صوفر بمقدمة غير مألوفة في الكتب الدينية اليهودية، إذ يقول: ألعلَّ كثرة الكلام لاتجد جوابا، بل لعل المتكلم المفوّه يكون مقنعًا، بل لعل غُـرك يفحم الناس، أم أنك تتهكم ولا أحد يسفهك! تقول: مذهبي سليم، وأنا طاهر في نظرك! ولكن، ليت الله يتكلم، ويفتح شفتيه فيحييك، ويخبرك بأسرار ماتحته، وبأن لقدرته ثنايا كثيرة، حتى تعلم أن الله قد تسامح معك في معصيتك! ألعلك تدرك دخائل الله؟ أم أنك تبلغ إلى قياس القدير؟ إنه في علو السماوات، فماذا نفعل، وهو أعمق من قرار الجحيم، فماذا تدري أنت؟ مداه أطول من الأرض، وأعرض من البحر، فإن بطش بأحد، وحاصره، وجمع قضاته، فمن يردّه؟ هو يعلم مرتكبي السوء، ويبصر الإثم، أفلا ينظر في أمره؟ ولو كان ذلك لعد الجاهلي عاقلا، ولصار جحش الحمار البري إنسانا! وأنت، إن نبهت قلبك إلى الله، وبسطت إليه كفيك، وجانبت الإثم المنوط بيدك، ولم يحل ظلم في مسكنك، حينئذ ترفع وجها لاعيب فيه، وتكون راسخا لاتفرغ، وتنسى مشقتك، أو تذكرها مثل حياة قد عبرت، وتكون حياتك أكثر إشراقا من الظهيرة، وظلمتك كأنها الصباح! وتطمئن إلى معاودة الأمل، وبعد الخزي تضطجع في راحة، وتستقر فلا يردُعك أحد، بل كثيرون من يستعطفون وجهك، أما عيون الحاسدين فتكل، ويبيد كل ملجأ لهم، ويذهب كل رجاء لهم يتلاشى كما تفيض الروح عند الموت.

ومع ذلك لم ينجح أحد من أولئك الثلاثة في التسرية عن أيوب في آلامه الهائلة، على الرغم من أنني لم أختر من أقوالهم جميعا إلا مايوازي عشر معشارها، وهذا الثالث الأخير يجنح كثيرًا إلى أعماق فلسفية، على حين يميل أولهم إلى النظام والتشريع الاجتماعي، والثاني إلى الزهد، واحتقار عرض الدنيا.

وفي نهاية الحوار الطويل بين أيوب وأصدقائه الثلاثة، بدا لهم أنه عنيد شديد العناد، وأنه يصر على رفض الاعتراف بأنه مذنب في حق الله سبحانه وتعالى حتى ظن الأصدقاء أنه مغرور، وأن الله تعالى أعدل من أن يمتحن عبدًا من عباده الصالحين بمثل هذا الوبال، ولكن تبرز في نهاية القصة شخصية أخرى، يرجح عندي أنها إضافة يهودية إلى سفر أيوب، بدليل أن الراوية يقدّمه للجمهور تقديمًا أوفى وأكثر تفصيلا من تقديمه لأيوب وأصدقائه الثلاثة، حيث يطالعنا الفصل الثالث والثلاثون من سفر أيوب بهذا النص:

فأمسك هؤلاء الرجال الثلاثة عن محاورة أيوب لاعتقاده أنه صديق، وأثار ذلك غضب إليهو بن تركسيل البوزي، من عشيرة رام، على أيوب بزعمه أنه (أعدل) من الله! كما غضب على أصدقائه الثلاثة، لأنه لم يبق عندهم جواب أكثر من القول بأن أيوب آثم.

وكان إليهو قد انتظر فراغ أيوب من الكلام، لأنهم كانوا أكبر منه سنًا، فلما رأى إليهو أنه لم يبق جواب في أفواه الرجال الثلاثة، غضب، وأصاب إليهو بن تركسيل البوزي وقال: إني صغير العمر وأنتم شيوخ، لذلك احتشمت وهبت أن أبدي لكم علميَ وقلت إن السن تنطق، وطول العمر يفيد الحكمة، لكن في البشر روحًا، ونسمة القدير تفقههم. ليس المسنون هم الحكماء، ولا الشيوخ هم المتمرسون في القضاء. لذلك قلت اسمعوا لي، فأبدي أنا أيضا علمي، فإني أصغيت لآرائكم بأناة، وأصخت لحججكم مدة مباحثتكم، وتبّين لي أثناء ذلك أنه ليس فيكم من أقام الحجة على أيوب مجيبًا عن كلامه. لا تقولوا إنا قد أصبنا الحكمة، ولكن الله هو ضاربه لا الإنسان أما أنا فلم يوجه إليّ كلامه، فلا أجيبه إجابتكم. لقد تحيروا ولم يجيبوا، وقد سلبوا النطق، فتربصت حتى سكتوا، فلم يتكلموا، وتوقفوا فلم يجيبوا من بعد. والآن أجبت أنا بدوري، وأبدي أنا أيضا علمي: فإني مملوء أقوالا، وبداخلي روح تضايقني! إن بداخلي كخمر لم ينزع بزالها، كأنها زقاق جديدة تكاد تنفجر فلا أتكلم حتى يفرج عني، أفتح شفتي وأجيب لا أحابي إنسانا، ولا أطري بشرا لأني لا أعرف الإطراء، وإلا ذهب بي خالقي عما قليل.

ثم تنعقد مناقشة حادة بين إليهو وأيوب، فكان من المتوقع أن يحسم الرب الخلاف، فجاء من علياء سمائه وأزال من جسم أيوب القروح التي كادت تقضي عليه، ورد عليه ثروته بالتعويض عنها أضعافًا مضاعفة، ثم أنساه ما كان فيه من بلاء ومعاناة، وعاد أحسن مما كان.

أما الأولاد الذين ماتوا، والغلمان الذين قتلوا بحد السيف فقد ذهبوا هدرا! لكن، إذا كان العوض دسما فإنه ينسي اليهودي مامضى! فبعد قرون من اللاسامية، وبعد أجيال تكدسوا في حواري اليهود (الجيتو - الملاّح ...إلخ) يستغلون نسائم الحرية التي هبت على العالم فحاولوا أن ينالوا منها نصيب الأسد، حتى ممن لم يمدوا إليهم يدا بسوء مثل سكان فلسطين الأصليين قديمًا وحديثًا. زعم اليهود أن الله قال لهم في كتابهم أبيدوا الفلسطينين، واسكنوا في ديارهم واستولوا على أراضيهم وبلادهم. وهل فعل اليهود - قديما وحديثا - إلا مثل ما فعل بهم فرعون وبختنصر وكهنة المسيحية الأوروبية في العصور الوسطى، وكهنة الثورات والانقلابات الأوربية في هذا القرن هتلر، ستالين، موسوليني..إلخ

وبعد فلقد تبّين لنا من هذا العرض التفصيلي إلى حد كبير أن قصة من أجمل القصص الشعرية اغتصبت من أدب قديم جدا في منطقة الشرق الأوسط - غالبا من أصل عربي - وقدمت للعالم على أنها ملحمة يهودية والعالم يبتلع كل هذه المغالطات من دون أن يتحرك، وقريبا قد نسمع أن هرتسل وبن غوريون وربما مونتقغيوري أو أدولف كريميه، وربما لانداو أو موسى ديان أو مناحم بيغن من ضمن أنبياء بني إسرائيل.

الأصل العربي للقصة يظل واضحًا في أسماء أبطالها، وفي إخفائهم أصل أيوب وموطنه

أقوال الماضي للحاضر

خليفة محصن



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

خلق الله البشر مختلفين في صفاتهم، وتصرفاتهم، وفي نظرتهم إلى الحياة، ونظرتهم إلى غيرهم، فهم يتأثرون في ذلك بما تمليه عليهم طبيعتهم، وما تأتي به تربيتهم، وبمن يخالطونه، ومن يعملون أو يتعاملون معه.

بعض الناس يُقَدِّر الآخرين، فيحترم عقولهم، ويعاملهم بما يليق بهم، وبما هو حق لهم، لأنه يؤمن بهذا الحق لهم، ويسعده أن يرى السعادة تغمر قلوبهم، والبهجة تطفح على وجوههم، وبعضهم لا يفكر إلا في نفسه، ولا يراعي إلا إياها، ولا يلتفت إلا إلى حقوقها؛ بحثه دائمًا عن مكاسبها، وعينه على فائدتها، ونظرته إلى نفعها، حتى لو كان في ذلك ضرر على غيره، يفوق مُكتسبه، والأسوأ في هذا الأمر أن يأتي ذلك بصفة مِنَّة على الآخرين، فتكون بهذا الإساءة من جانبين، يسيء، ويطلب الإحسان مقابل ذلك، ويتطلع إلى المكافأة على هذه الإساءة.

والنفاق يتصف صاحبه بمثل ذلك، فالمنافق يمدح، ويخفي الذم، يعطي ويحجب الأخذ، يسالم ويبيت الحرب، يبدي الصلاح، ويُكِنّ الفساد، يُهدي النصيحة، ويُغيِّب الغرض والكسب الذي يرجوه من وراء ذلك، مع ما في عمله من أذى لغيره، من الغافلين الأبرياء.

ويتدارك الله ـ سبحانه وتعالى ـ بلطفه من يريد له الخير، ومن يمن عليه بالرحمة، فينير بصائرهم، ويدلهم على الحقيقة المغلفة، ويلهمهم الرد الحسن، والوقوف المبرور، أمام الخطأ المتعمد، ويجنبهم الوقوع في شراك المتربصين، بكشف مصائدهم، وإبطال فعلها، وتفادي ضررها.

وضرر مثل هؤلاء المنافقين قد يكون محدود الانتشار، محدود الضرر، فلا يُلحظ، ولا يكون له ما يوجب الذعر منه، وقد يكون الأمر خلاف ذلك، فيأتي بأذى كثير، وكل هذا يتوقف على الهدف من النفاق، ومن وجَّهَه، ولمن وُجِّه، وفي أي ظرف، وبأي طريق؛ وأخطر هذه المواقف هو الموقف الذي يكون مع حاكم، ولا يعلم إلا الله مبلغ الضرر الذي يأتي من هذا الموقف، لأن الحاكم بيده تنفيذ الأحكام، ورعاية المصالح العامة، والحفاظ على الأمن، وسد أبواب الذرائع، مما قد يجعله يأخذ بالشبهة، ويرجح الحزم، ويؤدي به هذا الاجتهاد إلى عمل خاطئ، تذهب بسببه أرواح، وتُزهق أنفس، وتُصادر أموال، وتُؤذى أجساد.

هناك رجل تقدم للمهدي بما اشتم منه المهدي النفاق، أو الغيبة، أو النميمة، أو الوشاية، أو الوقيعة؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وقد سهل اعتلاءه منصب الخلافة، قد حصنه بحصن مكين، حماه من كيد من أراد أن يجعله مطية شر، ووسيلة أذى، ومركب ضرر. والمهدي من الخلفاء العلماء النابهين، عقله زاك، وتفكيره واسع، وثقافته عميقة، ومعرفته بالناس كاشفة؛ ذَكي، لماح، متنبه يقظ، يعرف الخطأ عند أول بروزه، ويشم رائحة الأذى عند بدئه، ولهذا لم يعط لمرتكب الخطأ فرصة للحديث، أو يمد له الحبل ليلقي سمومه، ويزرع أشواكه، أوقف الرجل عند أول وهلة، وأوصد الباب دونه عند أول كلمة، فحمى ذهنه من أن يُلَوَّث، وسمعه من أن يؤذى، وأعطى درسًا عميق الفائدة، غزير النفع، ثمنه غال، وقيمته

مرتفعة، فدل على حسن نية، وصدق نظرة، ورسم بهذا سياسة، سوف تعفيه في المستقبل من أمثال هؤلاء المتطفلين، والمتكسبين؛ ولعل هذه الحادثة وقعت في أول ولايته للخلافة، فرفعت عَلَمًا دل على نوع الحكم.

والنص الذي نحن بصدده هو:

«قال رجل للمهدي: عندي لك نصيحة، يا أمير المؤمنين.

قال: لمن هي؟ لنا، أم لعامة المسلمين، أم لنفسك؟

قال: لك، يا أمير المؤمنين.

قال: ليس الساعي بأعظمَ عورةً، ولا أقبَحَ حالاً من قابل سعايته، ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة، فلا نَشفي غيظك، أو عدوًا فلا نعاقب لك عدوك، ثم أقبل على الناس، فقال:

لا ينصح لنا ناصح إلا بما فيه رضى الله، وللمسلمين فيه صلاح، فإنما لنا الأبدان، وليس لنا القلوب، ومن استتر لم نكشفه، ومن أخطأ أقلنا عثرته؛ إني أرى التأديب بالصفح أبلغَ منه بالعقوبة، والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعاجلة، والقلوب لا تبقى لوالٍ لا ينعطف إذا استُعطف، ولا يعفو إذا قدِر، ولا يغفر إذا ظفر، ولا يرحم إذا استُرحم».

[تمام المتون: ٢٣٥].

هذا ما قاله المهدي، ما عدا جملة:

«والقلوب لا تبقى لوالٍ لا ينعطف إذا استعطف، ولا يعفو إذا قدر، ولا يغفر إذا ظفر، ولا يرحم إذا استُرحم».

فإني أظنها مزيدة، لأنها لا توافق الموقف، ولا تتماشى مع الحادثة.

هروب!!

أحمد محمد عيسى

انزلق تحت الغطاء الثقيل، النوم ـ عنده ـ خير من الأوقات الرديئة والبشر الكالحة وجوههم. العالم من حوله مشروخ. الكائنات ممسوخة. الناس آليات مبرمجة، بالكذب مدهونة، بالخداع مصقولة، بالنفاق مزخرفة، ما أجمل عمر النقاء والصفاء..

ألا ليت الطفولة تعود يومًا فيخبرها بما يفعل الشباب. هل من نهاية لهذا القنوط، وإلى متى السواد والكآبة؟!

تقلَّب على جنبه الأيمن. لماذا يهدده رئيسه دائمًا بالطرد من العمل؟ ألأنه لا يسكت على انحرافه ولا يجاريه في تجاوزاته ولا يوافقه على نزواته؟ لماذا الكراهية متبادلة بينه وبين زوج أمه؟ ولماذا الخلافات مشتعلة بينه وبين خطيبته؟ لماذا لا يكون متفهمًا، متوافقًا، متجاوبًا.. لماذا.. لماذا.. لماذا.؟ هل يقبل أن يكون إمعة؟ ابتلع قرصًا منوِّمًا. رقد على جنبه الأيسر. النوم ـ عنده ـ خير من الأوقات الرديئة و...

ما هذا الشيء الأسود العملاق. حيوان غاب، وحش بأنياب، جدار، قطار، ليل، نهار، برد، نار، صوته يصم الآذان ينقض عليه.. يسحقه.. تتبعثر الأشلاء.. تصرخ.. تنبض.. تنتفض.. ثم يسكن كل شيء. شخص يبكي ينوح: واشباباه!

من ذا الذي ينتحب، من يبكي من؟ أيام حداد يجللها الحزن الوقور تضمد جروح الحماقات. هبَّ من مرقده.. عرق غزير يغمره. يا له من كابوس. ابتلع قرصًا آخر ونام فلم يستيقظ إلا عند ظهر اليوم التالي. شعر بوحشة وغربة وحزن تخالطه رغبة في البكاء. صداع خبيث يدق يأفوخه.. من الذي مات؟ رسم ابتسامة صفراء على شفتيه عندما قابل زوج أمه، تجنبه الرجل وهو يتوجس منه ريبة.. فتح لإحدى صاحبات أمه الباب. ابتعدت عنه كأنه أجرب. رحب بها ملاطفًا. سمعها تهمس لأمه: ماذا جرى له هل مسه الجن أم نظرة الإنس؟ ضحكت أمه قائلة: لن يستقر حاله ويهدأ إلا بالزواج. شعر بالغثيان وأحس بالاختناق. اندفع إلى الخارج يبحث عن نسمة هواء. كاد ينسى الميعاد. خطيبته تنتظره منذ فترة. تعنفه على نسيانه وتأخره. تذكره بالزواج.. تتعجل الزفاف. فهمت من حديثه الناعم أنه يفضل الحب ولا يريد إتمام الزواج. ألقت الدبلة في وجهه وانصرفت غاضبة. ماذا جرى لهذا العالم. إنه إنسان جديد، أحرى به أن يصنع الأحداث لا أن ينتظر وقوعها.

تقاربت الرؤوس في مجلس اللهو. تعالت الضحكات من الأشياء والأحياء، تصاعدت حلقات الدخان تزكم الأنف الكبير. يد غليظة تدق الباب. عبارات قاسية تصفع رؤوس الذاهلين. انتظم الجميع صفًا واحدًا أمام العين الفاحصة. سحب الفضيحة تتجمع ثقيلة. كان مجرد شاهد. خرج تطن في أذنيه عبارات الزجر والتوبيخ. عاد أدراجه إلى المنزل فرماه زوج أمه بقرار الطرد من العمل.. خرج إلى الخلاء وهو يتقهقر إلى الخلف. يسير بظهره. أقسم ألا يتقدم خطوة إلى الأمام. تعثرت قدماه في قضبان باردة. وقع. أسلم خده للمعدن الأملس.. النوم ـ عنده ـ خير من الأوقات الرديئة والبشر الكالحة وجوههم...

ولم تسمع أذناه صفارة القطار..

واقع الثقافة والفكر



عبدالعزيز بن عبدالله السالم

تحتل الثقافة في عالمنا المعاصر واقعاً متميزاً تحتشد فيه عوامل ذات أثر فاعل في الاتجاهات الفكرية وفي حياة العصر بصورة عامة. ولعل من البداهة الإشارة إلى أن الفكر وليد الثقافة ومكمل لها، وفي ضوء هذا المنظور تحتسب مقومات الفكر امتداداً لعطاء الثقافة التي هي أساس في تقدم الفكر وإنارته، ولا يخالجنا أدنى ريب في هذا المفهوم الذي يرسّخه ويؤكده واقع الأمم المعاصرة؛ فمن المعلوم أن التخلف الفكري مبني على الانحسار الثقافي والإفلاس المعرفي، فالمعرفة تمثل الأسس التي تقوم عليها ركائز التقدم الإنساني بكل جوانبه الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وما سواها مما يدخل في مدلولها أو يسير على نهجها، فمنذ أن تشكلت المعرفة الأولى قديماً وعُرفت أبجدية الحروف التي تكونت منها، وصيغت منها العبارة المؤدية للمعنى المفيد، والإنسان يتعلّم ليستفيد، ولكي يستطيع أن يفكر تفكيراً متميزاً يرتقي في سلّم الإنسانية التي ترتفع عن الحيوانية بالفهم والإدراك وحسن التفكير، وأمام هذا المنحنى في طريق الصعود في آفاق الحياة فإنه لابد من رفع راية العلم والاستظلال بها، لاسيما في هذه الأجواء الشاحبة التي تعكّر أديمها رياح عاتية وتدفعها أهواء متحيزة، وفي ظل هذا المفهوم يتعيّن تحديد المسارات اللازمة للإنسان في منهج حياته وتحديد الطريق الذي يسلكه نحو أهدافه، والثقافة والعلم والمعرفة تلك هي الركائز التي ينطلق منها، والمصادر التي يعتمد عليها في تزويده بالقدرات التي تمكنه من السير في الاتجاه السليم، وتحقيق فاعلية وجوده عضواً عاملاً في مجتمع منتج، وأداةً فاعلةً في أمة متقدمة.

لقد حظيت الثقافة في مفهومها العام، في هذه الحقبة من الزمان، باهتمامات كثيرة عملت على اتساع نطاقها وتأكيد حضورها بشكل لم تكن تحظى به من قبلُ، ولعل ثورة التقنية المعاصرة في كثير من مرافق الحياة، وفي الاتصالات بنوع خاص، مما وسع نطاق الثقافة وصنع لها تلك الأبعاد الواسعة بعد أن كانت محصورة بين أسوار محدودة من الانعزالية السائدة في الماضي قبل حدوث التقدم الكبير، وحصول التطورات الرائعة التي صاحبت المنجزات الحضارية المتقدمة التي حققت طفرات مشهودة في مجالات متعددة من أساليب الحياة، وفي أنحاء واسعة من أركان الدنيا. وإذا كانت هناك بلدان مغلقة على شعوبها فيما سبق لضعف المواصلات وانقطاع الاتصالات، فقد أصبحت في هذه الحقبة الزمانية الحالية متقاربة جداً. حتى لكأن العالم الممتد المكان، المتعدد التوجهات، انطوى في عالم واحد تقاربت بلدانه والتقت شعوبه. إن ماحدث في هذا العصر من انصهار ثقافات وأفكار والتقائها، لم تكن له سابقة فيما سلف، حيث تتفاعل الثقافات الآن، بحكم التجاوز أو الاختلاط أو المحاكاة، ومن خلال ثورة المعلومات وخاصة الاتصالات التي يمثلها العصر ويمارسها المعاصرون.

وقد تفاعلت الثقافة العربية في حاضرها مع الثقافات الأجنبية وكان نتاج هذا التفاعل: امتزاج تلك الثقافات الأخرى بالثقافة العربية وتأثرها بها وتأثيرها فيها، كما سبق أن وفدت الثقافات الأجنبية إلى البلدان العربية في عصور متقدمة لا سيما في عصر الترجمة في العصر العباسي حين امتزجت ثقافات البلدان المفتوحة بثقافة البلاد العربية، وانصهرت في كيانها وذابت فيها ثم صارت جزءاً منها، لأن الأمة العربية حينذاك كانت تملك القوة فكانت مؤثِّرة أكثر منها متأثرة.

وقد دار الزمان دورته فحدث العكس في قابلية التأثر وعملية التأثير، فقد صار التفوق في المعارف والعلوم لأمم أخرى، وتحديداً كان التفوق ثقافيًا وتقانيًا «تكنولوجيًا» وفي جميع الفنون للأمم الغربية، واقتصر دور العرب على النقل والاقتباس والمحاكاة لكثير من أنواع المعرفة والحضارة والفكر والثقافة، ولم يعُد صراع الحضارات مقصوراً على التقنيات الفنية والعلمية فحسب، بل تعداها إلى ألوان من الثقافة في شمولها الفكري والمعرفي.

إن الذي يسود الساحة العالمية في هذه الحقبة أنواعٌ من التقدم العلمي والتحديث «التكنولوجي» لم تكن معروفة عند أسلافنا، وليست واردة في حساباتنا، كما يتمثل ذلك في الأسلحة النّووية التي عطلت فاعلية الأسلحة المعروفة في عصرنا، والتي كان لها تفوق منظور. لقد وُضعت الأسلحة التقليدية في العصور الماضية: «الرمح والسيف والحَربة» في متحف التاريخ كنموذج لسلاح انتهى دوره في الحياة، فقد جاء دور المارد النّووي نموذجاً للسلاح الفتّاك الذي يجوب الآفاق ويهدد بهلاك البشرية، كما يتمثل ذلك في إعداد قنابل نووية وهدروجينية وبيولوجية تحملها صورايخ تجتاز مسافات بعيدة لتكون نذيراً بتدمير العالم، وذلك يعود لتوظيف المعلومات فيها بما يعجل بفناء البشرية بدلاً من إسعادها، ولا يزال التسابق في هذا المجال يعلن عن نفسه في كل مناسبة، وإذا كان نوبل وضع جائزة كبيرة تكفيراً عن اختراعه الذي لا يتجاوز خطره مجموعة من الأفراد، فبماذا يكفّر هؤلاء المخترعون لأسلحة الدمار الشامل في عصرنا الحاضر؟! وإلى متى يستمر استغلال العلم في غير موضعه بين القوى العظمى لإنتاج هذا السلاح المخيف؟ إلا إذا كان الهدف أن يكون العالم اليوم في قبضة قوة واحدة، أو قبضة مجموعة قوى متحدة المصالح ومتفقة الأهداف، أو لعلها بعض مظاهر خطة العولمة المطروحة لاستقبال القرن الحادي والعشرين الميلادي؟.

وفي حديث أجرته صحيفة الشرق الأوسط في عددها الصادر بتاريخ ١٤١٩/٢/١١هـ الموافق ١٩٩٨/٦/٥م مع المفكر الأمريكي صمويل هنتجتون عن صراع الحضارات جاء مانصه: «ليس من المحتمل أن تهزم القوميةُ الثقافيةُ العولمة أينما ظهرت، ورغم الحماس الشديد حيال العكس فإن سيادة العولمة: المعيار في معظم أرجاء عالمنا منذ سقوط الاتحاد السوفييتي».

وإذا كانت الخطوات السابقة في عالم المعرفة ضيّقة المسافة محدودة الإطار، فقد تبدّل الوضع في الوقت الراهن عندما امتدت آفاقها، وتعددت طرقها، وكثرت تعريفاتها، وتلونت اختصاصاتها، وتنوعت وظائفها وأدواتها، فكان لها حضورها الملموس في الحياة المعاصرة إلى جانب ما تؤديه الثقافة من أدوار خاصة بها في توجيه الفكر الإنساني، وصياغة الوجدان الاجتماعي، ولعل مردّ ذلك التأثير المباشر يعود إلى الامتزاج والتلاحم بين الثقافة ذات الأساس الثابت والنبع الدائم، والحضارة ذات الإنجازات المتطورة والتحديث الجديد، فقد التقت كل منهما بالأخرى على صعيد هذا العصر، وكان بينهما من التواصل ما يشبه الامتزاج، فأخذت الثقافة كثيراً من ملامح الحضارة وسماتها، حتى صار التعبير بالمفردة الحضارية يشرق في الذهن على أنه لون من ألوان الثقافة أو تعبير عنها، فبينهما من التبادل في المفهوم ما يجعل إحداهما تمثل الأخرى، أو تُعَدّ مكملة لها أو امتداداً لطبيعتها، وهذا التطور في المفهوم المتبادل بين هذين اللونين من مقومات الحياة ترسخ في ذهن الإنسان المعاصر على نمط يشمل حركة المجتمع وأنواع نشاطه وأهم معطياته، وهو منظور ينتظم البيئات البشرية على تعدد مناحيها وتنوع سلوكياتها، وهذا المفهوم للتطور الحضاري في العصر الحديث شمل شرائح ثقافية واجتماعية تحت مسمى واحد، فصار التعبير عن الثقافة بالحضارة أو التعبير عن الحضارة بالثقافة من الأشياء المألوفة لتداخلهما في مفهوم واحد وتقاربهما في الاختصاص، فاقترب المفهومان وتداخل الاثنان حتى كادا يتطابقان في الأذهان وإن اختلفت بينهما كثير من الملامح والسمات.

وبلادنا، في تاريخها الإسلامي وموروثها العربي وفي واقعها الاجتماعي، تمثل الخطّ الثقافي المستقيم الذي ترسمته الأمة العربية في ماضيها الإسلامي المجيد، وسارت عليه في حاضرها الحالي، وما بين ذلك الماضي الذي يختفي وراء قرون عديدة من الزمان، وهذا الحاضر الذي نعيشه في مواجهة مدّ زاخر من أشكال الحضارة الحديثة، نجد أننا نحيا وسط أطياف الماضي وتراكمات الحاضر ومستجدات المستقبل، فعلينا أن نعرف كيف تسير خطواتنا وكيف نبني مستقبلنا في عصر العولمة والانترنت والحاسوب «الكمبيوتر»، والأسلحة النّووية؟. إننا في عالم عادت فيه جاهلية القرون الأولى، الشواهد من واقع الحال للأمم التي تحيا فوق هذا الكوكب الأرضي وتتطلع إلى حقوقها، حيث يتسلط القويّ ويستخذي الضعيف على الرغم من إطلاق شعارات براقة تدعو أو تدّعي المحافظة على حقوق الإنسان!.

وإذا كانت هذه البلاد في انطلاقاتها المعاصرة تجد من واجبها المحافظة على أسسها ومكوّناتها في التمسك بعقيدتها والمحافظة على مسلّماتها اليقينية التي لا تقبل التراخي في التزامها أو التهاون في تطبيقها، لأنها تمثل أهم مقومات هذه الأمة وأصدق ممارساتها، لذلك فمنطلقاتها مع التطورات

المتقدمة والتحولات الجديدة لا تنسيها الثوابت القائمة والمسلّمات الدائمة التي تمثل واقعها في الحياة وتعاملها مع المستجدات، وإلى جانب التزام ما سلفت الإشارة إليه والتقيّد به عبر تلك الحقائق، فإنها لا تقف من إنجازات العصر موقف الجحود، ولا تنظر إليها من نافذة مغلقة، وإنما تنطلق في موقفها ونظرتها من رحابة الأبعاد العالمية ومن الأجواء المفتوحة التي تحيط بها، إذ لا يمكن أن تغلق على نفسها المنافذ وتسد الأبواب المفتوحة، فتعتزل المجتمعات العالمية وهي تعيش على سواحل بحارها، وتتصل بحدودها، وتنتقل عبر أجوائها، وتستورد صادراتها، وتستخدم مصنوعاتها، وتعيش على منجزاتها.

وفي ظل هذا الاعتبارشاركت العالم من حولها في تقدّمه، واستفادت من حضارته، وطوّرت أدواتها ونوّعت وسائلها، مواكبة لإنتاجه وتجاوباً مع قدراته، وبذلك انفتحت على العالم الخارجي وفتحت جميع نوافذها للاقتباس من ثقافته والاستفادة من حضارته. على أنها تحتفظ في ذاتها بسماتها الأصيلة ومكوّناتها الأساسية وهي تنفتح على غيرها وتتأثر بسواها، فلا تنسى في غمرة اتصالاتها الواسعة وتأثرها بالحضارة الوافدة طابع حياتها الفكرية والثقافية وأن هذا الطابع موصول بقيمها، ومرتكز على عقيدتها، وأنها امتداد للحضارة الإسلامية المرموقة، وجزء من عالم عربي لغةً وتراثًا، كما كانت ولا تزال أمة عربية أصالة وتاريخًا، وهي بحكم هذا وذاك تجد نفسها عميقة الصلات بماضيها التاريخي والتراثي والفكري.

وإزاء مايطفح به العصر من تقنيات وتحولات وشبكات للأقمار الصناعية وقنوات فضائية يتولّد لديها شعور بأهمية دورها في هذا المحيط الزاخر بالعلوم، المتفجر بالمعرفة حتى تستطيع أن تواكب العصر بتقنياته المتطورة، واتصالاته المتقدمة، وانتشاره الواسع، وتدفق المعلومات في فضاء السماء وعلى أديم الأرض، وتسير مع التيارات المندفعة قبل أن يلّفها إعصار قادم، فلا مكان لمن يتخلف عن ركب الحضارة الذي يسير بسرعة فائقة، فواقع العصر يفرض التطور ويجاريه. البلدان العربية والإسلامية تواجه اليوم تحديات غربيّة تُفرز أحداثًا طارئة، وتملي واقعاً زاخراً بالمتغيرات والمفاجآت.

والحياة التنموية حملت معها تطورات مادية وفكرية تمثل إشارات مهمة على طريق التحدي واختبار الوجدان الاجتماعي، وما صاحبها من انهمار سيل من العلوم والمعارف تأتي في مسلسل متتابع وعلى أنماط تراكمية متجسدة في انبعاث صيغ فكرية وتبدلات ثقافية تأخذ نسقها المتواصل في مسار جديد، ولو تأملنا هذا المسار الفكري والثقافي وأمعنّا في أثره وتأثيره لرأينا صورة هذه البلاد وهي تواجه المدّ الزاخر والزخم الفائض من التيارات الوافدة التي عبرت الأجواء واجتازت الحدود من خلال قنوات وتقنيات لم تكن معروفة ولا مألوفة في حياة آبائنا السابقين، وبذلك يصبح التحصن ضدها من خلال تعامل واعٍ يدرك دورها، ويعي أسلوبها، ويستثمرها لصالح مواطنه بدلاً من أن ينساق في تيارها وهو فارغ الفكر مسلوب الحصانة، في مواجهة جادّة ملحّة. والتعامل يخضع لاعتبارات شتى ليس أقلها التوعية العامة بكيفية التعامل مع تلك الأنماط الحضارية على مستوى النديّة والفهم، لا الوقوف عند حدود الاكتفاء بالانغلاق أو الرفض، فلم تعد أدوات الرفض مجدية في ساحة مفتوحة وأمام غزو فكري منظّم يعلو في الأفق ويبثّه الأثير! وبلادنا، وهي تمثل قلب الأمة الإسلامية ووجدان العروبة النابض، ترى أن من واجبها وضع تحصينات تحمي أبناءها من الانزلاق نحو تلك البرامج المحفوفة بالمغريات، حتى لا يصبحوا ضحايا للقنوات الجانحة والأفكار الجامحة. وإذا أمكن استنطاق الأحداث والمواقف التي وجدت البلاد نفسها في مواجهتها، فإن عليها صياغة أدوارها على الأسس المنهجية التي ارتضتها لنفسها وأصبحت طابعاً لمسيرتها. فإذا كانت المنجزات التقنية والمادية لا زالت تشكل عنصراً فاعلاً في أسس النهضة الحالية، سواء من ناحية الكم أو من ناحية الكيف، فينبغي أن نذكر أن أمتنا اضطلعت بدورها الذي آمنت به وطبقته في تصرفاتها في تلقي البدايات الحضارية، أو في مواجهة زخمها وامتداداتها التي صارت تشكل موقفاً ملموساً يحدد الخطوات التي يجب أن تسير عليها كما تلقت البدايات. والعصر بما يمثله من إنجازات تقدمية، وما يحفل به من تقلبات وتبدلات، يسير نحو أهدافه بخطى سريعة وفعاليات جديدة، وإزاء هذا المد الجارف، لا بد من إعداد أساليب حديثة وصيغ فاعلة تستطيع من خلالها استيعاب تلك الفعاليات وتحجيم أدوار البرامج التي تجرّ الشباب لاسيما المراهقين، إلى مستنقعات آسنة تلتهم حيويتهم، وتقضي على كيانهم، وتحطم مستقبلهم، وتؤدي بهم إلى الضياع والهلاك.

وفي ضوء ذلك التحدي الذي يغزونا من كل فج، ويروّج المغريات من كل لون، يحسن أن نضع في مواجهته برامج تحمل التوجيهات المقبولة والتوجهّات المطلوبة، لأن النصائح المباشرة ثقيلة على نفس المتلقي وعسيرة القبول لدى الشباب المتحفّز، فقد افتنّ الغربيون في اصطناع الوسائل للإقبال على برامجهم وما يبثونه بوسائل نفسية يتصيدون من خلالها الشباب حيث يسهل التأثير فيهم وكسبهم لما يروّج لهم، إن وضع برامج تثقيفية محفوفة بالتشويق، ومشمولة بالتنويع، يمكنها أن تجلب انتباه الشباب الذين تحولوا نحو تلك القنوات الأجنبية التي تحمل

الغواية وتمزج برامجها بالإغراءات الخادعة فتكون عودتهم إلى البرامج المحلية الهادفة التي تصوغ أفكارهم وفق القيم التي يعيشها مجتمعهم وتسود بلادهم.

والتحرك داخل هذا الإطاريقتضي توظيف الحركة الفكرية والثقافية وغرس المفهومات السليمة في نفوسهم، بهدف حمايتهم من الانحراف وتحصينهم من الضياع. والحركة الفكرية والثقافية التي وضعت في اعتبارها أهدافًا تتسع لكل المبادرات، وتحتوي كل خروج على المجتمع على أي صورة من صور المؤثرات الخارجية، فتعمل على توجيه القدرات الشبابية وتنسيق أفكارها بما لا يتعارض مع مسارها الصحيح الذي رسمته الأمة وباركه المجتمع، وبهذه الوسائل وما سواها مما يمكن بثّه في نفوس الشباب، وإنارة أذهانهم، وتشجيعهم على التزام آدابه والتمسك بثوابته، وبذلك يمكن الخروج من نطاق الدائرة الخارجية التي تهيمن عليها أجواء الإرسال الفضائي حتى تتسنى إعادتهم إلى حصانة المبادئ وسلامة الأهداف.

لا ريب أن الإسهامات الثقافية المحلية، عندما تتوافر لها الجهود المكثفة والخطط الناجحة، تحقق الغاية المرجوة بتحويل الأنظار من القنوات الغازية المدمّرة إلى القنوات الصالحة المفيدة. ومفهوم الحركة الفكرية والثقافية يتجاوز المفهوم التقليدي الذي يحصرها في نطاق ضيّق من الإنتاج، أو يحدّها بأسوار عالية من المحلية الضيّقة، فما تتوهج به الأذهان الخصبة من عطاءات فكرية ومعطيات ثقافية تُجسد في ذاتها طموحات أبناء الوطن، وتُخصب أفكارهم، تملأ الفرا غ الذي يلمسونه في واقعهم، ويشعرون به في ذواتهم، وأهم العوامل المؤثرة في هذا المجال: رصد التيارات الثقافية العالمية واستخلاص أفضل معطياتها وتهيئة الجيل الحالي لمواجهة هذه التيارات مسلّحين بالمعرفة الأصيلة، ومزودين بالثقافة الواعية حتى لا يُؤخذوا على غرّة ولا ينخدعوا ببريق الألفاظ ورنين الكلمات التي يجري إطلاقها دون محتوى مفيد يقف عند حقيقة ملموسة أو هدف له ما يسوّغه يمكن أن ينتهي إلى غاية نبيلة أو إصلاح مطلوب، ومن المهم في هذا الصدد وضع «استراتيجية» ذات سياسة مقنعة، ووفق خطة مدروسة تؤدي إلى تبديل المسار الخاطئ وتصحيح المفهوم المنحرف، وذلك بهدف دعم توجهات الشباب بإمكانات ثقافية تحول بينهم وبين الانسياق خلف الثقافات المشبوهة التي لا يستطيعون إدراك مغزاها ولا استيعاب أهدافها ولا التحرز من انحيازاتها، وقد ينساقون نحو التأثر بمفهوماتها المغلوطة واتجاهاتها المنحازة، ولذا فإن من المهم التحرر من التلوّث الفضائي المشحون بأفكار منحرفة أو ممارسات خاطئة، وماتنطوي عليه من مخالفة القواعد الخلقية والسلوكية الاجتماعية المرعية.

ومع التسليم بأن أدوات التثقيف ليست محصورة في نوع واحد من الوسائل، إلا أن الرعاية الثقافية والتوعية الفكرية تحققان الآمال المطروحة وعلاج الأوضاع الجريحة، فالثقافة لا تقاس في عطاءاتها بالمنتجات الصناعية، لأن الفكر يختلف عن المصنع في طبيعته وغايته، فالإنتاج الصناعي ليس بديلاً للفكر المثقف الذي يقود الإنسان إلى المنابرالعالية والآفاق الرحبة، أو الثقافة الفكرية التي تختلف عن المادة في طبيعتها ومضمونها وجوهرها. والحياة الثقافية في مجمل أوضاعها تؤدي دورها لتستشرف آفاقاً متألقة من الإبداع، مما يدفع بالتوجهات الفكرية للانطلاق في أجواء مفتوحة، ومن خلال أبواب مُشْرَعة لتحقيق طموحات أدبية تعدّ محل اهتمام المجتمع وموضع اعتزازه، لاسيما حينما تتجمع تلك الأفكار داخل إطار مؤسسي واحد ينتظم العمل الثقافي، ويوحّد التوجه الفكري، وذلك يخضع في عمومه لتوافر الظروف البيئية المساندة والبنية الفكرية المساعدة، لتتم في وعاء تلك البيئة وفي أحضان تلك البنية حركة التطور الإنساني، لكون الحركة الفكرية والثقافية عملاً أساسيًا في الصرح الحضاري كما هو ملموس في المنظور التراثي وفي معطيات التجربة الإنسانية المتجددة. ولعل ذلك يتحقق بامتداد أفق الحوار المثمر وتوسيع نطاقه على مستوى عام، وتنشيط التوجّه الفكري في أعلى مستوياته، وتهيئة المناخ المناسب لتطوير المستويات الثقافية لتكون في أفضل حالاتها وأروع إيقاعاتها، على صعيد تتجاوب مع أصدائه مناهل الثقافة ومنابع الفكر.

وإذا كان الغرب قد وظّف كل قواه الذاتية والمادية في استثمار العلم والمعرفة،وبهذا الاستثمار استطاع تحقيق الإنجازات الحضارية والتفوق التقني «التكنولوجي» في مجالات كثيرة وميادين واسعة، فإنه عمل كذلك على الإفادة الكاملة من خصائص الفكر ومعطيات الثقافة من خلال أساليب مختلفة وطرق متعددة وظّفها في رقيّ الحياة الذهنية وتطوير أساليبها والارتفاع بالإنسان المتحضر إلى آفاق سامية من الآداب والفنون الجميلة على مختلف ألوانها الفكرية والثقافية. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للأمم الغربية، فإن من واجب الأمة العربية، وهي لا تزال في حاضرها تحيا على سفوح الحضارة الغربية والثقافات الوافدة، أن تحقق وجودها بالعلم والمعرفة كما حققت الأمم المتقدمة وجودها وأثبتت حضورها المادي والمعنوي في عصر يموج بالمنجزات الحضارية الضخمة، وتتوهج فيه الأفكار والثقافات.

التعليم عن بعد ودول الخليج العربي

٢/١

د. زكريا يحيى لال

يُعدّ التعليم المفتوح Open LEARNING، أو التعليم عن بُعد Distance Education، البديل عن المباشر والمتعارف عليه في نظم التعليم العامة، ولهذا تأتي أهمية الجامعة المفتوحة لإتاحة فرص التعلّم، وخاصة للكبار الراغبين في إكمال تعليمهم الجامعي من الذين لم تُتح لهم هذه الفرصة لأسباب اجتماعية، أو وظيفية، أو جغرافية.

ولِمَا كان للجامعة المفتوحة من سهولة في الانضمام إليها، لأنها تنقلّ المعلومات إلى حيث يوجد المتعلم، فقد استفاد من وجودها الكثيرون. وتستخدم الجامعة المفتوحة نظام التعليم المتعدد الوسائل Multimedia System.

ويمكن تلخيص مكونات هذا النظام فيما يلي:

ـ البرامج التعليمية التي تبث من طريق المذياع (الراديو).

ـ البرامج التعليمية من طريق الأقمار الصناعية.

ـ الحقائب التعليمية Ins. Packages وترسل من طريق المراسلة للطالب، وتتضمن لائحة الدراسة والمقررات الدراسية Texts، والأدوات المساعدة... إلخ.

ـ المقررات الفصلية القصيرة Short Term Courses ويقوم بدراستها الطالب في عطلة نهاية الأسبوع من الفصل الدراسي.

ـ المراكز التعليمية الإقليمية Regional Study Centers الموجودة أساسًا لإتاحة الفرصة للطالب لتلقي المحاضرات، وفيها يقوم المدرس بالإرشاد والتوجيه، وهذه المراكز تتيح الفرصة للتعلم بالمواجهة بين المدرس والطالب.

وتكون دراسة الطالب بين ثلاث وأربع سنوات يحصل بعدها على الشهادة الجامعية كغيرها من الجامعات النظامية أو التقليدية.

ويأتي تقويم أداء الطالب من طريق:

أ ـ التقويم الذاتي.

ب ـ التقويم بوساطة المرشد.

ج ـ التقويم بوساطة المراكز التعليمية الفصلية.

د ـ التقويم بوساطة الحاسب الآلي Com- puter (O.U. Information).

لا وجود لشروط خاصة

لقد غيّرت نشأة الجامعة المفتوحة في إنجلترا الكثير من مفاهيم التعليم العالي الإنجليزي التقليدي، لأنها تأسست لتكون جامعة وطنية متمتعة بالحكم الذاتي (أي مستقلة بذاتها) جامعيًا (أكاديميًا) لتزويد الطلبة البالغين الذين لم تُتح لهم فرصة التعليم العالي، أو الحصول على الدرجة الجامعية (B.B.C,4).

«وقد ساعد هذا في انضمام أعداد كبيرة من الدارسين إلى الجامعة المفتوحة بوصفها الفرصة الدراسية الوحيدة لهم، التي تعبر عن مجالاتهم وتخصصاتهم المطلوبة، مثالُ ذلك: المعوَّقون، المنعزلون جغرافيًا في أماكن نائية، أو المسجونون» (O.U. Information Sheet, P.1 2).

وتتميز الجامعة المفتوحة بالإضافة إلى ذلك بعدم وضعها لشروط خاصة للالتحاق بها، وعدم وجود حرم جامعي للطلاب، ويتم فيها قبول جميع الطلاب، ومن ثم يوزعون طلبةً غير متفرغين Part-Time ليدرسوا في منازلهم الخاصة، كل على مستواه.

«والحقيقة لم يكن إنشاء الجامعة المفتوحة

لتكوين اتحاد لمجموعة سابقة من المؤسسات التعليمية، وإنما كانت تعتمد بدرجة كبيرة على التعاون بين العديد من المؤسسات. وعلى الرغم من ذلك فالجامعة هي التي تخطط لمقرراتها وتمنح الدرجات والشهادات الخاصة بها، ويعمل بالجامعة زهاء ٥٠٠ موظف (أكاديمي)، وبها حرم جامعي (من دون طلاب) ودستور معترف به بالختم الملكي الذي يمنح لأي جامعة إنجليزية» (BBC,4).

تمتاز الجامعة المفتوحة باستخدام أساليب التدريس المتعددة، حيث تم التعليم فيها بمذكرات خاصة للمواد Course Unites، بالإضافة إلى الكتب المقترحة، والإرسال الإذاعي والتلفازي، والوسائل السمعية والبصرية التي تُرسل إلى منازل الدارسين (Into. to the Open Univ.,1) مما جعل الجامعة واحدة من أهم الإنجازات التي تمت في تاريخ نظام التعليم البريطاني (Guide to Continuing Education,1).

في عام ١٩٨٥م التحق بالجامعة أكثر من مئة ألف طالب وطالبة، وسيحصل بعضهم على شهادة الجامعة المفتوحة التي سبق أن حصل عليها زهاء ستين ألف خريج من الجامعة نفسها، وفريق آخر سوف يدرس بعض المقررات، أو يحصل على دورات أو دراسة متوسطة كالتي يمنحها برنامج التعليم المستمر بالجامعة (Guide to Continuig Education,1).

وتشير الإحصاءات إلى أنه من سنة ١٩٧١ حتى ١٩٨٧م درس بالجامعة أكثر من ربع مليون فرد، وهو رقم يدل على أهمية هذه الجامعة (O. U. Information 1,2).

تجربة بريطانية

في عام ١٩٦٣م وقبيل انتخابات حزب العمال في بريطانيا قدم هارولد ويلسون Harold Wilson مجموعة من المقررات التقنية المفتوحة خصيصًا للذين تركوا المدرسة من سن ١٦-١٨، ومن المتوقع اكتسابهم مهارات فنية من الدراسة في المنزل (Perry,8).

وفي ذلك قال ويلسون: أرغب اليوم في وضع مقترح لبرنامج حيوي للدراسة التقنية العالية بالمنزل لتكون أساسًا لجامعة الهواء University of the Air (Holloway,4).

وعلى أن رئيس الوزراء البريطاني هارولد ويلسون يعدّ مؤسس الجامعة المفتوحة، إلا أن فكرة جامعة الهواء كانت معروفة لدى الكثيرين، وذلك قبل خطابه المشهور الذي ألقاه في عام ١٩٦٣م في جلاسكو Glasgow.

في عام ١٩٢٦م، كتب المربي والمؤرخ J.C. Stobart مذكرة خلال عمله British Broadcasting Corporation مقترحًا فكرة Wireless University (Holloway,2).

وفي عام ١٩٤٦م كانت الفكرة نفسها قد تكونت لدى السير كاتلن George Catlin، وفي عام ١٩٦٢م ناقش ويليامز R.G. Williams فكرة (Televarsity) وهي تتضمن إعطاء المحاضرات من طريق البث التلفازي بالإضافة إلى استخدام الكتب الدراسية للجامعات الأخرى.

وفي العام نفسه قدم الدكتور مايكل يُنج Dr. Michael Young فكرة الجامعة المفتوحة Open University في الوقت الذي كان يخطط فيه مع وزارة التعليم العالي البريطاني لإنشاء جامعة الهواء، إلا أن رئيس الوزراء البريطاني ادّعى أن فكرة الجامعة المفتوحة كانت نتيجة الصداقة العميقة مع السناتور William Benton رئيس دائرة المعارف البريطانية، وفي أثناء زيارته للاتحاد السوفييتي (Hawkridge,5).

وقد اكتشف ويلسون في أثناء تجواله في الاتحاد السوفييتي أن ٦٠٪ من المهندسين السوفييت قد حصلوا على درجاتهم العلمية من خلال دراسة عدة مقررات دراسية بوساطة الإذاعة Radio، وأعقب ذلك سنة دراسية في لينينجراد أو موسكو (Mac Arthur,3).

كان ويلسون متحمّسًا لاستعمال الوسائل البصرية Visual aids، وفي كانون الثاني/ يناير ١٩٦٣م في أثناء زيارته السنوية لشيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية رأى مع السناتور بنتون الأفلام الخاصة بالتدريس، التي تنتجها دائرة المعارف البريطانية لجامعة شيكاغو للهواء.

وقد حاول ويلسون التوفيق بين الوسائل المتبعة في الاتحاد السوفييتي وما تنتجه دائرة المعارف البريطانية، وذلك للوصول إلى استعمال موحد يستفيد منه الجميع، حتى سنحت له الفرصة لوضع الفكرة في حيز التنفيذ، حيث كان الاتجاه الحديث للتعليم في بريطانيا يعاني من نقص كبير في توفير الاتجاه للتعليم العالي والتفرغ الجزئي Part-Time للبالغين (Perry,8).

وفي عام ١٩٦٥م اختار ويلسون وزيرة الثقافة والفن جين لي Jennie Lee لتكون مسؤولة عن جامعة الهواء، التي سبق التخطيط لها في خطة العمال لانتخابات ١٩٦٤م (Mac Arthur,4). وقد أضافت جين لي فكرتين جديدتين إلى الأفكار الرئيسية التي طرحها ويلسون بحيث:

- تصبح جامعة مستقلة معتمدة على نفسها، وتمنح الشهادات الخاصة بها للخريجين.
- وتكون الجامعة مفتوحة للجميع دون قيود للقبول، ولا يُستثنى من ذلك أي فرد بالغ يتمنى إكمال مشواره مع التعليم (Holloway,4).

في عام ١٩٦٦م أعلنت جين لي مشروع الورقة البيضاء The White Paper on A University of the Air التي وضعت فيها المبادئ الأساسية التي قامت عليها الجامعة المفتوحة موضحة فيها: أنواع الشهادات التي تمنحها الجامعة، وخدماتها، ونظامها الوظيفي (Mac Arthur,6)، كما أدرجت فيها بعض النقاط الأخرى كالقبول غير المشروط، واحتياجها إلى التعليم المستمر المتتابع (Mcintosh,3-5).

في أيلول/ سبتمبر ١٩٦٧م اجتمعت لجنة التخطيط لتثبيت الأفكار السابقة واعتماد الجامعة المفتوحة، كما ورد في الورقة البيضاء لجين لي (Hawkridge,6)، وكانت نقطة الاختلاف الرئيسية عن نموذج ويلسون هي أنه لا يمكن الاعتماد على الإرسال الإذاعي فقط (Ferguson,15).

وقد جاء تقرير لجنة التخطيط مشددًا على الحاجة إلى وجود الجامعة المفتوحة كما يلي:

كانت الفرصة السابقة المحدودة التي

أتيحت للتعليم بوساطة العوامل السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية قد أدت إلى تقليل التحصيل بين مجموعة كبيرة من الأفراد، وكان المستوى المتدني من تحصيل التعليم قد أخذ برهانًا قاطعًا على غياب أي تقدم في النظام التعليمي العام، وأنه ليس من العدل للمجتمع أو للأفراد أن تُنكَر إتاحة فرصة التعليم لعدد كبير من المواطنين، ولما سبق ذكره أصبحت الآن الفرصة أكبر للالتحاق بالتعليم العالي وهو حق كلّ فرد من هذا المجتمع (Mcintosh,5).

وقد صرح رئيس الجامعة Lord Crowther بأنه يجب على الجامعة في أول عمل لها توفير الفرصة للآلاف من الناس القادرين على مواصلة التعليم العالي، والذين - لسبب أو لآخر - لم يستطيعوا إكمال تعليمهم، واكتشفوا أنهم في حاجة إليه (Mcintosh).

في عام ١٩٦٩م حصلت الجامعة المفتوحة على الإجازة (الرخصة) الملكية، وبدأت بقبول طلبات الالتحاق. وفي عام ١٩٧١م بدأت الدراسة (BBC,6) وبنهاية عام ١٩٧١م كان هناك خمسة عشر ألف طالب وطالبة قد أكملوا عامهم الدراسي الأول (Kitzes,53).

الجامعة المفتوحة اليوم

كانت هناك عدة أسباب لاستمرار نجاح الجامعة المفتوحة، فقد كان الطلبة من المتفرغين أو غير المتفرغين للجامعة يرون أنها أُنشئت لكي:

أ - تزودهم بالتخصصات الحديثة المختلفة ومتابعة مهام التدريب.

ب - تزودهم بالكفاءات اللازمة للعمل المبني على الإنتاج، والبحث، والتجديد.

ج - تؤدي خدمات تعليمية مستمرّة لمن يعشقون العلم باستمرار (Mcintosh).

كيف تعمل الجامعة

يَدرُس بالجامعة زهاء مئة ألف طالب وطالبة من البالغين والمتفرغين جزئيًا في كل عام، ويُطلب من الطلبة الحضور إلى الحرم الجامعي سبعة أيام فقط من كل عام دراسي خلال دورة دراسية صيفية مكثفة.

ويُعدّ Walton Hall المبنى الرئيسي للإدارة، وهو يقع في Milton Keynes، ويضمُّ المبنى الأكاديميين والفنيين لإعداد المتطلبات لكل مقررات الدارسين. وتُعَدّ الإرشادات الموجهة للدارسين البالغين عن بعد هي الروح الأساسية للجامعة المفتوحة. فمهمة أعضاء هيئة التدريس التخطيط للبرامج والمواد الدراسية التي ترسل إلى الطلاب، حيث إن عملية التدريس محصورة بالإرسال من طريق التلفاز التعليمي (Kitzes,3). «وقد أثبتت التجاربُ أن أفضل الطرائق المتبعة في الجامعة المفتوحة قد أتاحت للأكاديميين العمل سويًا للتخطيط، والتصميم، والإشراف على وضع الاختبارات الخاصة للدارسين» (BBC,7).

وتقوم الجامعة بإعداد ثلاثة برامج دراسية Undergraduate, Prog.:

- البرنامج الجامعي لإعطاء الشهادات الجامعية للقسم الأدبي بـ٨ ساعات معتمدة، أو القسم العلمي بـ٦ ساعات معتمدة، وكل ساعة معتمدة تحتسب من ١٢ إلى ١٤ ساعة لمدة ٣٢ أسبوعًا.

- برنامج التعليم المستمر، وتمنح من طريقه مجموعة من المقررات الدراسية المفردة سواء كانت أكاديمية، أو تقنية، أو تدريبية، بالإضافة إلى المقررات القصيرة المدى التي تختص بأمور الحياة والثقافة العامة.

- برنامج التعليم العالي، ويعطي الفرصة للتدريس وإجراء البحوث للدراسات العليا.

وعلى الصعوبة التي قد تبدو بالنسبة للتدريس عن بعد، فإن مقررات الجامعة المفتوحة تغطي معظم المواد الدراسية بدءًا من الفلسفة إلى الفيزياء، ومن الهندسة إلى دراسة البيئة (الجيولوجيا)، ومن علم الاقتصاد إلى هندسة الكهرباء (Open University Information, P.1,2).

وتمنح الجامعة ساعة معتمدة لكل مقرر من خلال إكماله خلال ٣٢ إلى ٣٤ أسبوعًا «أي إن كل ساعة معتمدة تمنحها الجامعة المفتوحة تتساوى مع ٥ أو ٦ مقررات تُمنح بوساطة أية جامعة أمريكية، وعلى هذا فإن ساعة واحدة معتمدة من الجامعة المفتوحة تتساوى مع ١٨ ساعة معتمدة أمريكية (Kitzes,10).

ويستمر العام الدراسي للجامعة نحو تسعة أشهر: من كانون الثاني/ يناير إلى تشرين الأول/ أكتوبر، وخلال هذا الوقت لا يستطيع الطالب إنجاز أكثر من ساعتين معتمدتين، وبنهاية كل مقرر يجب على الطالب اجتياز اختبار مهم حتى يتمكن من الانتقال إلى المقرر الذي يليه، ولهذا يحتاج الطالب من ٣ إلى ٥ سنوات لكي يحصل على درجته العلمية المتوقعة (Mcintosh,11,12).

(مواد) أدوات الدراسة

ترسل الجامعة إلى الدارسين المواد والأدوات الدراسية من طريق البريد بين كل ٤ إلى ٦ أسابيع (طرد بريدي واحد Study Package)، ويحتوي كل طرد على منهج الدراسة ومواعيد الإرسال التلفازي والإذاعي (Kitzes,31)، وأحيانًا يتعيّن على الطلبة - ضمن مناهج الدراسة - الرجوع إلى مراجع أو مصادر معيّنة، إما بالشراء وإما بالاستعارة من المكتبة. بالإضافة إلى ذلك يتسلم الطلبة الذين يدرسون المواد العلمية والتقنية حقيبة تجارب منزلية Home experiment kit تحتوي على الكيماويات والمجاهر (الميكروسكوبات)، والمقاييس وغيرها (Woodly and Mcintosh,11).

وهناك مواد أخرى كأشرطة التسجيل، والأسطوانات، والشفافيات، والواجبات المنزلية المكتوبة والمطلوب الإجابة عنها تُرسل إلى الطلبة لمدة معيّنة، وتعاد في الوقت المحدد حتى يتمكن المسؤولون في الجامعة من دراستها

الجامعة المفتوحة تعني توفير الفرصة للآلاف من الناس القادرين على مواصلة التعليم العالي، والذين - لسبب أو لآخر - لم يستطيعوا إكمال تعليمهم، واكتشفوا أنهم في حاجة إليه.

وتصحيحها، ويتم تصحيح جزء منها بوساطة الحاسب الآلي (الحاسوب)، والجزء الآخر يصححه بعض المدرسين المتفرغين جزئيًا، ولأهمية ضمان وصول هذه المواد أسّست الجامعة مركزَ بريد خاصًا بها، وذلك لمتابعة عملية إرسال وتسلم الواجبات والمواد، ويبلغ مجموع المواد المرسلة أسبوعيًا قرابة ٣٥ طنًا.

الاتصالات والجامعة المفتوحة
استعمال الإذاعة والتلفاز

من الشائعات التي وردت عن الجامعة المفتوحة أن الدارسين بها يقضون وقتًا طويلاً في مشاهدة التلفاز والاستماع إلى المذياع، والحقيقة أن الطلبة يقضون ٨٠٪ من أوقاتهم لمراجعة دروسهم ومذاكرة واجباتهم، ومع ذلك، فإن هذه الطريقة التعليمية تُعدّ مهمّة جدًا، لأن أكثرمن ٢٢٪ من ميزانية الجامعة تُنْفَقُ عليها (Kitzes,19).

في عام ١٩٧٢م تم إنفاق ستة ملايين وخمسمئة ألف دولار، أي ما يساوي ٥٢٠ دولارًا في الدقيقة الواحدة على الإنتاج، أي ما يعادل ١٣٠٠٠ دولار لكل برنامج. فالبرامج التلفازية والإذاعية تعدّ إنتاجًا مشتركًا بين وحدة خاصة وBBC، ففي كل أسبوع هناك نحو ٣٥ ساعة تلفازية و١٥ ساعة إذاعية، وقرابة ٣٤٠ برنامجًا تُوَزَّع على أشرطة تسجيل، وقد اتُّفق على أن يذاع كل برنامج مرتين خلال السنةَ الأكاديمية الواحدة، وبذلك تكون للطلبة فرصتان لسماع البرنامج ومشاهدته. والواضح أنه بزيادة عدد المقررات أصبح من المستحيل الاستمرار في بث البرامج فقط، كما كان في الخطة الأساسية (BBC,12).

وتعدّ الـ BBC مسؤولة عن إنتاج ما يقارب مئتين وخمسين برنامجًا تلفازيًا وشريط فيديو سنويًا، وقرابة ٤٠٠ برنامج إذاعي، وعدد من التسجيلات الصوتية من طريق الإذاعة، وقد صممت البرامج الإذاعية والتلفازية للمساعدة، وتوضيح العملية التعليمية للمقرر وشرحها وتقويمها (BBC,8).

ومع التطور التقني وسهولة الحصول على أجهزة العرض (الفيديو) في المنازل، عُمِدَ إلى إدراج أشرطة الفيديو لتصبح جزءًا من الفرد التعليمي. وبحلول منتصف عام ١٩٨٢م أصبح قسم الصوتيات والمرئيات بالجامعة يُعِدُّ أكثر من ٢٥٠ شريط فيديو أسبوعيًا لترسَل إلى الطلبة ضمن واجباتهم الدراسية، وستعمل الجامعة على استعمال هذه التقنية لزيادة التعليم لكل المدرسين والطلبة (BBC,8).

وتقوم الجامعة المفتوحة بإعداد جميع البرامج التلفازية التعليمية من مركزها الرئيسي في Milton Keynes، ويُعدّ هذا المركز الذي يحتوي على العديد من المحتَرَفات (الاستديوهات) من أكبر وأحدث المراكز المجهزة والمعدة لإنتاج البرامج التعليمية في أوربا.

المدرسون والمرشدون ومراكز الدراسة

قامت الجامعة المفتوحة بإنشاء ١٣ مركزًا إداريًا في سائر أنحاء البلاد، وذلك لمراقبة وتنظيم برامجها التعليمية التي أصبحت على مستوى عالٍ في الدولة، وغدت كل منطقة لها مركزها الرئيسي، ولكل مركز إدارته من الأكاديميين، والإداريين، ويحتوي كل مركز على ملفات مفصّلة عن الطلبة في المنطقة التابع لها، ويُعدّ كل مركز بالعاملين فيه مسؤولين عن جميع أنشطة الجامعة من تدريس وإرشاد... إلخ (Mcintosh,10). إلا أن توزيع الطلبة في كل منطقة يتأثر بقانون إداري يحاول توزيع الطلبة على أنحاء الدولة بالتنسيق بين عدد المتقدمين للجامعة، وتوزيع السكان في الدولة (Regional Servies,1).

وعلى أن للجامعة نظامًا مفتوحًا لعملية القبول للطلبة، إلا أنه لا يزال من المستحيل السماح بالقبول لكل المتقدمين لدراسة مقررات، لذلك فالفرصة تتاح لمن يتقدم أولاً وفق نظام: «من يأتي أولاً يُخدَم أولاً». إلا أن ذلك النظام أيضًا له ثلاثة تعديلات كما يقول مدير مركز المعلوماتGreenwal:

- في كل جزء من الدولة يتميّز الناس بنصيب من صفات مختلفة، ففي جنوب البلاد نلاحظ اهتمامًا بالأحداث الجارية من قبل الناس أكبر من اهتمام سكان الشمال، لذلك نجد أن الخمسة والعشرين ألفًا الأولى من طلبة الجامعة، أكبر نسبة منهم من سكان لندن والجنوب، بينما أقل نسبة أتت من الشمال.
- تتأثر حصة كل منطقة بمؤهلات الناس، فهناك أناس لهم اهتمامات بالتعليم المستمر، وهم من المؤهلين، كالمدرسين مثلاً، والذين لهم اطلاعات بوساطة المجالات المتخصصة ونسبتهم أكثر.
- تقسم الحصة حسب المواد، فهناك إقبال على المواد الاجتماعية، بعكس العدد الأقل على دراسة الرياضيات أو العلوم، ولذلك تقسم الحصة حسب الإمكانات المتاحة (Kitzes,54,55).

ومن أجل الحصول على توزيع عادل وجيد للطلبة من سائر أنحاء الدولة تقدر الجامعة المفتوحة نسبة البالغين من عدد السكان الذين يعيشون في كل منطقة، وبعدها توازن هذه النسبة بعدد الطلبات المقدمة من كل منطقة لتحدد النسبة التي ستقبل من كل منطقة.

وحيث إن الجامعة المفتوحة خليط غير متجانس من الدارسين لذا يتطلب الأمر تقديم مساعدات شخصية، فعندما يُقبل طالب مستجد يُطلَب إلى أحد العاملين المختصين أن يكون مرشدًا أكاديميًا له Tutor Counsel-lor، وفي أثناء هذا على المرشد متابعة الطالب خلال دراسته الأكاديمية ومتابعة درجاته والاتصال به من طريق التلفاز والخطابات، وعند الحاجة يزوره في المنزل. ويوجد في

الطلبة البالغون الذين لا تقل أعمارهم عن ٢١ عامًا هم الأصلح لأن الدراسة تتطلب متابعة للمقررات الدراسية عن بعد، وهو ما لا يتوافر فيمن يقل عمره عن مرحلة النضج وهي ١٨ عامًا.

جميع أنحاء المملكة المتحدة ٥٠٠٠ مرشد يعملون من طريق التفرغ الجزئي للجامعة المفتوحة Regional Services.

ويوجد أيضًا ٢٥٨ مركزًا للدراسة موزعة على مختلف أنحاء الدولة، وتتكون هذه المراكز عادة من عدة غرف صغيرة تقع داخل إحدى الجهات التعليمية الأخرى، حيث يلتقي فيها الطلبة والمرشدون لإجراء المقابلات والحوارات الشخصية (Mcintosh,4).

الدارسون بالجامعة

فيما بين عامي ١٩٧٠-١٩٧١م سجل للدراسة بالجامعة أكثر من ٢٤٠٠٠ طالب، وقد أكمل الدراسة منهم زهاء ١٥٠٠٠طالب (Kitzes,53)، وفي عام ١٩٨٣م سجل للدراسة ٦٥٠٠٠ طالب جامعي Under-graduate في عدة مراحل، وذلك للحصول على الشهادة المطلوبة (Open University Information Sheet. 1,2).

عندما وضعت جين لي التصور العام للجامعة المفتوحة، جاء التأكيد أن طلبة الجامعة من البالغين ستزيد أعمارهم على ٢٦ عامًا، ولا تقل عن ٢١ عامًا، وهو الحد الأدنى للقبول. وترجع الأسباب إلى أن الدراسة في هذه الجامعة تتطلب متابعة للمقررات الدراسية عن بعد، وهذا ربما لا يتوافر فيمن يقل عمره عن مرحلة النضج Maturity وهي ١٨ عامًا.

كان الاعتقاد الأقوى بأنه إذا سُمح لطالب في الثامنة عشرة من عمره بالدراسة في الجامعة المفتوحة، فإنه سوف يفقد أهم الفرص التي تتيحها له الدراسة في الجامعات التقليدية، وذلك لما تمنحه من المواد الأكاديمية، وما يتطلبه من النضج الاجتماعي الذي يحتاج إليه مع زملائه المقاربين له في العمر (Woodly and Mcintosh,2).

من عام ١٩٧٤ إلى ١٩٧٦م بدأ قسم التربية بوضع برنامج خاص بصفة مؤقتة لمدة ثلاث سنوات وذلك لقبول الطلاب البالغين ١٨ سنة، نظرًا للضغوط التي واجهتهم في الجامعات التقليدية، ولكن أثبتت الأبحاث التي شملت جميع الطلبة الذين تراوح أعمارهم بين ١٨-٣٠ أن الأكبر عمرًا هم الأكثر نجاحًا في إتمام المواد الدراسية وذلك في السنة الأولى من دراستهم (Woodly and Mcintosh,2)، كما ذكر وودلي وماكنتوش عدة عوامل وراء الإخفاق في الدراسة، منها: عدم الاستقرار، والمشكلات المادية، وضيق الوقت، وعدم تحمّل المسؤولية، وهو ما أدى إلى الإخفاق وتوقف الدراسة drop out لطلبة البرامج الدراسية المنتظمة. ونجد أن ٢٣٪ أصبحوا مدرسين، و١٦٪ ربات بيوت، و١٣٪ تقنيين فنيّين، و٧٪ يعملون في الأشغال اليدوية. أما العاملون في المكاتب والمبيعات فيمثلون ١٥٪. وتكاد النسبة تتساوى بين الذكور والإناث (An Introduction to Open University,1).

الجامعة المفتوحة والمؤسسات الأخرى

في عام ١٩٧١م لم تكن للجامعة المفتوحة مواد دراسية معترف بها من قبل الجامعات الأخرى، ولذلك إذا أراد أحد الطلبة أن ينتقل إلى جامعة أخرى عليه أن يحصل على شهادة تثبت دراسته (Kitzes,10)، ولكن منذ أن اتّبعت الجامعة نظام Credit System أصبح هناك اتفاق متبادل من أجل الانتقال من جامعة إلى أخرى في المملكة المتحدة، وطبقًا لهذا الاتفاق، فإن الطلبة الحاصلين على مقرر دراسي واحد credits على أقل تقدير، باستطاعتهم الانتقال إلى السنة الأولى في أي كلية أخرى، والحاصلين على مقررين اثنين أو ثلاثة مقررات credits ينتقلون إلى السنة الثانية مباشرة (Information Sheet, P.4.1).

وطبقًا لإحصائية الذين تخرجوا عام ١٩٨٠م وعددهم ٦٥٠٠٠ طالب وجد أن:

- ٢٩٠٠ منهم تابعوا دراستهم للحصول على درجات علميّة من مؤسسات أخرى، ٤٦٥٠ درسوا الماجستير، ٢٩٨٠ حصلوا على شهادات تخصصية، ٨٠٠ حصلوا على شهادات أكاديمية.
- ٢٤٠٠ تدرّبوا ليصبحوا مدرسين في الرياضيات، والعلوم، أو بعض المواد الأخرى.
- ١٧٧٥٠ درسوا وتلقوا معلومات عن التقنية في مجال عملهم، و١٢٠٠٠ درسوا في مجال الرياضيات.
- ٥٨٠٠ خريج وخريجة من الذين

أكملوا شهاداتهم في الجامعة المفتوحة لديهم استعداد لتكملة دراساتهم العليا في المواد العلمية (Information Sheet, P.4,1-2).

ميزانية الجامعة المفتوحة

تحصل الجامعة المفتوحة على مساعدات مالية من المخصصات الحكومية السنوية مثل بقية الجامعات، إلا أنها تحصل على مخصصاتها مباشرة من قسم التربية والعلوم بدلاً من اللجنة المالية للجامعات، بالإضافة إلى الإيراد المقرر من الطلبة، وأيضًا من مصادر خارجية للأبحاث، وتعد تكلفة كل طالب في الجامعة المفتوحة أكبر من تكلفته في أي جامعة أخرى.

إلا أن الجامعة المفتوحة في الوقت الحالي تتعرض لبعض الأزمات المالية، وخاصة بعد نقص المساعدات المخصصة من الحكومة التي تراجعت عمّا قبل ١٩٨٣م بنحو ٣ ملايين جنيه؛ ممّا أثّر فيها وجعلها تعيد التفكير في تركيب النظام السابق (Information sheet, P.2,1).

في عام ١٩٨٤م واجهت الجامعة انخفاضًا في الميزانية وصل إلى ١٣,٥ مليون جنيه من ميزانيتها، ويعدّ هذا أكبر نقص تتعرض له مؤسسة تعليمية في إنجلترا، ونتيجة لذلك خفضت الجامعة من مستوى تدعيم التدريس بالنسبة للطلبة المستجدين، حيث وجدت أعلى نسبة للانسحاب (Times Education Supplement,84)، كما زادت مصاريف الدراسة tuiton، غير أنه يوجد اقتراح بتخفيض عدد الطلبة المقبولين للدراسة، فإذا أخذت الجامعة بهذا فسوف تزيد تكلفة الطالب بصورة كبيرة جدًا.

لقد أثبتت الجامعة المفتوحة نجاحها في إعطائها الفرصة للدراسة لعدد كبير من الناس على قدر الإمكان، وتعدّ أفضل مثال في تقنية التعليم على مستوى الدولة (Ely,169)، وذلك من خلال طريقتها المتميزة في الدراسة، ونوعية العناية بالدارسين، مما يجعل الجامعة المفتوحة فكرة جديرة بالاهتمام وحسنة القبول من الأغلبية.

ولا تتبعوا خطوات الشيطان

حقائق الجن ومداخل الشياطين



د. جودة محمد عواد

الجن من مخلوقات الله، لهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، يأكلون ويشربون ويتزاوجون ويتناسلون، وهم مُسلَّطون على البشر بالإغواء والوساوس. يرون البشر، وعيون البشر لا تدركهم. قال تعالى: *إنّه يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ*. **الأعراف**:27. منهم المؤمن، ومنهم الكافر، وكافرهم يُسمى شيطانًا. يخافون من بني آدم، وهم ضِعاف، يتجسَّسُون لمعرفة الغيب، ولكنهم مطارَدُون، تُحرِقهم الشُّهُب.

والجن في اللغة: ما خَفِيَ ولَطُفَ، والشيطان في اللغة: كل عاتٍ مُتجبِّر من الجن والإنس والحيوان. وسُمي الجن جنًّا لاستتارهم عن العيون.

وقد حدثنا الله سبحانه عن أصل الجن، فقال: *وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَارِ السَّمُومِ*. **الحجر**:٢٧. غير أنه لا يبقى على حالته النارية، فلو بقي لأحرق الإنسانَ المكلف به!

روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشيطان عرض لي في صلاتي فأمكنني اللّه منه فخنقته، فوجدت برد ريقه على يدي، ولولا دعوة أخي سليمان لقتلته».

والجانّ: ضرب من الحيات لا يؤذي، قال تعالى: *فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَم يُعَقِّبْ*. **النمل**:١٠.

وبعض المشركين نسبوا للّه الجن والبنينَ والبنات: *وَجَعَلُوا لِلَّه شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَات بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ*. **الأنعام**:١٠٠. *وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ*. **الصافات**:١٥٨.

تشكل الجن

وأصناف الجن كثيرة، فهم ممالك وقبائل، كما ورد في الحديث: «الجن على ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيَّاتٌ وكلاب وعقارب، وصنف يحلّون ويظعنون». وقد ورد أن الشيطان جاء لقريش في صورة رجل (شيخ من نجد) مرتين،

مرة عندما اجتمعوا لقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مكة، ومرة عند غزوة بدر. قال تعالى: *وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ*. **الأنفال**:٤٨.

وفي زمان سليمان عليه السلام كثف الله أجسام الجن وقوّى أبصار البشر، حتى كان الناس يرونهم ويتحدثون إليهم، كما قوّى الله أجساد الجن حتى كانوا يعملون لسليمان الأعمال الشاقة، من صناعة المحاريب، والتماثيل والجفان والقدور الراسيات.

والجن يتناسلون ويتكاثرون لقول الله سبحانه: *أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ*. **الكهف**:٥٠.

مساكن الجن

والجن يسكنون الأرض قبل البشر ومع البشر، كما يسكنون البيوت مع الناس وينامون على السرير الذي لا ينام عليه أحد، ومكانهم المفضل هو بيوت الخلاء، حيث يكشف الناس عوراتهم، ولهذا حذرنا الله من التعرّي، وأمرنا بحفظ العورات حتى يحفظنا من الأمراض النفسية والعضوية، فقال: *يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ*. **الأعراف**:٢٧.

وأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي: «ستر ما بين أعين الجن وعورات أمتي، إذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول: اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث».

والشياطين تأوي إلى المقابر والمزابل، ولهذا يذهب إليها السحرة ويصنعون أعمالهم.

وحذرنا رسول الله من نومة الشيطان، فالشيطان ينام على بطنه، كما حذرنا من التعرّي في أثناء النوم؛ لأن ذلك مدعاة للشياطين، فيعبثون بعورات النائم ويسببون له الكوابيس!

لكل إنسان قرين

ولكلّ إنسان شيطان مكلف به (قرين)، قال تعالى: *قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ*. **ق**:٢٧. ويأتي معه يوم الحساب. روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: إن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً. قالت: فغرتُ عليه، فلما جاء رأى ما تصنع فقال: «أوَ جاءكِ شيطانكِ؟»، قالت: أوَ معي شيطان؟ قال: «نعم ومع كل إنسان»، قالت: ومعك؟ قال: «نعم، ولكن الله أعانني عليه فأسلم».

طعام الجن

والجن يشاركون الناس طعامهم إذا لم يذكروا اسم الله عند الطعام، وحذرنا الرسول من الأكل والشرب باليد اليسرى، وأمرنا أن نأكل في جماعة، فإن الشيطان يأكل وحده، ويأكل بشماله، ويأكل بإصبعه. وأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بغسل الأيدي والفم قبل الطعام وبعده: «إن الشيطان حساس لحّاس فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غَمْر (أي ريح الطعام) فأصابه مرض فلا يلومنّ إلا نفسه» رواه الترمذي.

آداب قبل النوم

وأمرنا الرسول بإطفاء النار، وإغلاق الأبواب والنوافذ، والتأكد من إغلاق محابس الماء، وكذا وجوب تغطية الطعام قبل النوم. فقال: «أطفئوا النار وأغلقوا الباب وأوكُوا السِّقَاء، وَخَمِّرُوا الإناء، فإن الشيطان لا يُشعل ناراً ولا يفتح باباً ولا يفك وكاءً ولا يكشف غطاء. وإن الفويسقة (أي الفأرة) لتضرم على الناس بيوتهم». ولكن كثيراً من الناس لا يراعون سنّة رسول الله قبل النوم، ولهذا يُصابونَ بالأمراض.

فإذا نام الإنسان وقرأ أذكار النوم (الاستغفار والفاتحة وآية الكرسي والإخلاص والمعوذتين) تنحى عنه الشيطان، وحفظه الله نائماً، وإذا نسي ذكر الله عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد، فإذا قام من نومه فذكر الله انحلّت عقدة، وإذا توضأ لصلاة الصبح انحلّت عقدة، وإذا صلى انحلّت عقدة.

تكليف الجن وحسابهم

وقد خلق الله الجن لعبادته: *وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ*. **الذاريات**:٥٦. وأرسل إليهم رسلاً: *يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي*. **الأنعام**:١٣٠، لكن بعضهم عصى وتجبّر، فأنظرهم الله، أي أمهلهم إلى يوم الحساب، وتحداهم بقوله: *يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ*. **الرحمن**:٣٣. كما تحداهم بقوله: *قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا*. **الإسراء**:٨٨.

ويحاسبهم الله يوم القيامة؛ فيدخل محسنهم الجنة وفيها الحور العين: *لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ*. **الرحمن**:٥٦. فالجني يتزوج جنية، والإنسي يتزوج إنسية. ويُدخل مسيئهم النار: *وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ*. **فصلت**:٢٥.

والرسول صلى الله عليه وسلم مُرسَل للجن والإنس، ولهذا فالجن يستمعون القرآن، ويحضرون دروس العلم والخطب والصلوات في المساجد. قال تعالى: *وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ*. **الأحقاف**:٢٩. وقال سبحانه: *قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا*. **الجن**:١-٢.

ولا تتبعوا خطوات الشيطان

الشياطين يأتون الناس بالنهار فيصيبونهم بالهمّ والغضب والخوف والقلق والشك والتكبر، ويجعلونهم يكذبون ويحسدون ويُفسدون في الأرض، ويملؤون الحانات وأماكن اللهو والقمار، ويشربون الخمور ويتعاطون المخدرات. ويأتون الناس بالليل فيصيبونهم بكل ما سبق بالإضافة إلى الكوابيس، إذا لم يتحصّن البشر منهم بكثرة ذكر الله.

ويحكي القرآن حكاية آدم مع إبليس: *وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ*. **الكهف**:٥٠. ومن يومها توعّد الشيطان آدم وذريته، ولهذا فهو يُغويهم بخطوات ناعمة تدريجية، فيخرجهم من العز والوقار والحشمة إلى الذلّ والفساد والتعرّي بوسوسته وإغرائه، قال تعالى: *يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ*. **البقرة**:١٦٨. *وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ*. **النور**:٢١.

فالشيطان دائماً يُفسد الحلال والعلاقات الطيبة، ويُغري بالحرام ويُزينه! ولا يجتمع في قلب واحد حب الحلال والحرام أبداً، فمن تمتع بالحرام لا يجد لذة الحلال!

وحذرنا الله تعالى من طول الأماني والغرور من وعود الشياطين، لأنه: *يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا*. **النساء**:١٢٠. *الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ*. **البقرة**:٢٦٨. والله يعصم عباده الذين يذكرونه كثيراً بقوله: *وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً*. **النساء**:٨٣.

والشيطان يُضعف أولياءه بالمعاصي ويُخيفهم منه: *إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ*. **آل عمران**:١٧٥. كما يُزين لهم طريق الحرام كأقصر

حقائق الجن ومداخل الشياطين

الطرق للظهور والوصول والكسب السريع، ويُسهله، ولهذا يأمرهم بالقتال والاعتداء، ولهذا قال تعالى: *ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ*. **البقرة**:٢٠٨.

وحذرنا اللّه تعالى من الخمر والميسر لأنهما رجس من عمل الشيطان: *إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ*. **المائدة**:٩١.

الأمر بالاستعاذة

وقد أمرنا اللّه تعالى بكثرة الاستعاذة من الشيطان: *وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ*. **الأعراف**:٢٠٠. *فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ*. **النحل**:٩٨. *وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ*. **المؤمنون**٩٧-٩٨. فنحن نستعيذ باللّه من الشيطان الرجيم قبل أيّ عمل، حتى لا يُفسده الشيطان.

وإذا نسي الإنسان، فجلس مع السفهاء من شياطين الإنس، فاللّه يعلمنا: *وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ*. **الأنعام**:٦٨. وقال: *إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ*. **الأعراف**:٢٠١.

وقد يأتي الشيطان فيفسد الأمنية الصالحة: *وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ*. **الحج**:٥٢.

وقد يصيب الشيطان الإنسان بنوع من العذاب النفسي والهم كما ذكر القرآن عن أيوب عليه السلام: *وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ*. **ص**:٤١. ولا يرفع هذا العذاب إلاّ كثرة الاستغفار وذكر الله.

الاستدراج الشيطاني

وإذا استمر الإنسان في معصية الله، استدرجه الشيطان، فزيَّن له عمله فرآه حسنا، واستمر معه شيطان جديد: *وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ*. **الزخرف**:٣٦-٣٧.

ويستدرج الشيطان أولياءه، فيوحي إليهم زخرف القول، والأفكار الشريرة: *وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ*. **الأنعام**:١٢١.

ويُصرّ أصحاب الفكر الشاذ على آرائهم بقوة، لاستمرار الشياطين معهم: *هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ. وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ*. **الشعراء**: ٢٢١-٢٢٦. وعلى هذا تقام ندوات، ومؤتمرات، واجتماعات، كلها مجالس شياطين! لا بركة فيها ولا فيما يصدر عنها! وقد يوحي الشياطين إلى أوليائهم أن أحكام الشريعة لا تناسب العصر؛ وأن الحدود فيها قسوة! فمن ركن إليهم أصبح مشركًا.

وكانت الشياطين ـ فيما مضى ـ تتنصَّت على أمر السماء إذا نزلت به ملائكة السماء إلى ملائكة الأرض، وبعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: *وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا*. **الجن**:٩. وقال: *وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ*. **الملك**: ٥.

فقدان الأشياء وزعم العلاج بالجان

وقد تسرق الجن بعض أشيائنا أو تخفيها، أو تنقلها من مكانها، ونظل نبحث عنها كثيرًا فلا نجدها، ثم نجدها في المكان نفسه بعد أيام، ولهذا علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم دعاء مهمًّا؛ إذا بحثنا عن أي شيء نقول: «اللهمَّ يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمَعني بضالَّتي». وتقول اسم الشيء الذي تبحث عنه، وتكرر الدعاء حتى يجمعك اللّه بما فُقد منك. تدعو وأنت واثق بالإجابة.

والجنُّ تلقي على الناس الكسل، وتبصق في أفواههم إذا تثاءبُوا وفتحوا أفواههم، ولهذا وجب وضع اليد على الفم إذا لم نستطع منع التثاؤب، وأن نستعيذ بالله عند التثاؤب، (التثاؤب من الشيطان)، ونكرر الدعاء: «اللهمَّ إني أعوذ بك من الهَمِّ والحَزَن، وأعوذ بك من العَجْز والكَسَل، وأعوذ بكَ من الجُبْن والبُخْل، وأعُوذُ بك من غَلَبَة الدَّيْن وقَهْر الرِّجَال».

وقد يشيع بعض الناس ـ جهلاً أو شركًا أو أكلاً لأموال الناس بالباطل ـ أن شخصًا يعالج الأمراض بالجن، وأنه يُجري العمليات الجراحية من دون جراحة! وتجد في بعض البلاد من يُروّج لهذه الإشاعات، وتنتشر بين الناس بسرعة، ويحاول المرضى وذووهم الذين يئسوا من الأطباء الإسراع إلى هؤلاء، وهو مخالف للدين والقانون، بل وللعقل السليم! فإذا كانت ثمة معجزات في علاج الأورام أو الأمراض المستعصية، فمن أولى بها: الله سبحانه! أم الدجالون!!

من الذي يخاف؟

والجن يخافون من البشر أكثر مما يخاف البشر منهم، ولكنهم ما إن يُحسّوا أن إنسانًا يخاف منهم حتى يظهروا له بصور مختلفة، ويملؤوا نفسه رعبًا وخوفًا! ومعروف أن للقرآن تأثيرًا في أجساد الجن، فهم ـ أي الشياطين ـ يفرون من سماع القرآن، وبالقرآن ندفع شرهم. قال مجاهد: «الشيطان أشدُّ خوفًا منكم، فإن تَعرَّض لكم فلا تخافُوا منه فيركَبكم، ولكن ثقوا في الله وشدوا عليه، فإنه يذهب، مثل الكلب إن رآك خائفًا هجم عليك».

العلاقة بين الجن والإنس

وقد تحدث علاقة بين الجن والإنس مع أن هذه العلاقة تكلف الإنس الكثير من الجهد والأرق: *وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا*. **الجن**:٦. ويوم القيامة يُعاقَبُ الاثنان على هذه العلاقة: *وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا*. **الأنعام**:١٢٨. فبعض الجن يُصاحب عددا كبيراً من الإنس، ويجد في ذلك متعته، أما الإنسي فيتمتع بتسخير الجن وندائه وطاعته له! ولا تزيد المتعة على هذا الحد! فلا زواج أو معاشرة جنسية بين إنس وجن! وإلا لوجدنا امرأة حاملاً فسألناها فقالت: من الجن!!

وتنقاد الشياطين للرجل الفاجر الذي يعصي الله، ويقرأ التعاويذ والطلاسم ليُرضي بها الجن فيطيعونه! وقد يخذلونه فيضطر للكذب والدجل!!

لماذا يكرهُ الجن سليمان عليه السلام؟

ولما شاهد سليمان عليه السلام أن الجن قد أكثروا من تعليم الناس السحر، جمع كتب السحر ووضعها تحت كرسيه، وحبس الشياطين الذين يفعلون ذلك. فلما مات سليمان أرادت الجن تشويه صورته، فأوحوا للناس أنه كان يحكمهم بالسحر، وأن كتب السحر تحت كرسيه، فحفر الناس واستخرجوا الكتب، وقالوا عن سليمان إنه ساحر وكافر، وقد برأه الله سبحانه بقوله: *وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ*

مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ. **البقرة:**١٠١.

متى يكلف القرين؟

والشيطان الذي يكلف بالإنسان يمسه منذ ولادته، وفي الحديث الصحيح: «ما من مولود إلا ويمسّه الشيطان فيستهل صارخًا إلا ما كان من مريم وابنها». والشيطان عادةً من جنس الإنسان (ذكر لذكر، وأنثى لأنثى). ويُكلَّفُ بالإنسان شيطان واحد، ويأتي معه يوم القيامة للحساب، فإذا مات الإنسان أو قُتل تحرر الشيطان، وعاش بقية حياته. وأعمار الشياطين طويلة جدًا بالمقارنة بأعمار البشر، ولهذا قد يظهر القرين بعد مقتل الإنسان على هيئته، بل بصوته، وربما مثلت الشياطين جريمة القتل في مكان حدوثها نفسه!

وقد ينجح بعض البشر في استحضار القرين لبعض مَنْ ماتوا من البشر، وهو ما يسمونه جهلاً «مجالس تحضير الأرواح»، ويأتي القرين ويقلد شكل صاحبه وصوته، كما يحدث في بعض الأماكن في أوربا وغيرها.

وعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يجلس على قلب ابن آدم (مثل دودة صغيرة) واضعًا خرطومه على مدخل القلب، وأنه يوسوس في الصدور باستمرار، وأنه يخنس ـ أي يسكت ـ إذا ذكر الإنسان ربّه، ويقوى إذا نسي الإنسان ذكر ربّه. ولهذا نقرأ: *الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ.* **الناس:**٥-٦.

الشيطان يحضر وينصرف

وهذا يُفسِّر لنا كيف يتمرد القرين على الإنسان ويصيبه بالصرع! وكيف يمسه شيطان آخر وذلك حين لا يتحصن الإنسان بذكر الله، ويكون عرضة للشياطين في فترات الانهيار النفسي والضعف الإيماني، وذلك يُفسره الحديث في الصحيحين: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»، والحديث: «إن الشيطان يحضر أحدكم في كل شيء، فإذا سقطت اللقمة فليمط الأذى عنها وليأكلها ولايدعها للشيطان» رواه الترمذي. وبعض الناس يرمون بالطعام وبقايا الطعام في إسراف وتبذير، وإخوانهم الفقراء يموتون جوعًا في كل أنحاء الدنيا. قال تعالى: *إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا.* **الإسراء:**٢٧.

وعند الجماع يحضر الشيطان، لذا يقول الرجل كما في الحديث: «اللهم جَنِّبْنا الشيطان وجَنّب الشَّيْطانَ مَا رَزَقْتَنَا، فلو قُدِّر بينهما بمولود لم يَضُرُّهُ الشيطان». ويحضر الشيطان بالليل فيما نسميه الكابوس، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأى أحدُكم في منامه رؤيا يحبُّها فهي من اللّه فليحدِّث بها، وإذا رأى ما يكره فإنها من الشيطان فليستعذ باللّه منها، ولا يحدّث بها فإنها لا تضره» رواه الشيخان. ويكثر الكابوس عند نسيان ذكر اللّه وترك الصلاة والتعرِّي في أثناء النوم. ومعروف أن بعض الحيوان يرى الشياطين، كالكلاب والحمير، ولهذا نستعيذ باللّه عند سماع نهيق الحمير، كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم.

الشيطان لم يترك الأنبياء

وكما تعرض إبليس لآدم عليه السلام، تعرض لنوح عليه السلام على السفينة، وتعرض لإبراهيم عليه السلام عندما أراد ذبح ولده، فرجمه بالجمرات (وهي من أعمال الحج)، وتعرض لموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعًا الصلاة والسلام. وتعرض لأيوب عليه السلام: *وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ.* **ص:**٤١.

والشيطان يتخلى عن الإنسان يوم القيامة، على إغوائه المستمر له وتضليله في الدنيا: *وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم.* **إبراهيم:**٢٢.

لواء الشيطان وراية الشر

ويعقد الشيطان الكبير «إبليس» مجلسه كل ليلة على الماء، ويركز رايته في أول السوق، ويجعل كل واحد من ولده على شيء، ويقرب إليه كبار الشياطين في الإغواء والإفساد ويدنيهم منه، فهو يجعل جائزة لأفضل عمل شيطاني للفتن والضلال. والشيطان يُؤيّد من يخرج عن الجماعة ويدعمه، ويُزيّن للناس التكاثر والتجمع في الأماكن التي يحبها كالحانات وأماكن اللهو والرقص والغناء، وهو يستفز الناس بصوته، ويجلب عليهم بأعوانه. ولا ينجو من الشيطان إلا من عصم اللّهُ بالعلم والفقه: *إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ.* **الحجر:** ٤٢. وفي الحديث: «لَفقيه واحدٌ أشدُّ على الشَّيطان من ألف عَابد» رواه الترمذي. لأن المتفقه في الدين يعرف مداخل الشيطان إلى القُلوب، ويعرف كيف ينتصر عليه في كل مرة!

والشياطين يحبون الدم وسفك الدماء، ولهذا يوحون إلى أوليائهم بالقتل والذبح وتلطيخ الجدران ببصمات أيديهم الملطخة بالدم. وهؤلاء يظنون أن ذلك يمنع من الحسد والسحر، وهذا تخريف ودَجل، وعند المسلم فالدم نجس لا يجوز غمس اليد فيه! أو دهن الجسم به كما يفعل بعض السفهاء!

مدد يا سيدي فلان!

وعندما ينادي بعض الجهال على وليٍّ صالح (حي أو ميت)، يتصور له الشيطان أحيانًا بصورة ذلك الوليّ وصوته، ويجيب المنادي حتى يفتتن به ويُشرك بالله، فيسأله من دون اللّه ويستعين به يقول: مَدَد يا فلان مدد! ولا يقال إن هذا مَلَك؛ لأن المَلَكَ لا يُغيث مشركًا! وأكبر فتَن الشياطين هي ما يحدث من أمور خارقة على يد المبتدعين، فإنما هي من تزيين الشيطان للعوام فينبهرون بها! قال بعض الصالحين: «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تنخدعوا به، حتى ترونه عند الكتاب والسنّة».

وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جملة أحاديث عن بعض الأمراض منها: «إن الطاعون من وخز الجن»، و«المستحاضة هي ركضة من الشيطان»، و«الحمّى من الشيطان فأبردوها بالماء» رواها الإمام أحمد. و«إن للوضوء شيطانًا يُقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء». هذا الشيطان يُنسي الإنسان هل غسل العضو أم لا، فيكرر ويبذر في الماء!

لماذا يكسل الناس عند الطاعات وتقوى أجسادهم عند المعاصي؟

والشيطان يُقوّي في الإنسان الهوى والمزاج وحبّ النفس والأنانية، فتراه يكثر من قول: أنا أنا، ويحبب إليه اعتزال الجماعة الصالحة، تمهيدًا لضمّه إلى الجماعة الفاسدة! وقد روى معاذ حديث: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإيّاكم والشعاب وعليكم بالجماعة والمسجد»، والله سبحانه وتعالى يقول: *وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ.* **الأنعام:**١٥٣.

وقد يغتر الإنسان برأيه وهواه ويفتتن به، ويوسوس له الشيطان أنه أذكى الناس وأعقل الناس: *أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ.* **الجاثية:**٢٣. والشيطان يُقوّي الجسد ويستنفره عند المعاصي فينشط، ويضعفه ويكسله عند الطاعات! ويدعو الشيطان الإنسان إلى المعاصي، يبدؤها بتزيين الصغائر، وتعوُّدها، وعدم التوبة

حقائق الجن ومداخل الشياطين

منهـا، ثم يستـدرجه إلى البـدع في الدين، ثم إلى الكبـائر وآخرها الشرك بالله والكفر به سبحانه!

مداخل الشيطان

ومداخل الشيطان إلى القلوب كثيرة، منها: الجهل، والغضب، وطول الأمل، والحرص الشديد الذي يؤدي إلى الطمع، والبخل الذي يؤدي إلى الهلاك، وحب المدح الذي يؤدي إلى الغرور، والرياء الذي يؤدي إلى النفاق، وسوء الظن الذي يؤدي إلى التشكك الدائم، واحتقار الغير الذي يؤدي إلى الغيبة والبهتان، وتصيّد العيوب حيث ينسى الإنسانُ عيوبَ نفسه ويفكرُ في عيوب الآخرين، واحتقار الذنوب الذي يؤدي إلى الإصرار عليها وعدم التوبة منها، وإلاَّ فهل تجد من يستغفر ربه إذا ذكر غيره في غيابه بما يكره؟ وهل يستغفر من يُدخن سيجارة؟ وهل تعود امرأة متبرجة إلى بيتها فتستغفر ربّها؟ وهل.. وهل؟ إن الشيطان يجعلهم لا يعترفون بذنوبهم، ومن ثم لا يستغفرون اللّه منها! ويكون الهلاك من الصغائر!

أيها أحب إلى الشيطان: التخويف أم التهور؟

والشيطان خبير بالنفوس البشرية: فمن وجد فيه خوفًا ومهانة وضعفًا، أخذ في تثبيطه وإضعافه وتخويفه وتثقيل الأمور عليه، فيركن وييأس! ومن وجد فيه إقدامًا وشجاعة، أخذ يدفعه ويدفعه نحو التهور حتى يورده المهالك! قال بعض السلف: «ما أمر اللّه تعالى بأمر إلاَّ وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير! وإما إلى مجاوزة وغلو! ولا يُبالي بأيهما ظفر».

لماذا الحيرة والتردد؟

والتكبر من نفخ الشيطان. قد يكون في العلم، أو في المال، أو بسبب المنصب والجاه! وحتى في العبادة، فينفخ في النفس بالعجب أولاً، والفخر ثانيًا، والكِبْر ثالثًا. وفي الحديث: «ولن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذَرّة من كِبْر». وأكثر ما يصيب الشيطان الناس بالحيرة والتردد، وهو ما يسبب الصراع النفسي! والإنسان المؤمن يعرف الحق، ويعرف جلساء الخير الذين يدعونه إلى الهدى، ولكنْ له أصحاب شياطين يدعونه إلى الباطل، ويُلحّون في الطلب، وصوَّر الله لنا ذلك بقوله تعالى: *قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.* **الأنعام**: ٧١. وهكذا يظل حائرًا بين الدعوتين!

أضرار الجدل

وهناك جدل يزرعه الشيطان بين صفوف الدعاة، حول أمور هينة، ويجد من يُقوّي هذا الجدل ليفكك رباطهم، ويزرع الكراهية بينهم، ليتلهوا به، ويتركوا عظائم الأمور، بل ولينسوا أن وحدتهم أهم مما يتجادلون حوله، وهي زلات يقع فيها بعض الدعاة! نعوذ بالله منها! ونسأله أن يوفق الدعاة لترك الجدل الذي يؤدي إلى الفرقة!

أما غرس اليأس فهو صناعة الشيطان المفضلة: حيث وسوس للمؤمنين في بدر، يقول لهم: تزعمون أنكم أولياء الله، إنكم ستنهزمون بسبب قلة الماء وتفكك الأرض وقلة العدد! فأنزل الله سبحانه: *وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ.* **الأنفال**: ١١.

وكعادة الشيطان في كل زمان ومكان: يُلقي في قُلوب بعض الدعاة اليأس؛ يقول: كيف تنتصرون والجاهلية تملك ما تملك؟ وأصحاب الحق قليلون، مستضعفون، وقد مرت سنون ولم يحدث تغيير! هل معقول أن نطبق شريعة الله في بلاد الإسلام؟ هل معقول أن يترك الناس العادات الجاهلية التي زرعها الاستعمار في بلادهم سنوات طويلة؟!

هذا اليأس قد يدفع بعض الدعاة إلى التهور، والتصرف الفردي؛ مما يضع الدعوة في موقف بالغ الخطورة، ونظل بعدها نلتمس الأعذار ونسوّغ ونمحو الصورة الخاطئة! والمطلوب منا الصبر الجميل، والنَفَس الطويل، وحُسن الظن بالله، وعدم استعجال النتائج؛ فالضعيف لا يظل ضعيفًا طوال حياته، والقوي لا يظل قويًا أبد الآبدين، وما عجزنا عن تحقيقه اليوم، سوف ننجح في تحقيقه غدًا إن شاء اللّه. قال تعالى: *وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ.* **القصص**: ٥-٦.

حقيقة السحر

السحر عمل الشيطان المفضل، وله أنواع: منها سحر يؤثر بقوة الساحر الذاتية، لاتصال هذا الساحر بالشيطان الكبير، ومنها سحر يقوم به الساحر بمساعدة بعض الشياطين باستخدام جزء من الإنسان أو شيء من لوازمه، ومنها سحر معقد؛ بالاستعانة ببعض الحروف أو الأعداد، أو الكواكب أو الرسوم!

ومعنى السحر: مَا عُمل في الخفاء، وكان فيه تخييل ووهم كما قال تعالى: *فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى.* **طه**:٦٦.

وتختلف وسائل الشعوب في السحر، فالهنود يزعمون أنهم يصلون من طريق تصفية النفوس لدرجة من الشفافية للاتصال بالعوالم غير المنظورة! واليونانيون والأوربيون يصلون من طريق الاستعانة بأسرار الأفلاك والكواكب وما يتبعها من شياطين! والأقباط والعرب من طريق الأسماء المجهولة والطلاسم، كنوع من العزائم لتسخير الجن.

وفروع السحر كثيرة: منها التنجيم، ومنها التسخير أو الربط أو العمل السفلي للضرر، ومنها التنويم المغناطيسي، ومنها خط الرمل وضرب الودع، وقراءة الكف والفنجان، وفتح المندل، وغيرها من وسائل الكهانة وادعاء معرفة الغيب. ومنها سحر الأعاجيب وخفة اليد (الحاوي).

وقد وجدتُ في أوربا عقودًا مبرمة بين الشيطان والساحر، محفوظة في بعض المتاحف، وفيها يبيع الساحر نفسه للشيطان.

ولا يدوم السحر إلا على قدر الساحر والقرين الذي يتولى مساعدته، وكذا تكرار هذا العمل. وللسحر درجات، منها ما يُفرق بين المرء وزوجه، أو يغير النفوس، أو يجهض الحمل! وغير ذلك! ولكن كما ذكرنا لا يؤثر إلا بإذن الله، ولا يدوم أثره.

ولأن السحر الحقيقي غامض، فقد فتح الباب أمام الدجالين والكذابين والعاطلين، الذين لا يعرفون شيئًا عن السحر، ويدَّعون القدرة على فك السحر والأعمال الشيطانية طلبًا للكسب الحرام، وابتزازًا لأموال الجهال والسفهاء من الناس!

ولهذا يكثر الدجالون في الريف والأحياء الفقيرة، حيث ينتشر الجهل! بل يصل الحد بضعاف الإيمان إلى الذهاب إلى الدجالين طلبًا للرزق، أو الشفاء من الأمراض، أو الزواج السريع للعانسات، أو النجاح للطلبة! أو عودة المطلقات لأزواجهن! إلى غير ذلك مما هو من اختصاص الله سبحانه وحده، الذي أمرنا أن ندعوه، ونكثر الدعاء. ولهؤلاء النصابين جواسيس يندسون وسط البسطاء يعرفون أسرارهم، ثم يحكونها للدجال، الذي يُفاجئهم بها عند دخولهم عليه فينخدعون لذلك!

البريد الثقافي

هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة ـ وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر ـ ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهراً للغضب، وبالعفة نؤدب بها نشوة الشهرة بأدب الشرع وميزان العقل.

س ما رأيكم بالضبابية في الشعر والإغراق في الرموز التي تحيِّر القارئ؟ وهل الشعر خُلق لهذا ؟



سامي جلال
القاهرة، مصر

VIA AIR MAIL
PAR AVION

الإجابة

عن هذه الأسئلة ليست بالأمر الهين، لأن الضبابية تعني الغموض، والغموض في الشعر وقف منه النقاد مواقف متباينة، بين مؤيد ومعارض.

ذكر الدكتور مهدي علام في أحد أحاديثه الصحفية (أهرام الخميس ١٩٧٧/٦/٩م): «إنني أقول الرمزية لا الغموض... إذا كانت الرمزية واضحة، فهذا يصبح صالحًا، أمّا إذا تحولت الرمزية إلى غموض، فإنها تتحول إلى معميات. الرمز مطلوب، أما الغموض فلا».

بينما يفرّق د. عز الدين إسماعيل في كتابه: الشعر العربي المعاصر (ط. دار الفكر، د.ت) بين الغموض والإبهام، حيث يرى «أن الشيء المبهم المستغلق ليس هو دائمًا بالضرورة الشيء الغامض» بينما الإبهام «مشكلة لغوية قائمة في طبيعة التركيب اللغوي» ص١٩٨. بل يرى أن الغموض ليس مشكلة؛ بل يغني العمل، ويضفي عليه مسحة جاذبية للبحث وإعمال الفكر والوجدان. والغموض «ليس نقيضًا للبساطة، وإن الشعر البسيط الذي يهزنا، هو في الوقت نفسه عميق، لأن البساطة الساذجة في الشعر لا يمكن أن تهزنا من أعماقنا، وهذه البساطة العميقة التي نصادفها لدى بعض الشعراء لا تجعلنا نرفض الشعر الغامض، بل هي ما أحراها أن تعطفنا إليه، لأن البساطة العميقة والغموض كليهما شديد المساس بالشعر» السابق ١٩٣.

واقع الأمر يقول: إن الخلاف السابق راجع في أساسه إلى الاختلاف في مفهوم الرمز الشعري، بله الرمز في الأدب عامة. وأرى أن فهم حقيقة الاستخدام الأمثل للرمز في الشعر، وفي الشعر الدرامي على وجه الخصوص، كفيل بحل هذا التناقض، بل هذه الضبابية ـ على حدّ تعبير السائل ـ التي يشكو منها كثير من مثقفينا، ومنها نعرف إن كان استخدام الرمز في الشعر محيّرًا حقًّا كما يرى السائل، وهل خُلق الشعر لهذا؟!

جاء في اللغة عن الرمز أنه: الإيماءة، والإشارة، والعلامة (الوسيط)، واستخدمه القرآن الكريم بالمعنى نفسه تقريبًا: *قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا*. **آل عمران**: ٤١ . واستخدمه اليونانيون القدماء بمعنى «قطعة من خزف، أو من أي إناء ضيافة، دلالة على الاهتمام بالضيف.. أما في أدب القرون الوسطى فلم تكن كلمة رمز مميّزة من كلمة مجاز؛ بمعنى استعارة إشارة إلى مرموزة تمثل صورة أو منحوتة رمزية» [الأدب الرمزي، هنري بير، ترجمة هنري زغيب، ط١، ص ٧ـ٨، منشورات عويدات، بيروت١٩٨١م].

واضح من الدلالات السابقة أن الرمز لا يتعدى كونه قيمة جزئية مادية أو معنوية. ولكنّ ثمة فارقًا كبيرًا بين الاستعارة والرمز؛ فالاستعارة من قبيل «التحوير البسيط السهل، والسطحي إلى حدٍّ ما لفكرة لا تكتسب شيئًا بترجمتها إلى هذا المجال أو ذاك، وهي نوع من اللغز، حلّه واضح، على حين أن الرمز يمكن أن يُفسَّر لا أن يُحلّ. والاستعارة تعبير عن عملية فكرية سكونية، على حين أن الرمز تعبير عن فكرية حركية نشيطة، والاستعارة تضع حدًّا ونهاية لتداعي المعاني، بينما الرمز يبعث الحركة، ويبقى فيها» [الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته، د. الطاهر أحمد مكي، ط١، ص٥٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م].

معنى ما سبق أن الخلاف الجوهري بين الاستعارة والرمز هو أن الرمزية ليست «مجرد استبدال شيء بشيء آخر، لكنها استخدام صور ملموسة حيّة للتعبير عن أفكار ومشاعر» CH. CHADWICK, SIMPOLISM, 1973, P.1.

ونفهم هذا أيضًا لدى مؤسس الرمزية: جاك موریاس حين أعلن عن بيان المدرسة الرمزية في جريدة الفيجارو (سبتمبر/ أيلول ١٨٨٦م) «فأكد ضرورة البناء إلى جانب الهدم، وأعلن أيضًا رفضه للشعر التعليمي، والوصف الواقعي، مبينًا أن الشعر الرمزي يتوق إلى أن يُلبس الفكرة المطلقة شكلاً محسوسًا، وهذا الشكل ليس غاية في ذاته، وإنما يهدف إلى التعبير عن الفكرة، وفي الوقت نفسه يظل خاضعًا لها، وبالمثل فإن الفكرة بدورها لا يمكن أن تبدو في الفن خالية من الاستعارات والتشبيهات الخارجية، لأن السمة الجوهرية في الفن الرمزي ليس إبراز الفكرة الواضحة في ذاتها. وعلى ذلك، فإن كل ما يبدو في الأدب الرمزي من مشاهد الطبيعة، وحركات الناس، أو أطفالهم، ليست مقصودة لذاتها، وإنما لكونها مظاهر بسيطة يُقصد بها تمثيل صلتها الخفية بالأفكار الجوهرية» [أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، تسعديت آيت حمودي، ص١٩، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٦م].

من كل ما سبق نخلص إلى حقيقة أن الرمز ليس مقصودًا لذاته في العمل الفني، وإنما يكون استخدامه في العمل للتعبير عن فكرة، كما أن الفكرة بدورها لا يمكن أن

تظهر إلا من خلال التشبيهات والاستعارات.

إذن الاستخدام الشعري للرمز ليس مقصوداً لذاته، بل لما له من صلة خفية بالأفكار الجوهرية؛ أي إن الشاعر أو المؤلف باستخدامه للرمز يرمي إلى خدمة المستوى الثاني من العمل الفني، وهو مستوى الفكرة التي يريد برموزه إشراك القارئ أو المشاهد فيها وتجاوبه معها، وإقناعه بها بطريقة غير مباشرة. فهو برموزه «يوحي إلى نفوسهم حالات نفسية تثير إحساسًا مشابهًا لما يحسّ به الشاعر» [الشعرالعربي المعاصر، د. مكي،ص٥٥].

ولكي يحقق الرمزيون أهدافهم تلك، استخدموا وسائل عدّة: منها اختيارهم للكلمات الموحية بالمعنى أو الفكرة، وبشروا بفوضى الحواس، أو ما يسميه اللغويون بالانتقالات الدلالية، والبلاغيون بتراسل الحواس؛ فالعين تسمع، والأذن تشم، والأصابع تبكي.. وهكذا أعطوا أنفسهم مساحة واسعة من استعمال الألفاظ، لتصوير أفكارهم، وإعادة تشكيل صورهم في ذهن المتلقي، دون شرح الرمز نفسه. كما استخدموا كثيراً من أحداث الماضي، وعبّروا بها عن أحداث معاصرة في مواربة، وغلفوها بثياب الماضي.

ثمة نقطة مهمة جداً في الأدب الرمزي يلزم أن نلحظها، هي أن العمل الرمزي إيحائي يشير إلى مدلوله بالتلميح لا بالتصريح، ويومئ إلى غرضه بإيجاز وتكثيف... ومن خصائصه التكامل في أحداثه، والترابط في أجزائه. وهذا المستوى مع حبكته الشديدة ليس مقصوداً لذاته؛ إنما هو لخدمة الجانب الثاني: جانب الفكرة.

والشاعر الجيد هو من يفهم هذا، فيأتي عمله متكاملاً، مترابطًا في نسيجه الخارجي، لا يحيّر القارئ أو يربكه، أو يقطع متعته وتسلسله بدعوى الرمزية والغموض، وفي الوقت نفسه لا يفقد البوصلة في الإيحاء بما يريد وينشد.

ومن ثم فقليلاً ما نعثر على هؤلاء الشعراء المتمكنين من فنهم وأدواتهم، ولعل أقرب مثال حي بين أيدينا هو قصيدة الشاعر نزار قباني: قارئة الفنجان، في ترابطها الظاهري وروعة تشبيهاتها واستعاراتها.. ولو حملناها على محمل الرمز لوجدنا ترابطًا شديداً بين الشكل والفكرة الجميلة التي يحلم بها كل عربي وينشدها وهي: الحرية!

وقبل أن ننهي إجابتنا نود أن نشير إلى أن هذا المذهب الرمزي الذي نشأ في فرنسا، قد رفع الشعراء من شأنه كثيراً بالاعتماد على النظرية الجمالية وحدها في تجويد العمل الشعري، وليس باستخدام النظريات العلمية؛ فانصرفوا عن السياسة، والمجتمع وقضاياه، وهمومه، ولذلك انزوى هذا المذهب الرمزي في الشعر. كما كان للغموض الذي لجأ إليه كثير من الشعراء غير المتمكنين من أدواتهم، دور كبير لا يُنكر في انزوائه.

لكن عدوى هذا المذهب الرمزي انتقلت إلى فنون أخرى أهمها: الرسم والنحت والمسرح، وبخاصة الدراما الشعرية، فعالج من خلاله الشعراء والكتاب كثيراً من قضايا المجتمع السياسية، والدينية، والاجتماعية، والوطنية.

كما تجدر الإشارة إلى أن أصل نشأة هذا المذهب في فرنسا كان هروبًا من عالم الماديات إلى عالم اللاشعور؛ بينما نشأ هذا المذهب واستخدمه شعراء الدراما في مصر، في النصف الثاني من القرن العشرين، أداة تلميح، لإيقاظ الحماسة الوطنية، والثورة على الوضع الاستعماري، والدكتاتوري، والإقطاعي الطبقي.

د. عبدالحميد عليوة مسعد

معهد تعليم اللغة العربية بالرياض

الضبابية

في الشعر والإغراق في الرموز هما عيبان كبيران يصيبان الشعر في مقتل إن صح هذا التعبير. ولكن القضية ليست على إطلاقها. فقد يكون الغموض - وليست الضبابية - مطلوبًا، وقد تكون الرموز مهمة، وذلك إذا كان الشاعر مالكا لأدواته، واستطاع أن يخلق من الرموز المتشابكة ومن الغموض الرائق المحبب قطعة فنية رائعة الجمال، مدهشة التراكيب تصل إلى المتلقي، لا من طريق التقليدية المستهلكة؛ بل من طريق الصور الإيحائية الجذابة. وهذه الصور الإيحائية لا تتطلب وضوح المعنى، بل تؤثر في القارئ أو السامع من خلال الإيقاعات، والتناقضات - إن وجدت - والروح الشعرية المحلقة، والمحسنات سواء بمفهومها البديعي القديم أم بمفهوم الاحتشاد في الصورة الحديثة. ولذلك هناك شعراء كبار يراهم القارئ غامضين، لكنهم مع ذلك يصلون إليه بسهولة ويثيرون انفعالاته ويحببونه في الشعر بخاصة، وفي الفن بعامة. من هؤلاء: الشعراء الأجانب بودلير ورامبو وفرلين وفاليري، إضافة إلى لويس أراجون والشعراء السيرياليين، وإليوت، ولوركا، وغيرهم. ومن الشعراء العرب: يوسف الخال وأدونيس، والسياب، في بعض قصائده، ومحمد عفيفي مطر في غالب إنتاجه المتأخر، وغيرهم. المسألة إذن لها صلة وثقى بالشاعر، فالشاعر الكبير يستطيع أن يطرق الأرض الصخرية ويحولها بأدواته إلى أرض ممهّدة، أما صغار الشعراء والمحسوبون على الشعر فهم الذين ينشرون السمعة السيئة للقصيدة؛ سواء أكانت عمودية أم من قصائد التفعيلة أم حتى قصائد النثر. كان أبو تمام يغرق في استخدام الصور في كثير من الأحيان، لكنه مع ذلك ظل شاعراً يمتلك مكانة خاصة في مسيرة الشعر العربي. المشكلة الآن هي أن كثيراً من الشعر الذي نقرؤه ونظنه ضبابيًا أو مغرقًا في رموزه لا يصح أساسا أن يُنشر تحت مسمى شعر؛ بل لا يصح أن يأخذ طريقه إلى النشر، ولكن لأن لدينا مجلات كثيرة وصفحات ثقافية كثيرة تحتاج دائمًا إلى مواد للنشر، فإنها تضطر في غالب الأحيان إلى الاختيار من أفضل ما يُقَدَّم إليها.

وإذا كنا نعيش حاليا مرحلة يعاني الشعر فيها من أزمة طاحنة، ومن وضع شديد التدهور في مقابل الازدهار الواضح لبعض الأجناس الأدبية الأخرى، فإنه من الطبيعي أن نقطع الفيافي بحثًا عن نص شعري جيد، وقد نستمر في السير أياما وليالي دون أن نعثر على بُغيتنا. ولولا ضيق المقام لذكرت للسائل أمثلة من الشعر يُظن أنها غامضة أو ضبابية أو محملة بكثير من الرموز، وربما لا نعثر فيها على معنى محدد واضح بالمفهوم التقليدي، لكنني متأكد أنها سوف تصل إليه بسهولة، وسوف يستمتع بها، ولن يجد أي صعوبة في التعامل معها. ومن ذلك على سبيل المثال قصيدة: العملاقة LA GEANTE من ديوان «أزهار الشر» لبودلير، ترجمة حنا الطيار وجورجيت الطيار.

فهذه القصيدة لا يهمك أن تبحث لها عن مضمون، لكنك تتلقاها بصورها ورموزها وكأنك تمتص جرعة من الدفق الشعري المتواصل. إنها صور إيحائية بعيدة الغور، قوية التأثير.

إن ديوان «أزهار الشر» كان - وما زال - من أهم الدواوين في تاريخ الشعر الحديث. وما أكثر الدواوين التي أصدرتها المطابع، ولكن يظل المتميزُ منها أو الذي يبقى في الذاكرة عدداً قليلاً جدا. لقد كان لهذا الديوان تأثير قويٌّ في الشعر الذي جاء بعد ذلك في كل أنحاء العالم، وإذا كان يُعد مفتتح الشعر الرمزي الفرنسي، فإنه أثر كذلك في ظهور الاتجاهات الطليعية التي ظهرت خلال النصف الأول من القرن العشرين، ثم كان له تأثير كبير في حركة الشعر الحر في العالم العربي. وهكذا يظل هناك دائما فرق واضح بين الضبابية أو الغموض اللا شعري، والغموض الشعري الذي يتغلغل إلى الأعماق ويصل إلى المتلقي من طريق الإيحاء.

د. حامد يوسف أبو أحمد - القاهرة

بمناسبة مرور ٢٠٠ سنة على الحملة الفرنسية على مصر:

الحملة الفرنسية

استعمار أم تحرير؟

د. محمد مورو

ترى المدرسة الاستعمارية أن الحملة الفرنسية ظاهرة مرتبطة بالثورة الفرنسية وليس بالاستعمارية الفرنسية، فالثورة الفرنسية عبَّرت عن نفسها في نابليون الذي راح يبذر مبادئها حيثما جرت خيوله، ومن ثم فجيش الاحتلال الفرنسي، ليس في أوربا وحدها، بل في الشرق أيضًا، لم يكن جيشًا استعماريًا تقليديًا، بل كان جيشًا ثوريًا. كان جيش تحرير، التعاون معه هو تعاون مع الثورة أو انتماء لها، هو تعاون مع اتجاه العصر وركوب لقاطرة التاريخ، ولذا فرفض الوجود الفرنسي أو مقاومة هذا الوجود، هو موقف رجعي ورفض للتحرر والتقدم وتشبث بالقرون الوسطى.

وهذه الترهات التي تروج لها المدرسة الاستعمارية هي من قبيل الاتّجار بالكلمات الرخيصة، وإن أي مؤرخ يحترم نفسه يقف أمام هذه الترهات غير مصدق لما وصل إليه الكذب، وقلب الحقائق، ومن المسلَّم به أن المدرسة الاستعمارية تستهدف هنا الادعاء بأن الاستعمار تحرر وأن مواجهته تخلف، ومن ثم فهي لا تقصد الماضي أو تقويم حدث تاريخي معين بقدر ما تستهدف المستقبل؛ أي أن تزرع فينا القابلية للاستعمار، وأن تزرع فينا عدم مقاومته، بل التعاون معه.

وسوف نورد هنا مجموعة من الحقائق لدحض هذه المقولة الهشة جدًا. نوردها ونحن نتألم لكوننا ندلل على بديهيات. فإذا كانت المدرسة الاستعمارية قد وصلت إلى هذا المستوى، فإن المستعمرين في خطابهم بعضهم بعضًا لم يكونوا على هذا المستوى، بل بالتأكيد ستظهر الحقيقة أو جزء منها من خلال رسائلهم. إذن فلنستمع إلى بونابرت نفسه يحدد لنا طبيعة الحملة الفرنسية.

كتب بونابرت رسالة إلى حكومة الديركتوار من ميلان بتاريخ ١٦ آب/ أغسطس سنة ١٧٩٧م يقول: «إن المواقع التي نحتلها على شواطئ البحر المتوسط تجعل لنا السيادة على هذا البحر، والآن علينا أن نرقب تطورات السلطنة العثمانية التي أخذت تنهار دعائمها من كل جانب، لنأخذ ما نستطيع من أسلابها ويمكننا أن نحرم إنجلترا مزايا سيادتها في الأقيانوس الأعظم، فإذا كانت تنازعُنا طريقَ رأس الرجاء الصالح في مفاوضات «ليل»؛ فلنتجاوز عنه ولنحتل مصر فسيكون لنا فيها الطريق المفضي إلى الهند، ويسهل علينا أن ننشئ بها مستعمرة من أجمل مستعمرات العالم، وإذا أردنا أن نهاجم إنجلترا فلنهاجمها في مصر».

وإذا وضعنا الحملة في إطارها التاريخي، نجد أنها لم تكن فكرة جديدة نشأت في رأس نابليون، بل إن التفكير الاستعماري الفرنسي كان دائمًا يحلم باستعمار مصر، فلويس التاسع قام بتجريد حملة صليبية في القرن الثالث عشر ونزل إلى دمياط سنة ١٢٤٩م في نحو خمسين ألفًا من المقاتلين، وزحف إلى المنصورة واشتبك مع جيش المسلمين في معركة كبيرة عُرفت بواقعة المنصورة سنة ١٢٥٠، انتهت بهزيمة الفرنسيين وقُتل منهم نحو ٣٠ ألفًا وغرق كثير منهم في النيل، وأسر ملكهم لويس التاسع وسُجن بالمنصورة في دار ابن لقمان.

وتجددت الفكرة في عهد لويس الرابع عشر، إذ نصح الفيلسوف الألماني الشهير ليبنتز الملك لويس الرابع عشر بأن يغزو مصر. وفي خلال القرن الثامن عشر (في عهد لويس الخامس عشر والسادس عشر) تجددت الفكرة لدى بعض رجال الدولة في فرنسا وترددت في تقاريرهم ومذكراتهم. وفي النهاية استطاع نابليون أن ينال موافقة الديركتوار على الحملة. وقد حددت حكومة الديركتوار أهداف الحملة بقولها «من المهم فتح طريق جديد لقوات

الجمهورية للوصول إلى الهند».

بل إن عبدالرحمن الرافعي - الذي كانت الحقائق البديهية واضحة أمامه - قال: «الحملة الفرنسية هي دور من أدوار التنازع بين فرنسا وإنجلترا على الفتح والاستعمار».

إذن فنابليون كان يريد استعمار مصر - كما قال في مذكراته: «سأستعمر مصر وأستورد الفنانين والعمال من جميع الأنواع والنساء والممثلين، وإن ست سنوات تكفيني للذهاب إلى الهند لو سارت سيراً طيباً».

ونابليون يفهم الاستعمار على أنه قمع للسكان، فهو لم يترك مدينة ولا قرية لم يقصفها أو يحرقها جنوده. بل إن من المعتاد أن تجد تعليقات المؤرخين على فظائع نابليون كالتالي: «وفي ميت غمر - دُمِّرت المدينة وأُحرقت حتى لم يبق حجر على حجر». ويقول أحد الجنود في مفكرته مثلا: «إن قرية رفضت إمداد الفرنسيين بالبضائع التي طلبوها، فضُرب أهلها بحد السيف وأُحرقت بالنار وذُبح وأُحرق ٩٠٠ رجل وامرأة وطفل، ليكونوا عبرة لشعب همجيٍّ نصف متوحش». وهذا الذي جاء ليحررنا - على حد قول المدرسة الاستعمارية - يأمر بقتل نحو ستة آلاف من أهل يافا بعد أن وعدهم بضمان حياتهم وبعد أن سلموا سلاحهم بدعوى أنه لا يجد مكاناً لإيوائهم.

وبالطبع فإن دعاة الفرنكفونية يجعلون من الحملة الفرنسية إيقاظاً للشعور القومي؛ وإذا كانت الحملة الفرنسية هي فجر اليقظة القومية، فلابد من رواد لهذه القومية، لذا يجب أن يبحثوا في دفاترهم عمن هم أمثالهم، أي خونة وعملاء ليجعلوهم الرواد الأوائل للقومية المصرية، ولم يجد هؤلاء سوى المعلم يعقوب، لأن برطلمين كان رومياً. ويعقوب [ينحدر من أسرة مصرية] بن حنا ومارية غزال ينقل ولاءه من سيد إلى سيد، فقد خدم المماليك ٤٠ سنة، ثم هاهو ذا يخدم الفرنسيين فيتولى لهم عمليات القمع والنهب وبخاصة في الصعيد، وهو مرشد يصاحب الحملات التأديبية، يطلعهم على المخبآت ويعرفهم الأمور [هذه صفات جاسوس] وهو قبطي يعتدي على الكنيسة ويُطرد من البابا، بل إنه منكور حتى من أسرته.

وإذا كانت المدرسة الاستعمارية قد جعلت الحملة فجراً للقومية، والجاسوس يعقوب أول رائد لهذه القومية، فلا مانع من جعل المؤسسات الاستعمارية الهزلية أول مؤسسات قومية، ولا مانع من جعل بونابرت مَنْ أقام أول مجلس للوزراء عرفته مصر (الديوان)، أو أول برلمان مصري (الديوان المكون من ستين عضواً)، وجعل بيان الرجل أول نظرية سياسية استخلصها المصريون! وبديهي أن هذه التحركات الاستعمارية التقليدية كانت أبعد ما تكون عن هذا. فهذا البرلمان المزعوم، كانت أولى مهماته بعد تشكيله بيوم واحد هي جمع الضرائب، وإن حالة أعضائه «من هم في القبضة مأسور» - على حد تعبير الجبرتي - كانت مزرية إزاء سلطات الاحتلال الذين يجمعونهم ويطلقونهم على هواهم.

وبما أن الأمور وصلت بالمدرسة الاستعمارية إلى هذا الحد فلماذا لا تبحث عن مشبوهات لتضعهن



نابليون بونابرت

على مصاف الزعامة لتكتمل لها حلقة تزييف التاريخ وضرب المستقبل؟ فلنر على من وقع اختيارهم ليجعلوهن رواد حركة تحرير المرأة.

وقع اختيارهم على نموذجين: الأولى: زينب بنت خليل البكري، الذي وضعه الفرنسيون على رأس نقابة الأشراف وجعلوه نقيباً لهم، وقد حصل على نقابة الأشراف بالتعاون مع المحتل. ويمكننا أن ندرك قيمة مثل هذا العميل المأفون، إذا علمنا أن نقيب الأشراف الحقيقي عمر مكرم رفض التعاون مع المحتل أو حتى الحياة في مصر في ظل الاحتلال، وخرج من القاهرة، ثم عاد إليها ليقود ثورتها الثانية. ووازن بينه وبين النقيب العميل الموضوع على رأس الأشراف بقرار من المحتل وبقوة جنود الاحتلال. يقول عنه هيرولد: «كان محبًّا للحياة، وكان شرابه المفضل مزيجاً من الكونياك والنبيذ البورجوني المعتق يشربه حتى الغيبوبة».

هذا العميل المصاب بالشذوذ، الذي أراق ماء وجهه عند سلطات الاحتلال في النزاع على غلام يهواه، هذا الديوث الذي يقدم ابنته إلى المحتلين وهي بعد لم تبلغ السادسة عشرة، فإذا بأحدهم يجعلها رائدة حركة تحرير المرأة! ولنا أن نتصور أي حركة تحرير هذه، تلك التي ترفع هؤلاء اللاتي يقمن علاقات جنسية بجنود الحملة تحت سمع وبصر الوالد الشاذ المتعاون مع الاحتلال ضد أبناء وطنه؟!

أما النموذج الثاني فهو «هوى» [اسمها يدل عليها] وكانت زوجة إسماعيل كاشف من أمراء المماليك، فلما جاء الفرنسيون غيرت ولاءها وتزوجت نقولا، وهو نفسه كان في خدمة المماليك، ثم نقل ولاءه إلى الفرنسيين [كعادة العملاء] وهو رومي.

وصعدت «هوى» معه إلى القلعة، فلما أحسَّت بغريزتها قرب رحيل الفرنسيين هربت من نقولا إلى حيث اختفت في القاهرة، وأعيت نقولا هذا في البحث عنها فلم يظفر بشيء. وما إن عاد حكم المماليك حتى ظهرت هوى وعادت إلى زوجها القديم، فأقامت معه مدة، ثم استأذن في قتلها، فأُذن له وقتلها.

وترى المدرسة الاستعمارية عام ١٨٠٠م [عام هزيمة ثورة القاهرة الثانية وسبي نساء مصر وبناتها] عام تحرير المرأة، وهي تستند إلى نصوص الجبرتي: «ومنها تبرج النساء وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء، وهو أنه لما حضر الفرنسيس إلى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الأمور لهن. وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في إخفائه، فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر، وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا بها وبأهلها وغنموا أموالها وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات، وصرن مأسورات عندهم، فزينوهن بزي نسائهم وأجروهن على طريقهم في كامل الأحوال فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر. ولما حلَّ بأهل البلد من الذل والهوان وسلب

الأموال واجتماع الخيرات في حوز الفرنسيس ومن والاهم وشدة رغبتهم في النساء وخضوعهم لهن وموافقة مرادهن وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته أو ضربته بثامدستها [حذائها]، فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار، واستملن نظراءهن واختلسن عقولهن لميل النفوس إلى الشهوات، وخصوصاً عقول القاصرات، وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن رغبة في سلطانهم ونوالهم، فيظهر حالة العقد الإسلام»، «ومنها أنه إذا أوفى النيل أذرعه ودخل الماء إلى الخليج وجرت فيه السفن، وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهن لهم في المراكب، والرقص والغناء والشرب في النهار والليل في الفوانيس والشموع الموقدة، وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة، وبصحبتهم آلات الطرب هذه؛ فمن الطبيعي وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون، ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المجاديف بسخف موضوعاتهم وكثائف مطبوعاتهم، وخصوصًا إذا دبت الحشيشة في رؤوسهم وتحكمت في عقولهم فيصرخون ويطبّلون، ويرقصون ويزمّرون، ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنسيس في غنائهم وتقليد كلامهم..».

ومع أن كلام الجبرتي واضح يُفهم منه حقيقة تقليدية: الانهيار الأخلاقي الذي يصيب جزءاً من المجتمع في ظل كل حالات الاحتلال بما يصحبها من سلب ونهب وتجويع وأسْر بنات الأسر ووضعهم مع الجنود في المعسكرات مأسورات، إلا أن المدرسة الاستعمارية تصر على حسبان ذلك «ثورة نساء» في مصر، أو في القاهرة على الأقل.

وأصحاب ثورة النساء هذه وبطلاتها هن - حسب قول الجبرتي - إما النساء المأسورات [أي اللاتي وقعن في الأسر رغم أنفهن] أو أولئك المأجورات [المومسات] اللاتي بذل لهن الفرنسيون الأموال. إذن أين الثوريات؟ وعلى أيّ شيء ثُرْنَ؟ الأوليات كن مكرهات والأخريات كانت هذه حرفتهن ومعيشتهن حتى قبل الحملة الفرنسية.

التغيير الموضوعي الوحيد الذي حدث هو أن المومسات بعد أن كن يتصلن بجنود الاحتلال سراً في البداية، أصبحت علاقتهن بهم علنية، فإذا كان لابد من القول بأن تغيرًا قد حدث فهو العلاقة العلنية بجنود الاحتلال. فهل هذه ثورة؟ وإذا كانت حضارتنا ترفض الدعارة أصلاً، فإن كل الحضارات - بما فيها الحضارة الغربية - ترفض أن تدور المومس مع المحتل، وفي فرنسا لم يكن الفرنسيون ينظرون نظرة احترام للمومس التي تدور علانية مع جندي أجنبي. بل إن في إيرلندا يقوم الوطنيون الإيرلنديون بعقاب الفتيات اللاتي يصادقن الجنود الإنجليز، والعقاب هنا يتمثل في قيام الوطنيين بربط إحداهن بعمود إنارة وصب النار عليها وإحراقها.

حركة تحرير المرأة هذه إحدى الوسائل التي يستخدمها تلاميذ المدرسة الاستعمارية، والهدف هو إفقاد المرأة دورها في النضال الوطني، وهم مغتاظون أشد الغيظ من قيام المرأة المسلمة بالقتال جنبًا إلى جنب مع الرجل ضد الحملة الفرنسية، وهذا واضح من يوميات المقاومة، فالمرأة شاركت بالسلاح وغير



محمد جلال كشك

السلاح في المقاومة في القاهرة والأقاليم، بل إن الذي أطلق النار على بونابرت في الإسكندرية كان امرأة؛ ولهذا فتلاميذ المدرسة الاستعمارية يريدون للمرأة ألا تخوض معاركها ضد الاستعمار، بل تتحرر بالتعاون مع الاستعمار، أيّ خزي وأيّ عار؟! ولكن هل يخجل تلاميذ المدرسة الاستعمارية؟ إنهم لا يخجلون فيصفون الحلقات المكونة من المتعاونات مع الاستعمار بأنها ثورة تحرر نسائية.

إن نساءنا الباسلات هن اللاتي قاتلن الحملة، وهن اللاتي رفضن التغريب ولو على مستوى الملابس، إنهن يدركن أن الحجاب قيمة ورمز لرفض المستعمر، رفض قيَمه وأخلاقه، وإذا كان المستعمر يزرع فينا أنماط سلوكه ليسهل عليه حكمنا، فإن النساء المسلمات الملتزمات حين يتمسكن بالزي الإسلامي، فإنهن في الواقع يحققن هدفين: الهدف الأول: إشاعة روح التميز والرفض، والهدف الثاني: تعطيل آلة النهب الاستعماري، لأن ارتداء ملابس الفرنجة، يعني أن نستورد منهم الملابس وصيحات الأزياء ومساحيق التجميل.. إلخ.

[لاحظ أن حضارتنا، حتى في فترات عدم ازدهارها، أنجبت شخصيات مثل شجرة الدر التي هزمت لويس التاسع وأسرته في دار ابن لقمان، بعد موقعة المنصورة].

أرادت المدرسة الاستعمارية أن تضرب إيجابية الجماهير في الصميم، وبما أن الجهاد هو الخطر الحقيقي على الاستعمار، كان لابد للمدرسة الاستعمارية أن تنزل طعناتها بقيمة المقاومة وجدواها. وإذا كانت المدرسة الاستعمارية قد عدّت الحملة الفرنسية دعوة للتحرر، وعملاءها روّادًا للقومية، والمومسات رائدات لحركة تحرير المرأة، فمن الطبيعي أن تكون حركة المقاومة - في نظرها - حركة رجعية متخلفة ترفض رسالة التحرر الفرنسية، وأنها لو لم تقاوم لسمحت لعلماء الحملة أن ينقلوا مصر من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة.

والعجيب في هذا القول أنه يخالف كل قواعد العقل والمنطق والتاريخ، فما من أمة تقدمت من طريق المحتل، وما من محتل جاء بهدف تحديث أمة، وهكذا. فهذا القول ليس إلا من قبيل منطق القوادين، أضف إلى هذا أن أمتنا لن تتقدم إلا بالجهاد، لأن نفسيتها ووجدانها وإبداعها الحضاري مرتبط بالجهاد؛ أي أداء رسالتها. فإن هي قامت برسالتها تقدمت وإن هي تقاعست تخلفت. بل لعل قيام الثوار بإنتاج المدافع إبان ثورة القاهرة الثانية لدليل مادي على صحة تحليلنا، ومدارس التاريخ متفقة على أن الاستجابة للتحديات هي السبيل إلى الرقي والتقدم. ثم مَنْ هذا الذي يدلنا على أن المحتلين قاموا بتحديث أمة ما؟

إن تاريخهم مزيج من الإبادة الشاملة أو الإبادة الجزئية، أو قيام مجتمع السيد الأبيض، أو زرع الفرقة والخلاف وإنشاء المشكلات وخلقها داخل المجتمعات المستعمَرة، ومنعها من أي تطور، وضرب أية محاولات تأتي في هذا الصدد.

وهؤلاء الذين يخطّئون أمة بأسرها، لابد أن يبحثوا عن دوافع لتخطئة هذه الأمة؟ فهم تارة يقولون: إن المماليك هم الذين حرضوا على المقاومة، وتارة

أخرى يقولون: إن الأتراك هم الذين حرضوا. وهذه الأقوال تفتقر إلى الجدية لسبب بسيط هو أن التحريض لن يكون في حد ذاته سببًا كافيًا لإشعال ثورة بهذا الحجم ومقاومة بهذا الاتساع، لقد قاومت جماهيرنا في القرى والمدن وفي القاهرة سواء بمشاركة المماليك والأتراك الشرفاء أو من دون مشاركتهم، بل إن بعض المماليك قد تخلى عن المقاومة بعد زمن قصير وقد يطول، ولكن الجماهير قاومت حتى النهاية. إن روح الجهاد الإسلامي هي التي حركت الجماهير المسلمة، والمحرض الحقيقي كان العلماء المسلمون.

المدرسة الاستعمارية تدَّعي أنه لكي نتحضر فيجب علينا أن نترك كل قيمنا وتراثنا، وأن نصبح جزءًا من الغرب، نأخذ فلسفته وسلوكه وأخلاقياته وعلومه وصناعته، بل يريدون منا أن نحيا على طريقة الغرب، وأن نكتب بحروف لاتينية من الشمال إلى اليمين.

وبعضهم يقول: إننا يمكن أن نكون جزءًا من الحضارة ولا داعي حتى أن ننقل صناعتها مادمنا سنصبح جزءًا منها، بل نسهم بما أتاحته لنا ظروفنا، ونستمتع بنقل آخر كلمة فيها دون حاجة بنا إلى تكرار الخطوات نفسها التي سلكتها هذه الدول.

وبناء على هذا فإن المدرسة الاستعمارية تدّعي أن الحملة الفرنسية كان يمكن أن تعطينا هذا كله «القيم والسلوك والصناعة»، وتضعنا على أبواب العصر لولا تلك المقاومة الجاهلة الرجعية التي رفضت هذه الرسالة العصرية.

والمدرسة الإسلامية بلعت الطعم وقالت: يمكن أن نحقق التقدم الصناعي والتقني بنقله من الغرب دون أن ننقل قيمه وسلوكه.

وآخرون قالوا: إن القضية قضية تقدم آلي، ولابد من تحقيقها من طريق الصراع لا الاندماج، لأن التفوق الآلي هو الذي يمكِّن خصمها منها أو يمكِّنها من خصمها.

وفي الحقيقة فإنه، لكي نناقش الأطروحات الثلاث السابقة، يجب أن نرصد عددًا من الحقائق والمعطيات:

أولاً: قضية الثورة الصناعية: التقدم (التكنولوجي) في الغرب لم يكن بسبب التقدم العلمي، أو حرية البحث، أو حتى نمط الحياة والسلوك، ولكنه جاء نتيجة للظاهرة الاستعمارية، فالثورة الصناعية جاءت نتيجة النهب الاستعماري للمستعمرات وتراكم الخامات والعبيد وليس العكس كما يروج العملاء.

ثانيًا: إن الثورة الصناعية والتقدم (التكنولوجي) ليست أهدافًا في حد ذاتها؛ بمعنى أنها غير منفصلة عن رسالة كل أمة، وبالنسبة لنا فإن أية قضية، بما فيها التقدم العلمي والثورة الصناعية، مرتبطة برسالتنا كأمة في تحرير العالم، وبمعنى أنه لن نحرص على تقدم آلي في مجال معين إذا كان هذا التقدم الآلي من شأنه إتعاس الإنسان، أو تعطيل العاملين أو يشكل خطرًا على مستقبل الإنسانية.

ثالثًا: إن الكلام عن تفوق الغرب العلمي، في بداية الصدام مع الاستعمار، هو مغالطة كبيرة، لقد



عبد الرحمن الرافعي

كنا متفوقين علميًا حتى مجيء الحملة الفرنسية، وكل ما في الأمر أننا لم نمارس القهر بهذا التفوق، وارتبط البحث العلمي بأخلاقيات الإسلام. إننا لن نكون منافين للحقيقة، إذا قلنا إن حضارة الإسلام كانت قادرة على عمل القنبلة الذرية في العصر الأول، بل إن روح البحث العلمي هي الشيء الذي سمح بتطور كل العلوم في العالم. وعمومًا فالعلم تراث إنساني.

رابعًا: إن ديننا يدعونا إلى العلم ويجعله فريضة إسلامية، ويدعو إلى العقلانية، بل إن الحضارة الإسلامية هي الحضارة العقلانية الوحيدةالتي شهدها العالم ولكن في إطار أخلاقي. ومن المفروض على المسلمين نشر العلم في أرجاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي، لأن العلم سبيل إلى التحرر، وهذا جزء من

الحملة الفرنسية
استعمار أم تحرير؟

رسالة الإسلام. وإذا كانت الحضارة الأوربية تتعمد حجب العلم، فإن الحضارة الإسلامية تتعمد نشر العلم وتبذل في ذلك طاقاتها.

والآن لنبدأ بمناقشة الأطروحات الثلاث:

الأطروحة الأولى: أطروحة خائنة - عن عمد وسبق إصرار - ذلك أنها تؤدي في النهاية إلى ضياعنا كأمة وحضارة، وتفقدنا كل مقومات وجودنا، والنتيجة الحتمية لذلك هو أننا لن نتقدم لا صناعيًا ولا حضاريًا، بل نصبح كالقرود تحاول التقليد في الصغيرة والكبيرة، فتثير الضحك. وهبنا استطعنا الاندماج، فكم من الوقت يستغرق هذا؟ مئات السنين! كل هذا يعني أننا سنكون في ذيل القاطرة. هذا بافتراض حسن النية، أما بافتراض سوء النية - والأمر كذلك بالفعل - فإن الهدف هو إفقادنا ذاتيتنا، ومن ثم قدرتنا على الاستمرار، لأنه ما من أمة تستطيع الاستمرار من دون قواها الذاتية، وهذا يؤدي إلى ضياعنا ضياعًا نهائيًا، وفي أحسن الحالات نصبح عبيدًا لدى السيد الأوربي ننتج له ونعمل عنده، ثم يتفضل علينا ببعض فضلاته، وفي أسوأ الحالات فإنه بمجرد أن نفقد قوانا الذاتية سيقوم المستعمر بعملية إبادة شاملة لنا، كالهنود الحمر مثلاً، بدعوى أننا أجناس لا تستحق الحياة.

الشيء الوحيد الصادق في هذه الأطروحة الخائنة، هو أن الذي يريد أن ينقل صناعات الغرب، يجب عليه نَقْل قيمه وسلوكه وهذا صحيح، ولكنه صدقٌ أسوأ من الكذب.

الأطروحة الثانية: وهي أطروحة بعض الإسلاميين المهزومين في داخلهم وهي تقول: إنه يمكننا أن ننقل صناعات الغرب وعلومه التجريبية دون أن ننقل قيمه وسلوكه وفلسفته، وهذا بالطبع أمر غير ممكن وغير وارد، لأن أية صناعة أو آلة هي تعبير عن حضارة ومجتمع وسلوك وفلسفة، كما أن القيم والمنتجات مرتبط بعضها ببعض، وتؤثر إحداها في الأخرى، وطبيعي أن السلعة تعبِّر عن قيمة خاصة بحضارتها وكذا الآلة، وسوف تصل مع كل صناعة قيمها المرتبطة بها، وهكذا فإن هذا الطرح يعبِّر عن أزمة وهزيمة لدى الإسلاميين، وسيؤدي إلى النتائج نفسها

التي تؤدي إليها الأطروحة الأولى. على أن أخطر ما في هذه الأطروحة أنها تغفل بعدًا مهمًا، وتفصل بين رسالتنا وتقدمنا الحضاري، وترى الإسلام نظام حياة شاملاً فقط، غير مرتبط برسالة خاصة تجاه العالم لتحريره وإبادة الاستكبار منه.

الأطروحة الثالثة: التي أسميناها «الإسلامية ذات التشوهات القومية» وأسماها صاحبها جلال كشك: «المدرسة الوطنية». وهي أفضل من الأطروحتين السابقتين، وهي لو اتُّبعت فإنها تحقق نتائج أفضل كثيرًا، لما تمتلك من جوانب إيجابية، إلا أنها في الإطار النهائي، ليست صحيحة، وبها خلل واضح. ولعل الجوانب الإيجابية فيها تبدو في إبرازها حقيقة أنه ما من أمة تستطيع الخروج من دائرة التخلف ومسايرة الزمن إلا من خلال صراعها ورفضها ونضالها ضد الحضارات المتفوقة المتقدمة المعاصرة. أما الجوانب السلبية فهي رؤيتها أن التفوق الآلي هو الذي يمكن خصمنا منا، أو يمكننا من خصمنا.

والسبب في وقوع هذه المدرسة في الخطأ هو إغفالها أننا أمة ذات رسالة عالمية، وأن هذه الرسالة لها وسائلها، وأن القوة الرئيسية التي تعتمد عليها أمتنا في رسالتها هي الإنسان وليس الآلة. ووفقًا لحقائق ديننا وحقائق التاريخ وفهم معادلات الصراع، فإن الإنسان أقوى من الآلة، وإن الجماهير المسلمة بالتحالف مع كل مستضعفي العالم أقوى آلاف المرات من كل الآلات وترسانات الأسلحة والقنابل الذرية ومراكز الأبحاث ووسائل الحرب الإلكترونية. وعناصر القوة المتفوقة التي تمتلكها حضارتنا وهي الإنسان ليس كلامًا خياليًا، فالإنسان أقوى من الآلة ما في هذا شك، ثم إن المستكبرين أنفسهم لن تعمل آلاتهم من دون المستضعفين، ولك أن تتخيل امتناع المستضعفين عن إدارة آلات المستكبرين، ألن تتحول هذه الآلات الجهنمية إلى قطع من الحديد في المخازن، بل قد يوجه المستضعفون الآلات إلى صدور المستكبرين. ثم هناك عامل مهم جدًا هو مدد الله سبحانه وتعالى، فإذا ما قررت أمة الإسلام أن تمارس رسالتها، ثم بذلت الجهد وفقًا لما هو متاح لديها فسوف يأتيها مدد الله تعالى وهو قادر على تعطيل كل القنابل والأجهزة المعقدة.

ويمكننا التدليل على صحة كلامنا هذا من حقائق التاريخ المعاصر ولدينا نموذج مستضعفي فيتنام، وربما يقول بعض المشككين: إن الدعم الروسي لهم كان السبب وليس الإنسان مثلاً. حسنًا، فما رأيكم في نموذج المسلمين في لبنان، وهناك نموذج معركة السويس بقيادة الشيخ حافظ سلامة، وهناك نموذج المقاومة ضد الحملة الفرنسية، ثم حملة فريزر سنة ١٨٠٧م؟

كل هذه الحقائق تثبت أن التفوق الآلي ليس هو المعيار، بل المعيار هو الإنسان. ويبقى أن السؤال الصحيح لتحقيق تقدمنا والبحث عن وسائله لا يكون: ما الطريق الذي يمكن أن تسلكه الأمة المتخلفة آليًا لكي تحقق تقدمها الآلي؟ ولكن يكون السؤال: ما الطريق لتحرير الإنسان من قبضة الاستبداد والخوف ودفعه لأداء رسالته؟ ما الطريق لكي تنهض أمتنا جماهيريًا بعبء الجهاد من أجل تحرير العالم؟ المشكلة إذن نفسية وعقدية أكثر منها آلية.

وعلى كل حال فالتقدم الآلي نفسه ليس شيئًا بالنسبة لحضارتنا خارج إطار حركة الجماهير، فالذين يجاهدون يهديهم الله السبيل، ومنها سبيل التقدم الآلي ذاته. إن ثوار القاهرة أنشؤوا مصانع الأسلحة والذخائر في ثورة القاهرة الثانية في أقل من ٢٤ ساعة.

وهكذا فإن التقدم الآلي لا يخيفنا، وهو ليس هدفنا إلا في إطار حركة الجماهير المسلمة وكجزء منها ولصالحها وصالح المستضعفين. ومع ذلك فإننا نرى أن الغرب حتى الحملة الفرنسية لم يكن متقدمًا علينا لا آليًا ولا تقنيًا وإليك الأمثلة:

يقول الجبرتي في وفيات ١١٢٢هـ/١٧١٠م، أي قبل الحملة الفرنسية بتسعين سنة: «الرجل الفاضل العمدة العلامة رضوان أفندي الفلكي صاحب الزيج الرضواني الذي حرره على طريقة الدر اليتيم لابن المجدي على أصول الرصد القديم السمرقندي، وصاحب كتاب أسنى المواهب، وغير ذلك تأليف وحسابيات وتحقيقات لا يمكن ضبطها لكثرتها، وكتب بخطه ما يزيد على حمل بعير مسودات وجداول حسابيات وغير ذلك، وكان يسكن بولاق منجمعًا عن خلطة الناس، مقبلاً على شأنه، وكان في أيامه حسن أفندي الروزنامجي وله رغبة ومحبة في الفن، فالتمس منه بعض آلات وكرات فأحضر الصناع، وسبك عدة كرات من النحاس الأصفر ونقش عليها الكواكب المرصودة وصورها ودوائر العروض والميول وكتب عليها أسماءها بالعربي، ثم طلاها بالذهب وصرف عليها أموالاً كثيرة وذلك في سنة ١١١٢هجرية [أي قبل إنشاء المجمع العلمي بمئة عام]، واشتغل عليه الجمالي يوسف مملوك حسن أفندي المذكور وكلارجيه، وتفرغ لذلك حتى نجب وتمهر وصار من المحققين في الفن، واشتهر فضله في حياة شيخه وبعده، وألف كتابًا عظيمًا في المنحرفات جمع فيه ما تفرق من تحقيقات المتقدمين، وأظهر ما في مكنون دقائق الأوضاع والرسومات والأشكال من القوة إلى الفعل، وهو كتاب حافل نادر الوجود وله غير ذلك كثير. ومن تأليف رضوان أفندي المترجم النتيجة الكبرى والصغرى، وهما مشهورتان متداولتان بأيدي الطلبة بآفاق الأرض، وطراز الورد في رؤية الأهلة والعمل بالقمر وغير ذلك».

وفي سنة ١١٥٨هـ/١٧٤٥م: «مات الإمام العمدة المتقن الشيخ رمضان بن صالح بن عمر السفطي الخوانكي الفلكي الحيسوبي... حسب المحكمات وقواعد المقومات على أصول الرصد السمرقندي الجديد، ومن تصانيفه «نزهة النفس» بتقويم الشمس بالمركز والوسط فقط، والعلاقة بأقرب طريق وأسهل مأخذ وأحسن وجه على الدقة والأمن من الخطأ، وحرر طريقة أخرى على طريق الدر اليتيم يدخل إليها بفاضل الأيام تحت دقائق الخاصة، ويخرج منها القوم بغاية التدقيق لمرتبة الثوالث في صفحات كبيرة متسعة في قالب الكامل، واختصرها الشيخ الوالد في قالب النصف، ويحتاج إليها في عمل الكسوفات والخسوفات والأعمال الدقيقة يومًا بيوم. ومن تأليفه: كفاية الطالب لعلم الوقت وبغية الراغب في معرفة الدائر وفضله والسمت، والكلام المعروف في أعمال الكسوف والخسوف، والدرجات الوريفة في تحرير قسمي العصر الأول وعصر أبي حنيفة، وبقية الوتر في المباشرة بالقمر، ورسالة عظيمة في حركات الأفلاك السيارة وهيئاتها وحركاتها وتركيب جداولها على التاريخ العربي على أصول الرصد الجديد، ومطالع البدور في الضرب والقسمة والجذور، وحرك ثلاثمئة وستة وثلاثين كوكبًا من الكواكب الثابتة المرصودة بالرصد الجديد بالأطوال والأبعاد ومطالع القمر ودرجاته لأول سنة تسع وثلاثين ومئة وألف، والقول المحكم في معرفة كسوف النير الأعظم، ورشف الزلال في معرفة استخراج مكث الهلال بطريقي الحساب والجداول. أما كتاباته وحسابياته في أصول الظلال واستخراج السموت والدساتير فشيء لا ينحصر ولا يمكن ضبطه لكثرته».

الحملة الفرنسية استعمار أم تحرير؟

وفي سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م: «مات الأستاذ النجيب الماهر المتفنن جمال الدين بن يوسف، قرأ القرآن وجود الخط وتوجهت همته للعلوم الرياضية، كالهيئة والهندسة والحساب والرسم، فتقيد بالعلامة الماهر رضوان أفندي وأخذ عنه واجتهد وتمهر وصار له باع طويل في الحسابيات والرسميات وساعده على إدراك مأموله ثروة مخدومه، فاستيقظ واخترع ما لم يُسبق به، وألف كتابًا حافلاً في الظلال ورسم المنحرفات والبسائط والمزاول والأسطحة، جمع فيه ما تفرق في غيره من أوضاع المتقدمين بالأشكال الرسمية والبراهين الهندسية، والتزم المثال بعد المقال... وألف كتابًا أيضًا في منازل القمر ومحلها وخواصها وسماه كنز الدرر في أحوال منازل القمر، وغير ذلك، واجتمع عنده كتب وآلات نفيسة لم تجتمع عند غيره ومنها الزيج السمرقندي بخط العجم وغير ذلك».

وفي وفيات ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م يحدثنا الجبرتي عن الوجيه المبجل عبدالسلام أفندي مدرّس المحمودية الذي «كان إمامًا فاضلاً محققًا له معرفة بالأصول، وكان يقرأ فيها الورد للملا خسرو وتفسير البيضاوي... وكان له تعلق بالرياضيات، وقرأ على المرحوم الوالد أشياء من ذلك واقتنى آلات فلكية بيعت في تركته».

كما كان من المعتاد أن يهتم علماء الدين بالعلوم الطبيعية. يقول الجبرتي في وفيات ١١٩٤هـ/١٧٨٠م: «مات الفقيه العلامة المعمر عبدالله خزام الفيومي، تولى الإفتاء، وكانت له معرفة في علم المذهب وغيره من الفنون كالفلك والهيئة والميقات وعنده آلات لذلك».

ويقول عن الشيخ الدمنهوري: «ولد سنة ١١٠١هـ [١٦٨٩م] ومات سنة ١١٩٢هـ [١٧٧٨م]. ودرس الفقه على أفقه الشافعية في عصره عبد ربه بن أحمد الديوي، وعلى الشهاب الخليفي درس نصف المنهج وشرح ألفية العراقي، وعلى أبي الصفاء الشنواني شرح التحرير والمنهج، وأخذ عن الزعتري الميقات، والحساب والمجيب والمقنطرات والمنحرفات وبعض اللمعة، وعلى التميمي منظومة الرفق المخمس، وروضة العلوم، وعلى الشيخ سلامة الفيومي أشكال التأسيس والجفميتي، وعلى عبدالفتاح الدمياطي لقطة الجواهر، ورسالة قسطا بن لوقا في العمل بالكرة، ورسالة ابن المشاط في الأسطرلاب وابن المجدي».

وفي ترجمة الجبرتي لأبيه نجد أنه «درس أشكال التأسيس وتحرير إقليدس والمتوسطات والمبادئ والغايات والأكر وعلم الأرتماطيقي والجغرافيا وعلم المساحة... وكان فريدًا في صناعة التراكيب والتقاطير واستخراج المياه والأدهان... وحضر إليه من طلاب الإفرنج وقرؤوا عليه وذلك سنة تسع وخمسين [١١٥٩هـ/١٧٤٦م]، وذهبوا إلى بلادهم ونشروا بها ذلك العلم ذلك الوقت وأخرجوه من القوة إلى الفعل..».

وهكذا فإن العلوم كانت موجودة. ولم تكن أوربا متقدمة علينا فيها؛ كما أن الجو العلمي السائد وقتها لدى الشعب كان متفوقًا، بدليل أن الجبرتي لم يعجب ولم ينبهر بالحيل العلمية التي حاول الفرنسيون خداع الأهالي بها. كما أنه نشأ في بيت تفد إليه الطلبة من أوربا، وربما فرنسا بالذات، لتلقي العلم على يدي والده.

والجبرتي عندما يصف كلام نابليون «والله قدّر في الأزل أن يحتل نابليون مصر وأنه مبعوث السماء» علق الجبرتي على ذلك بقوله: «هذه تمويهات على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات التي تنادي على بطلانها بديهية العقل فضلاً عن النظر».

وهكذا نرى أن الفرية التي يروجها الاستعماريون عن التفوق العلمي الأوربي، وعن ظلام الجهل في بلادنا قبل الحملة الفرنسية ليس إلا تزويرًا فاضحًا، ولعل في يوميات المقاومة وبراعة الخطط التي اتبعها الثوار ما يدل على عكس ما يروجه الاستعماريون تمامًا، فإن تلك الخطط تعطي انطباعًا قويًا عن مدى الوعي والعلمية التي سادت أمتنا وقتها. ويبقى أن نجيب عن السؤال: ما التكييف الذي نراه للقضيتين: الصراع والتقدم الآلي.

في الواقع إن التطور الآلي قد توقف - أو كان بطيئًا - وذلك لأن الأمة لم تستمر في أداء رسالتها، فظلت العلوم غير مستعملة، أي - بتعبير الجبرتي - لم تنتقل من القوّة إلى الفعل.

إننا نؤمن أن التقدم الآلي - مع أنه ليس هدفًا في حد ذاته - مرتبط بقيام أمتنا برسالتها، إننا أمة ذات رسالة، وتركيبتنا الذاتية لن تقدم إبداعًا حضاريًا من دون أداء رسالتنا، والتقدم الآلي لن يتحقق إذا توقفنا عن أداء رسالتنا. وسيكون شكل هذا التقدم مرتبطًا برسالتنا وأخلاقيات هذه الرسالة. إننا مثلاً لن نستخدم القنابل النووية، وإذا سادت حضارتنا فسوف نتخلص من كل القنابل النووية، وسنحول هذه الطاقة إلى عمل خلاق ومنتج لصالح الناس. ليس معنى هذا أننا نرفض التطور في صناعة السلاح، بالعكس نحن نحرص على تطوير صناعة السلاح، ولكنه سلاح ذو اتجاه واحد هو التخلص من الاستكبار ورفع الظلم عن العالم، وبديهي أن السلاح النووي أوالأسلحة الكيماوية لا تصلح للتخلص من المستكبرين، ولكنها بفرض استخدامها، ستخلصنا من المستكبرين، وفي الوقت نفسه تفسد البيئة وتقتل الأبرياء وتشوّههم. ولن يقتصر أثرها على المستكبرين وحدهم.

إن العلوم تراث إنساني، وهي موجودة في كل المجتمعات، وحتى اليوم نحن لدينا في بلادنا علماء أكفياء وأذكى من علماء الغرب، ولكن تحويل العلوم إلى صناعة هو مربط الفرس. وفي حالتنا لن يحدث هذا إلا بأداء رسالتنا، وبطريقة غير منفصلة عن أخلاقيات حضارتنا. فالقضية ليست نقل التقنية من الغرب - سواء صناعتها فقط، أو فلسفتها وسلوكها وقيمها أيضًا - ولكن القضية هي أن تقوم أمتنا برسالتها تجاه العالم، ولكي يتحقق ذلك لابد من وضع أدوات الحكم بأيدي الجماهير والعلماء، وأن نقاتل من أجل التحرر من الاستعمار والاستبداد، ثم نجاهد لتحرير العالم، لأن هذا وحده هو الذي يضع لنا الظروف الموضوعية لإبداعنا الحضاري، ولأن هذا وحده يجعل مدد الله يأتينا، وهو مدد قادر على إنجاز النصر بإذن الله تعالى مهما كانت قوة الأعداء.

والاستعمار - بصفته قوّة شيطانية - يدرك ذلك، وهو يحاول أن يميّع القضية ويضعها على غير قاعدتها الصحيحة، ويتابعه عليها العملاء، أو حتى المهزومون والمخدوعون. إن الاستعمار يدرك أن الجماهير المقاتلة بقيادة العلماء هي الخطر، لذلك فهو يستهدف تكبيلها ووضع الحواجز أمامها لكي لا تقوم برسالتها. وواجبنا في المقابل أن نعمل لرفع تلك الحواجز ووضع الظروف الصحيحة لقيام الأمة برسالتها. وساعتها سيكون التقدم الآلي شيئًا عاديًا يتحقق بأبسط مما نتصور.



قياس الشمول والانتقال من الكلي

الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

قياس الشمول انتقال من الكلي إلى الجزئي، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) رحمه الله تعالى عكس الدعوى، فجعل قياس الشمول انتقالاً من الجزئي. وقال: «قياس الشمول هو انتقال الذهن من المعيّن إلى المعنى المشترك الكلي المتناول له ولغيره(١).

والحكم عليه بما يلزم المشترك الكلي(٢)؛ بأن ينتقل من ذلك الكلي اللازم إلى الملزوم الأول، وهو المعين. فهو انتقال من خاص إلى عام، ثم انتقال من ذلك العام إلى الخاص.. من جزئي إلى كلي، ثم من ذلك الكلي إلى الجزئي الأول؛ فيحكم عليه بذلك الكلي»(٣).

قال أبو عبدالرحمن: يعسر فهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كثير من العقليات حينما لا يشرح الأفكار والقواعد بالأمثلة. وإنما عكس شيخ الإسلام صورة القياس الشمولي بناء على الدعوى بأن كلية القياس ثابتة ببرهان الاستقراء، وإذن فترتيب ابن تيمية لانتقال الذهن ها هنا بحسب الاستقراء؛ ولنشرح تفريعات شيخ الإسلام باستحضار قياس منطقي، وهو: كل إنسان حيوان، وكل حيوان جسم: إذن الإنسان جسم. فالخاص المعيّن ها هنا هو نوع الإنسان. فالذهن انتقل إلى هذه الكلية النوعية - إذ الإنسان نوع من الحيوان - من أشخاص من الإنسان كزيد وعمرو وسعد.. إلخ، إذ وجدهم أجسامًا، فحكم الذهن بأن الجسمية معنى مشترك لكل ما هو إنسان، فيتناول زيدًا الحي الآن، وزيدًا الذي مات، وزيدًا الذي سيولد.

إذن - بناء على كلام شيخ الإسلام - فالذهن في قياس الشمول انتقل من المعين (وهو زيد، وعمرو، وسعد..إلخ) إلى المعنى الكلي المشترك وهو الإنسانية، فالذهن كَوَّن معاني الإنسانية من المعرفة بالأشخاص؛ فهذا انتقال في المعرفة التحليلية للواقعة.

ثم انتقل الذهن مرة ثانية عند شيخ الإسلام بعكس ما سبق، وهو الانتقال من الكلي إلى الجزئي، وذلك من جهة الحكم؛ فحكم بالجسمية والحيوانية على المعيَّن (زيد، وعمرو، وخالد ..إلخ)؛ لأن الحيوانية والجنسية من لوازم المعنى الكلي - وهو الإنسان - إلى الملزوم بذلك الحكم وهو المعين.

قال أبو عبدالرحمن: والمحقق حسًا وعقلاً أن كلية القياس الشمولي لم تحصل بالاستقراء، بل الاستقراء متعذر. والكليات ليست استقراء ابتداء، وإن كان الاستقراء يشهد لها انتهاء. بل يكفي العقل شخص واحد من الإنسان يجد فيه معاني ما اسمه في اللغة جسم ونمو وإحساس وتحرك بالإرادة. وكل ذلك مجموع لما اسمه في اللغة حيوان، فأي شيء اجتمعت فيه هذه الأمور - مما وجد أو سيوجد - فهو حيوان.

ومن الطبيعي أن الاستقراء يشهد للكلية المنطقية؛ لأن المستقرأ مشروط بمعان لغوية مسبقة، مجردة من معروف مسبق، فمعنى مالم يُعرف مشروطة تسميته بما عُرف اسمه مسبقًا، وبما تُصور معناه مسبقًا.

قال أبو عبدالرحمن: وبإيجاز فمراوحة شيخ الإسلام بين الخاص والعام إنما هو بشرط الجمع بين مفهوم القياس المنطقي الذي ينتقل من العام، ومفهوم الاستقراء الذي ينتقل من الخاص. أما القياس وحده فليس فيه إلا الانتقال من العام. وأما الاستقراء وحده فليس فيه إلا الانتقال من الخاص. وعلى هذا فقياس الشمول وحده انتقال من العام إلى الخاص.

ولو صح أن كلية القياس ثابتة بالاستقراء - وذلك لا يصح - لما كان الاستقراء يحكم بالكلية على الأشخاص المعينين الذين أخذ منهم معنى الجنسية، وإنما يحكم بالكلية على أشخاص معينين غير المشاهدين مسبقًا الذين أُخذ منهم المعنى الكلي.

قال أبو عبدالرحمن: إن قياس الشمول في صورته المنطقية انتقال من المعنى الكلي المشترك: «كل إنسان حيوان»؛ فهذا تعبير عن الإنسان بمعاني الحيوانية الأعم، وهي الجسمية والإحساس والنمو والتحرك بإرادة.. إلى أحد معاني الحيوانية العامة المشتركة، وهي الجسمية «وكل حيوان جسم» إلى أحد أنواع الحيوان وهو الإنسان بأحد معاني الحيوانية، وهي الجسمية بالنتيجة: «إذن كل إنسان جسم».

وإنما جعل شيخ الإسلام قياس الشمول عكس ذلك، وهو الانتقال من الجزئي بالنظر إلى برهان قضايا القياس، وهو الاستقراء؛ فنحن - على مذهب شيخ الإسلام - استقرأنا ما تيسر من أشخاص الإنسان فوجدنا الجسمية في زيد وعمرو وسعد.. إلخ، فحكمنا بأن كل إنسان جسم. وقد أسلفت تسلسل الانتقال الذهني في قياس الشمول على دعوى أن برهانه الاستقراء.

قال أبو عبدالرحمن: والمحقق عندي أن قياس المنطق ليس بهذه الصورة؛ بل

الصورة أن العقل جَرَّدَ من مشاهداته معاني الأشياء التي عقلها؛ فَعَقَل من هذا الرجل، وذاك الأسد، وهذا الحصان، وتلك البقرة معاني الجسمية، والنمو، والإحساس، والتحرك بالإرادة. وهذه المعاني مجتمعة وجدها في اللغة مدرجة تحت اسم «حيوان»؛ فصارت لغة العقل لا تسمي حيوانًا إلا ما جمع هذه المعاني. ولو وجد العقل جسمًا حساسًا ناميًا متحركًا بغير إرادة منه، وهو في غير معهوده من صور الحيوانات لم يسمه حيوانًا، بل يلتمس مدلوله في اللغة، أو يبحث له عن مدلول. ولو وجد ما هو على صورة الحيوان كجسم رجل إلا أن حركته غير إرادية قال: هذا حيوان فاقد الإرادة في الخلقة، أوحيوان ميت؛ لعلمه بأن شيئًا طرأ على إرادته. ولو رأى جسم فرس لا نمو له ولا إحساس ولا تحرك بالإرادة لم يقل: هذا حيوان، أو فرس من جنس الحيوان. وإنما يقول: هذا تمثال حجر أو حديد على صورة فرس. إذن القضية الكلية في القياس المنطقي ليست نتيجة استقراء، وإنما هي تجريد معان مشتركة محدد اسمها باللغة. والمعنى الجزئي تجريد معنى من شيء مشاهد يحمل اسمه اللغوي. وكلا التجريدين مأخوذان من أشياء مشاهدة، فهما تجريد من المعروف، وليسا إطلاقًا ولا تعريفًا لما لم يوجد. ولو وجد ما يشارك الحيوان في بعض المعاني دون بعض فإن كان في المشاهدة البشرية فله اسم يخصه كالنبات، وإن كان مستجدًا فسيكون له اسم يرتبط بهويته.

إذن القياس المنطقي لم يثبت بكليات دليلها الاستقراء، بل ثبت بكليات مجردة من المعروف المشاهد.

وكونها ثابتة بغير الاستقراء لا يعني أن الاستقراء المعروف لا يشهد لها؛ بل هو شاهد لها حتمًا، لأن المستقري يقول عن الكلية الثابتة بغير الاستقراء: لم أجد في مشاهداتي، ولا في مشاهدة من نُقل العلم عنه ممن سبقني، أن حيوانًا تنقصه بعض معاني الحيوانية. وهذا طبيعي ما دام التجريد من شيء عُرف، وما دامت اللغة تحدد هويات عُرفت؛ فحيثما وجدت هذه المعاني مجتمعة وجد معنى الحيوانية.

إن كليات الأجناس، ثم كليات الأنواع تجريد ذهني، وتحديد لغوي من المعروف المشاهد؛ فإذا استجد ما لم يُعرف من قبل، وفيه هذه المعاني مجتمعة فهو على مفهوم الحيوان.

ولو وجد جمل بثلاث أيد وثلاث أرجل لما أخل ذلك بهوية الحيوانية، ولا بهوية النوع، ما دام هذا الجمل ابن ذلك الجمل وتلك الناقة السويين. ولكن لو كثرت هذه الظاهرة، وتناسل منها فرقة من الإبل بثلاث أيد وثلاث أرجل لكان العقل مضطرًا إلى تحديد لغوي بمفردة واحدة دالة، أو مفردة مقيدة بوصف أو إضافة يمنع من تحديد كل جمل بيدين ورجلين.

وبنى شيخ الإسلام على دعوى أن قياس الشمول انتقال من الخاص إلى العام القول بأن الدليل أخص من المدلول. ووجه ذلك أن قياس الشمول دليل، وهو انتقال من الأخص، فيلزم خصوصية الدليل. لا أعلم وجهًا لذلك البناء غير هذا. قال رحمه الله: «ولهذا كان الدليل أخص من مدلوله الذي هو الحكم(٤)؛ فإنه يلزم من وجود الدليل وجود الحكم، واللازم لا يكون أخص من ملزومه(٥)، بل أعم منه، أو مساويه، وهو المعنيُّ بكونه أعم.

والمدلول عليه (الذي هو محل الحكم، وهو المحكوم عليه، المخبر عنه، الموصوف، الموضوع) إما أخص من الدليل، وإما مساويه(٦)؛ فيطلق عليه القول بأنه أخص منه، لا يكون أعم من الدليل؛ إذ لو كان أعم منه لم يكن الدليل لازمًا له. وإذا لم يكن لازمًا له، لم يعلم أن لازم الدليل (وهو الحكم)، لازم له؛ فلا يعلم ثبوت الحكم له؛ فلا يكون الدليل دليلاً.. وإنما يكون (إذا كان لازمًا للمحكوم عليه، الموصوف، المخبر عنه، الذي يسمى الموضوع والمبتدأ) مستلزمًا للحكم الذي هو صفة، وخبر، وحكم، وهو الذي يسمى المحمول والخبر.

وهذا كالسُّكْر الذي هو أعم من النبيذ المتنازع فيه، وأخص من التحريم(٧). وقد يكون الدليل مساويًا في العموم والخصوص للحكم ولمحله(٨).

وبأي صورة ذهنية أو لفظية صُوِّر الدليل فحقيقته واحدة. وإن ما يعتبر في كونه دليلاً هو كونه مستلزمًا للحكم لازمًا للمحكوم عليه؛ فهذا هو جهة دلالته. سواء صُوِّر قياس شمول وتمثيل، أو لم يُصوَّر كذلك. وهذا أمر يعقله القلب وإن لم يعبر عنه اللسان؛ ولهذا كانت أذهان بني آدم تستدل بالأدلة على المدلولات (وإن لم يعبروا عن ذلك بالعبارات المبيّنة لما في نفوسهم)، وقد يعبرون بعبارات مبينة لمعانيهم وإن لم يسلكوا اصطلاح طائفة معينة من أهل الكلام، ولا(٩) المنطق ولا غيرهم؛ فالعلم بذلك الملزوم لا بد أن يكون بينًا بنفسه أو بدليل آخر(١٠).

قال أبو عبدالرحمن: المدلول هو الملزوم، وهو المعنيُّ بكونه أعم. وشيخ الإسلام يقدر أن المدلول أعم من الدليل أو مساوٍ له، ويريد أن المستقرأ منه هو الدليل، وهو أخص من مدلوله الذي يندرج في حكمه؛ لأنه يشمل ما لم يُستقرأ بعد مما سيوجد. وقصده من هذا أن القياس المنطقي لا يصلح للبرهان؛ لأنه انتقال من الحكم الكلي إلى الدليل الجزئي.

قال أبو عبدالرحمن: ها هنا أمور يلزم التفريق بينها حتى لا يكون لبس:

أ ـ أن البراهين أنواع.

ب ـ أن القياس من أنواع البراهين إذا كان استقراء لمحصور، وهو أيضًا برهان إذا لم تخرمه المشاهدة، ومنه اليقيني والرجحاني.

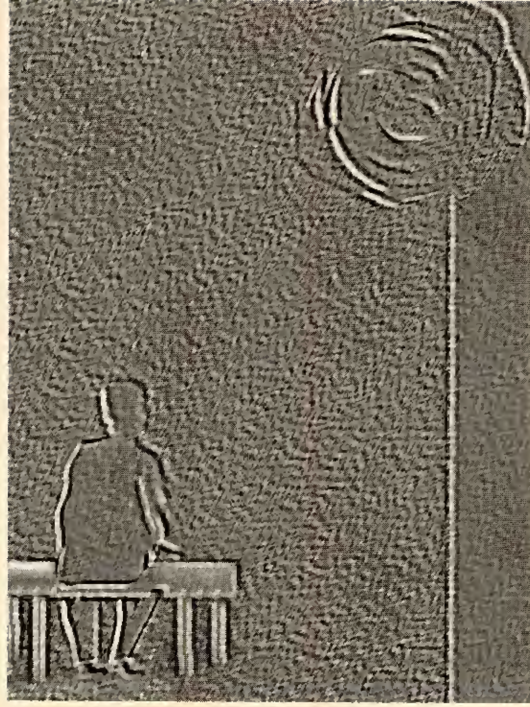
ج ـ أن القياس المنطقي في كلياته تجريد من معروف، وهو تجريد معان معروفة تشترك فيها أشياء معروفة هويتها باللغة؛ ولهذا فليس هو استقراء، ولكن الاستقراء يشهد له ولابد؛ لأن المسْتَقْرَأ ـ بصيغة اسم المفعول ـ مشروط بهويات المعاني التي قد عُرفت بأسمائها اللغوية، فإن شذ المستقرأ الآن عَمَّا عُرف أمس: فمعنى ذلك اختلاف الهوية، فهو غير داخل في الهوية السابقة المحددة لغة.

د ـ أن الاستدلال بالمدلول (الأعم) على الدليل (الأخص) مظهر لصحة الدليل.

هـ ـ أن القياس المنطقي صحيح المعرفة، إلا أنه تحصيل حاصل، وليس علمًا جديداً.

الهوامش:

١ـ وهو الجسمية لهذا الشخص من نوع الإنسان، ولكل شخص وجد أو سيوجد.
٢ـ هنا رجع ابن تيمية من الانتقال من الجزئي إلى الانتقال من الكلي في القياس المنطقي الذي حكم بكلية الحيوانية المشتركة على كلية الإنسانية الأخص.
٣ـ الرد على المنطقين، تحقيق الدكتور رفيق العظم، ١/١٣١.
٤ـ قطع يد السارق حكم، والآية من سورة المائدة دليل، وهذا الدليل خطاب واحد، والقطع وقائع لاتحصى. فهذا خصوص وعموم لدليل ومدلول، إلا أن شيخ الإسلام لا يريد هذا المعنى، وإنما يريد الدليل بمعنى الأمارة، فآثار خطوات الجمل على الجادة دليل على جمل عابر، ويلزم من وجود الأثر (الدليل) مرور الجمل (المدلول)، وشيخ الإسلام يريد بالأخص المعنى المنطقي، وهو أن النتيجة تبع لأخص المقدمتين.
٥ـ اللازم المدلول، وهو مرور الجمل في المثال السابق، والملزوم الدليل، وهو أثر الجرة
٦ـ آية السرقة من سورة المائدة دليل، والقطع حكم، وهذا السارق بعينه مدلول عليه. والنكاح دليل، والإنجاب مدلول، والزوجان مدلول عليه؛ إذ هما محل الحكم. وقد مضى في التعليقة السابقة تحقيق الخصوص واللزوم.
٧ـ النبيذ موضوع الحكم، والسكر دليل الحكم، والحكم التحريم. والسكر يوجد في النبيذ وغيره، فهو أعم من النبيذ. والسكر أخص من التحريم؛ لأن ما هو محرم أعم مما هو مُسكر؛ إذ السكر بعض المحرمات لا كلها.
٨ـ لم يبين شيخ الإسلام أدنى ثمرة لهذا التفصيل.
٩ـ أي: ولا أهل المنطق.
١٠ـ الرد على المنطقين ١/٧٣.



الطمأنينة

شعر:
البدوي الصغير

يَعِنُّ عَلَى بَالِهِم مَا يَعِنُّ ... وَلاَ هَمَّ عِندِي أنَا المُطمئِنُّ

أرَى فِي الجِبَاه حَزِينَ العُيُونِ ... وَرُوحِي نَشِيدُ هَوًى لا يَكِنُّ

أرَى فِي الوُجُوهِ شِتَاء الخَرِيفِ ... وَزَهرُ الرُّبَى فِي دِيَارِي يَمِنُّ

جَمِيلُ الهُدَى يُمطِرُ النفس أُنسًا ... وَيَشكُو الفُؤاد لَدَيهِم، يَئِنُّ

جَحِيمُ الشُّكوكِ يَطُولُ الأمَانِي ... وَيَحلُو بِجَنبِي رَجَاءٌ وَظَنُّ

نَدِيمُ السَّلام، جَلِيسُ السُّكونِ ... وَفِيهِم سَوَادُ الرِّياح يَجِنُّ

يَطُوفُ ضَجِيجُ الوَغَى فِي الصُّدُور ... وَأجرَاسُ عِيدِي تَدِقُّ، تَطِنُّ

يَكِيلُون لِي كَيلَ شَرٍّ يَضُرُّ ... وَهُم فِي ضُلُوعِي قُلُوبٌ تَحِنُّ

وَهم فِي عِدَادِ الوَرَى بَعضُ خِلّي ... وَنَفسِي مَقَامٌ وإنسٌ وَجِنُّ

ولُبنان عِندِي، سَمِيرُ الوُجُودِ ... أكُنُّ لَهُ الرُّوحَ عِشقًا، أكُنُّ..

حوار مع

أستاذ الاقتصاد السياسي
د. فوزي منصور



لا حياد حتى في العلم !!

أجراه من قسم التحرير: **حسين حسن حسين**

يؤدي الاقتصاد دورًا كبيرًا في تشكيل نمط الحياة في العالم، وقد تزايدت تأثيراته مع ما حدث من تقدم مطرد في أشكال الإنتاج والتقنيات، وما ترتب على ذلك من ربط العالم كله بعضه ببعض حتى أصبحت أسواقه تشبه «السوبر ماركت» الذي تتوافر فيه أنواع من السلع المصنعة في بلدان العالم المختلفة.

وأصبح الاقتصاد ـ ببساطة ـ يعني حياة الإنسان بجوانبها كافة، مما يجعل الخوض فيه أمرًا بالغ الصعوبة. لذلك فإن هذا الحوار مع أستاذ الاقتصاد السياسي د. فوزي منصور لم يكن ليحيط بتلك الجوانب كلها؛ وإن كان قد مثل إضاءات لكثير مما لم يفصح عنه لضيق المجال.

ـ يبدو أن مفهوم الاقتصاد السياسي ينطوي على أبعاد تغيب عن كثيرين، فهل يمكن لكم إلقاء بعض الضوء على هذا المفهوم وأبعاده؟

* شاع مصطلح الاقتصاد السياسي منذ النصف الثاني للقرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر. ومع بدايات القرن العشرين تضاءل تداوله تدريجيًا، ليفسح المجال لمصطلح جديد هو الاقتصاد، وأرى أن ذلك راجع إلى أسباب (أيدلوجية)، لأن الاقتصاد السياسي يوحي بالعلاقة الوثيقة بين السياسة والاقتصاد، فهو يكشف تأثيرات السلطة السياسية وقراراتها في تسيير الاقتصاد، وتوزيع الثروة في المجتمع.

وحين تمَّ التحول إلى مصطلح الاقتصاد تحت دعاوى جعل الاقتصاد علمًا منضبطًا تستخدم فيه الرياضيات والآلات الحاسبة والإحصاءات والجداول وما إلى ذلك، نُزع من هذا العلم بُعده الاجتماعي، بوصفه علمًا يتناول علاقة الإنسان بالإنسان، وأساليب توزيع الثروات في المجتمع، وبذلك أصبح الاقتصاد وسيلة للتعمية على الأسباب التي تؤدي إلى التغيرات الاقتصادية الحادة في المجتمع، بدلاً من أن يكون كاشفًا لهذه الأسباب، ومحللاً للواقع الاجتماعي بكل جوانبه.

وللأسف، فإن جامعاتنا انساقت وراء هذا المصطلح المحجَّم لعلم الاقتصاد السياسي، والذي يقصد إلى تفريغه من مضمونه، ليصبح علمًا يتناول الظواهر الاقتصادية بمعزل عن أسبابها، حتى لا تنكشف الأمور على حقيقتها، ولا يُعرف أولئك الذي يتحكمون في دفة الاقتصاد. وهذا لا ينفي وجود بعض الجامعات، حتى في أمريكا ودول أوربا ـ تحتفظ بمصطلح الاقتصاد السياسي.

ـ هل ما حدث من فصل الاقتصاد عن السياسة بالشكل الذي تحدثت عنه، له ارتباط بالاتجاه نحو التخصص الدقيق في العلوم المختلفة؟

* التجزئة ليست خطأ في المنهج، ولكن المشكلة

في أن المقصود منها هو إخفاء الصورة الكلية التي توضح الأمور على حقيقتها. وقد برز اتجاه مقابل لهذا الاتجاه وهو الربط بين العلوم الاجتماعية المختلفة في مجال البحث العلمي، إذ لا يمكن ـ وفق هذا الاتجاه ـ تناول قضية اقتصادية ـ مثلا ـ بمعزل عن السياسة أو علم الاجتماع أو علم الأخلاق أو غيرها من العلوم الإنسانية. ويمنح تطبيق مثل هذا المنهج على وجهه الصحيح عمقًا كبيرًا للبحث العلمي بحيث يأتي متسمًا بالشمول في النظر.

ـ من خلال هذا الاتجاه الذي تطرحه، هل هناك بعد اقتصادي للثقافة؟

* فلنتفق أولاً على أنه لا تَقَدُّم يتم تحقيقه في أي مستوى من مستويات الحياة من غير التقدم في الاقتصاد. وإذا قلنا إن الرابطة الأساسية في عالمنا المعاصر هي رابطة التقدم والتخلف، فلا بد من ربطها بالنظام السياسي، إذ إن هناك ارتباطًا وثيقًا بين السيطرة السياسية والسيطرة الاقتصادية، فسيطرة العالم المتقدم على دول العالم الثالث في الماضي كانت في أسسها سيطرة سياسية، ترتبت عليها السيطرة الاقتصادية.

كما أن السيطرة الاقتصادية تؤدي مباشرة إلى السيطرة السياسية، واتضح ذلك بشكل واضح في النصف الثاني من هذا القرن الذي شهد ثورة علمية وتقنية، ولا سيما في مجال الاتصال. وقد أحكمت بذلك المراكز المتصدرة اقتصاديًا وسياسيًا قبضتها على بقية العالم، وهذا ما يدعونا إلى القول بأنه لا حياد حتى في العلم.

فالدول المتقدمة اقتصاديًا وتقنيًا استخدمت ما توافر لها من تقنيات الاتصال لنشر ثقافاتها وتدعيم مركزها الاقتصادي، وإحكام سيطرتها السياسية، وإن كانت هذه المرة بطريقة غير مباشرة على عكس ما كان في السابق.

وأهم ما يمكن التركيز عليه في هذا الجانب هو ما يتعلق بالثقافة، إذ عملت هذه الدول على توظيف سيطرتها الإعلامية لإشاعة نمط معين من الاستهلاك لا يناسب ظروف الدول المتخلفة، وقد أدى هذا النمط الاستهلاكي الشَّرِهُ إلى انتشار القيم الفردية في تلك الدول، ونتج عنه بروز طبقات وفئات لا همَّ لها إلا الثراء الشخصي بأي وسيلة، ولو كان ذلك على حساب قيم المجتمع ومثله. وهذا بالطبع شكل سافر من أشكال الغزو الثقافي.

وتتضمن المنتجات الثقافية للعالم المتقدم قيمًا تناقض قيم المجتمعات التي تُصدَّر إليها تلك المنتجات، فنجد أن الأفلام والمسلسلات والبرامج التي نستقبلها في عالمنا الثالث محملة بقيم الغرب وتصوراته، بل نجد ذلك حتى في ألعاب الأطفال، وليس التركيز على الرياضة والترويج لها إلا وسيلة من وسائل هذا الغزو.

ولا يعني ذلك أنني ضد الرياضة، ولكنَّ هناك فارقًا كبيرًا بين أن أمارس الرياضة تلمسًا لفوائدها الصحية، وأن أكون سلبيًا، فأكتفي بمشاهدتها على شاشات التلفاز بلا أي حراك ولساعات طويلة، فهذا يمثل تغييبًا للعقل، وإهدارًا للطاقات الذهنية والفكرية من غير فائدة.

أما أخطر مظاهر الغزو الثقافي الذي يوضح الارتباط بين الثقافة والاقتصاد فيتمثل في تصدير النظريات الاقتصادية والسياسية والعلمية التي تتناقض مع مصالحنا، وللأسف هناك من يتلقف هذه النظريات ويعمل على إشاعتها على أنها حقائق لا يجوز نقدها وتفنيدها.

ويمكنني أن أوجز ذلك كله بالإشارة إلى أن السيطرة الاقتصادية تساعد على تحقيق السيطرة الثقافية، كما أن السيطرة الثقافية تؤدي إلى مزيد من السيطرة الاقتصادية، فهما يسيران معًا في اتجاه واحد يصب في مصالح مَنْ لهم أدوات السيطرة ثقافيًا واقتصاديًا لا سياسيًا.

ـ ما أشرتم إليه من تلقف بعضنا للنظريات الغربية وإشاعتها في عالمنا الإسلامي، ألا يعد ذلك دليلاً على غياب الوعي النقدي في المجتمع؟

* لا أريد أن ألجأ إلى التعميم، ولكن الغالبية العظمى من الدراسات الأكاديمية في عالمنا العربي للأسف تقتفي أثر الغرب، وتُضلَّل وتُضلِّل، وأنا لا أدعو إلى لفظ كل ما ينتجه الغرب من نظريات، ولكن أنبه على ضرورة فحصها وتمحيصها قبل الترويج لها، بل إن الرؤية النقدية لهذه النظريات ضرورة حياتية لنا، من منطلق المفهوم القائل «اعرف عدوك»، أما الانغماس فيها والانقياد لها فلا يؤديان إلا إلى مزيد من التبعية.

ومن ناحية ثانية، أنا لست مع أولئك الذين يرون أن هناك حلولاً جاهزة لقضايا العصر ينطوي عليها تراثنا، لأن في ذلك تبسيطًا مُخلاً يُقْصينا عن واقع العصر وتفاعلاته.

وإن النظرة الصائبة لهذا التراث تتمثل في تحليله ومعرفة جوانب تفوقه، وأسباب توقفه عن التجدد الحضاري، وذلك في إطار ثوابت المجتمع وأصوله. أما غير ذلك فيعد ادعاء لا يؤدي إلا إلى مزيد من التخلف، ومن مظاهره. محاولة نسبة كل ما يحدث من اكتشافات معاصرة في العلوم إلينا من دون إقامة الدليل والبرهان.

ـ لماذا توقف العالم العربي عن الإبداع؟

* هذه القضية الكبيرة سبق أن تناولتها في كتاب «خروج العرب من التاريخ»، وتتبعت فيه تاريخ الحضارة العربية الإسلامية منذ ازدهارها وصولاً إلى فترات انحطاطها، وغلبة القوى الأخرى عليها.

ويتصور كثيرون أن اجتياح الغزو التتاري للعالم العربي الإسلامي سبب في تدهوره الحضاري، ولكن قبل ذلك، علينا أن ننظر إلى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تسود في ذلك الوقت، والتي كان من نتائجها غلق باب الاجتهاد، ومصادرة الفكر. فإذا أحطنا بهذه الظروف أدركنا لماذا توقف العقل العربي عن الإبداع.

ـ كيف يمكن للمؤسسات التعليمية، ولا سيما الجامعات، أن تشارك في تفعيل المجتمع العربي؟

* في رأيي أن التعليم الجامعي أصبح يتوسع كميًا من غير أن يكون هناك أي اهتمام بالكيف، وفي هذا لا ألوم الجامعات لأنها تتأثر بالمجتمع الذي تعمل فيه.

ويستحق التعليم الجامعي وقفة تقويمية جادة، لأنه لا يعقل أن تُهدر الإمكانات المادية والطاقات البشرية لتخريج أطباء ومهندسين، يعملون سائقين لسيارات الأجرة أو لأداء أعمال كتابية روتينية لا تحتاج إلى مثل هذا التأهيل.

ألسنا نتفق على أن العلم هو الثروة الحقيقية للإنسان، وأن الإنسان المؤهل هو الثروة الرئيسة التي يملكها أي مجتمع، فلماذا ـ إذن ـ نعد هذه الثروة، ثم نتوه عنها، لنُهدرها فيما لا طائل منه. وهل هذه الجامعات للتباهي بعدد المتخرجين فيها، أم إنها

لا حياد حتى في العلم !!

لإعداد الطاقات البشرية التي تتحمل مسؤوليات التنمية؟ ولا أعتقد أن الجامعات يمكن أن تؤدي دورها الفعال في المجتمع، ما لم تقم في عالمنا العربي قاعدة صناعية عريضة تستوعب الطاقات المؤهلة وتفتح لها المجال للإبداع.

ـ تؤكدون وجود المؤامرة على الأمة العربية والإسلامية، في حين يرى آخرون أن المؤامرة نظرية لا أساس لها، وأنها ليست إلا مشجبًا نعلق عليه أخطاءنا، فما مسوغات رأيك؟

لبيان هذا الرأي، سأضرب مثلاً فيه بعض السذاجة والتبسيط، وهو أنك إذا نظرت إلى قطار يسير، فلابد أن تدرك أن هناك طاقة تحركه سواء كانت طاقة البخار أم الكهرباء، وكذلك التاريخ لا تحركه إلا قوى تشبه قوة الطاقة، وهذه القوى تتمثل في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة، التي تحركها تيارات عميقة، تنقله من وضع إلى آخر.

وهل يمكن أن ننفي وجود مؤامرة ونحن نرى اجتماعات تنعقد ولا تنفض لبحث مشكلة من المشكلات مهما كان صغرها إذا كانت أطرافها من الشعوب المستضعفة، ويتم الإصرار على تنفيذ القرارات التي تتخذ بشأنها، مهما كانت بسيطة، بينما نجد دولة عنصرية تزرع في قلب العالم العربي والإسلامي بمساندة تلك القوى التي تدعي الدفاع عن القيم الإنسانية، وهم حين فعلوا ذلك ادعوا أنهم يتحركون بدوافع إنسانية نبيلة، تتمثل في حماية المضطهدين من اليهود!! تُرى من الذي اضطهد هؤلاء اليهود.. نحن أم هم؟

وقد لا يعرف بعضنا أن فكرة إنشاء إسرائيل لم تكن أبدًا بسبب النازية، وإنما برزت هذه الفكرة منذ عهد نابليون الذي فكر فيها، كما كتب عنها لويس الرابع عشر، ثم بريجستون وزير خارجية إنجلترا الذي كتب لسفيره في الآستانة كثيرًا بضرورة إنشاء وطن لليهود لخدمة أهداف الإمبراطورية، وليكون حاجزًا بين العرب. ولم يكن من قبيل المصادفة أن تكون هذه المراسلات بعد محاولة محمد علي باشا تحريك الأقطار العربية، وإذكاء الدعوة إلى إقامة دولة عربية كبرى. فبماذا تسمي هذا كله؟، هل هناك أحد من علماء اللغة والمعاجم لديه المقابل المناسب لما أسميه أنا بالمؤامرة.

ـ بعض الآراء تقول إن الغرب ليس غربًا واحدًا، ومن ثم ينبغي ألا يكون تعاملنا معه على مستوى واحد، حتى نستطيع استقطاب بعض الجماعات في الغرب لتقف إلى جانب قضايانا؛ إلى أي حد نتفق مع هذه الآراء؟

* مقولة أن الغرب ليس واحداً يماثل تلك المقولة الأكثر انتشارًا، وهي أن هناك إسرائيليين صقورًا وآخرين حمائم، وتطلق صفة الصقور على أولئك الذين يرونهم متشددين، بينما يقصدون بالحمائم أولئك الذين يصفونهم بالاعتدال والدعوة إلى السلام. وأنا لا أريد نفي وجود مثل هذه التيارات المتباينة بالمجتمع الغربي، ولكنني أسأل عن مدى تأثير أولئك الذين يناصرون القضايا العربية في موازين القوى السياسية في مجتمع مثل المجتمع الأمريكي الذي تتحكم فيه المصالح. كما أرى أن الاعتماد على القوى الذاتية أهم أداة للتأثير في الآخرين، ولن تكون لنا كلمتنا في هذا العالم ما لم نأخذ بأسباب القوة، وعندئذ سوف يسمعنا من لا يريد الاستماع إلينا اليوم، ونحن نشجع بذلك الذين يؤيدوننا لترتفع أصواتهم في مجتمعاتهم انتصارًا للحق، بدلاً مما هم عليه من ضعف الآن، وهم بذلك يستمدون منا قوة التأثير، ولسنا نحن الذين نستمد منهم هذه القوة.

ـ في ظل هذا الواقع المعيش، كيف تنظرون إلى المستقبل؟

المستقبل لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا ظللنا على ما نحن عليه الآن من فرقة وشتات، فإن المستقبل سيكون غامضًا، وسنضيعه كما أضعنا ما يقرب من نصف قرن مضى على بدء استقلال الدول العربية. وبيدنا ـ وبعون الله ـ تحويل مسار هذا المستقبل من الضياع إلى الكسب والازدهار.

ـ أين موقع المثقف العربي في المشاركة في رسم ملامح هذا المستقبل؟

* هناك تعريفات كثيرة للمثقف يتم تداولها في الدوائر الأكاديمية، أما تعريفي الخاص للمثقف فهو أنه ذلك الإنسان الذي يوحّد بين همومه الشخصية وهموم أمته العربية الإسلامية، فينعتق من الهم الذاتي الضيق، ويتوحد مع الهم العام فيكون شاغله في كل لحظة من لحظات حياته، ومن لا ينفك من التمحور حول الذات لا يمكن وصفه بالمثقف، حتى ولو قرأ ألف كتاب أو أنشد ألف قصيدة أو حصل على أكوام من الشهادات.

وهذا المثقف الذي أعنيه هو وحده الذي يستطيع أن ينشر الوعي في المجتمع، وينبهه على قضايا العصر، ويدله على المسلك الذي عليه أن يسلكه في ظل انتشار قيم منفعية بحت، حتى يستطيع أن يحقق مصالحه، ويصل إلى أهدافه.

الأستاذ الدكتور فوزي مختار محمد منصور

ـ مواليد الجيزة، مصر، ١٩٢٤م.

ـ حاصل على ليسانس الحقوق بدرجة امتياز من جامعة القاهرة عام ١٩٤٥م.

ـ نال دكتوراه الاقتصاد السياسي من جامعة أدنبرة عن موضوع «التطور الاقتصادي للبلدان النامية في إطار الاقتصاد العالمي» عام ١٩٥١م.

ـ يعمل حاليًا أستاذًا غير متفرغ للاقتصاد السياسي بكلية الحقوق، جامعة عين شمس.

ـ عمل مدرسًا بكلية الحقوق بجامعة الاسكندرية في المدة (١٩٥١ ـ ١٩٥٤م).

ـ عمل محاميًا، ومستشارًا علميًا للجمعية المصرية للاقتصاد والإحصاء والتشريع؛ وأستاذًا غير متفرغ بالمعهد العالي للدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية في المدة (١٩٥٥-١٩٦٥م).

ـ عمل أستاذًا، ثم مديرًا للمعهد العالي للدراسات الاشتراكية؛ وأستاذًا ورئيس قسم الاقتصاد بكلية الحقوق، جامعة عين شمس؛ ومديرًا لمعهد بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس؛ وعضوًا بالمجلس الأعلى للعلوم الاجتماعية بمصر وذلك في المدة (١٩٦٥ ـ ١٩٧٤م).

ـ عمل أستاذًا ورئيس هيئة التدريس بمعهد الأمم المتحدة للتنمية والتخطيط في المدة (١٩٧٤ ـ ١٩٨٤م).

من مؤلفاته:

ـ تطور النظام المالي المصري ١٩٧٠م.

ـ نظرية الثمن ١٩٧١م.

ـ العلاقات الاقتصادية الدولية للبلدان النامية ١٩٧٢م.

ـ مبادئ الاقتصاد السياسي للبلدان النامية ١٩٧٣م.

ـ ثورة العالم الثالث واستراتيجية النمو المعتمد على الذات والمتمحور حولها ١٩٧٦م.

ـ خروج العرب من التاريخ ١٩٩١م (وقد نشر أيضا تحت عناوين مختلفين باللغتين الإنجليزية والفرنسية).

ـ له عشرات الأبحاث والمقالات العلمية في مختلف الموضوعات الثقافية والاقتصادية والسياسية المنشورة في الدوريات والكتب العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية.

قصة قصيدة

يسألونك ٢/٢

د. محمود جبر الربداوي

هذه القصيدة توقفنا على الملاحظات النقدية التالية:

الملاحظة الأولى: أنها خرجت عن النهج التقليدي الذي سارت عليه القصيدة العربية طوال عصور عدة وقرون طويلة، هذا النظام الذي رصد أقسامه ابن قتيبة وهو يتحدث عن شكل القصيدة العربية، كما سمع من شيوخه يعللون أسباب إيراد أقسامها؛ بدءاً من الأطلال والوقوف عليها والتغزل بصويحباتها ووصف راحلاتهن ورحلتهن، وانتهاءً بالحكمة التي تُجعل مسك الختام في كثير من القصائد، ومروراً بالغرض الأساسي الذي أُنشئت القصيدة من أجله كالمدح والفخر والهجاء وغيرها. ولاحظنا أن قصيدتنا هذه خلت من المقدمة الطللية، أو المطلع الغزلي، وما يستتبعه من وصف رحلة وراحلة، بل ابتدأت مباشرة بالموضوع الأساسي الذي هو الفخر بالقيم التي كانت موضع الفخر في تلك الأيام. فهل يجوز لنا أن نفترض أن ثمة مقدمة غزلية أو طللية، ولكن الرواة الذين نقلوا لنا القصيدة أضاعوا هذه المقدمة؟ ليس عندنا ما يعزز هذا الفَرَض إلا ما نلحظه من فقدان التصريع في البيت الأول من هذه القصيدة، وهو تقليد فني محض يكاد يكون ملازماً للبيت الأول من مطالع القصائد العربية، يصطنعه الشاعر في البيت الأول من قصيدته وهو في أزمة البحث عن القافية المنشودة، والإيقاع الموسيقي الذي يتقمصه البحر العروضي الذي يهتدي إليه الشاعر عند اهتدائه للبيت الأول في منظومته. فالتصريع - على بساطته - يقوم بدور الإيقاع المقفى الذي يُرهص لجميع أبيات القصيدة، ويظل الشاعر المُقْدِم على نظم القصيدة، قبل أن يهتدي لاختيار بحر قصيدته وقافيتها كالقارب التائه عن المرفأ، فإذا وجده - وهذا ما يتضمنه التصريع - أصبحت الطريق أمامه مستوية لاحبة.

قلتُ: إن الأطلال والغزل بالمرأة قد فُقدا في مطلع هذه القصيدة، ولكن شبح المرأة لم يُفقَد لا في أول القصيدة ولا في آخرها، أليس في البيت الثالث يقول:

تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عديدنا
فقلت لها: إنّ الكرامَ قليلُ

وبعض المصادر يجعل هذا البيت أول أبيات القصيدة، ومهما اختلفت المصادر فإنها تتفق على أن القصيدة تُختَتم بقوله:

سَلِي، إنْ جَهِلْتِ، الناس عنا وعنهم
فليس سواءً عالمٌ وجهولُ

فالشاعر لم ينس المرأة في أول القصيدة ولا في آخرها، فشبحها ماثل أمام عينيه، ولكن رؤيته للمرأة تختلف عن رؤية غيره من الشعراء الآخرين، فقد جاءت عند أكثرهم، أو جاءت أطلالها مصدر إلهام شاعري، تغزل بها الشاعر «ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأن التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء»(١٩) على حد قول ابن قتيبة.

ولكن عند شاعرنا هذا جاءت المرأة مُعيِّرة معاتبة، وإن شئت فقل: متحدية، وهو موقف أشرف من موقف المرأة المُتَغَزَّل بها، ولهذا جاء موقف شاعرنا ليس بموقف الرجل المتهالك المتباكي على الأطلال، وإنما موقف الرجولة المشوبة بالكبرياء والشَّمَم، ولهذا جاء فعل الأمر (سلي)، وبأسلوب رقيق جداً اتهمها بالجهل عندما قال: فليس سواء عالم وجهول. هذا الشطر، على الحكمة التي تتراءى بين كلماته، إلا أن ثمة ظلالا من الاتهام بالجهل تتراءى أيضاً بين معانيه.

الملاحظة الثانية: تتلخص بأننا ما دمنا نفينا عن هذه القصيدة أنها سارت على النهج التقليدي الذي مؤداه تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة، فلذا يمكننا أن نصفها بما سماه النقاد بـ (وحدة الموضوع) لأن كل أبيات القصيدة التي تُربي على عشرين بيتاً تدور في فلك غرض واحد هو الفخر، فإذاً تنتظمها وحدة موضوع هي الفخر. صحيح أننا نلمح فيها أيضاً (وحدة البيت) إذ يقوم كل بيت بفكرة قائمة بذاتها، ويصلح أن ننتزع البيت من القصيدة ونتمثل به حكمة مستقلة أو مثلاً شارداً، ولكن مع ذلك يُشَكِّل البيت مع الأبيات التي قبله والأبيات التي بعده وحدة موضوعية، ولعل السبب في ذلك أن القصائد التي سارت على ما يسمى في النقد بـ (عمود الشعر) - وهذه واحدة منها - تتوخى الخصائص التي يتطلبها عمود الشعر في القصيدة، ولو تساءلنا: ما خصائص عمود الشعر هذه؟ لأجابنا المرزوقي الناقد الذي قنن قوانين عمود الشعر وقعّد القواعد لها فقال عنه: «إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف - ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات - والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر..» الخ(٢٠). أليست عناصر عمود الشعر متوافرة في هذه القصيدة العمودية؟!

ولو بقينا في إطار وحدة الموضوع لقادنا إلى أن وحدة الموضوع تستتبع (الوحدة النفسية) في القصيدة، والوحدة النفسية واضحة في هذه الأبيات، فالعاطفة التي حفزت الشاعر إلى نظم القصيدة هي عاطفة الفخر والاعتزاز، وهي تلف الأبيات من أولها إلى آخرها، وهي عاطفة تتسم بالعمق لمسحة الصدق التي تغلفها، وقد نتهم العاطفة في القصيدة المدحية بالسطحية ونلتمس العذر لذلك الشاعر بما تستلزمه

ضـرورات المجـاملـة، إن لم نقل ضـرورات العـيش ومتطلبات التكسب، ولكن قائل القصيدة الفخرية ليس مـضطرًا لشيء من ذلك، لذا نحكم على العـاطفـة عند الشاعر المفتخر بأنهـا أقرب ما تكون إلى الصدق. نقول هذا مع اعترافنا بأن القَدْر العقلي في هذه الأبيات أوفر من القَـدْر العاطفـي فيـها، فطابـع المعاني الصـادرة عن العـقل يغلب علـى طابع العـاطفـة الصـادرة عن القلب والوجدان، ولهذا السـبب اقتربت أبيات قـصيدتنا هذه من الحكمة، ولهذا السبب أيضًا وضـعها ابن طباطبا في كتابه (عيار الشعـر) في (الأشعار المحكمة) التي قدّم لها بقوله: إنها «المتقنة، المستوفاة المعاني، الحسنة الوصف، السلسـة الألفـاظ، التي خـرجت خـروج النثر سـهـولة وانتظامـا، فـلا استكراه في قـوافـيـهـا، ولا تكلف في معانيها، ولا عيّ لأصحابها فيها»(٢١).

ولكل هذه الخصائص التي توافرت فيها سارت على كل شـفة ولسـان، وانتـشرت انتـشـار الأمثـال. ونظرًا لشهرة القصيدة وقـرب معانيها من النفس وأفكارها من العقل اكتسبت الخلود، ولاقـت القبول حتى في نفوس الشـعـراء اللاحـقين، فهـذا صـفيّ الدين الحلّي يدفعـه إعجـابه بها إلـى أن يُخَمِّسها شـعـرًا فـيقـولَ في مطلع تخميسه لها:

قـبـيحٌ بمن ضــاقت عن الـرزق أرضـه
وطول الـفـلا رحب عليــه وعــرضــه
ولم يُبْلِ سـربـال الدجى منه ركـضــه
«إذا المرء لـم يدنس مـن اللؤم عــرضــه
فكل رداء يـرتديه جـمـيـل»
إذا المرء لم يـحـجب عـن العين نومــهـا
ويُغْلِ مـن النفس النـفـيـسـة سَـوْمَـهـا
أُضِـيعَ ولم تأمن مــعـــاليــه لَوْمَـهــا
«وإن هو لم يحـمل عـلى النفس ضـيـمـهـا
فليس إلى حسـن الثناء سـبيل»(٢٢)

ولو سألنا ابن قتيبة أين يضع هذه الأبيات من أقسام الشعـر الأربعـة لما تـردد أن يقـول: في الضـرب الذي حسن لفظه وجـاد معناه، لأن السمـات التي يفترضـها ابن قتيبة في هذا الضرب متوافرةٌ فيها، مع أن قائل هذه القـصيـدة خالف الشـرط الذي اشتـرطه ابن قتـيبـة في الشاعر المجيد عندما قال: «فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعـدّل بين هذه الأقسام، فلم يجـعل واحدًا منهـا أغلب على الشـعر»(٢٣)؛ لأن الشـاعر أصـلاً لم يتقيد بـالتقسيم الذي قسّمـه مُقَصِّدُ القصيـد ـ كما مر معنا.

الملاحظة الثالثـة: تتلخص بأننـا إذا سلّمنا بأن هذه القصيدة للسـموأل ـ وهو أحد الشعراء اليهـود كما قرر ابن سـلام ـ فـهل نستطيع أن نلمس فـيهـا من المعـاني والألفاظ ما يدل على يهـودية صاحبها؟ القراءة الدقـيقة تجيب بأنه لا يوجد ذلك من قـريب أو بعيد. ولكن رُبَّ معـترض يقول: ربما كانت هنـاك أبيات فيهـا مثل تلك المعـاني اليـهودية، ولـكن الرواة الذين حـملوا إلينا هذه القصيدة وأمثالهـا أسقطوها بعد أن جاء الإسلام وَجَبَّ ما قـبله، مثلمـا أسقط الرواة الشعـر الذي فيـه إشارات لعبادة الأصنام، إذ ليس من المعـقول أن العرب لم يقولوا شكلاً من أشكال الشعر في مـعبوداتهم تلك، ولكنّ ما بأيدينا منه يكـاد يكون معـدومـًا، وليس لذلك تفـسير سوى أن الرواة أو المدونين غضّوا الطرف عن نقل الشعر ذي الطابع الوثني، وتحرَّجـوا من رواية الشعر الذي فـيه إشارات إلى عـقائد أهل الكتاب من نصـارى ويهود إلا ما ورد لماما، كقول النابغـة الذبياني في مدح الغساسنة النصارى إذ قال:

رِقــاق الـنِّعـــال طيّبٌ حُــجُـزَاتُـهُمْ
يُحَـيَّـونَ بالـرَّيْحـان يومَ السـبــاسب

ويشرحون يوم السبـاسب بأنه: أحد الشعانين الذي يحـتفل فيـه النصارى ويتـهادون حُزَم الرَّيحان، ولكنَّ مـثل هذه الإشـارات العَقَـدية قليل وروده في الـشعـر؛ للمـعنى الذي فسرنا به قـبل قليل. وإذا كانت المعـاني اليـهودية والتـقاليـد والعادات العربية؛ كـالحفـاظ على العـرض، وحمـاية الجار، وتحمل المكروه لكسب الثناء وغَيرها، مما لا نعرفـه من سجـايا اليـهود عبر التـاريخ اليـهــودي كله، وإذا صَحَّ وكـانت هذه القـصـيـدة للسمـوأل فلا نستطيـع أن نفسر ورود مـثل هذه المعاني في شعره إلا أنه عاش في البيـئة العربية، وجاور العرب، وسمع القبائل العربية تتـغنى بمثل هذه السجايا وتتمدح بمثل هذه الشـيم، فنسج مـعانيـه على منوال مـعانيـهم، واصطنع في الفـخـر ما يصـطنعه العـرب في مـثل هذه المواقف، ولهذا جـاء شعره عامة وشـعر أبناء جلدته من اليـهـود لا يخـتلف عن شـعر العـرب الأقـحـاح فكرةً وأسلوبـًا. على أنه يجـب ألا تغـيـب عن أذهاننـا بعض العبارات التي يشهد فقهُـها أنها ليست جاهلية وليست يهـودية كـقــوله: ومَـا مـات منا سيِّــدٌ حـتفَ أنفـه. فـالسيـوطي في المزهر يقـول: إن عـبارة (حـتف أنفـه) إسلامية، أول من أطلقها الرسول صلى الله عليه وسلم. ويسـتـفيد البـاحثـون من هذه اللفتة البـارعة ليـقولوا إن القصيدة ليست للسـموأل، وإنما هي لعبدالملك الحارثي الذي استعمل هذه العبـارة بعد أن شاع استعـمالها بعد صـــدر الإسـلام. والـذي ينعم الـنظر في بعض صــور القصيدة يجد صـورةً أصلها إسلامـي أيضًا، وهي التي نلمحها في قوله:

رســا أصلـه تحت الثـرى وســمـــا بـه
إلـى الـنـجـم فــــرع لا يُـنـال طـويـلُ

فقد ورد في القرآن قوله تعالى: *ألم ترَ كَيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مثلاً كلمةً طَيِّبةً كشجرة طَيِّبة أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّـمـاء.* **إبراهيم**:٢٤. دقِّق النظر في الصـورتين تلمح التشـابه بينهما، فـإذا صَحَّ هذا التأويل يكون هذا البـيت والذي قبلـه ـ إذ البيت الثـاني صـفة للجبل في البيت الأول ـ بيتين إسلاميين أيضا، يؤيد هذا التأويل ما ذهب إليـه ياقـوت الحـموي في مـعجـم البلدان وهو يتحـدث عن الأبلق الفَرْد(٢٤) ويصـفه بأنه مـبني على كومة من التراب، فـأين ذاك الجبل الشامخ الذروة الذي يرد الطرف وهو كليل؟ اللهم إلا إذا كانت هذه شطحة من شطحات الشعراء وصـورة من صور المبالغة عندهم. وثمة صورة إسـلامية ثالثة تضمـنها البيتان الثـالث عشر والرابع عشر حيث قال:

صَـفَـــوْنـا فلم نـكدر، وأخلص ســرَّنا
إناثٌ أطابت حـــمـلنـا وَفـــحـــولُ
علونا إلـى خــيـــر الظُّـهــور وحطَّنا
لـوقت إلـى خـيــــر الـبطون نـزولُ

فهذه الصورةُ نلمحها تتردد في كتب السيرة النبوية عندما تتحدث عن نسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأجداده وجـداته إلى أن تنتهـي بالقول إنه: «خـيار من خـيـار»، غـيـر أن هذا المعنى لـيس بالضـرورة أن يكون إسلاميًا محضـًا، فـهو معنى إنساني يمكن أن يهتدي إليه الشاعر وغير الشاعر.

الملاحظة الرابعـة: تكمن في أسمـاء الأعلام الثـلاثة التي نقع عليـهـا في القـصـيـدة، ولنبـدأ بـ (بني الرَّيَّان) الواقعـة في البيت الذي ختم به القصيدة، فـالمحقـقون يرون أنهم (بنو الدَّيَّان) وليسوا (الرَّيَّان) ويقولون إنه وقع تصحيف في حروف الكلمـة. وخطر التصحيف شيء قد نبـه عليه ابن سلام في مقـدمة الطبقات حيث قال: «وقـد تداوله [أي الشعـر في مـرحلة التدوين] قـومٌ من كـتاب إلـى كـتـاب، لم يأخـذوه عن أهل البـادية، ولم يَعرضـوه على العلمـاء، وليس لأحـد ـ إذا أجـمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه ـ أن يقبل من صحيفة، ولا يُروى عن صُحُفي»(٢٥). فما توقعه ابن سلام حصـل لبني الديان إذ صُحِّف الاسم إلى بني الريان وحفظـها الناس كذلك. فـمن هو (الدَّيَّان)؟ إنه: يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث الأصغـر، وتحقيق هذا الاسم يجعلنا نميل لنسبة القصـيدة لعبدالملك الحارثي لا

قصة قصيدة

للسموأل. وبخاصة إذا أدركنا أن عبدالملك كانت يفد على بلاط الخلافة في عهد هارون الرشيد، وأنه هو وقومه بني الديان كانوا قطب الرحى بالنسبة لبني الحارث، فهذا برهان يجنح بنسبة القصيدة إلى عبدالملك. والعَلَمان الآخران الواردان في البيت التاسع:

وإنا لقوم لا نرى القتل سُبَّةً
إذا ما رأته عامر وسَلُولُ

وقد جهدتُ في معرفة هاتين القبيلتين، فأوقفني البحث على أن (عامر) المراد به قبيلة عامر بن صعصعة، و(سلول) هي قبيلة مرة بن صعصعة أخي عامر، نُسبت هذه القبيلة إلى أمهم سلول بنت ذُهل بن شيبان. ولكني لم أهتد إلى السبب الذي جعل الشاعر يُعرِّض بهاتين القبيلتين اللتين وصفهما بالجبن وتحاشي الدخول في الحرب والموت والمعركة؛ اللهم إلا إذا تصورنا أن المرأة التي تعيره بقلة عدد قومه امرأة تنتمي إلى هاتين القبيلتين أو إحداهما.

والخلاصة التي نتهي إليها من استعراض هذه الأبيات والنقد المنصب عليها نوجزها في النقاط الآتية:

أولاً: إن القصيدة ليست للسموأل كما يزعم بعض متطرفي المثقفين اليهود ومنهم إسرائيل ولفنسون - ابن ذؤيب - والمحامي المصري مراد فرج الذي تشبث بهذه القصيدة وببعض أبيات مثلها تُنسب لشعراء يهود وألف كتابًا سماه «الشعراء اليهود العرب» طُبع سنة ١٩٢٩م في القاهرة، وقدمه هدية إلى جمعية المباحث التاريخية الإسرائيلية بمصر. وإنما القصيدة للشاعر عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي. يؤيد ذلك أن كثرة من المؤلفين الثقات نسبوها إلى عبدالملك الحارثي مثل أبي تمام في الحماسة، والمرزوقي والتبريزي في شرحيهما على الحماسة، مع أن الأخيرين تحفظا فقالا: «وتُنسب للسموأل أيضا»، ومثل ذلك قاله أبو العلاء المعري في شرح الحماسة. وصرح بنسبها للحارثي ابن طباطبا صاحب «عيار الشعر» وابن حجة الحموي صاحب «تأهيل الغريب»، وغيرهم آخرون. ولكي ننصف السموأل يمكن إن نقول إن له بعض الأبيات على القافية اللامية المضمومة والبحر الطويل اختلطت في أذهان الرواة بلامية الحارثي، ثم جاء بعد ذلك أناس (في قلوبهم مرض) فنسبوا القصيدة كلها للسموأل.

ثانيا: ليس عند الباحثين شك في أن اليهود استوطنوا بعض الأماكن في الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام، ولكن هذا الاستيطان استيطان طارئ، وفي أماكن محدودة من شمالي الجزيرة العربية، كتيماء وفَدَك وخيبر ويثرب، ولم يتجاوز وجودهم شكل (الجاليات اليهودية) التي هربت من اجتياح القائد الروماني تيتوس حيث تفرقوا في أرض الله الواسعة، وتوجهت بعض قبائلهم إلى شمالي الجزيرة العربية ويثرب. وفي يثرب تجاوروا مع الأوس والخزرج حتى كان ما كان من كبير اليهود (الفيطون) من تَعَدٍّ على أعراض العرب؛ دَفَع هذا الطغيانُ اليهوديُّ «مالكَ بنَ عجلان» العربيَّ أن يقتل الفيطون وأن يتحالف مع أبي جبيلة الغساني للوقوف بوجه طغيان اليهود بيثرب. ولم يتخلص العرب من طغيانهم نهائيًا إلا بعد مجيء الإسلام وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب.

ثالثا: من المُسَلَّم به تاريخيًا وأدبيًا أن أمرأ القيس قد مر بتيماء وهو في طريقه إلى قيصر ملك الروم في القسطنطينية ليستعين بجيش من عنده يحارب به العرب، وقد أشار عليه أعوانه بإيداع سلاحه وأمواله وحتى ابنته (هند) عند السموأل، وقد لاقى هذا الاقتراح قبولاً في نفس امرئ القيس، لا لوفاء توسمه في السموأل - كما يُرَوِّج لذلك بعض الباحثين المغرضين - ولكن لأن السموأل كان يقيم بالأبلق الفرد وهو حصن محصن بسور عظيم، فهذا يجعل أسلحة امرئ القيس - بنظره - في مأمن من النهب والإغارة، وهي خاصة لا تتمتع بها خيام العرب الرحل المُعَرَّضة للغزو والنهب، فأودع امرؤ القيس أسلحته وأمتعته وأمواله وإبله وخيله وشاءه، وكل ما ورثه عن أبيه الملك، وحتى ابنته هند عند السموأل، وتخفف من كل ذلك وواصل مسيرته إلى قيصر، فوعده هذا بجيش سيتبعه، ولكن دبر له مكيدة أودت بحياة امرئ القيس فمات ودُفن في أنقرة. ثم تأتي الرواية لتقول إن الحارث بن ظالم غزا السموأل مطالبًا بأسلحة امرئ القيس، وتخلص الرواية إلى أن السموأل رفض أن يسلم أسلحة امرئ القيس وأمواله للغازي، وجرت محاورة حول الأسلحة بين الغازي والمغزو انتهت بأن قتل الحارث ابنًا للسموأل ظفر به خارج الحصن واتخذه رهينة، ففسر الناس هذا العمل من السموأل وفاء. ولا ننفي أن يكون هذا الصنيع ضربًا من ضروب الوفاء لخصائص فردية تميز بها السموأل شخصيا من بين قومه اليهود الذين اشتهروا بالغدر على مر التاريخ. وقد نفسره بأنه موازنة بين أن يُضَحّي بابنه الرهينة بيد خصمه أو يُضَحّي بأسلحة امرئ القيس وأمواله ومتاعه وابنته هند، فآثر التضحية بابنه، الذي كان له بنون غيره، وأن نساءه يُعَوّضنه سواه، كما صرّح بذلك الأعشى على لسانه في الرائية حيث قال:

وسوف يعقبنيه - إن ظفرتَ به -
رَبٌّ كريمٌ وبيضٌ ذات أطهار

والحقيقة أن قصة الدروع والوفاء كانت يمكن أن تمر مرورًا عاديا كعشرات القصص أمثالها، ولكن الذي أشاعها في الجزيرة العربية الشاعرُ الأعشى الذي أسره رجل من (كلب) لأنه كان قد هجاه، فاستنجد الأعشى بشُريح بن السموأل لينقذه من موت محقق على يد الكلبي، واستجدى الأعشى شُرَيحًا بقصيدة لم يجد ما يمدحه بها سوى وفاء أبيه فذكره بهذا الوفاء، وبالغ بوصف هذا الوفاء، حتى حمل شريحا على إنقاذه، فأخذ الأعشى، حيثما حَلَّ، يردد أبيات القصيدة ويُشيد بوفاء السموأل - والأعشى صَنّاجة العرب(٢٦) - فغدا السموأل بعد هذا مضرب المثل بالوفاء، وتلقف المقولة بعد الأعشى أناس من يهود رسخوها وأشاعوها.

رابعًا: لهذه القصيدة مزايا كثيرة يهتم بها الناقد لأنها حقل خصب للنقد الفني والتاريخي والاجتماعي والديني، وما قلنا في نقدها يحتمل المزيد من التعمق لو كان الوقت يسمح بذلك.

في الختام لابد من الإشارة إلى لامية السموأل الثانية التي تؤيد ما ذهبنا إليه من أن السموأل نسب إليه (من في قلوبهم مرض) شعرًا لم يقله، ونحلوه أبياتًا لا تصمد على البحث والتوثيق، من ذلك القصيدة اللامية التي اكتشفها المستشرق هرشفلد «تلك القصيدة التي ليس لها ذكر في كتب العرب، ولا شبهة في أن ناظمها يهودي»(٢٧). اكتشفها هرشفلد في إحدى المخطوطات العبرانية مكتوبة شعرًا عربيًا بحرف عبري [ولليهود آثار كثيرة مخطوطة كلماتها عربية مكتوبة بحرف عبري]. وهذه القصيدة الثانية المنسوبة للسموأل مضطربة الوزن ركيكة المعنى، أثبتها مرغليوث في مجلة الجمعية الآسيوية الإنجليزية، نيسان/أبريل ١٩٠٦م، ص٣٦٣، بحروف عربية وبوزن شعري تداخلت فيه البحور. ثم ترجم أبياتها إلى الإنجليزية. والنص العربي - كما أورده مرغليوث - رديء الفكرة والأسلوب. نذكر مطلعه لنوازن هلهلة الأسلوب فيه مع ما يُنسب للسموأل. يقول:

ألا أيها الصفّ الذي عاب سادتي
اسمع جوابي لست عنك بغافل
وأحصي مزايا سادة بشواهد
قد اختارهم رحمانهم للدلائل

وعندما نُشرت القصيدة في مجلتي المقتطف والمشرق(٢٨) سمع بها القس داود أرميا مقدسيلو فتذكر أن لديه نسخة مضبوطة الوزن واللغة من قصيدة السموأل، فأقدم على نشرها في مجلة المشرق، السنة التاسعة، ١٩٠٦م، ص ٦٧٤-٦٧٥، وعدة أبياتها ٢٥ بيتًا، صحيحة الوزن إلى حدٍ ما، مطلعها:

ألا أيها الصنف الذي عاب سادتي
ألا اسمع جوابي لست عنك بغافلِ

وختم القصيدة بقول السموأل:

وفي آخر الأزمان جاء مسيحنا
فأهدى بني الدنيا سلام التكامل

ففرح بهذا البيت الأخير لويس شيخو فرحًا شديد، وقال: «إن السموأل نصراني لا يهودي [بدلالة هذا البيت] ولاسيما أن أصله من بني غسان، وبنو غسان نصارى»(٢٩). والذي يقرأ هذه القصيدة المنسوبة للسموأل، ويوازن أسلوبها بأسلوب ما نُسب إلى السموأل من شعر سينفي بعضه ببعض، أما إذا وسّعنا نطاق الموازنة بين اللاميتين من جهة، وما نُسب إليه من تائيات من جهة أخرى، وجدنا أنفسنا وقد اتسع الخرق على الراقع، فعندئذ لا يسعنا إلا أن نُقر الدكتور فضل العماري على أن السموأل شخصية وهمية أوجدها اليهود وألصقوا بها هذا الشعر المتفاوت لغة وفكرة وأسلوبًا، أو نقر الدكتور طه حسين على مقولته التي صرّح فيها بنحل الشعر لأسباب كثيرة أهمها الأسباب الدينية.

آمل أن تكون هذه الإجابة الموجزة، التي سمحت بها طبيعة زاوية قصة قصيدة، قد وضّحت السؤال بالكشف عن جانب من جوانب تراثنا الذي شرع الشباب الواعي من هذا الجيل يتحرون فيه الحقيقة العلمية والتاريخية والاجتماعية، ومنهم الأستاذة حنان.

الهوامش:

١٩- الشعر والشعراء ١/١٠٤.
٢٠- مقدمة حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ٨.
٢١- عيار الشعر لابن طباطبا ٨٢.
٢٢- ديوان صفي الدين الحلي ٩٣.
٢٣- الشعر والشعراء ١/١٠٥.
٢٤- معجم البلدان لياقوت الحموي، مادة الأبلق.
٢٥- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٧.
٢٦- سيرورة شعر الأعشى والترويج لصفة الوفاء عند السموأل، تؤيدها سيرورة شعره في المحلق وتزويجه لبناته الأربع.
٢٧- المقتطف، عدد مايو/آيار ١٩٠٦م، ص٤٠٣.
٢٨- المقتطف، عدد مايو/آيار ١٩٠٦م، ص٤٠٣، والمشرق، السنة التاسعة، ١٩٠٦م، ص٤٨٢.
٢٩- المشرق، السنة التاسعة، ١٩٠٦م، ص٦٧٥.

أقوال وخواطر

داء الضرائر!!

د. نوره الشملان

كنت أنتظر دوري في عيادة أحد المستشفيات وبجانبي فتاة لا يتجاوز عمرها الخامسة والعشرين. كانت في حالة شديدة من الضيق، فدفعني فضولي وشفقتي عليها أن أبدأها بالحديث، وإذا بها تنطلق شاكية باكية تلك الحياة التي تحياها مع ضَرَّتها التي تفوقها سنًا وتجربة، ولم يشفع لها شبابها وحب زوجها لها في إضفاء السعادة على حياتها، وتحدثت كثيرًا عن سوء المعاملة التي تلقاها من ضَرَّتها.. وللأمانة فقد كنت متعاطفة مع الزوجة الأولى، ولم تستطع تلك الفتاة أن تسلب مني ذلك التعاطف.. فأيًا كان الأمر فهي الجانية والأخرى المجني عليها والعرب تقول: «والبادئ أظلم».

وتخيلت حياة ذلك الزوج بين امرأتين متنافرتين، وتمثّل لي شعر قرأته في أمالي القالي عن زوج أراد أن يتزوج ليحظى بالرعاية المزدوجة فكان نصيبه النكد المزدوج، وقد عبَّر عن حاله تلك بالقول:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي
بما يشقى به زوجُ اثنتين
فقلت: أصير بينهما خروفًا
أنعم بين أكرمِ نعجتين
فصرت كنعجة تضحي وتمسي
تُداوِل بين أخبث ذئبتين
رضا هذي يُهيّج سخطَ هذي
فما أعرى من احدى السخطتين
وألقى في المعيشة كلِّ شرٍ
كذاك الضرّ بين الضرَّتين
لهذي ليلة ولتلك أخرى
عتاب دائم في الليلتين

بودي أن أضع هذه الأبيات أمام كل زوج يفكر لغير سبب منطقي في الزواج من أخرى.

إن عداء الضرائر كان مثلاً كقول أحدهم:

إنّا وباهلة بن أعْصُر بيننا
داءُ الضرائر بغضةٌ وتَنَافِ

وقد تعرَّض الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى كثير من غيرة زوجاته وخاصة عائشة رضي الله عنها. جاء في طبقات ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة يومًا فسألته: أين كان، فأخبرها أنه كان عند أم سلمة.

فسألته: ألا تخبرني لو أنك نزلت بعدوتين إحداهما لم تُرعَ والأخرى قد رُعيت أيتهما كنت تختار؟ قال: التي لم تُرعَ. قالت عائشة: فأنا ليس كأحد من نسائك، كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل قبلك إلا أنا. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

وقصة العسل الذي حُرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الغيرة مشهورة ومتواترة، وملخصها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند حفصة ويشرب عندها عسلاً، فاتفقت عائشة وسودة وصفية على الادعاء أن في فم الرسول صلى الله عليه وسلم رائحة مغافر - وهو نبات له رائحة كريهة - فآلى عليه السلام على نفسه ألا يذوق عسلاً بعد ذلك.

فإذا كانت الغيرة قد سيطرت على أمهات المؤمنين فماذا نقول عن نساء القرن الحادي والعشرين؟

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر فقد وردت في ذاكرتي أبيات لأبي تمام يتحدث عن غيرة المحبوب يقول:

بنفسي مَنْ أغار عليه مني
وتحسدُ مقلتي نظري إليه
ولو أني قدرت طَمَست عنه
عيون الناس من حَذَري عليه
حبيب بثَّ في قلبي هواه
وأمسك مهجتي رَهْنًا لديه
فروحي عنده والجسم خال
بلا روح وقلبيَ في يديه

الهوامش:

١- طبقات ابن سعد، ج٨ ص٥٥.

من آثار القياس الخاطئ
في اللغة العربية المعاصرة

د. محمد عبدو فلفل

في الدرس اللغوي مبدأ يُعرف بقياس المتكلم، وهو الضوابط التي يعيها أصحاب اللغة، ويختزنونها في أذهانهم، ثم يُركِّبون وفقها عباراتهم(١)، وهذا الضرب من القياس «عملية فردية يكون المقيس عليه هو ما اختزنه المرء في حافظته من محصول لغوي»(٢). والقياس بهذا المعنى يفترض نموذجًا تقليديًا كما يقول(٣) دو سوسير الذي يؤكد أنَّ «الشكل القياسي إنما هو شكل جُعِل على صورة شكل آخر، وذلك بحسب قاعدة معينة»(٤).

و«تطبيقنا قواعد اللغة صرفيةً ونحويةً هو في جوهره قياس محض قائم على ملاحظة أوجه التشابه بين ما تعلمناه، وما نراه أول مرة»(٥)، والقياس اللغوي بهذا المعنى هو «ردّ الشيء إلى نظيره»(٦) و«هذا الذي يُردّ يكون جديدًا بالنسبة للمتكلم.... أما النظير الذي رُدَّ إليه اللفظ الجديد، فهو معروف للمتكلم سمعه من قبل»(٧). والمرء يلجأ إلى هذا القياس في لغته، ويظل يستعمله في كل ما لم يرد على لسانه من قبل، وهذه العملية القياسية عفوية لا حظَّ لها من التفكير(٨)، فغالبًا ما تتم بلا وعي من المتكلم، فلا يشعر بها هو، ولا سامعه إلا إذا تبين لأحدهما أو كليهما أن المقيس مخالف لما تعارف عليه أهل اللغة(٩)، وهذا يعني أن قياس المتكلم في اللغة نوعان: صحيح، وخاطئ، وقد أوضح هذين النوعين الدكتور عبدالعزيز مطر بقوله: «إن العملية الذهنية التي تتم فيها المقارنة بين الكلمة أو الصيغة المجهولة ونظيرتها المعلومة قد تكون على أساس التشابه التام بينهما، وتسفر حينئذ عن كلمة أو صيغة قد تعارف عليها أهل اللغة، وإن كانت مجهولة للمتكلم لم يسمعها من قبل، وفي هذه الحالة يُحكم على القياس بأنه صحيح، أما إذا أسفرت هذه العملية الذهنية القياسية عن كلمة أو صيغة لم يتعارف عليها أهل اللغة، أو قامت المقارنة على أساس تشابه موهوم بين الكلمتين: المجهولة، والمعلومة فإنه يقال حينئذ: إن القياس خاطئ»(١٠)؛ مما يؤدي بالصيغة الجديدة إلى الخروج عن مدارها الطبيعي والدخول في مدار صيغة أخرى»(١١).

والحقيقة أن التشابه الموهم أو المضلل الذي يقوم عليه القياس الخاطئ يتمثل بتشابه عام في بعض الجوانب الصوتية، أو المعنوية، أو كلتيهما بين المقيس والمقيس عليه، وهذا التشابه لا يسوّغ في أصول اللغة أن يُعطى المقيس حكم المقيس عليه كما سنرى بعد قليل في الحديث عن بعض الانحرافات اللغوية المعاصرة في ضوء القياس الخاطئ، وقبل ذلك لا بد من الإشارة إلى أن هذا المبدأ عُرف(١٢) في تراثنا سلوكًا عمليًا، ودرسًا نظريًا وتطبيقيًا، وقد عبَّر عنه أئمة العربية بمصطلحات متعددة أشهرها وأكثرها استعمالاً مصطلحا الغلط والتوهم. وقد اختلفت مواقفهم تجاه ما نجم عن القياس الخاطئ أو التوهم من الصيغ، والتراكيب اللغوية، على أن الذي يطمئن إليه المرء أن ما أجازوه قياسًا من هذه الصيغ، والتراكيب نادر جدًا، وهو، على ندرته، غير مُجمع على إجازته عندهم. أما المحدثون من اللغويين العرب، فقد أقرَّ جمهورهم(١٣) بهذا المبدأ نظريًا، واختلفوا أيضًا فيما نجم عنه من الصيغ والتراكيب. على أن معظمهم كسلفهم قصر هذا المبدأ على تعليل ما استقر في الاستعمال من الانحرافات اللغوية الحاصلة بفعله وتفسيره، وهذا ما يؤيده صاحب هذه السطور الذي يرى أن التوهم أو القياس الخاطئ مبدأ علمي له أثره في المسيرة العملية للغة، ولكنه من وجهة نظر معيارية مبدأ غير صحي، لأنه قائم على الغفلة والسهو عن حقائق الأمور، وهذا ما يدعو إلى العبث والاضطراب في اللغة، وليس من الحكمة أن نحكم بلغتنا ما يؤول بها إلى ذلك، وكل ما في الأمر هو أن التوهم أو القياس الخاطئ مبدأ يُعْزى إليه، أو يُفَسَّر به أحيانًا خروج مواد لغوية عمَّا كان يجب أن تكون عليه. وفيما يلي نتناول انحرافات لغوية معاصرة صوتية، وصرفية، ونحوية توضح هذا الذي نذهب إليه، وتؤيده.

بين التقويم والتقييم

في صياغة الثلاثي المزيد بتضعيف العين من الفعل «قام - يقوم» يقال: قوَّم - يقوِّم - تقويمًا، كما يقال: عوَّد - يعوِّد - تعويداً من الفعل «عاد»، وقوَّل - يقوِّل - تقويلاً من الفعل «قال»، فأصل الألف واو في الماضي المجرد من هذه المواد، وهذه الألف تعود إلى

أصلها عند صياغة «فعَّل» كما هو واضح، لكن في الشائع من لغتنا المعاصرة ما يخالف هذه القاعدة، وهو ما نسمعه من قولهم: قيَّم - يقيِّم - تقييمًا، فبماذا يُفَسَّرُ هذا الانحراف اللغوي؟

قبل الإجابة عن ذلك لا بد من تبيين ما نحن بحاجة إلى تبيينه من معنى الفعل «قوَّم - يقوِّم»، فمما تنسبه المعجمات إلى هذه المادة دلالتها على الإصلاح، وعلى المعيارية والحكم على الشيء وتقديره، يقال: قوَّم السلعة: سعَّرها وثمَّنها، وقدَّرها، كما يقال: قوَّم الشيء: عدَّله، وأزال ما فيه من الاعوجاج، وتقوَّم الشيء إذا تعدَّل، واستوى، ولنتوقف عند «قِيْمة» دلالة وبنيةً، لأن هذه الكلمة هي التي أوهمت المتكلم، فيما أزعم، بأن يقول: قيَّم - يقيِّم - تقييمًا، فأصل الياء في كلمة «قيمة» واو، ولكن سُكِّنت الواو وكُسر ما قبلها فقُلبت وجوبًا ياءً، فقيل: قيمة، وهذا القلب الدائم أوهم بأن يقال: قيَّم بدلاً من «قوَّم» في هذه الصيغة ومشتقاتها قياسًا على «ياء» قيمة لتوهم أن ياءها أصل؛ علمًا أنها، كما لاحظنا، ياء مقلوبة عن واو لسبب لم يتوافر في «قيَّم» ومشتقاته، وربما شجَّع على هذا التوهم، وأكده الحرص على وضوح المعنى المعياري، ومعنى الحكم على الشيء، وتقديره، وهو المعنى المقصود من كلمة «قيمة»، فقيمة الشيء: قدْرُه، وقيمة المتاع: ثمنه، وربما أيَّد هذا الذي أزعمه في تفسير خروجهم عن الأصل في قولهم: قيَّم - تقييمًا ما يلاحظ من أن معنى المعيارية والحكم أبْرَزُ في هذه الصيغة عند من يستعملها في العربية المعاصرة مما هو عليه في صيغة «قوم» ومشتقاتها، ولما كان الأمر كذلك قلبوا الواو ياءً، فقالوا: قيَّم - يقيِّمُ - تقييمًا حرصًا على وضوح معنى المعيار، والحكم على الشيء وتقديره، وكأنهم يشتقون من «قيمة» على ظاهرها، وهي الكلمة ذات الدلالة الأبرز على هذا المعنى دونما نظر إلى أصل يائها، وهو الواو. والذي يؤيد هذا الذي أذهب إليه هو أن الاستعمال المعاصر للعربية المعاصرة يكاد يقصر صيغة «قوَّم» في الأعم الأغلب على إصلاح الشيء، وإزالة ما فيه من الاعوجاج، وقد لمست ذلك عمليًا في بعض الكتب المعنية بتقويم الأسنان، وفي هذا السياق نذكر قول نازك الملائكة: «إن دعوتنا إلى العودة إلى علم العروض لا ترمي إلى تقييم الشعر الحر وتقويمه، وحسب، وإنما نقصد بها إلى أن نجد للشعر الحر أصولاً راسخة تشده إلى الشعر القديم، وتضعه في مكانه من سلم التطور»(١٤). فواضح في هذا النص أن هذه الشاعرة الناقدة استعملت صيغتي «تقويم» و«تقييم» معًا معبرة بالأولى عن إزالة ما يتراءى لها من الاعوجاج والخطأ في الشعر الحر، وبالثانية عن الحكم على هذا الشعر، وتقديره حق قدره.

في رحاب العيد

«عيد» كلمة واوية العين، أي إنها من مادة «عَوْد» إذ ليس في العربية «ع ي د» يائي العين، فأصل كلمة «عيد» «عِوْد»، بسكون الواو وكسر ما قبلها، وهذا من دواعي قلب الواو ياءً، فقيل: عيد، كما أنَّ أصل «قيمة: قِوْمة» وأصل «ريح: رِوْح»، وقد ترتَّب على لزوم قلب الواو ياءً في كلمة «عيد» أن توهموا أن هذه الياء أصل غير منقلب عن واو، كما ترتب على هذا التوهم اشتقاق صيغ من هذه المادة خارجة عن أقيسة اللغة العربية، خروجًا يتمثل بقلب الواو ياءً حيث لا يتوافر شرط القلب الذي ذكرناه قبل قليل، ومن هذه الصيغ التي أشرنا إليها قولهم في جمع عيد: أعياد، وقولهم: عيَّد فلان، أي شهد يوم العيد، واحتفل فيه، ويقولون في أيامنا: عايد فلان فلانًا يعايده معايدةً، وهذه المشتقات كلها قُلبت فيها الواو ياءً على غير قياس، وفيما يلي توضيح ذلك وتفسيره:

أ - يقولون في جمع «عيد»: «أعياد» بالتزام قلب الواو ياءً مع عدم توافر شرط هذا القلب، وهو سكون الواو، وكسر ما قبلها فـ«أعياد» وزنها «أفعال»، لذا كان يجب أن يقال: أعواد بردِّ الياء إلى أصلها، وقد فُسِّر هذا الانحراف الصوتي بأمرين، أولهما التوهم الناجم عن التزام قلب الواو ياء في كلمة «عيد»، فهذا الالتزام، كما أشرنا، أوهم أن الياء أصل، وثاني ذَيْنِكَ الأمرين هو أمن اللبس، والتمييز بين جمع «عيد» وجمع «عود»، فكلاهما يُجْمَعُ على «أفعال»، فجمع «عود» أعواد كما هو معروف، ولو رُجع إلى الأصل في جمع «عيد» وقيل أعواد، لأمكن وقع الالتباس في المقصود من هذين الجمعين، وفي عدم التزام الأصل في جمع «عيد» على «أعياد» تخلص من هذا الالتباس المحتمل.

ب - يقال في العربية المحتج بها: عيَّد فلان يُعيِّد تعييدًا، أي شهد العيد، واحتفل به، وكان يجب أن يقال: عَوَّد يُعَوِّد تعويدًا لأنه واوي العين كما يقال: حَوَّل يُحوِّل تحويلاً. والذي حملهم على الخروج عن الأصل في «عيَّد» ونظائره، الأمران اللذان ذكرناهما قبل قليل وهما توهم أصالة الياء في كلمة «عيد» للزومها في الاستعمال، ورغبتهم في التفريق بين معنى «عيَّد» أي شهد العيد، وبين معنى «عوَّده الشيء» أي جعله يعتاده، ويألفه وكأنه عادة له.

ج - يقال في العربية المعاصرة ولاسيما العامية: عايد فلان فلانًا يعايده معايدة أي زاره، أو هنَّأه في مناسبة العيد، كما يسمُّون البطاقات التي يتبادلونها في هذه المناسبة بطاقات معايدة، والأصل في كل ذلك أن يقال: عاود - يعاود - معاودة، كما يقال: قاول - يقاول - مقاولة. والسبب في خروجهم عن هذا الأصل في «عايد» ومشتقاته ما ذكرناه من توهم أصالة الياء في «عيد»، والرغبة في الفصل بين معاني هذا المشتقات الواوية العين، أي عاود، يعاوده معاودة، وبين المعاني المقصودة منها، وهي مقلوبة الواو ياءً في «عايد» وسائر مشتقاته المحدثة.

الاستقراء ضربان

من الشائع في أيامنا قولهم: استقرأ فلان الأشياء يستقرئها أي تتبعها ليعرف أحوالها، والخواص المشتركة فيما بينها، وهذان الفعلان من الاستقراء، وهو تتبع الجزئيات المشتركة بين الأشياء للوصول إلى نتيجة عامة، والمعاجم في مادة «قرأ» لا تنسب إلى الفعل «استقرأ» «يستقرئ» هذا المعنى الذي أشرنا إليه قبل قليل، فمعنى «استقرأ» في المعجم الوسيط مثلاً: طلب إليه أن يقرأ، وأين هذا من قولهم في أيامنا: «استقرأ» بمعنى تتبع الجزئيات المشتركة بين الأشياء، وكل ذلك يومئ إلى أن في هذا الاستعمال تغييرًا لغويًا، فقولهم: استقرأ، يستقرئ بمعنى «تتبع» «يتتبع» ليس من مادة «قرأ» المهموزة اللام كما يوهم به الظاهر، يضاف إلى ذلك أن هذين الفعلين فيهما بهذا المعنى، وبهذه الهيئة همز لا تجيزه أصول اللغة العربية، فهما من الفعل الثلاثي الواوي اللام المجرد «قرا» الشيء «يقروه» أي تتبعه، والمزيد منه على صيغة «استفعل» هو: استقرى، يستقري بلا همز، والمصدر من ذلك «استقراء»، ووزنه «استفعال» وأصله «استقراو»، ولكن هُمزت لامه، أي واوه عملاً بالقاعدة التي تقول: إذا تطرفت الواو، أو الياء، وما قبلهما ألف زائدة، قُلبت كل منهما همزة كقولهم من «علا - يعلو»: استعلى - يستعلي - استعلاء، والأصل: استعلاو، ووزنه «استفعال»، وكقولهم من «سقي - يسقي»: استسقى - يستسقي - استسقاء، وأصله: استسقاي على وزن «استفعال» أيضًا، ففي هذين المصدرين جاءت الياء، والواو متطرفتين وما قبلهما ألف زائدة، فقلبت كل منهما همزة، وكذلك الأمر في «استقراء» من «استقرى، يستقري». وهذا يوحي أن الاستقراء يمكن أن يكون مصدرًا لـ«استقرأ» «يستقرئ» أي طلب إليه أن يقرأ، وهو من القراءة، ولكن لما كثر استعمال كلمة «استقراء» المهموزة اللام ظن بعضهم أن الفعل منه مهموز اللام دائمًا، والصواب أنَّه إذا كان الفعل بمعنى «تتبع» أن يقال: استقرى - يستقري، لا استقرأ - يستقرئ، لأن المجرد منه «قرا - يقرو» كما لاحظنا. كما يقال من «الاستعلاء»: استعلى - يستعلي، ولا يقال: استعلأ - يستعلئ لأنَّ المجرد منه «علا» «يعلو»، ولأن علة الهمز هنا غير متوافرة، وهي كما ذكرنا تطرف الواو، أو الياء، وكون ما قبلهما ألفًا زائدة نحو: استعلاء، واستسقاء.

جمع «مدير» على «مدراء»

من الشائع في أيامنا(١٥) جمع «مدير» على «مدراء»، علمًا أن هذه الكلمة تُجمع جمع مذكر سالمًا، فيقال: مديرون في الرفع، ومديرين في النصب والجر فهي اسم مشتق من الثلاثي المزيد «أدار - يدير» كـ«أعاد - يعيد»، فهو معيد، فلا يقال: مدراء كما أنه لا يقال في جمع «معيد»: مُعَداء، بل معيدون، ومعيدين.

والخروج عن الصواب في جمع «مدير» على «مدراء» ناجم عن قياس خاطئ يتمثل بقياس هذه الكلمة على كلمات أخرى يجمع بينها وبين هذه الكلمة شبه مُضلِّل،

فكثيرًا ما تستعمل وإياها في أيامنا في سياق واحد، وهذه الكلمات من قبيل «خبير، ووزير، ورئيس»، وأما الشبه المضلل بين هذه الكلمات، وكلمة «مدير» فهو الجرس الموسيقي العام، ولما كانت هذه الكلمات تجمع على «فُعَلاء» فيقال: خُبراء، ووزراء، ورؤساء، قيست عليها خطأ كلمة «مدير» فقيل في جمعها: «مُدَراء» المماثلة في الجرس العام والخارجي لكلمة «خُبراء» ونظائرها، علمًا أن وزن «مُدَراء» إنما هو «مُفَلاء»، وهو وزن لا وجود له في اللغة العربية، إضافة إلى أنه يسقط حرفًا أصليًا من الكلمة مما يؤدي إلى تشويهها.

لا وجود للنضوج

كثيرًا ما يُعبر في العربية(١٦) المعاصرة عن بلوغ الشيء حدّه وغايته بصيغة النضوج، كنضوج الفاكهة، ونضوج الطعام، ونضوج الرأي، وغير ذلك علمًا أن المعجمات لم تذكر أن مصدر الفعل «نَضِجَ» يكون على «فُعُول»، ففي المعجم: نضج الشيء ينضج نَضَجًا ونُضْجًا ونضاجًا، وهذا يعني أنَّ العرب المحتج بكلامهم لم يصوغوا مصدرًا للفعل «نضج» على «فُعُول»، كما يعني أن استعمال هذه الصيغة في العربية المعاصرة انحراف عن الجادة يمكن أن يُفَسَّر بالتوهم أو القياس الخاطئ، فالذي قال: نضوج في صياغة المصدر من الثلاثي المجرد «نضج» قاس خطأً مصدر هذا الفعل على ما جاء مصدره على «فُعُول» من الأفعال الثلاثية المجردة كقولهم: جلس جلوسًا، ودخل دخولاً، وسكت سكوتًا، وغير ذلك، ووجه الخطأ في هذا القياس أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة لا تصاغ قياسًا، بل يُعتمد فيها على السماع، فيُلتَزم في استعمال مصادرها ما سمع عن العرب من ذلك.

جمع الجمع

ظاهرة لغوية قديمة في تاريخ اللغة العربية، وهي ظاهرة غير مقيسة في أصول الأئمة، بل يقتصر فيها على ما سمعوه عن العرب المحتج بكلامهم منها، وهذا يعني أنَّ ما يلاحظ من جمع الجمع في أيامنا هذه يمثل انحرافًا عن الجادة في مسيرة العربية، ومن هذا القبيل جمعهم «هرمًا» على «أهرام» ثم جمعوا الجمع، فقالوا: أهرامات، ورجل يجمع على «رجال» فجمعوا الجمع، فقالوا: رجالات، وجُرْح يجمع على «جراح»، فجمعوا الجمع، فقالوا: جراحات، وفي ذلك يقول أحمد شوقي مخاطبًا دمشق:

وبي مما رَمَتْكَ به الليالي
جراحاتٌ لها في القلب عُمْقُ

وغالبًا ما يكون هذا الانحراف اللغوي المتمثل بجمع الجمع فيما هو على «فَعْل» أو فِعْل مجموعًا على «فُعُول»، فـ«عِطْر» يجمع على «عُطُور»، فجمعوا الجمع، فقالوا: عطورات، و«اللحم» يجمع على لحوم، فجمعوا الجمع، فقالوا: لحومات، وتجمع في هذا العصر الزهرة على زهور، ثم جمعوا الجمع، فقالوا: زهورات، ومن هذا القبيل قولهم في «شَرْح»: شُروح وشُروحات، وفي «حَجْز»: حجوز وحجوزات، وفي «فحْص»: فحوص وفحوصات، وفي «رسْم»: رُسُوم ورُسُومات، وفي «حسْم»، حُسُوم وحُسُومات، وفي «سحْب»: سُحُوب وسحوبات. فكل هذه الأمثلة ونظائرها مما يمكن أن نقف عليه في العربية المعاصرة يؤيد تفشي ظاهرة جمع الجمع في عربية هذا العصر، وهي ظاهرة غير مقيسة كما ذكرنا، ويمكن تفسيرها بأمرين، أولهما الرغبة في التكثير، فكأنَّ الجمع لا يعبِّر عمَّا في نفس المتكلم من الكثرة التي يريد أن يخبر بها، فيجمع الجمع رغبةً في التكثير، إحساسًا منه بأن الزيادة في المبنى يترتب عليها زيادة في المعنى، وثاني الأمرين اللذين يمكن أن نفسر بهما ظاهرة جمع الجمع في عربية هذا العصر، هو التوهم أو القياس الخاطئ، فالذي يجمع الجمع يبدو أنه يتوهم الجمع مفردًا، فيعمل على جمعه عندما يريد أن يعبِّر عن الجمع، والذي يؤيد هذا الزعم فيما ذكرناه من الجموع المجموعة هو أنَّ معظمها على وزن فاشٍ في الأسماء المفردة خاصةً فُشُوَّه في الجمع، وهذا الوزن هو «فُعُول»، فمصدر الفعل «نتأ» مثلاً هو «نتوء» على «فُعُول» وهذا المصدر يجمع جمع مؤنث سالمًا، فيقال: نتوءات، ومما جاء على «فُعُول» من المصادر «دُخُول، ونُزُول، وجُلُوس، وسُكوت، وقُعُود» وغير ذلك من الكلمات المفردة التي جاءت على «فُعُول»، وهو ما جعل بعضهم يتوهم الإفراد فيما جُمع على «فُعُول» من المصادر كـ«رسوم» جمع «رسم» و«فحوص» جمع «فَحْص» و«فُتُوح» جمع «فتح»؛ لذلك جمعوا هذه الجموع لتوهمهم أنها مفردات لاشتراكها في الوزن مع بعض الأسماء المفردة كما لاحظنا، فقالوا في جمعها مجموعةً: «فتوحات، وفحوصات، ورسومات» وغير ذلك مما ذكرناه آنفًا، وما لم نذكره.

تقارض الأحكام

كثيرًا مانقف في العربية المعاصرة على اقتران جواب(١٧) «إذا» الشرطية باللام كأنْ يقال: إذا كان كذا لكان كذا، وغالبًا ما يحصل ذلك إذا ابتعد جواب الشرط عن فعله، علمًا أنَّ «إذا» لا يقترن جوابها باللام كما هو معروف، بل يقترن بالفاء في حالات محددة، وتفسير هذا الانحراف النحوي بالتوهم أو القياس الخاطئ أمر يسير، فالذي جاء باللام في جواب «إذا» الشرطية ظن أنه استعمل أداة شرط يقترن جوابها باللام كـ«لو» مثلاً لجامع بينهما، وهو إفادة كلتيهما معنى الشرط، فقاس «إذا» على «لو» فقرن جواب الأولى باللام. ومن طريف الأمر أنني وقفت في كتاب «الحصيلة اللغوية»(١٨) الصادر عن سلسلة عالم المعرفة في الكويت على اقتران جواب «لو» بالفاء توهمًا وقياسًا خاطئًا على «إذا» أو «إن» الشرطيتين لجامع معنوي مشترك بين هذه الأدوات، وهو إفادة كل منها معنى الشرط، وهذا يذكر بما سمَّاه ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) في كتابه(١٩) «مغني اللبيب» بتقارض الأحكام كاقتراض «لن» حكم الجزم من «لم»، واقتراض «لم» حكم النصب من «لن» في بعض ما سُمع من الشاذ الذي يُحفظ ولا يقاس عليه، وكذلك ما نحن بصدد الحديث عنه من اقتران جواب «إذا» الشرطية باللام حملاً على «لو». فكل ذلك من التوهم الذي يحسن ألا نعوِّل عليه ما أمكن.

> **جمع الجمع ظاهرة لغوية قديمة في تاريخ العربية، وهي ظاهرة غير مقيسة في أصول الأئمة، بل يقتصر فيها على ما سمعوه عن العرب المحتج بكلامهم**

وقفة مع «سوى»

مما يعبَّر به عن الاستثناء في اللغة العربية كلمة «سوى»، وهي كلمة تأتي خلافًا للبصريين في محال إعرابية مختلفة فهي فاعل في قولنا: «ما جاء سوى زيد»، ومفعول به في قولنا «ما رأيت سوى زيد» ومجرور بالحرف في: «ما سعيت إلى سوى العلم»، والملاحظ في هذه الأمثلة أمران، الأول ملازمة «سوى» للإضافة، والثاني هو أنها عندما تكون مسبوقة بفعل لازم يدخل حرف الجر المعدِّي عليها لا على ما أضيفت إليه كقولنا قبل قليل: «ما سعيت إلى سوى العلم»، وهذا ما يحقق لسوى شرطها الأول، وهو ملازمتها الإضافة، لذا كان من الانحراف عن الجادة إدخال الجار في هذه الحالة على الاسم الذي يلي «سوى» كأن يقول بعضهم(٢٠): فلان لا يهتم سوى بالعلم، والجدير بالذكر أنَّ تعليل هذا الانحراف اللغوي بالتوهم أو القياس الخاطئ أمر يسير جدًا، وتوضيح ذلك هو أن «إلا» و «سوى» تستعملان بمعنًى واحد في باب الاستثناء، فيقال: ما مررت بسوى زيد، كما يقال: ما مررت إلا بزيد، ولما كان الجار يدخل على ما بعد «إلا» كما هو ظاهر في مثالنا السابق ظنَّ بعضهم، توهمًا وخطأً، أن «سوى» حكمها حكم «إلا» في إدخال الجار على الاسم الذي يليها، فيقال مثلاً: ما سعيت سوى إلى العلم توهمًا وقياسًا خاطئًا على: «ما سعيت إلا إلى العلم».

مع باء الاستبدال

للتعبير عن الاستغناء بالشيء عن غيره تستعمل اللغة العربية أحيانًا الأفعال «أبْدل، وبدَّل، وتبدَّل، واستبدل» كأن يقال: أبدل بثوبه القديم ثوبًا جديدًا، وكذا سائر الأفعال، أي بإدخال الباء الجارة على المرغوب عنه، أو المتروك كما يقول المعجم الوسيط. جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ولا *تَتَبدَّلوا الخَبيثَ بالطَّيب*﴾. **النساء**:٢١. فواضح في هذه الآية الكريمة، ونظائرها أنَّ الباء دخلت على المتروك، أو المرغوب عنه، وهذا يعني أنه من غير الصواب إدخالها على المرغوب فيه كما

من آثار القياس الخاطئ

في اللغة العربية المعاصرة

هو شائع(٢١) في أيامنا من قولهم: بدَّل ثيابه القديمة بأخرى جديدة، ولعل الذين أدخلوا الباء على المرغوب فيه مع «بدّل، وتبدّل، واستبدل» ومشتقاتها حملوا ذلك على «الاستغناء» لجامع معنوي مشترك بين المادتين، فالاستغناء عن الشيء بالشيء قريب من حيث المعنى العام من معنى قولنا: استبدل الشيء بغيره، ولما كانت الباء تدخل مع الاستغناء على المرغوب فيه أدخلوها عليه مع الاستبدال توهمًا وقياسًا خاطئًا لـ«استبدل» ونظائره من مادة «بدل» على «استغنى».

في باب اللزوم والتعدي

تعدي الفعل في العربية بنفسه، أو بهذا الحرف أو ذاك أمر سماعي لا يُعرف في كثير من الأحيان إلا بالرجوع إلى كتب اللغة المعنية بذلك، لذا قد يفيد الفعلان المعنى نفسه تقريبًا، وأحدهما لازم، وثانيهما متعد، فتقارب الفعلين من حيث المعنى لا يسوِّغ، خلافًا(٢٢) لبعضهم، حمل أحدهما على الآخر في باب اللزوم والتعدي، ولكن المستعمل للُّغة، ولاسيما في أيامنا، كثيرًا ما يقيس في هذا الباب الفعل على ما يقاربه من حيث المعنى قياسًا خاطئًا قائمًا على توهم أن الفعلين لهما الحكم نفسه في هذه المسألة خلافًا لما تنص عليه كتب اللغة المعنية، فالفعل «وصل» مثلاً لازم يتعدى بـ«إلى». جاء في لسان العرب: «وصل الشيء إلى الشيء وصولاً، وتوصل إليه إذا انتهى إليه وبلغه». وإلى مثل ذلك أشار الزمخشري في أساس البلاغة، وقد عدّى القرآن الكريم الفعل «وصل» بـ«إلى» في قوله تعالى: *فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ*. **الأنعام**: ١٣٦. ومن الشائع في عصرنا(٢٣) هذا تعدية الفعل «وصل» بنفسه، كأن يقال: وصلنا حديثًا كذا وكذا، ويبدو أن المعجم الوسيط رصد، في إشارته إلى تعدية الفعل «وصل» بنفسه، هذا الاستعمال اللغوي المولَّد، نقول ذلك لما لاحظناه من نصِّ الأصول على أن هذا الفعل لازم معدًى بـ«إلى».

وفي تفسير هذا الانحراف اللغوي أمور منها: أن الفعل «وصل» عندما لا يدل على معنى «بلغ» يتعدى بنفسه كأن يكون بمعنى صلة الرحم، أو بمعنى العطية إذ يقال: وصل رحمه إذا برَّه، ووصل فلان فلانًا إذا أعطاه، ويبدو أن الأمر اختلط على الناس في هذا العصر، فتوهموا أن الفعل «وصل» يتعدى بنفسه دائمًا أيًا كان معناه، فقالوا: وصله الشيءُ بمعنى بلغه، كما قالوا: وصل رَحِمَه بمعنى برَّه، ويمكن أن يفسر هذا الانحراف أيضًا بأنَّ المتكلم لما لاحظ أن الفعل «بلغ»، وهو متعدٍّ بنفسه، بمعنى «وصل» أعطى «وصل» حكم «بلغ» في التعدية ظنًا منه أنهما سواء في ذلك علمًا أن «وصل» بمعنى «بلغ» يتعدى بـ«إلى» كما لاحظنا، أما «بلغ» فيتعدى بنفسه فيقال: بلغت المكان بلوغًا أي وصلت إليه، وبذلك يكون هذا الانحراف اللغوي المتمثل بتعدي «وصل» بنفسه ناجمًا عما يُعرف بالتوهم أو القياس الخاطئ. كما يمكن أن يفسر بالميل إلى اليسر والاختصار، فلا شك في أن «وصلنا الشيء» أكثر اختصارًا من «وصل إلينا الشيء» والمعْنيّ بالتغير اللغوي يدرك أن لمبدأ الاختصار والسهولة والاستخفاف أثرًا بارزًا في هذا التغير، على أنه ليس لهذا المبدأ سمة الشمول والجبرية شأنه في ذلك شأن جميع أسباب التغير اللغوي، لذا قد يسير هذا التغير بعكس مبدأ الاختصار والسهولة، وهذا ما يلمس فيما هو شائع هذه الأيام من قولهم: حاز على الشيء، علمًا أن الفعل «حاز» يتعدى بنفسه، فيقال: حاز فلان الشيءَ، بمعنى ضمه إليه، وملكه، وغني عن البيان أن هذا الانحراف يُفسَّر بالتوهم المتمثل بتوهم المتكلم أن حكم «حاز» من حيث اللزوم والتعدي كحكم «حصل» لأنهما بمعنى واحد أحيانًا، علمًا أن الأول يتعدى بنفسه، والثاني يتعدى بـ«على» إذ يقال: حصل فلان على الشيء إذا أدركه وناله.

وبالتوهم أو القياس الخاطئ يُفَسَّر أيضًا قولهم في هذه الأيام: أكد على كذا وكذا، بتعدية الفعل «أكد» بـ«على» علمًا أنه متعد بنفسه كأن يقال: أكد كذا وكذا، وربما كان الذي عدى «أكد» بـ«على» اشتم فيه شيئًا من معنى الفعل «ألح» الذي يتعدى بـ«على»، فقاس أول الفعلين وهو «أكد» خطأ وتوهمًا على ثانيهما، وهو «ألح» فقال: أكد على الشيء كما يقولون: ألح عليه، لأن في «ألح»، في الاستعمال المعاصر خاصة، من الدلالة على التأكيد ما لا يخفى على الدارس المعني بشؤون عربية هذا العصر.

وبعد فلعله اتضح بجلاء أن للقياس الخاطئ، أو التوهم أثرًا بارزًا في تغير اللغة العربية على المستويات الثلاثة: الصوتية والصرفية والنحوية، فقد فسرنا فيما تقدم بهذا المبدأ تغيرات لغوية عربية معاصرة. ورب سائل يسأل: ما فائدة هذا التفسير إن لم يكن يجيز القياس على الصيغة، أو التركيب اللغوين المفسرين، وفي الإجابة عن ذلك نقول: إن معرفة آلية تغيير الأشياء بغض النظر عن وجهة هذا التغيير تدعو إلى تفهمه، وتقبله، وعدم التنكر له، وتاريخ اللغات عامة في جوهره دراسة لآليات تغيرها، ولاسيما التغير الخارج عن الأصول، والمطلع على كتب لحن العامة المعنية باللغة العربية خاصةً يدرك صحة هذه المقولة، يضاف إلى ذلك أن ما دعت إليه المدرسة اللغوية الوصفية في علم اللغة الحديث من الإعراض عن التعليل في دراسة الظواهر اللغوية أمر عُدَّ قصورًا في منهج هذه المدرسة، استدركته عليها مدارس لغوية أخرى خلفت من بعد، فمن حق الدارس وواجبه في كل الميادين أن يعمل على تفسير التغيرات الملمة بالمادة التي يدرسها تفسيرًا يتفق مع هذه المادة طبيعةً، ووظيفةً وأداء.

الهوامش:

١- المفصل في تاريخ النحو العربي ص١٤٧ للدكتور محمد خير الحلواني، ط١ - بيروت، ١٩٧٩م.
٢- طرق تنمية الألفاظ اللغوية ص٣٨ للدكتور إبراهيم أنيس، ط - القاهرة، ١٩٦٧م.
٣- انظر: محاضرات في الألسنية العامة ص١٩٧ لفردنان دو سوسير. ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر، ط١ - جونية - لبنان، ١٩٨٤م.
٤- المصدر نفسه ١٩٧. وانظر اللغة لفندريس ص٢٠٥. ترجمة محمد القصاص ورفيقه - القاهرة ١٩٥٠م، وأسس علم اللغة العام ص١٤١ لماريو باي. ترجمة أحمد مختار عمر. ط٣ - القاهرة، ١٩٨٣م.
٥- مشكلات القياس في اللغة العربية ص١٦٨ بحث للدكتور عبدالصبور شاهين - مجلة عالم الفكر الكويتية - المجلد الأول - العدد الثالث، ١٩٧٠م.
٦- المعجم الوسيط: ق ي س.
٧- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ٣٣٥- ٣٣٦ للدكتور عبدالعزيز مطر، ط٣- دار المعارف بمصر ١٩٨١م.
٨- انظر: المفصل في تاريخ النحو العربي ١٤٨.
٩- انظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ٣٣٥.
١٠- المصدر نفسه ٣٣٥- ٣٣٦، وانظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٤٢-٤٣ للدكتور رمضان عبدالتواب، ط١، دار المعارف بمصر، ١٩٦٧م.
١١- انظر: أسس علم اللغة العام ١٤١.
١٢- لن أتوسع هنا في الحديث عن موقف الدارسين قديمًا وحديثًا من التوهم أو القياس الخاطئ، وعن موقفهم من أثره في مسيرة اللغة لأمرين، أولهما أن طبيعة هذا البحث لا تحتمل ذلك، وثانيهما أنني عرضت هذه القضايا في بحث مستقلٍ موسع أرجو أن يرى النور قريبًا، وهو بعنوان «القياس الخاطئ أو التوهم في الدرس اللغوي عند العرب قديمًا وحديثًا».
١٣- كالدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور رمضان عبدالتواب، والدكتور عبدالعزيز مطر، والدكتور إبراهيم السامرائي، وغيرهم، ولم أقف على رفض مبدأ القياس الخاطئ رفضًا تامًا إلا عند الأستاذ محمد بهجة الأثري، أما الأستاذ عباس حسن فقد تذمر من هذا المبدأ، وعدَّه من أوهام النحاة.
١٤- انظر: قضايا الشعر المعاصر ص٧٢ لنازك الملائكة، ط٥ - بيروت، ١٩٧٨م.
١٥- يبدو أن هذا الخطأ انتشر في مختلف أرجاء الوطن العربي منذ النصف الأول من هذا القرن. فقد نبه عليه الشيخ عبدالقادر المغربي من سورية، وذلك في مقال بعنوان «الشواهد على قاعدة توهم أصالة الحرف» الصادر عام ١٩٥٣م في مجلة مجمع اللغة العربية القاهري، كما أشار إلى هذا الخطأ الأستاذ محمد المبارك من سورية في كتابه «فقه اللغة وخصائص العربية» ٣٣١، ط٢، ١٩٦٤م، أما الدكتور إبراهيم السامرائي من العراق، فقد قال في كتابه «التطور اللغوي التاريخي» ص١٢٤، ط٢، ١٩٨١م: وربما لم يبق «مدراء» مكانًا لـ«مديرين» في الاستعمال الجاري في العراق.
١٦- أشار إلى هذا الخطأ الشائع أستاذنا الدكتور مازن المبارك في كتابه «نحو وعي لغوي» ص٢٠١، ط بيروت، ١٩٧٩م.
١٧- وقفت على ذلك عند شخصيات ثقافية مشهورة في الوطن العربي، أما في إجابات الطلبة في الامتحان فهو كثير.
١٨- انظر: ص٩٤ منه.
١٩- انظر: الباب الثامن، القاعدة العاشرة من القواعد الكلية.
٢٠- أشار إلى هذا الخطأ الدكتور مازن المبارك في كتابه «نحو وعي لغوي» ٢٠٣، كما جاء في كتاب السيوطي (٩١١هـ) «شرح شواهد المغني» ص٤٤٠، ط لجنة التراث العربي.
٢١- يبدو أن هذا الخطأ قديم في تاريخ العربية، فقد وقفت عليه عند علي بن الحسين الأصبهاني (٥٤٣هـ) في كتابه «كشف المشكلات وإيضاح المعضلات» ص٨٨٤، وهو كتاب في توضيح المشكل من إعراب القرآن الكريم.
٢٢- انظر: مسالك القول في النقد اللغوي ١٩٢، ٢٢٣، ٢٢٥ لصلاح الدين الزعبلاوي - ط١- دمشق، ١٩٨٤.
٢٣- انظر: النحو العربي والدرس الحديث ص٤٣ للدكتور عبده الراجحي، ط١ - بيروت، ١٩٧٩م، واللسانيات واللغة العربية ٥٧-٥٨ للدكتور عبدالقادر الفاسي فهري، ط١ - بيروت، ١٩٨٦م.

ابن هتيمل الضمدي

شاعر تهامة في القرن السابع الهجري ٢/١



د. عبدالله أبو داهش

اشتهر الشاعر القاسم بن علي بن هُتَيْمِل الخزاعي الضمدي بتهامة في القرن السابع الهجري، حيث فاق شعراء عصره وتميَّز منهم، قال عنه ابن أبي الرِّجال بأنه: «البليغ الذي يُعَدّ في البلغاء بالخنصر، والسابق الذي يطول على كل شاعر ولا يقصر، تصبو له المعاني إذا دعاها أجابته كاعبات ومقصر»(١)، وأضاف هذا المؤرخ إلى ذلك قوله بأن ديوان ابن هتيمل لما وصل إلى مكة المكرمة: «اتفق أدباؤها على تفضيله على مشاهير الشعراء»(٢)، وقال قائلهم: إنّ هذا الديوان: «يُغني عن كل هذه الدواوين»(٣). وعلى طول عمر ابن هتيمل، وانتظامه القرن السابع الهجري، مات - كما قال ابن أبي الرِّجال - «وهو من فقراء المسلمين المتربة»(٤)، وذلك كله على أنه: «كان يجاز بالجوائز السنِّيَّات الجزلة»(٥) لمنزلته الشعرية، وأثر قوله الشعري في ممدوحيه.

ولقد اختلف مؤرخو تهامة حول شاعرية ابن هتيمل، وتفضيله على معاصريه من الشعراء، فقد ذهب ابن أبي الرِّجال إلى تفوقه على الشاعر ابن حمير (٥٧٥-٦٥١هـ)، وقال: «كان ابن حمير مجيدًا غير أنَّ هذا لا يُلْحَق، وما يناظر شعره إلا شعر أبي فراس، ولقد امتحنتُ جماعةً من الأدباء بأبيات من شعره، أقول: لمن تظنون هذا الشعر؟ فيقع في الغالب أفهامهم على أبي فراس»(٦)، على حين ذهب غيره إلى عكس القول السابق؛ فقد روى الخزرجي القول الآتي: «ورأيت بخط الفقيه الإمام العلامة أبي العباس أحمد بن عثمان بن بصيص النحوي بيتين من الشعر، هما:

أمـا قـصـائد قـاسِمِ بن هتَـيْـمِلِ
فـمـذاقـهـا أحلى من الصَّـهـبـاءِ
هو شـاعـر في عـصـره فَطِن وَلـ
ـكنَّ ابـنَ حـمـيـر أشـعـر الـشـعـراءِ

ويقال إنّ هذين البيتين لابن سحبان (٧٢٥هـ)، قالهما، وقد سُئل: أي الشاعرين المذكورين أفصح؟»(٧). وكان الشعراء في زمانه كثيري الانتحال لشعره، يقول ابن أبي الرِّجال: «وقد أنشد من شعره العماد الكاتب، وهو عصريّه، شيئًا من الشعر، ونسبه إلى غيره، وما أظنه إلا انتحال»(٨).

ومثله وَقَع من معاصره الشاعر موفق الدين علي بن محمد الحندودي (٧٠٧هـ) في قصيدته التي مدح بها شريف مكة، ومنها:

أقـاتلتي بغـيـر دم ظلامـه
أمـا قَـوَدٌ لديْكِ ولا غـرَامَـهْ
بخلتِ عَلَيَّ منك بدُرِّ ثَغْـر
تُقَـبِّلُهُ الأراكـةُ والبَـشَـامـهْ(٩)

إذ قبسه من قول ابن هُتَيمل:

أغـار عـلى ثـنـايـاك اللـواتي
تقـبلهـا الأراكـة والبـشـامـه(١٠)

وغاية القول: فالقاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي: «شاعرالمخلاف السليماني في عصره، كان كثير التنقل بين اليمن والحجاز، مدح المظفر الرسولي ورجال دولته، وأحمد بن الحسين القاسمي، وبعض أشراف مكة، وأمراء المخلاف السليماني، [وحلي](١١)، وعاش ما يقرب من مئة عام، ومات فقيرًا»(١٢)، وقد تناوله بالدرس العلمي، والرصد التاريخي عدد من المؤرخين، والباحثين، والكتاب، منهم: أحمد بن صالح ابن أبي الرِّجال في كتابه: «مطلع البدور ومجمع البحور»، وعلي بن الحسن الخزرجي في كتابه: «العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية»، ويحيى بن علي النعمان الضمدي في كتابه: «العقيق اليماني في وفيات المخلاف السليماني»، والحسن بن أحمد عاكش في: «الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني»، وعبدالله بن علي العمودي في كتابه: «تحفة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع»، ومحمد بن أحمد العقيلي في كتابه: «التاريخ الأدبي لمنطقة جازان»، وحجاب بن يحيى الحازمي في كتابه: «القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي: حياته من شعره» وغيرهم، بالإضافة إلى ديوانه المخطوط، ومختاراته المنشورة المطبوعة، وغير ذلك من المقالات والأبحاث المنشورة الأخرى.

ومهما يكن من أمر، فمن ذكر هذا الشاعر في بعض المصادر السابقة قول المؤرخ عبدالله بن علي العمودي: «وزمن عمارة متقدم على زمن اللسِن البليغ المشهور: قاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي بما يجوز الستين سنة، وهو - أعني ابن هتيمل - ثاني عمارة من مفاخر المخلاف السليماني، ومن لم يكن له في عصره ثان، وقد ذكر عمارة في قصيدته الدالية التي مدح بها الأمير فخر الدين أحمد بن علي العقيلي صاحب حلي ابن يعقوب ومطلعها قوله:

فرَّطت يوم وداعه يا صائد
في الصدّ وهو محائل ومكايد
وأضعت قلبك فالتحقت بناشد
إن كان يجمعه عليك الناشد

ولما خرج من مدحه يطلب منه اللهـا(١٣)، ويذكر له ما مضى مما يقول المادح السائل:

إن رشتني فزهير راش جناحه
هَرِم، وريش جناحه متفاقد

وأخذ في تفريد هذه الأجناس حتى قال:

وعمارة الحدقي قام بحاله
في مصر من ولد الحسين العاضد

وأما جهاتهما، فإنهما متقاربان بينهما أربعة فراسخ تقريبًا، لأن ابن هتيمل بوادي ضمد جنوبًا، وعمارة بوادي وساع شمالاً»(١٤)، وأضاف إلى ذلك قوله: «ولنعد إلى ذكر الأديب البليغ ابن هتيمل الذي سار بذكره الركبان في هذا الشأن»(١٥)، وقال: «وله تلك القصيدة الفريدة التي مدح بها الإمام الناصر صاحب ظفار، وأجازه عن كل بيت حصانًا»(١٦)، ومنها:

أنا من ناظري عليك أغار
وارِ عنّي ما حالَ عنه الخِمار
حفظ الله أحمدًا أينما كا
ن وجادته ديمة مدرار
الشريف والجوهر الجو
هَرُ والخالص النضار النضار(١٧)
نظرت مفرقي فأفزعها الشيـ
ـب إذ تبدى من جانبيه النهار(١٨)
لا يصد الملاح عن صلة العشْـ
ـشَاق إلاّ القتير والإقتار
إنما العيش والهوى قبل أن ينـ
ـجم ثدي، وأن يدب عذار
قد ملكت الرقاب شرقًا وغربًا
وعبيدًا لكنْ هُمُ أحرار
بعد هذا يلى الحديد ويفنى الْـ
ـمَرءُ لو أنّ عمره أعمار

ومن نظمه قوله من قصيدة:

كان ابن هتيمل شاعر المخلاف السليماني في عصره، ولقد اختلف المؤرخون في شاعريته، وفي تفضيله على معاصريه من الشعراء

لا تلمني ومثل نفسك عامِلْـ
ـني فإن الإنسان كالإنسان
أنت إما مغالط لي وإلاّ
فغيور أو حاسد أو شاني

وله ديوان حافل، قلَم(١٩) ما طُبع، عزيز الوجود، وعلى الجملة، فقد كان صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، يحق لديوانه أن يكون في عداد المطبوعات»(٢٠).

الهوامش:

١-٦- عبدالله بن محمد الحبشي: من شعراء ضمد في كتاب مطلع البدور، مجلة العرب، ج١، ٢، س٢٤ (رجب وشعبان ١٤٠٩هـ)، ص٨٠، ٨٠، ٨٠، ٨٢، ٨٢، ٨٢.
٧- العقود اللؤلؤية ١/١١١.
٨- من شعراء ضمد في كتاب: مطلع البدور، مرجع سابق، ص٨٠.
٩- عز الدين بن فهد: غاية المرام ٢/٢٧.
١٠- ديوانه ٣.
١١- زيادة من الباحث.
١٢- خير الدين الزركلي: الأعلام ٥/١٧٨.
١٣- قال الرازي: «اللُّهوة بالضم: العطية دراهم كانت أو غيرها، والجمع: اللُّهَا». مختار الصحاح ١٠٧.
١٤-١٦- تحفة القارئ والسامع، ص٢٢، ٢٢، ٢٢.
١٧- كذا في الديوان، وفي الأصل: «الضيغم: الضيعم».
١٨- كذا في الديوان، وفي الأصل: «وقار».
١٩- أي: مخطوط.
٢٠- تحفة القارئ والسامع ٢٢.

المصادر والمراجع:

أولاً: المخطوطات:
- العمودي، عبدالله بن علي: تحفة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع، نسخة مخطوطة، توجد لدى الباحث، من دون رقم.
- ابن هتيمل، القاسم بن علي: ديوانه، مخطوط، توجد نسخة مصورة منه لدى الباحث، من دون رقم.
ثانيا: المطبوعات:
- الخزرجي، علي بن حسن: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، مطـ الهلال، مصر، ١٣٢٩هـ/١٩١١م.
- الرازي، محمد: مختار الصحاح، طـ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، طـ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ابن فهد، عز الدين: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، طـ١، مط المدني، جدة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
ثالثًا الدوريات:
- الحبشي، عبدالله بن محمد: من شعراء ضمد في كتاب مطلع البدور، مجلة العرب، ج١، ٢، س٢٤ (رجب وشعبان ١٤٠٩هـ) ص ص ٧٨-٩٢.

إبراهيم أهوانيمون

القس الداعية

ولد جان باتيست أهوانيمون في مدينة بورتو نوفو في داهومي (جمهورية بنين حاليًا) في مطلع الستينيات الميلادية، وكانت إفريقية أو القارة السمراء - كما سماها المنصّرون - مبتلاة بموجة عاتية من الهجمات التنصيرية، التي استغلت الفقر والجوع وحاجة البسطاء إلى ما يقيم أوَدهم ويدفع عنهم عذاب الجوع وآلامه، فكان الجوع مدخل المنصّرين إلى عقول الأفارقة وأرواحهم، وصدق الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حين قال: «ما دخل الفقر بلدًا إلا ورافقه الكفر».

استغلال الفقر

وهذا ما حدث، حيث استغل المنصّرون فقر الأفارقة ليضلوهم عن جادة الصواب، واستباحوا النفوس والعقول مقابل قطعة خبز أو ملعقة دواء، وفي ظل تلك الظروف المأساوية نما جان باتيست وترعرع، وتلقفه المنصّرون الكاثوليك ليحشوا عقله بترهات النصرانية وألغازها وانحرافاتها، وحين وجدوا فيه خامة صالحة للتنصير أدخلوه في جماعتهم، وألحقوه بمعهدهم ليتلقى تعاليم الكاثوليك، حتى حصل على درجة البكالوريوس في علم اللاهوت والتحق بالعمل قسًا في إحدى الكنائس الكاثوليكية في غينيا عام ١٩٨٣م.

استطاع جان باتيست أن يحقق نجاحًا كبيرًا في عمله قسًا ومنصرًا، ووصلت أنباء نجاحاته إلى مسمع البابا يوحنا الثاني، بابا الفاتيكان، الذي أراد أن يستثمره لخدمة الكنيسة وأهدافها، وبخاصة أنه قس إفريقي يمكنه أن يتفوق على القس الأبيض في اكتساب ثقة الأفارقة، الذين يرتبط البيض في تاريخهم بعهود القهر والعبودية، وبالفعل بدأ جان عام ١٩٨٥م عدة جولات في المناطق الغينية التي يدين أهلها بالوثنية، أو لا يعتنقون ديانة في البداية، ثم امتدت الجولة في حذر إلى المناطق التي بها مسلمون.

جهود في التنصير

استفاد جان باتيست من تجربته الحياتية في الدعوة إلى النصرانية، حيث كان يبدأ مَنْ يودّ تنصيرهم بتوفير ما يحتاجون إليه من مأكل وملبس بلا مقابل، أو هكذا كان يوهمهم، دون أن يدروا أن المقابل باهظ، واعتمد في المناطق المسلمة على جهل الكثير من المسلمين أمور دينهم، فكان هذا مدخله لبث الأفكار النصرانية في عقولهم، موهمًا إياهم في البداية بأنها لا تتعارض مع كونهم مسلمين، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يشككهم في عقيدتهم، حتى إذا ما وجد الفريسة قد استوت وحان قطاف ثمارها، أدخلها في دهليز النصرانية، فتقع في فخ لا نجاة منه إلا لمن يرحمه الله وينقذ روحه.

ظل جان باتيست يمارس عمله التنصيري في خدمة الكنيسة محققًا نجاحات جعلته واحدًا من أبرز المنصّرين في القارة الإفريقية، وتبدلت أحواله المادية كليًا، لتتواكب مع نجاحاته، فصار يملك أموالاً طائلة، وعقارات، فضلاً عن ثلاث سيارات، ونفوذ كبير لا حدود له.

مناظرة

وكان من الممكن في ضوء تلك النجاحات التي حققها جان باتيست أن تستمر روحه في ضلالتها، لولا أن تداركتها عناية الله - جلت قدرته - التي قدرت لجان أن يشهد في مطلع التسعينيات الميلادية مناظرة بين مسلم ونصراني، وسمع المسلم يتحدث عن موقع عيسى عليه السلام ووالدته العذراء مريم في الشريعة الإسلامية، وكيف أن القرآن الكريم يدعو كل مسلم إلى تبجيل عيسى لكونه نبيًا، أرسله الله بالحق، وتوقير مريم البتول، التي هي - في المنظور الإسلامي - سيدة نساء الجنة، وأحسَّ جان بقشعريرة حين سمع المسلم يتلو قوله تعالى: «ولو شَاءَ ربُّك لآمَنَ مَنْ في الأرض كلُّهم جميعًا، أفأنت تُكرِهُ الناس حتى يكونوا مؤمنين» يونس:٩٩.

كانت تلك الآية الكريمة البوابة التي تراءت لروح جان ليخرج من دهاليز الكنيسة وضلالها إلى نور الإيمان الساطع، إذ جسّدت له فظاعة ما يفعله، حين يستغل حاجة البشر إلى الطعام لتنصيرهم، والحاجة هي أسوأ أنواع الإكراه، لأنها تسلب المرء حرية القرار وتجعله خاضعًا لغيره.

أحس جان في داخله بالضآلة، وبخطأ ما هو عليه، وبخاصة بعدما تبينت له حقيقة السيد المسيح عليه السلام، وأنه لم يَدَّعِ يومًا أنه إله، بل أقر بالربوبية لخالقه، وسطعت في داخل جان قوة عظمى لايدرك كنهها، قوة أعظم من قوانين الطبيعة التي يعرفها الإنسان بعقله المحدود، قوة وجهته إلى الوجهة التي طلبها في أعماقه بفطرته السليمة، ألا وهي الإيمان بالله الواحد الأحد.

القرار كان صعبًا، وكل من مروا بتجربة جان باتيست يعرفون صعوبته، إذ ظل لفترة يختبئ من ذاته، ويجافيه النوم، حتى نزلت عليه رحمة ربه وتاب عليه وهداه إلى إشهار إسلامه.

لحظة الانعتاق

في أواخـــر عـــام ١٩٩١م كـــانـت لحظة الانعتاق من ضـلالات الشرك، إذ وقف جـان في صحن مسجد الملك فيصل في كونكاري ليعلن على الملأ خلاص روحه، ويردد خلف الإمام شهادتي الإسلام: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

لكن هل انتهت قصة جان أو إبراهيم - كما تَسمّى بعد إسلامه - عند هذا الحد؟! بالطبع لا، فالكنيسة التي تلقت ضربة موجعة بإسلام أحد رموزها في القارة السمراء لم تكن مستعدة للتسليم بفشلها، أو لابتلاع الغصة المؤلمة التي سببها لها إبراهيم بتركه إياها والتحاقه بالإسلام، الذي هو - بالنسبة للكنيسة - الخوف الأكبر، لعلم القيادات الكنسية بأن المستقبل للإسلام، فهو ينتشر - بإذن الله - في بقاع الأرض، مشارقها ومغاربها.

لهذا كان رد الكنيسة عنيفًا باتجاه إبراهيم، إذ طارده زبانيتها في كل مكان محاولين قتله، واستولوا على أمواله وأملاكه، وجردوه منها، فلم يذعن، ولم يرتد، وصبر واستمسك بحبل الله، وحين أحس الزبانية بفشلهم وجهوا له ضربة لم يتوقعها حيث أقنعوا شقيقته بأن تنتحر احتجاجا على قراره بإشهار إسلامه، وبرغم قسوة المصاب إلا أن ذلك لم يزد إبراهيم سوى ثبات على الحق.

القس الداعية

وإبراهيم اليوم يمارس عمله داعية إسلاميًا ضمن لجنة مسلمي إفريقية وقد استفاد في عمله الدعوي بما يعرفه من أساليب المنصّرين وطريقة عملهم، مما جعله يحبط العديد من مخططاتهم التنصيرية بين أوساط المسلمين، بل استطاع أيضًا أن يهدي للإسلام أرواحًا حائرة كانت قد أصابتها ريح التنصير العاتية، إلى أن قيّض الله إبراهيم ليجعله سببًا في هدايتها، ودعوتها إلى الفطرة السليمة التي فطر الله - عز وجل - البشر عليها، ألا وهي الإيمان بوحدانيته والاعتقاد بأنبيائه جميعًا عليهم الصلاة والسلام.

ليست الأم وحدها الحنون

عبد الكريم الحمصي

(مها) طفلةٌ تجاوزت الخامسة ، لم تكن من أجمل أترابها بل كانت أجملهن جميعا. وجهُها الطفوليّ يغريك بالتسبيح، غدائرها الشقراءُ كأنّما غُسِلَتْ بماءِ الشمس (تنورتها) الصفراء كأنما غسلت بماء القمر، وربطة شعرها الحمراء كأنما غسلت بماء الشفق. لم تكن تمشي على الرصيف مشيًا بل كانت إلى الرقص أقرب، وإذا فتحت ذراعيها انفتحت معهما (التنورة) وانسابت مسرعةً كفراشة تهيمُ فوقَ الحقول. أخوها عليّ تجاوزَ الثالثة وقد تعلّقَ بأخته الوحيدة (مها) تعلقًا شديدًا حتى إنهما شكلاً ثنائيًا رائعًا. لم يكن عليّ أقلَ من أخته جمالاً ولو لم تناد عليه يا عليُّ لظنَّ الناسُ أنه طفلةٌ رائعة.

لم يكن المنزل بعيدًا عن الشارع العام، لذلك كانت (مها) تمسكُ بيد عليٍّ أكثر الأحيان خوفًا عليه من السيارات العابرة.

ولكنّ عليًا كان يفلتُ من يدها ليركض وراء قطة أو عصفورة تريدُ أن تلتقط بعضَ الطعام عن الرصيف أو الشارع، ولكنّه يفشلُ في كل مرة. اللهم إلّا قطته البيضاء تعيشُ معهم في البيت تموءُ إذا أقبلَ وتهرّ في حضنه إذا جلس.

ولاحظَ أهلُ الحيِّ أنّ عليًا متعلّقٌ بأخته أكثر مما هو متعلق بأمه. لم يكن تفسير هذه الظاهرة صعبًا، فقد كانت الأمُّ مشغولةً بالمطبخ والغسيل والثرثرة مع الجارات كلما سنحت لها الفرصة، أمّا (مها) فقد كانت متفرغة للّهْو معه بالدّمى وألعاب الأطفال والذهاب إلى البقال بين الفينة والأخرى.

أحبَّتْ (مها) أخاها الصغير حبًا شديدًا كما أحبّها، فقد كان ينام إلى جانب أخته أكثرَ مما ينام إلى جانب أمه.

وتسأل الأمّ عليًا مَنْ تحبُّ أكثر يا عليّ؟ أُمّكَ أم أختَك؟ ويجيبُ عن السؤال بكلِّ براءة الأطفال التي لا تعرفُ نفاقًا ولا مجاملة: أحبُ أختي أكثر.

وتبتلع الأم ريقها - محاولة إظهار الرضى والابتسام. ولماذا يا علي تحب أختك أكثر مني؟

- لأنك لا تلعبين معي بالكرة يا ماما.

وتمرّ الأيامُ رطبة كالربيع هادئة كالغدير طيّبةً كالعافية. وفي ذلك الضحى الجميل (مها) تريد أن تقطع الشارع إلى الجانب الآخر، يفلتُ عليٌ من يدها يريد أن يلتقط العصفورة.

أصبحت (مها) على الجانب الآخر، فلما نظرتْ خلفها فإذا بعليٍّ في منتصف الشارع تمامًا. وإذ بشاحنة تقبلُ مسرعة، ولكنّ (مها) كانت أسرع منها. اندفعت إلى أخيها. وبلمح البصر رمت به إلى الأرض وألقت بنفسها فوقه ظانة أن جسمها سيحمي أخاها إذا مرت العجلات من فوقهما وشكلا كتلة بشرية صغيرة. ومرت الشاحنة فوقهما وصاح الناسُ وهمْ على جانبي الطريق، وبلغت القلوبُ الحناجرَ، وتوقف الدم والعروق.

واندهش الناس أكثر عندما مرت الشاحنة وقد خلفت وراءها الكتلة البشرية الصغيرة كما هي بلا نزيف ولا دم. لقد خرج عليّ وأختُه سالمين. لقد أنقذت (مها) أخاها الصغير بقوة الحبّ وصدقِ العاطفة، وحملها الناس إلى الجانب الآخر مع صيحات الفرح وابتسامات الغبطة وتفرق الناس وهم يقولون: ليست الأمُّ وحدَها الحنون.

فضيلة الشيخ

د. صالح بن سعد اللحيدان

حكمها الوجوب

ما حكم قول: آمين بعد فراغ الإمام من الفاتحة؟

ع. ب ـ القاهرة

حكمها الوجوب في الجملة لصحة النقل عن هذه الحال.

بيع لا يجوز

إذا اشترى رجل سيارة من آخر أمَّنها له بعد الاتفاق بزيادة، فهل يصح ذلك؟

خالد ب ـ جدة

مثل هذا البيع لا يجوز لأنه بيع بعد الاتفاق على الزيادة، وقبل تملك البائع للسيارة، فهذا بيع ما لا يملك أصلاً، لكن المخرج من هذا هو: شراء سيارة أو عدة سيارات، ثم بيعها جملة أو مفردة لمن يريد شراءها بزيادة معقولة إلى أجل معلوم فهذا بيع: صحيح.

تصرف غير لائق

لديَّ مطعم وبقالة في كل من الرياض وجدة والدمام باسم أحد الصحابة، وقد طبعت عدة نسخ دعائية، وكذلك أخرجت آلاف الأغلفة من البلاستيك التي يعلب فيها الطعام وسواه، وأخشى أن تُرمى في الزبالة من قبل بعض الزبائن فهل آثم بهذا؟

ع ع ب ـ الرياض

الصحابة وكل اسم محترم يذكر فيه لفظ الجلالة أو نبي من الأنبياء بقصد النبي بعينه فإن إكرامهم [فرض عين] على كل مسلم فلا يجوز الاستهانة بهم بصورة من الصور.

وقد انتشر اليوم كثير من البلاستيك التي تحمل عنوانًا ما لصحابي أو تابعي جليل أو ما يحمل لفظ «الجلالة» مثل: الله، العزيز، الرحمن إلخ....

فلا يجوز شرعًا كتابتها على هذه الأغلفة أو البلاستيك خشية عدم تقديرها برميها في النفايات أو الطرق ثم تداس، وعلى المسلم مراقبة الله جل وعلا ومخافته وتقواه، ومثل هذا من يستعمل الصحف والمجلات سفرة للطعام، أو ينام عليها لتقية غبار الأرض، كمن ينامون في حافة الشوارع والغرف غير المفروشة.

الصبي إمامًا

ما حكم إمامة الصبي للصلاة؟

سلمان المواطرة ـ الأردن

إذا كان مميزًا وهو أقرأ من غيره للقرآن، فلا بأس لصحة حديث عمرو بن سلمة.

قص الأظافر والوضوء

قص الأظافر بعد الوضوء هل يبطل الوضوء؟

سليمان ب ب/ بريدة

لا أرى في هذا بأسًا إن شاء الله تعالى، لأنه ليس من النواقض.

معانٍ جليلة

ما معنى قول الله تعالى: وهُزِّي إليك بجذع النخلة. مريم: ٢٥؟

سليمان بو علوان ـ المغرب ـ فاس

المراد من قوله تعالى: وهُزِّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطَبًا جنيًا. أمور منها:

ـ فعل الأسباب وبذلها لاتقاء المرض بإذن الله تعالى.

ـ أن التمر مفيد لمن وضعت حملها فهو يفيد البدن: حراريًا ويُضيِّق فتحات الرحم بعد الولادة.

ـ كما أنه غذاء كامل لتوفر عدة عناصر جيدة فيه خاصة الحديد، لأن التي وضعت حملها تفقد دمًا كثيرًا، والدم يحمل كثيرًا من متطلبات البدن كالحديد والكلسيوم والصوديوم وسوى ذلك، فالتمر يعوض ذلك بإذن الله تعالى. لكن يجب في الحالات العادية الاعتدال في أكله لأنه في حالة الإسراف جدًا قد يعجز البنكرياس من التصرف في السكر الزايد إلا في حالات كثرة الحركة والشغل الشاق فهذا قد يحصل معه احتراق لزيادة السكر في الدم، ومثله العسل فلا يحسن الأكل منه إلا في حالات وأوقات معينة.

إعادة الحق للمظلوم

ظلمتُ شخصًا وأصل ظلمي له «حسدٌ» فقد كتبت ضده كثيرًا، وتكلمت في حقه واستغللت بعض الأشخاص. فماذا أفعل فإني أموت؟

س. س.، الرياض.

لا عليك: اعترف بما قلت عند من كتبت له أو ذكرت له ما ذكرت عن ذلك الشخص.

وإذا كنت لا تستطيع ذلك بسبب ما فحاول جاهدًا إعادة حق المظلوم إليه خاصة المعنوي، ورد حقه المادي، وأكثر له من الدعاء والصدقة، واذكره دائمًا بخير، وكن بجواره أبدًا تنصره وتأخذ له، فلعل هذا ينجيك.

حكم التبول واقفًا

ما حكم التبول واقفًا؟

مصطفى علوان ـ سورية

لا يجوز في الحمام، ولا الأرض الصلبة، ولا على الحجارة، ولا حال المشي، لكن لعله يجوز في الأرض الرخوة جدًا وللضرورة، أو في حال مرض يوجب مثل هذا.

القُرْطُ تدلَّى عنْوَة

عدنان خلف

«قُرئت هذه المقطوعة أمام سعادة الفريق «يحيى المعلمي»، فأثنى عليها وأسماها «مقامة غرامية». ولكن زميلنا القاص الأستاذ «يوسف المحيميد» أبى إلا أن يُعمل في العنوان قلمه؛ فكان له ذلك».

أوى الشاعر إلى عبثه على قرطاسه، وراحت يراعته تخط:

أبدًا نحن إلى ليلى مآقينا
فتهمل الدمع من شوق لماضينا

ففوجئ بعاذلته الغيور من خلفه تصرخ سائلة: وأية ليلى هذه التي شغلتك، وإلى عزلتك رمتك؟!

قال: لا عليك.. إنما هو عبث الشعراء.

قالت: ألا يكون لنا من عبثك هذا ـ يومًا ـ نصيب؟!

قال: أنت أغلى عندي من كل «ليلى»، وصدقيني أنني كلما راودني الشعر في قافية ضاقت عن الوفاء بمعانيك.. صدقيني..!!

قالت: فقُل كما قال صاحب ليلى:

أمرُّ على الديارِ ديارِ ليلى
أقبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا

قال: ذاك مجنون!

قالت: والذي قال:

فَقُلتُ يمين الله أبرح قاعدًا
ولو قطَّعوا رأسي لديك وأوصالي

قال: فذاك مُنتحر!

قالت: يا رجل.. تباكَى كصاحب عزّة، حيث قال:

وما كنتُ أدري قبل عَزّةَ ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولّتِ

قال: ذاك هاوٍ لوجع القلب، وهل هذا مما ينقص عصرنا؟!

قالت: والذي قال:

أبثينَ إنك قد ملكت فأسْجِحي
وخُذي بحظك من كريمٍ واصل

قال: إن النظام العالمي اليوم يمنع الرِّقَّ، وقد ساوى بين الرجل والمرأة..

قالت: إذن والذي قال:

يا معبودتي حتى الثمالة..

قال: هذا شِرْك..

ولما طفح كَيْلُ الصبر بها، وعلم أنها قد ضاقت به ذرعًا. وقبل أن يسمعها تقول: أنتَ في الحب عاق ولا تعرف للهوى معنى، وتحكم على عواطفه بالتيبس أو الجمود، سألها كالمتنبهِ من غفلة قائلاً:

ـ ما اسمك يا خريدتي؟

أجابت ـ بعفوية ـ: ندى!!

قال: والله إن اسمك لجميل، وإن مدلوله لبليل، ولطالما ذُكر في أعذب الأشعار على البهاء كعلَم ودليل.. ثم أنشدها:

فَدَعِي الـ«ليالي» الراحلات وشأنهنَّ
يجد النحاة بها مثالاً لاسم إنَّ

قالت: وماذا يقول ذوو المآقي الذارفات على ليلى وهند، وبثينة ودعد.. بعدئذ؟!

قال: دون ما تسمعين، ثم شدا:

ما طابت النسمات دونك «يا ندى»
كلاً ولا صدقت خلافك موعدا
أنت الأميرة بالأناقة فارفُلي
«أيقونةً» تزهو على طول المدى
أنت الحبيبة والأنيسة، موئلي
بجوارها أمسي ويومي والغدا
فالقدُّ غصن البان فيه يفاعة
والجيد صيغ لآلئًا وزمردا
واللحظ يرسل في الهوى أنشودة
فيثير في القلب الغرام ليسعدا
والقُرط بينهما تدلَّى عُنْوَةً
فاهتز من نفح الشذا وتَرَدَّدا
يا غضة الأفنان كنت حديقتي
لأرى على تلك الغصون مُغرِّدا
الليل في ناديك يسطَع كالضحى
فإن احتجبتِ يكون ليلاً سرمدا
لا تبخلي بالثغر يبرق بسمة
تحيي الفؤاد: ألا فجودي «يا ندى»

فاهتزت منها المشاعر، وتراقصت العيون في المحاجر، وأجابت بِلَحْنٍ ساحر:

أجـود أجـود
وربـي الـودود
فداؤك نفسي
بكل العهـود
أجـود أجـود
للحن الخلود
بقلـب يـرفُّ
كخفق البنود
بثغـر ونحـرٍ
وورد الخـدود
ملكت فـؤادي
ونلـت ودادي
وكنت مـدادي
بهـذا الوجـود

راقبوا أطفالكم

د. خير الدين عبدالرحمن

كان المشهد جليلاً بالتأكيد، يهز مشاعر الإنسان من الأعماق: الطفل محمد حسين طابطبائي الذي لم يتجاوز السادسة من عمره أمام لجنة فاحصة من أساتذة كلية الدراسات الشرقية الجامعية في لندن، بحضور مئات الرجال والنساء الذين حرصوا على هذا اللقاء النادر في شهر شباط/ فبراير من العام ١٩٩٨م، فكانوا، مع عشرات الملايين من المشاهدين الذين تابعوا اللقاء على شاشات التلفاز، شهوداً على معجزة.

بدأ الطفل الإيراني يظهر حفظه لآيات القرآن الكريم وهو في الثانية من عمره، أي في السن التي يبدأ الطفل معها تعلم مبادئ النطق. أكثر من هذا، أكد والد الطفل أنه كلما خانته الذاكرة فتلكأ في تلاوة آية من آيات القرآن الكريم كان طفله ابن السنتين يكمل الآية له، بحيث أيقن الوالد - آنذاك - أن طفله يحفظ القرآن الكريم بأكمله. وهكذا أيقن آخرون هذا شيئًا فشيئًا، إذ لا يمكن لمثل هذه الظاهرة أن تظل سراً، حتى وصل الخبر إلى كلية الدراسات الشرقية في لندن، حيث يقيم الطفل مع عائلته، فقررت أن يمتحن أساتذتها قدرات هذا الطفل. لم تكن قدرة هذا الطفل تقتصر على حفظه كل سور القرآن الكريم، مع أن مجرد الحفظ يشكل استثناءً خارقًا لطفل في السنوات الأولى من عمره، وإنما تجاوزت القدرة الاستثنائية حفظ السور إلى حفظ رقم كل من آياتها وموقعها، بحيث كان الطفل يصوب لوالده ولآخرين، سواء في أثناء تلاوتهم الآيات أو تدبرهم لمعانيها واستشهادهم ببعضها. شملت قدرة الطفل أيضًا الإحاطة بمعاني الآيات ومقاصدها، وهذا ما تأكد منه أعضاء اللجنة الفاحصة. سأله أحدهم على سبيل المثال: هل هناك آية قرآنية تشجع الإنسان على محاولة الصعود إلى القمر؟ فأجاب الطفل ابن السادسة: نعم، قول الله تعالى: *يا مَعْشَر الجنِّ والإنس إن استَطعتُم أن تنفُذُوا من أقطار السَّمَوات والأرض فانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إلاَّ بسلطان*. **الرحمن**:٣٣. توالت الأسئلة، فكان الطفل يرد ببراءته الرائعة ردودًا دقيقةً سليمة؛ بحيث أعلنت اللجنة الفاحصة بعد ذلك قرار كلية الدراسات الشرقية في لندن منح الطفل محمد حسين طابطبائي درجة الدكتوراه الفخرية.

كانت هناك حالات نبوغ أخرى خارقة، لأطفال أدهشوا العالم بقدرات استثنائية منّ الله بها عليهم. فقبل سنوات قليلة استطاع طفل كوري أن يذهل علماء الرياضيات الذين التقوا لفحص ما تردد عن إحاطته الفائقة بعلم الرياضيات، وقدرته على حل مسائل حسابية ومعادلات بالغة التعقيد، ليخرج هؤلاء العلماء من امتحانهم لقدرات الطفل مجمعين على يقين بأنه يمثل ظاهرة عجيبة.

لا ننسى في هذا السياق حالات قديمة ذكرها التاريخ من بين آلاف الحالات التي طمسها الزمن. نذكر مثلاً أن الطفل الإيطالي ماركوني قد أيقن بإمكان إرسال رسالة صوتية لا سلكية عندما كان في العاشرة من عمره، وجاهر بهذا اليقين وعرض بعض محاولاته الأولى وهو في الحادية عشرة من العمر، ثم نجح فعلاً في تجربة عملية أرسل خلالها أول رسالة لا سلكية في التاريخ البشري وهو في الثانية عشرة من عمره. لكن صغر سن ماركوني جعل الناس يستخفون به وبما توصل إليه. مع ذلك لم ييأس ماركوني، واستطاع أن يجد في بريطانيا من يهتم باكتشافه الذي فتح آفاقًا جديدة في عالم الاتصالات والملاحة البحرية والجوية، بحيث لم تمض سوى سنوات قليلة حتى بدأ انتشار الأجهزة اللاسلكية والرادارات التي اخترعها ذلك الطفل، فكان لها دورها الرئيسي في تطور التجارة الدولية والمواصلات والاتصالات والحروب.

حالة أخرى هي طفل اسمه جاسون أصيب بالعمى في شهوره الأولى. ثم أصيب بالشلل بعد أسابيع قليلة أيضًا، وعجز الأطباء عن علاجه. كانت أم هذا الطفل تحب الموسيقى وتعزف على البيانو، وقد وجدت في العزف بعض السلوى التي تخفف من آثار المصيبة التي ابتليت بها في طفلها، فراحت تحمل جاسون وهي في السنة الأولى من عمره في أثناء جلوسها للعزف. راح الطفل يمد أصابعه ويتحسس البيانو، فلم تمنعه بدعوى أنه يعرقل عزفها ويشوه أنغامها، ولم تكف عن حمله في أثناء العزف بدعوى أنه طفل عمره سنة واحدة لايستطيع التعامل مع البيانو، ناهيك عن كونه ضريرًا ومشلولاً، وإنما قدَّرت أن عبثه بالبيانو ربما يخفف من همومه بعاهتيه. وما إن بلغ جاسون الثانية من عمره حتى كان قادراً على الكلام والغناء والعزف. ثم تحسن أداؤه عامًا بعد عام، من غير أن يأخذ أية دروس في الموسيقى، إلى أن صار يعزف ويغني مثل أي عازف كبير ومطرب قدير قبل أن يتجاوز العاشرة من عمره. انتقل جاسون إلى مرحلة جديدة حاسمة عندما صار يغني ويعزف في الحفلات الكبيرة والنوادي الراقية وهو في الثالثة عشرة من عمره. سأله الناس: كيف استطاع أن يحقق النجاح وهو ضرير مشلول ينتقل على عكازين بصعوبة بالغة؟ فقال الطفل: لقد صممت على النجاح لقهر مرضي وعاهتي. هذا كل ماحدث.

نترك القرن العشرين الذي يسرع في الأفول إلى حالة أقدم بكثير، نكتفي معها بما اخترناه من حالات تفوق استثنائي للأطفال. تلك هي حالة بليز باسكال الذي ولد سنة ١٦٢٣م. كان ذلك الطفل الفرنسي يشفق على أبيه محصل الضرائب الذي اعتاد أن يرجع مرهقًا إلى البيت بعد جباية الضرائب

للحكومة من الناس، وبدلاًمن أن يخلد إلى الراحة، كان يمضي ساعات في عد الأموال التي جباها وتدقيق حساباتها. فكر الطفل بطريقة لمساعدة والده وتخفيف العبء عنه، وانتهى إلى ترقيم دواليب متماثلة، بحيث يحمل كل دولاب أرقامًا من الصفر إلى التسعة، جعل أحدها للآحاد والثاني للمئات والثالث للآلاف، وهكذا، بحيث يدور دولاب العشرات على مسننة رقمًا واحدًا أكثر كلما أتم دولاب الآحاد دورة كاملة، ويدور دولاب المئات بدوره أيضًا رقمًا واحدًا أكثر كلما أتم دولاب العشرات دورة كاملة على مسننه.. فكان اختراع بليز باسكال آلة حاسبة وفرت الكثير من الجهد والعناء الذي اعتاد والده أن يبذلهما مضطرًا، ثم لم تلبث أن وفرت الجهد والعناء المبذول في العمليات الحسابية على امتداد العالم.

لقد التقى العلماء على توافق بأن الإنسان لا يستخدم عمليًا ـ على امتداد حياته ـ سوى جزء يسير من الطاقات التي حباه الله بها. فإذا كان بعض العلماء يتباهون مثلاً باختراع المستشعرات الإلكترونية التي كانت لها تطبيقاتها الحربية الهائلة في الطائرات أو في الصواريخ أو في الرادارات على السواء، أو العديد من التطبيقات الإلكترونية في أسلحة ووسائط وتجهيزات عسكرية أخرى، إضافة إلى تطبيقاتها المدنية الكثيرة؛ فالثابت هو أن هذه المستشعرات الإلكترونية لا ترقى إلى عشر معشار قدرة الاستشعار لدى إنسان واحد. إن في الجلد الذي يغطي جسم إنسان واحد ثلاثين مليون وحدة للإحساس بالحرارة، وربع مليون وحدة للإحساس بالبرودة، ونصف مليون وحدة لمس للتمييز بين الناعم والخشن، وبين المسطح والمدبب، وهكذا.. بل إن في عين الإنسان الواحدة مئة وأربعين مليون مستقبل حساس للضوء تسمى المخاريط والعصي، وتشكل طبقة واحدة من أصل عشر طبقات تؤلف ـ مجتمعة ـ شبكية العين التي لا يزيد سمكها على ٤, ملليمتر، والتي يخرج منها نصف مليون ليف عصبي تنتقل الصورة عبرها من العين إلى الدماغ. لا يظنن أحد أن هذه الإشارة تستهدف تأكيد تفوق خلق الله عز وجل على ما يصنعه البشر، فحاشا لله أن تكون المقارنة واردة بأي شكل، وإنما نريد بهذه الإشارة أن نكررالسؤال: كم يستخدم الإنسان من القدرات الهائلة التي حباه الله عز وجل بها؟ ولكم من الوقت يستفيد المرء من ذلك الجزء اليسير الذي يستخدمه من تلك القدرات الهائلة، إذا غضضنا النظر عن الجزء الأعظم منها الذي يظل معطلاً طوال حياة الإنسان؟



ماركوني

إن ما يظهر بين فترة وأخرى من تفوق استثنائي لطفل ما في مجال معين ليس قدرة خارقة ينفرد ذلك الطفل بها، وإنما هو نتيجة ظرف سمح لقدرات ذلك الطفل بالتعبير عن ذاتها والإفلات من قمقم القمع الذي تمارسه العائلة والمحيط الاجتماعي من غير وعي أو قصد. إن في كل إنسان، على الإطلاق، من الطاقات والقدرات الجسدية والعقلية ما هو قمين بتحقيق إنجازات تفوق بآلاف المرات ما ينجزه فعلاً على امتدا حياته فيما لو أحسن استخدامها وصمم عليه. ولعل هذا بالذات واحد من أسرار التركيز الإلهي على دعوة الإنسان إلى التفكر والتدبر والتبصر والتذكر والمحاكمة والاستنباط والاستقراء والعمل في كثير من آيات القرآن الكريم. إن تكرار الحض على استخدام قوى الوعي الذاتي، من سمع وإبصار وأفئدة، تنبيه على أن السائد والمعتاد من استخدامها هو أقل بكثير من قدراتها الكامنة الفعلية.

إن من أبرز معوقات تقدم أمتنا وتطورها أساليب بليدة في التربية والتعليم والتنشئة والتعامل تُناقض جوهر هذه الدعوة الإلهية التي تتكرر في أكثر من ثلثي آيات القرآن الكريم. نأخذ مثلاً التطبيق البائس للمقولةالمشوشة بأن «العلم في الصغر كالنقش على الحجر»، فلا عقلُ الإنسان ونفسه حجر صلد، ولا العلم نقش على ذلك الحجر المزعوم، وإنما تفاعل مبدع مع الكون لاكتشاف المزيد من أسراره والإحاطة بجديد من قوانينه وقواعده. لايمكن لهذا التفاعل المبدع أن يتم من خلال «نقش على حجر» يستحفظ ما رآه الأجداد أو توصلوا إليه ويعدّه خاتمة المطاف ومنتهى العلم: *تلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَتْ لها ما كَسَبَتْ ولكُم ما كَسَبْتُم.* **البقرة**:١٤١. لقد أدى الأجداد دورهم، ومنه ما أتى بما ينفع الناس إلى يوم القيامة، ولكن دورهم لا يغنينا عن تأدية دورنا والتعاطي مع عصرنا تفاعلاً نديًا مع الآخرين عبر تأهيل أنفسنا بمتطلبات هذه الندية.

كم من أب يستخف بملاحظة يبديها طفله انطلاقًا من منطق متعال بأن الطفل قاصر عن التعامل مع شأن أكبر من عمره، وكم من أم تقمع طفلها لأنه ـ في نظرها ـ «يتدخل فيما لا يعنيه»، وكم من دائرة اجتماعية تمسخ الطفل وتحجر على عقله وتسفّه رأيه، بدءًا من العائلة وانتهاءً بالمجتمع الواسع، مرورًا بالمدرسة خاصة، لمجرد يقين مريض بأن على هذا الطفل أن «يتلقى» فقط و«يحفظ» النصوص المقررة بذريعة أن عقله لا يستوعب سوى هذا في مرحلة عمره تلك. إن حالة الطفل محمد حسين طابطبائي، الدكتور الذي لم يتجاوز السادسة من عمره، صفعة لكل أصحاب ذلك المنطق المستعلي واليقين المريض. إن أطفالنا يستحقون تشجيع كل مبادرة تصدر عنهم لتعرف الكون والحياة والوجود، والنفاذ إلى أسرار العلم، والتفاعل مع مختلف المسائل. فكم من طفل مؤهل للتفوق على أبيه ومعلميه ـ دون حاجة إلى انتظار دخوله طور الكهولة أو الشيخوخة ـ يقمعه تعامل البيت والمدرسة والمحيط فيتحول إلى مجرد باحث عن شهادة دراسية تتيح له راتب وظيفة، دون اكتراث بسبيل الحصول على تلك الشهادة، ثم يقطع كل صلة له بالبحث والتحصيل العلمي والاطلاع على المستجدات أو الاكتراث بها أصلاً بمجرد أن يحمل تلك الشهادة.. بل كم من طفل مؤهل للنبوغ والتفوق دفعه ذلك التعامل القمعي المستعلي المريض للبيت والمدرسة والمحيط إلى الكفر بالعلم والمتعلمين، والانصراف إلى ما يراه المجتمع عملاً حرًا، بينما هذا العمل الحر ـ في معظمه ـ مجرد وساطة طفيلية تسمح لصاحبها بالكسب، بل الكسب الوفير، من غير أن يقدم عمليًا أية إضافة مفيدة على السلعة أو الخدمة التي تنتقل عبره من المنتج إلى المستهلك.

راقبوا أطفالكم، واتقوا الله فيهم، فزجرٌ أو استخفاف في غير محله ومن غير قصد ربما يخنق فرصة لانطلاق نبوغ الطفل.. وتكرار خنق مثل هذه الفرص ربما أدى بأحفادنا إلى التساؤل عن سرّ التخلف الذي يعانون من ويلاته مثلما نتساءل اليوم، ومثلما تساءل أجدادنا قبل مئة سنة!

النقد والإيديولوجيا

بحث في تأثير الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث

تأليف: فاروق العمراني
قرأه: عمر مقداد الجمني

هذا الكتاب هو، في أصل وضعه، رسالة جامعية كان أنجزها الباحث فاروق العمراني(١) لنيل شهادة التعمق في البحث (دكتوراه حلقة ثالثة) بإشراف الأستاذ الناقد توفيق بكار(٢) في بداية التسعينيات. واليوم كُتب لهذه الرسالة أن تُنشر(٣). ولكن للنشر مقتضياته. فقد اضطرّ الباحث إلى أن يضحّي مُكْرَهًا بالجزء الأول منها فلم ينشره، واكتفى بالجزء الثاني، واضطر إلى أن يستعيض عن الأوّل بتمهيد في خمس صفحات، وهو، وإن كان خيراً من لا شيء، لا يغني، بحال، عن الأصل. وعسى أن تنهض همّة ناشر فيتولّى أمره، أو أن يتاح للباحث أن ينشر بحثه في طبعة ثانية يستكمل فيها نشر ثاني الجزأين بأوّلهما.

وصاحب هذه الأطروحة إنما يستأنف برسالته الجامعية هذه توجُّهًا في الدرس النقدي كان بدأه منذ سنوات خلت حين أنجز، بإشراف الأستاذ الناقد توفيق بكار، رسالة لنيل شهادة الكفاءة في البحث بعنوان: «تطوّر النظرية النقدية عند محمد مندور» تتبّع فيها تطوّر تفكير الناقد محمد مندور من النزعة التأثرية الجمالية الإنسانية إلى النزعة الواقعية الاشتراكية، أو ما كان مندور يسمّيه بالنقد الإيديولوجي. ولئن أتيح للناقد نشر هذه الرسالة العلميّة سنة ١٩٨٨م(٤)؛ إلا أن الكتاب ظلّ غفلاً على أهميته. وهو مهم على تواضع مؤلفه في المقدّمة، وبشهادة الأستاذ المشرف في التقديم، مهم من جهة كونه أوّل بحث علمي مستكمل منشور، على حدّ علمنا، يرصد في شمول وتحرٍّ على نهج التقاليد الأكاديمية مذهب مندور في النقد، ومهم من جهة كونه يدور حول محمد مندور، ومندور في النقد «أول ناقد عربي معاصر بالمعنى الدقيق» على حدّ عبارة الأستاذ توفيق بكار(٥).

أمّا الرسالة موضوع هذا التقديم فاستئناف للرسالة الأولى على أنحاء. فلقد تكشفت الرسالة الأولى لمؤلفها عن حقيقة أن التيار الواقعي الاشتراكي في النقد محتاج إلى مزيد من الدّرس العلمي لبيان مداه وتأثيره، وأن مندورًا ليس إلاّ واحدًا من جماعة أرست أسس هذا التيار، ومن هنا كان تخيّره لـ «تأثير الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث» موضوعًا لرسالته الثانية التي نقدّم اليوم.

وفعلاً، فإنّ ما يسوّغ هذا الاختيار أن ما كُتب في موضوع الاتجاه الواقعي الاشتراكي في النقد من أبحاث أكاديمية وغير أكاديمية عالج تأثير هذا التيار؛ إمّا بصفته تياراً من بين تيارات أخرى، وإمّا بصفة محلية أي برصد هذا التيار في بلد ما في عدد من البلاد العربية، وإمّا بصفة عينيّة أي بتركيز البحث على ممثّل هذا التيار أو على أثر من آثاره.

ويجد القارئ تفصيلاً في مقدّمة الكتاب لما كتب الدارسون عن هذا الاتجاه. فلقد استقصى فاروق العمراني جهود السابقين فلم ينكرها ولم يغمطها حقّها، بل عرضها ونقدها في أمانة مبيّنًا ما لها وما عليها(٦). وسعى - رغبة منه في التجاوز إلى تدارك ما فاتهم - فوسّع دائرة بحثه حتّى يشمل أكثر النقاد تمثيلاً للواقعية الاشتراكية وأصدقهم تصويراً لروحها وأخلصهم لها، فوقع على هذه الأسماء: محمد مندور ومحمود أمين العالم وعبدالعظيم أنيس وحسين مروّة. وحتّى يعتمد أشمل مدوّنة ممكنة من إنتاج هؤلاء النقاد الأربعة بنى دراسته على الكتب المطبوعة والمقالات غير المجموعة.

والرسالة وفقًا لهذا كلّه تتنزل في باب تأريخ الظاهرة النقدية، وبتعبير معاصر: في باب نقد النقد. فهي تؤرخ للواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث من بدء ظهورها، وهو عام ١٩٥٥م تاريخ صدور كتاب محمود أمين العالم وعبدالعظيم أنيس «في الثقافة المصرية»، إلى تاريخ انقراضها، ويوافق عام ١٩٨٦م تاريخ صدور كتاب محمود أمين العالم «ثلاثية الرفض والهزيمة».

ولقد وضع الباحث - كما أسلفنا - تمهيدًا للكتاب سماه «الواقعية الاشتراكية وعوامل انتشارها في الوطن العربي»(٧). وقلنا إنه استعاض به عن الجزء الأوّل من أطروحته الذي يقع في ٢٤٠ صفحة. ورفعًا للغبن عن هذا الجزء الذي لم ير النور نقف قليلاً عنده لنتيح للقارئ الذي لا يتيسّر له الرجوع إليه فرصة الإلمام بمحتواه.

ينقسم هذا الجزء الأوّل قسمين: القسم الأول (سمّاه المؤلف بابًا أوّل وأحرى به أن يسميه قسمًا لاتساع عناصره) عنوانه «مفهوم الواقعية الاشتراكية وظروف نشأتها وانتشارها في العالم العربي». قسم المؤلف هذا الباب الأوّل إلى فصلين:

الفصل الأوّل: مفهوم الواقعية الاشتراكية (وهو في ١٢٠ صفحة) حاول المؤلف أن يضبط في هذا الفصل الأوّل مفهوم الواقعيّة الاشتراكية بوصفها مذهبًا أدبيًّا نقديًّا غربيًّا نشأ وترعرع في الاتّحاد السوفييتي، ثم انتقل إلى أوربا. وبالنسبة إلى المؤلف، فإنّ الواقعيّة الاشتراكية تحوّل نوعيّ للواقعيّة النقديّة التي سبق ظُهورُها ظهورَ الواقعية الاشتراكية. فالواقعية النقدية وليدة القرن التاسع عشر الذي هيّأ بتحوّلاته العميقة المتنوّعة لظهور المذهب الواقعي وانتشاره بين مفكّري العصر وأدبائه وفنانيه. ولقد كانت فرنسا مركز الاستقطاب للمذهب الواقعي، ومنها سرت الواقعية إلى أنحاء أوربا والاتّحاد السوفييتي، ولكن هذه الواقعية النقديّة القائمة أساسًا على التصوير الأمين للواقع، وعلى النقد المتشائم للأوضاع، وعلى الخلفية التعليمية سرعان ما وجدت نفسها في مأزق، فهي تلامس الأوضاع دون أن تنفذ إليها وإلى ما وراءها من صراع طبقي؛ فإذا هي تتحول على التدريج إلى واقعية اشتراكية باستلهامها مقولات ماركس وأنجلز في باب الجمال والفن والأدب، وفق الجدلية الماديّة والجدلية التاريخية، وبخاصة منها مقولة: اجتماعيّة الظاهرة الأدبيّة ومقولة: العلاقة الجدلية بين البنية الفوقية والبنية التحتيّة. وقد تتبّع المؤلّف في دقّة وتحقيق مختلف العوامل التي أسهمت في نشأة الواقعية الاشتراكية في روسيا، وهي، في نظر المؤلف، ثلاثة:

أوّلها: النظريات الجمالية التي وضعها قبل ثورة ١٩١٧م الثالوث: بيلنسكي Belinski، وتشيرنيشفسكي Chernychewsky، ودوبروليوبوف Dobroliubov، وكان دورهم دورًا رياديًّا.

وثانيها: أفكار الروسي الماركسي بليخانوف Plekhanov، التي أسست لعلم جمال ماركسي، وإن غلبت الإيديولوجيا على مجمل تصوّراته.

وثالثها: أفكار لينين Lenine، بما كتب عن تولستوي وبما وضع من نظرية الانعكاس خاصة.

على أنّ الولادة الحقيقيّة للواقعيّة الاشتراكية كانت في الاتّحاد السوفييتي بعد ١٩١٧م؛ فقد تبلور المذهب والمصطلح عبر المناقشات الأدبية التي دارت في إطار التجمعات الأدبيّة أوّلاً، ثمّ في إطار اتّحاد الكتّاب السوفييت الذي جعل الواقعية الاشتراكية مذهبًا رسميًّا في الاتّحاد السوفييتي في مؤتمره الأول سنة ١٩٣٤م على عهد ستالين ثانيًا. لكن سيطرة الدولة والحزب في روسيا على شؤون الفكر والثقافة أدّت بالواقعية الاشتراكية إلى الاختناق. وقد أدى الأوربيون الثلاثة: لوكاتش G. Lukacs، وفيشر E. Fisher، وغارودي R. Garaudy، دورًا مهمًّا في تخليص المذهب من هذا الاختناق ومنحه مرونة أكبر وإنسانية أعمق.

الفصل الثاني من هذا الجزء الأول «ظروف نشأة الواقعية الاشتراكية، وعوامل انتشارها في العالم العربي» (وهو أيضًا في ١٢٠ صفحة) تتبّع فيه المؤلف هذه الظروف وهذه العوامل من بدايتها إلى مطلع الخمسينيات، وهو تاريخ ازدهار الواقعيّة الاشتراكية في نقدنا العربي. وأهم هذه العوامل، في نظر الباحث، بروز الفكر الاشتراكي وانتشار الماركسيّة في العالم العربي، وظهور مفكرين علمانيين مسيحيين من بين مفكري النهضة، وتأسيس الأحزاب الاشتراكية والشيوعيّة والتنظيمات اليسارية والنوادي والروابط والاتّحادات الفكريّة التابعة لهذه التنظيمات، والترجمة من الروسية إلى العربية لأدبيات الفكر الاشتراكي، إضافة إلى التحوّلات الاجتماعية العميقة التي جدّت في المجتمع العربي، واحتدام الصراع الوطني ضدّ الاستعمار والإقطاع والرأسمالية. ولقد أنتج هذا التوجه اليساري في الثقافة طائفة من النقاد كان لهم دور بارز في إرساء دعائم المدرسة الواقعية في الأدب والنقد، منهم: سلامة موسى ومفيد الشوباشي ولويس عوض ورئيف خوري وعمر فاخوري. ولكنّ تألّق الواقعية الاشتراكية كان في الخمسينيات والستينيات؛ أي بعد ثورة تموز/ يوليو ١٩٥٢م في مصر واتجاهها النظري والعملي نحو الاشتراكية مذهبًا في الاقتصاد والاجتماع، ونحو منظومة الدول الاشتراكية مذهبًا في السياسة، ممّا هيّأ الفرصة لانتصار الخط الواقعي الاشتراكي في الأدب والنقد على مقاومة اليمين السياسي الثقافي، بل إنّه في حمّى الصراع بين اليمين واليسار نمت الواقعيّة الاشتراكية واشتدّ عودها.

هكذا ينتهي الجزء الأوّل من الأطروحة بعد أن استقصى الباحث المسألة بحثًا وتنقيبًا، وأشبعها تحليلاً وتعليقًا على نهج واضح وخطة مستقيمة. ومما يؤسف له أن مقتضيات النشر حرمت القارئ من النص الكامل لهذا الجزء، فالتمهيد الذي وضعه الباحث ولخّص فيه هذا الجزء لا يغني بحال عن الرجوع إلى الأصل.

نأتي الآن إلى محتوى الكتاب المنشور، وهو في الأصل الجزء الثاني من الأطروحة. ينقسم هذا الكتاب إلى بابين سمّى الكاتب الباب الأول: المفاهيم، ويقصد بالمفاهيم «مجموعة الآراء والنظرات التي تشكّل رؤية نقادنا للأدب والنقد»(٨). وسمّى الباب الثاني: المناهج، ويقصد بالمناهج «دراسة الجانب التطبيقي من طريقة نقادنا (الواقعيين الاشتراكيين) في ممارسة النصوص الأدبيّة».

يتكوّن الباب الأوّل «المفاهيم» من ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: «وظيفة الأدب» بيّن فيه الباحث ارتباط الأدب بالمجتمع في تفكير هؤلاء النقاد: محمد مندور ومحمود أمين العالم وعبدالعظيم أنيس وحسين مروّة، وردّ ذلك إلى خصوصيّة المرحلة التاريخيّة التي انتموا إليها وتميّزت بالكفاح الاجتماعي والتحرر الوطني والانفتاح على الاشتراكية. وقد تجلّى هذا الارتباط في تبنيهم لمفهوم الانعكاس المؤسّس على جدلية العلاقة بين البنية الفوقية والبنية التحتيّة، وعلى ناموس العلية الذي بمقتضاه يخضع الأدب، وهو معلول، لعلة الحياة والمجتمع. فالأدب، على اختلاف تجلياته، انعكاس للحياة في حركتها ونشاطها وتطوّرها. وبيّن الباحث أن مقولات الالتزام والأدب الهادف وما إليها نتيجة لهذا الارتباط بين الأدب والمجتمع.

الفصل الثاني: «ماهية الأدب» حلّل فيه الباحث قضيتين بارزتين:

القضيّة الأولى: قضيّة الشكل والمضمون: وفيها بيّن أن النقّاد الواقعيين أكّدوا أهمية الشكل (اللغة والأسلوب) والتشكيل (المعمار الفني) بوصفهما جوهر ما يكون به الأدب أدبًا والفنّ فنًّا، وأن العلاقة بين الشكل والمضمون علاقة عضويّة تقوم على التآلف والتراصف، ولا تظهر إلا في الآثار الأدبيّة الناجحة.

القضيّة الثانية: مفهوم الواقعية الاشتراكية وخصائصها وأهدافها: وفيها بيّن الباحث أن من أهمّ هذه الخصائص الموقف الإيجابي والروح التفاؤلية، والنظرة الشموليّة التي تستوعب الحدث الإنساني في كل أبعاده وفي حركيته، والتصوير الفنّي لا الفوتوغرافي للواقع لأجل أن يتحوّل هذا الواقع إلى واقع فنّي.

الفصل الثالث: بعنوان «مفهوم النقد الأدبي وموقف نقادنا من بعض المدارس النقديّة وخاصة المدرسة النفسيّة». وقد أدار الباحث هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم النقد الأدبي ووظائفه

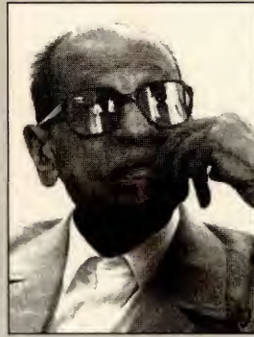
لدى النقّاد الواقعيين الاشتراكيين، وانتهى إلى أن هؤلاء حدّدوا للنقد وظائف ثلاثًا متداخلة متكاملة، جماعها ما وضع له مندور مصطلح: النقد الإيديولوجي، أو ما سمّاه محمود أمين العالم بالنقد الواقعي الاشتراكي العلمي. وهذه الوظائف هي:

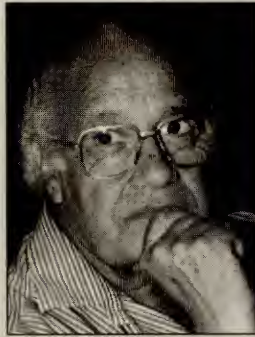
الوظيفة الأولى: وظيفة التفسير، وتحصل بتحليل الخصائص الفنيّة واستجلاء المصادر واستخلاص الدلالات والأغراض بالاستعانة بالمنهج التاريخي والاجتماعي في تفسير الظواهر الأدبية والاتجاهات الفنيّة. وبهذه الوظيفة يؤدي الناقد دورًا مزدوجًا، فهو يسهم في تثقيف القارئ ويعينه على فهم النصوص الأدبيّة وإدراك معنى الجمال فيها، وفي الوقت نفسه يبصّر الكاتب ذاته بالقيم الحقيقيّة التي حواها عمله.

الوظيفة الثانية: وظيفة التقييم، وتدعم وظيفة التفسير، وتحصل بتقييم الناقد للأثر الأدبي من جهة مضمونه، ومن جهة قالبه الفني على حد سواء، أي بالكشف عن مقدار الترابط الطبيعي والتداخل الحيّ بين النقد الفني البحت والنقد الاجتماعي البحت. وقد بيّن الباحث أن هذه الوظيفة أدّت ببعض هؤلاء النقاد الواقعيين الاشتراكيين إلى تغليب تقييم المضمون على تقييم الجانب الفنّي شأن محمد مندور الذي نادى «بضرورة إيلاء المضمون أهميّة كبيرة في عصرنا الحاضر وفلسفة حياتنا الراهنة»(٩) بدعوى تغيّر نظرتنا إلى وظيفة الأدب والفن في ضوء الفلسفات الأخلاقية والاجتماعية الجديدة. وعلى هذا هاجم مندور مسرحية «بين القصرين» المقتبسة عن رواية نجيب محفوظ المعروفة، «حيث نرى جانب الانحلال يطغى طغيانًا كاملاً على الجانب الوطني»(١٠).

الوظيفة الثالثة: وظيفة التوجيه، وبمقتضاها يوجّه النقادُ الأدباءَ وجهة إنسانية معيّنة أو فنيّة مخصوصة تنبّههم على حقائق واقعهم المتغيّر المتطوّر. وقد كانت هذه الوظيفة محلّ جدل اختلف حولها النقاد والأدباء لمساسها بحرية المبدع. وكان ردّ النقاد الواقعيين الاشتراكيين أن الحرية إن لم تكن مسؤولة، فهي عبث وترف عقلي وكلمة حق أريد بها باطل. هذه الوظائف الثلاث تشكل مجتمعة النقد الإيديولوجي. وقد حرص محمود أمين العالم على أن يسوّغ الطابع الإيديولوجي للنقد الواقعي الاشتراكي، فالنقد في نظره «موقف فكري إيديولوجي»، و«كل نقد أدبي هو نقد إيديولوجي بالضرورة»(١١).

أمّا المبحث الثاني الذي دار عليه هذا الفصل فهو موقف النقاد الواقعيين الاشتراكيين من بعض المدارس النقديّة، ولاسيما المدرسة النفسيّة. وقد تناول الباحث في البداية موقف هؤلاء النقّاد من المدرسة النفسية؛ لأنها أبرز مدرسة عاصرت الواقعية الاشتراكية واختلفت معها؛ فقد تعرض حسين مروة لمنهج عباس العقّاد ومحمد النويهي في دراستيهما عن أبي نواس، كما تعرض محمد مندور في «محاضرات في الأدب ومذاهبه» للفرويدية ولمذهب العقّاد والنويهي في دراسة أبي نواس، علاوة على دراسة مطوّلة لأمين العالم عن شارل مورون Ch. Mauron أحد أعلام المدرسة النفسية الفرنسية في النقد الأدبي منشورة في كتاب «الثقافة والثورة». وانتهى العمراني إلى أن النقّاد الواقعيين الاشتراكيين رفضوا بصفة عامة المدرسة النفسيّة. رفضوا علم النفس، وعلم النفس التحليلي، ورفضوا الاستعانة بما يفضيان إليه من نتائج؛ فعدّوا الأسس المعرفية للفرويدية غير مقنعة، وأنكروا أن يكون للأثر صلة بلا وعي المبدع،


نجيب محفوظ


محمود أمين العالم


د. محمد مندور

وعابوا على النقد النفسي إهماله الظروف الموضوعية والاجتماعية التي تحيط بالأثر الأدبي وبمبدعه. والحق أن العمراني لم يكتف هنا بعرض مواقف النقاد من هذه المسألة، بل ناقشهم وبيّن مكاسب النقد الأدبي من تعامله مع التحليل النفسي، وبيّن أن نقّاد الواقعية الاشتراكية لم يستوعبوا منهج التحليل النفسي ومبادئ الفرويدية، وأن موقفهم لا يعدو أن يكون ترديدًا لما ساد في الاتحاد السوفييتي وفي الأحزاب الشيوعية الأوربية من مواقف عدائية للفرويدية، خصوصًا في عهد ستالين(١٢).

أمّا البنوية، وهي ثاني المدارس النقدية التي حلل العمراني موقف الواقعيين الاشتراكيين منها، فلم يكن حظها لديهم أفضل من حظ المدرسة النفسيّة، ولم يعرض لها من بين هؤلاء سوى محمود أمين العالم في فصل من كتابه «البحث عن أوربا»، وفي مقدمة كتابه «ثلاثية الرفض والهزيمة». وقد هاجمها أمين العالم؛ لأنها ـ على حدّ تعبيره ـ مجرد «تحليل موضعيّ وصفيّ، كشفًا وتحديدًا، لنموذج مسبق، ومعزولاً عن كل سياق عام سواء كان سياقًا أدبيًا أو اجتماعيًا أو تاريخيًا»، وهو قاصر عن استيعاب «دلالة النص الكلية وإبداعيته سواء على المستوى الذاتي أو الاجتماعي أو التاريخي».

الباب الثاني من هذا الكتاب هو باب «المناهج»، ويقصد الباحث بالمناهج «دراسة الجانب التطبيقي من طريقة نقادنا في ممارسة النصوص الأدبية». وقد بيّن الباحث أن ممارسة النصوص في ضوء النقد الواقعي الاشتراكي كشفت له أن هذا النقد قام على دعامتين اثنتين: النقد في الداخل أو تحليل الصياغة الفنية، وهذا هو موضوع الفصل الرابع، والنقد من الخارج أو تحليل المضمون وهذا هو محتوى الفصل الخامس.

خصص الباحث الفصل الرابع «النقد من الداخل أو تحليل الصياغة الفنية» لدراسة طريقة النقاد الواقعيين الاشتراكيين في تحليل جوانب من الشكل والصياغة عبر مباحث أربعة:

المبحث الأول: يدور حول أهمية الصياغة في الشعر؛ وقد بيّن الباحث أن عناية الواقعيين الاشتراكيين بدراسة الصياغة الفنية في الآثار الشعرية تعود إلى إيمانهم «بأن المضمون مهما سما لابد له من أن يتصف بالجمال وأنه لا قيمة للشعر ما لم يكن جميلاً مصوغًا صياغة فنيّة، فإذا هو خلق جديد»(١٣) للُغة وللصور.

المبحث الثاني: قضيّة الفصحى والعاميّة في لغة المسرح والقصة. وقد أفاض العمراني في هذا المبحث مستقصيًا هذه القضية، ولاسيما أن الجدل حول مشكلة التعبير اللغوي في الأدب العربي الحديث أخذ مدى واسعًا نتيجة ظاهرة الازدواج اللغوي التي عبّر عنها الواقع اللغوي في العالم العربي. وقد عرض الباحث، بعد أن قدم حجج أنصار الفصحى وأنصار العامية، لمواقف النقّاد الواقعيين الاشتراكيين من هذه المسألة، وهي لا تخلو من اختلاف، مبتدئًا بالمسرح ومثنيا بالقصة (الرواية

النقد والإيديولوجيا

بحث في تأثير الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث

والقصة القصيرة). فإذا كان مندور يؤثر أن يكون الحوار المسرحي بالفصحى، فإن العالم يؤثر العاميّة في التعبير المسرحي عند تمثيله فوق خشبة المسرح، والفصحى في التعبير المسرحي المكتوب، ويلتقي الاثنان في هاجس البحث عن لغة مسرحية جديدة ممّا جعلهما ينوّهان بتجربة توفيق الحكيم اللغوية في مسرحية «الصفقة». أمّا في لغة القص فقد نادى جميعهم تقريبًا بضرورة ملاءمة اللغة للموضوع القصصي فيتنوّع التعبير المستعمل بتنوع الموضوع لتتحقق مشاكلة الحوار لواقع الحياة. يتحقق مبدأ الوحدة والانسجام بين الشكل والمضمون، وهذا ما يظهر عبر نقدهم لقصص وروايات عربية مختلفة.

المبحث الثالث: دراسة الشخصية ومفهوم البطولة. نظر العمراني في هذا المبحث في أهمية الشخصية عامة في بناء العمل القصصي، وحلل اهتمام نقاد الواقعية الاشتراكية بدراسة الشخصيات والنماذج الأدبية، وبتحليل خصائص البطولة في الآثار الأدبية في القصة القصيرة، ثم في الرواية، ثم في المسرحية، ووقوفهم عند عدد من الخصائص كالإيجابية والسلبية والثبات والنموّ والبساطة والثراء والانبتات والتجذّر.

أمّا الفصل الخامس فمداره «النقد من الخارج أو تحليل المضمون»، وهو القسم الثاني من باب المناهج. وقد خصصه العمراني لدراسة منهج الواقعيين الاشتراكيين في «تحليل المضمون بوصفه معيار تقويم الأدب ومقياس الحكم للأثر الأدبي وعليه»، اعتمادًا على دراستهم لعدد من الآثار الإبداعية في الشعر والرواية والمسرحية. والاحتفاء بالمضمون عند هؤلاء النقاد مردّه إلى تصوّرهم لوظيفة الأدب التي هي وظيفة اجتماعية بالدرجة الأولى، فدراسة موقف الكاتب ورؤيته للحياة وهدفه ومدى ارتباط موقفه هذا بالواقع الاجتماعي هو مضمون العمل الأدبي في رأيهم، وهذا ما أدّى بهم إلى إقامة طائفة من المقابلات في دراسة الآثار الأدبية (الإيجابي والسلبي، التقدمي والرجعي إلخ...) اعتمدها الباحث مبتدئًا بدراسة المضمون في الشعر، ثم في القصّة والرواية، ثم في المسرح. وقد انتهى الباحث إلى أنّ الرؤية الإيجابية في الأدب، حسب هؤلاء النقاد، تتمثل في التحام الأديب بالواقع وتصويره هموم الناس، والتزامه القضايا الاجتماعية والإنسانية ورصد التحوّلات الطارئة في مجتمعه كما فعل عبدالرحمن الشرقاوي في «الأرض» مثلاً. أمّا الرؤية السلبية، في نظرهم، فهي انفصام الأديب عن مجتمعه وقضايا بلاده، وانكفاؤه على ذاته، وانغلاقه في عالمه الداخلي الفردي يجترّ أحزانه، ممّا يجعل رؤيته مثالية غيبية (ميتافيزيقية). ونتج من هذا أن الرؤية الإيجابية هي رؤية متفائلة مفعمة بحبّ الحياة والإيمان بالإنسان، في حين أن الرؤية السلبية رؤية انهزامية تشاؤمية يغمرها الإحساس بالتمزق والقلق والسأم والضياع. وقد نقد الباحث انحياز الواقعيين إلى المضمون، فقد كان «انحيازًا طاغيًا، واهتمامهم بموقف الأديب كان غالبًا مهيمنًا»(١٤) في حين أن «تحليل الصياغة الفنيّة عندهم هزيل، وفي مرتبة ثانية»(١٥).

أمّا الفصل السادس والأخير فهو بعنوان «قراءة التراث الأدبي»، وعُني فيه العمراني بقراءة النقاد الواقعيين الاشتراكيين للتراث، فلاحظ أن حظ هذا التراث من عنايتهم ضئيل هزيل خلافًا للإنتاج المعاصر الذي فاز باهتمامهم باستثناء حسين مروة. فأمّا مندور فكان قد التفت إلى التراث النقدي أول حياته حين كتب «النقد المنهجي عند العرب» و«في الميزان الجديد»، ثم تحوّل عن هذا الاتجاه. وأمّا عبدالعظيم أنيس فقد اكتفى بالدفاع عن التراث العلمي في بعض مقالاته. وأما أمين العالم فقد كتب في السنوات الأخيرة مقالات سريعة حول الفلسفة والفكر الإسلاميين. وشذّ عن هؤلاء جميعًا حسين مروّة الذي استغرق التراث حياته كلها وفيه أنتج خاصة: «عناوين جديدة لوجوه قديمة في تراثنا الأدبي والفكري»، و«تراثنا كيف نعرفه»، وقد تتبع العمراني الدوافع التي بعثت مروّة على العناية بالتراث ومنهجه في قراءة هذا التراث والمحاور الكبرى التي عُني بها. وعمومًا فإنّ نقاد الواقعية الاشتراكية لم يتّخذوا موقفًا معاديًا للتراث، ولكنهم عالجوه بخلفية إيديولوجية. وقد ناقش العمراني منهج حسين مروة، وبيّن أنه «لم يخلُ من عيوب ومزالق»(١٦)، وأنّ مروّة يُسقط على النص أفكاره الخاصة فيحمّل النص أكثر مما يحتمل فضلاً عن إطلاقه مصطلحات حديثة على سياق تاريخي مخالف لها، وضرب أمثلة كثيرة على هذا الخلل في المنهج(١٧).

وختم الباحث أطروحته بفصل سماه: خاتمة عامة، وإنّها لعلى درجة عالية من المتانة.

إنّ بحث فاروق العمراني في «تأثير الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث» استكمل في نظرنا شروط البحث: عمق في التحليل واستواء في المنهج، واحتكام إلى المصادر، وقوّة في المجادلة، يرفد هذا كله ثقافة متينة عميقة عربية وأجنبية، ولغة سويّة ناصعة. وأروع ما في هذا العمل أن مخالطة العمراني لهؤلاء الأعلام في النقد ووشائج القربى الفكرية التي قد تربطه بهم لم تنسه واجب الموضوعية والحياد والحسّ النقدي في التعامل مع المدوّنة، فهو لا يكاد في فصل من هذه الفصول يعرض الرأي دون مناقشة، وهو لا يكاد يقف على الخصال حتى ينظر في الهنات والثغرات، لا يستجيب في هذا كلّه إلا لما يراه حقًا وواجبًا. فلئن كان من الثابت أن الاتّجاه الواقعي الاشتراكي في النقد العربي الحديث كان نقلة جديدة؛ فممّا لاشك فيه أيضًا أن هذا الاتجاه وقع في مزالق عدة لعل أبرزها: تغليب الجانب المضموني على جانب الجمال والفن، وإيثار التفسير الاجتماعي على سائر أشكال التفسير. ولعلّ من أسباب ذلك - في رأي فاروق العمراني - عدم امتلاك هؤلاء النقاد «الوسائل والأدوات التطبيقية التي تمكّنهم من كشف طبيعة الظاهرة الأدبيّة كشفًا دقيقًا، وتساعدهم على تحديد العلاقة القائمة بين الصياغة والمضمون، وبين القيمة الجمالية والدلالة العامة تحديدًا موضوعيًا»(١٨).

إنّ هذا الكتاب نتيجة جهد كبير بذله فيه صاحبه، وهو يقع اليوم في المكتبة النقدية العربيّة بين الأعمال الممتازة، والأبحاث الجليلة.

الهوامش:

١- أستاذ الأدب الحديث والنقد في قسم اللغة والآداب العربية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تونس الأولى.

٢- العنوان الأصلي لهذه الرسالة هو «تأثير الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث: محمد مندور، محمود أمين العالم، عبدالعظيم أنيس، حسين مروّة»، وقد نوقشت هذه الرسالة يوم ٩ تموز/يوليو ١٩٩٠م أمام لجنة مكوّنة من الأساتذة: منجي الشملي (رئيسًا)، وتوفيق بكار (مشرفًا)، ومحمد الهادي الطرابلسي (مقرّرًا). ونال عليها الباحث درجة الامتياز. والرسالة، لمن شاء الاطلاع عليها في نصها الكامل، مودعة بقسم الرسائل بمكتبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس تحت رقم T 4215.

٣- فاروق العمراني: النقد والإيديولوجيا: بحث في تأثير الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث، تونس: منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (سلسلة ٨، مجلد ١٧)، ١٩٩٥م، ٤٣٥ص.

٤- فاروق العمراني: تطور النظرية النقدية عند محمد مندور، تونس: الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٨م، ٢٤٠ص.

٥- النقد والإيديولوجيا، مقدمة الأستاذ توفيق بكار بعنوان «حداثة مندور»، ص٨.

٦- النقد والإيديولوجيا، ص٩ من المقدّمة وما بعدها.

٧- النقد والإيديولوجيا ٢٧-٤٣.

٨- المرجع السابق ٢٢.

٩- المرجع السابق ١٥٦.

١٠- المرجع السابق ١٥٨.

١١- المرجع السابق ١٦٢.

١٢- المرجع السابق ١٨١-١٨٦.

١٣- المرجع السابق ٢١٠.

١٤- المرجع السابق ٢٦١.

١٥- المرجع السابق ٢٦٠.

١٦- المرجع السابق ٣٥٠.

١٧- المرجع السابق ٣٥٠ وما بعدها.

١٨- المرجع السابق ,٣٦٤

صناعة الوعي: حالة العلوم

عبدالله سليمان القفاري

يظهر أن قضية الوعي العلمي لم تنل نصيبًا كبيرًا من الاهتمام في أدبيات البحث. والأبحاث والدراسات التي تُعنى بهذا الجانب في المنطقة العربية ما زالت ضعيفة وقليلة، وتدور في الغالب حول جزئيات ترتكز على أبعاد تربوية بالدرجة الأولى، كما ترتبط بالعملية التعليمية كغاية نهائية يعالجها التربويون؛ بمعنى أن هذه المسألة لم تربط بشكل واضح بواقع اقتصادي ومعيشي واجتماعي يحكم منظومات العمل في دول المنطقة العربية، وألقيت معالجة هذه المسألة ـ في الغالب ـ على عاتق التربويين الذين ظلت تشغلهم مسألة استيعاب المادة العلمية وتحسين طرائق التدريس والبحث في الاتجاهات والميول.

وغني عن القول أن نؤكد هنا أن العلم لا يتقدم ولا تزدهر التقنية إلا إذا توافرت البيئة الملائمة لنموهما، وذلك يتم من طريق غرس القبول العام بالدور الذي يؤديه العلم في التنمية وفي تحسين مستويات المعيشة والحياة بشكل عام؛ وعليه فإن العلم لا يرقى ولا يتقدم في المجتمع ما لم يكن لدى أفراده وعي مناسب بالعلم وآثاره الاقتصادية والاجتماعية.

وهذه محاولة لمعالجة مسألة الوعي العلمي لا من جانب أكاديمي بحثي منهجي يحاول تشريح قطاعات اجتماعية وإسقاط مقاييسه ومعاييره عليها، ليقيس درجات الوعي، فتأتي النتيجة سلبية في الغالب، ثم تأتي التوصيات التي لا تخرج في الغالب الأعم عن خطوط عريضة تقرأ دائمًا بمعزل عن واقع اجتماعي وإرث معرفي يدمغ مجتمعنا في فكره وسلوكه.

فهذه المحاولة ليست أكاديمية منهجية، إنما هي محاولة لجمع شتات أفكار ونظرات تصب في خانة الرؤية الكلية حول هذه المسألة من أطراف وزوايا مختلفة، لِتَبَيُّن مصدر الخلل قبل أن نصل إلى اقتراح الحلول أو البحث عنها.

مفهوم الوعي

هناك مدلول مشتق من علم النفس لمفهوم الوعي، يُعرف بأنه «إدراك المرء لذاته وأحواله وأفعاله إدراكًا مباشرًا، وهو أساس كل معرفة، وله مراتب متفاوتة في الوضوح، وبه تُدرك الذات أنها تشعر وأنها تعرف ما تعرف»(١). والوعي بهذا المعنى يشير إلى حالة التنبه العادية للشخص، وعكس هذه الحالة هي حالة الغيبوبة.

وهناك معنى لغوي لتعريف الوعي كما جاء في لسان العرب: «وعى الشيء والحديث يعيه وعيًا وأوعاه أي حفظه وفهمه وقبله فهو واع.. وفلان أوعى من فلان أي أحفظ وأفهم، وفي الحديث الشريف: «نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فربّ مبلّغ أوعى من سامع»، وفي حديث أبي أمامة: «لايعذب الله قلبًا وعى القرآن» قال ابن الأثير: أي عقله إيمانًا به وعملاً، فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده فإنه غير واع له»(٢).

ويظهر من هذا التعريف أن الوعي يُؤَسَّس على المعرفة (اكتساب المعلومات) وإدراك معنى المعرفة، واكتساب اتجاه إيجابي نحوها.

ويشير ابن الأثير إلى أن الوعي يُؤَسَّس على ثلاثة جوانب هي: الجانب المعرفي والجانب الوجداني والجانب التطبيقي. ويتمثل الوعي المعرفي في توافر المعلومات العلمية عن ظاهرة أو موضوع معين (الثراء المعرفي). أما الوعي الوجداني فيتمثل في تكوين الميول والاتجاه نحو تلك الظاهرة أو المسألة. ويلازم غالبًا الوعيُ التطبيقيُّ الوعيَ الوجدانيَّ حيث يسعى الإنسان للوقوف موقفًا تطبيقيًا تجاه ما يؤمن به حيال تلك المسألة أو القضية(٣).

ولنأخذ مثلاً مسألة حماية البيئة حيث يتمثل الوعي المعرفي في الثراء المعرفي لدى الشخص حول أنواع النباتات والأشجار والتلوث البيئي وآثاره في الإنسان والحياة عمومًا. ويتمثل الوعي الوجداني في تكوين الميول والاتجاهات نحو المسائل البيئية أي بشكل موقف نفسي، ليأتي الوعي التطبيقي حين يتصدى بالقول والعمل في سبيل حماية البيئة بالوسائل والإمكانات المتاحة. فإذا اكتملت هذه الجوانب أصبح هذا الشخص ذا وعي علمي متكامل، فهو يعرف ويفكر ويتخذ موقفًا وينفذ. وتلك هي أركان الوعي العلمي.

ويُعنى بعض الدراسات التربوية بما يعرف بالتَّنَوُّر العلمي، وهو ما يعرف بأنه «قدر من المعارف والمهارات والاتجاهات يتصل بالمشكلات والقضايا العلمية ومهارات التفكير العلمي الملازمة لإعداد الفرد للحياة اليومية والمشكلات التي تواجهه في بيئته ومجتمعه».

وعرَّفه آخرون «بأنه المعرفة والعادات الذهنية المرتبطة بالعلوم والرياضيات والتكنولوجيا التي يجب أن يحصل عليها كل فرد بعد إتمام الدراسة الابتدائية والثانوية».

من هذه التعريفات النظرية العامة (الأكاديمية) يظهر أن ما يعرف بالتَّنَوُّر العلمي يتقاطع مع تلك التعريفات التي ناقشت مفهوم الوعي العلمي، ومن ثم يمكن حسبان التَّنَوُّر العلمي صورة من صور الوعي العلمي.

أهمية الوعي العلمي

من المسلَّم به أن العلم لا يتقدم ولا تزدهر التقنية، إلا إذا توافرت البيئة الملائمة لنموهما، ومن ذلك أن يتم غرس القبول العام بالدور الذي يؤديه العلم في التنمية وفي تحسين مستويات الحياة. أو

بمعنى آخر لا يرقى العلم ولا يتقدم في مجتمع ما لم يكن لدى أفراده وعي مناسب بالعلم وطرائقه وآثاره الاقتصادية والاجتماعية.

ويؤكد الكثير من الدراسات أهمية نشر الوعي العلمي وإشاعة التربية العلمية لدورها في تنشئة أفراد ذوي توجه ووعي علميين.

لقد أشارت لجنة تدريس العلوم في المجلس الدولي للاتحادات العلمية إلى أهمية التربية العلمية، ففي أحد تقاريرها تقول: «إننا نرى أن النمو السليم للعلم في أي بلد يعتمد بصورة حاسمة على توافر اليد العاملة المدربة تدريبًا علميًا وتقنيًا، وإن النظام التربوي المحلي هو المسؤول عن توافر مثل هذه اليد العاملة. يضاف إلى ذلك أننا نرى أن استثمار التطور العلمي والتقني بصورة ناجحة لا يمكن أن يتصل إلا بدعم من جمهور مطّلع مهتم به. والواضح هنا أن مسؤولية تنمية هذا الاهتمام وتأمين تزويد الجمهور بالإعلام السليم تقع على عاتق النظام التربوي في البلد المعني»(٤).

وإذا أُخذ بالحسبان أن التفكير العلمي هو أحد مكونات الوعي العلمي، والتفكير العلمي هو نشاط عقلي يميز الإنسان من غيره من الكائنات، وقد استخدم الإنسان أنماطًا مختلفة من التفكير على مر العصور؛ استخدم المحاولة، والخطأ، والتفكير الخرافي، والتفكير بعقول الآخرين، وكذلك التفكير الاستنباطي، والتفكير الاستقرائي، وقد هدت هذه الأنماط من التفكير الإنسان إلى المعرفة اللازمة له في حياته، على ما في هذه الأنماط من التفكير من نواحي قصور متعددة، وذلك لأنها لم تقم على المنطق والملاحظة للوقائع الحسية، وفرض الفروض واختبارها، واستخدام أسلوب التجربة في البحث عن الحقيقة أو البرهنة على صدقها مثل ما يفعل التفكير العلمي الحديث. إذا أخذنا كل هذا بالحسبان، أدركنا قيمة الوعي العلمي وأهمية التربية العلمية في بناء مجتمع سليم معافى متوازن يتطلع إلى التقدم وهو يملك أولاً إحساسه بأهمية هذا التقدم ومعنى تطلعه إليه، ويملك ما يُعينه على فهم آلية التقدم وتقدير أدواته وتطويرها والحفاظ على مكتسباته منها.

عوامل مؤثرة في صناعة الوعي العلمي

١- موقف الرأي العام من العلم: هذا الموقف يبدو أنه فاتحة كبرى وواجهة بارزة يجب أن نُعنى بها في مسألة صناعة الوعي؛ فلا يتوقع من مجتمع ما زال غارقًا في عدم الوعي العلمي - إن جاز التعبير - أن يتصدى لهذه المسألة أو أن يُعنى بتبعاتها، ومظاهر ضعف الرأي العام تجاه العلوم الحياتية أمر مشاهد ملموس، تبدو معالمه واضحة جلية قد نعرض لها في بضع صور:

أ - الناظر في أعداد الطلاب الذين يلتحقون بجامعاتنا في حقول الدراسات النظرية؛ سواء في حقل العلوم الإنسانية أو الاجتماعية، على ضرورتها وأهميتها، والملتحقين بالكليات العلمية التطبيقية، يدرك الفرق الشاسع بين نسب هذه الأعداد ويلمس الفوارق البيّنة بين تلك الاتجاهات، ومع أننا ندرك أن التوجه نحو العلوم والدراسات الإنسانية بهذا الكم الكبير تحكمه ظروف وملابسات وعوامل متعددة، إلا أن من أهمها وأقواها: غياب الوعي العلمي لدى المجتمع الذي تتشكل فيه عقلية الطالب أوالدارس قبل التحاقه بالجامعة، فالعلوم ما زالت في أذهان الكثيرين هي طلاسم ومواد معقدة لدى الطالب الذي لم يحالفه التوفيق في تذوقها والاندماج في دراستها، وهي لدى المجتمع أسماء واختصاصات بعضها غير واضح المعالم، ولم تتشكل في ذهنيته مواقف إيجابية نحو أهمية هذه الاختصاصات في نهضة الأمة وحاجات المجتمع الماسة إليها، فيما تزدهر اختصاصات أخرى يحظى أصحابها بعناصر الوجاهة، وأحيانًا الإجلال والتقدير، بوصفهم أهل العلم وطلابه، كما يغيب المجتمع كلية عن الاهتمام بمنظومة العلوم التطبيقية والأساسية؛ مما يحدث في ذهن الطالب منذ الصفوف الأولى خللاً في ماهية التعليم وتحديد اتجاهاته.

ب - صناعة الكلام ما زالت البضاعة الرائجة في مجتمعاتنا العربية، والوجوه الإعلامية التي تطالعنا في وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز معظمها من أصحاب صناعة الكلام، وهي الشرائح المؤثرة في المجتمع، وهم الذين يعتلون المنابر ويتصدرون المجتمعات. وإذا كنا ندرك أن منهم العلماء الأفاضل والرجال الذين تتأثر المجتمعات بأفكارهم وطروحاتهم؛ إلا أن المتلقي في ظروف تشكله الذهني والوجداني سيتأثر - لا محالة - بمحيطه الاجتماعي الذي يجده مترعًا بهذا النوع من الاهتمامات، فيما يغيب الهم العلمي والاختصاصي التقني حيث تختلف اللغة وتتغير الأداة. وإذا لم يملك المجتمع منابر واتجاهات تقود لتلمس هذا النوع من العلوم فسنظل غارقين في أبعاد صناعة الكلام، ونختصم حول التاريخ، ونجادل حول الشاعرية، ويذيق بعضنا بعضًا ويلاً بنقد الحداثة ثم نقد ما بعد الحداثة، بينما تنزوي العلوم التطبيقية في معامل بعيدة من الأنظار حيث تنقطع لغة الكلام لتنطلق لغة أخرى تتطلب وعيًا وإلمامًا وتذوقًا اقتصر على خاصة الخاصة، وكان يجب أن تشيع هذه اللغة بين الناس ليكون العلم قدرهم الذي يحدد سباقهم الحضاري، الذي أدواته هي تقنيات العصر وتطوراته العلمية، لا خصومة التاريخ وجدال الماضي.

ولعلنا نذكر هنا كيف أن النظم التربوية العربية قد بنت أمجادها على كليات الحقوق والآداب كما هو معروف، هذا التواصل التاريخي ما زال يشكل تيارًا يتطلع إلى تلك الأمجاد ويحاول أن يتمثلها تاريخيًا ليقترب بها من الواقع كما هو مشاهد وملحوظ.

٢- إشكالية احتقار العمل المهني أو الحرفي في المجتمع: هذه الإشكالية - وإن كانت قد ضعفت إلى حد ما - ما زالت تشكل عقبة كؤودًا تحول دون بناء طاقات تتصدى للقيام بأعمال مهنية ترتبط بشكل أو بآخر بالعلوم وتقنياتها، حيث لا يُتَصَوَّر أن يكون هناك تقدم حضاري مادي عنصره التقدم العلمي والتقني دون وجود شرائح اجتماعية واسعة تنتمي إلى طبقة العمالة المحترفة التي تتولى تشغيل مؤسسات الإنتاج الصناعي، ومن ثم تندمج في آفاق عملية الإنتاج والتطوير. إن النظرة الاجتماعية الدونية لهذا النوع من الأعمال خلق حالة وعي سلبية بما يرتبط بهذه النشاطات التي يتشكل أساسها على قواعد العلم وتطبيقاته.

ولعل الملاحظ حاليًا أن أغلب التيارات التي تتوجه نحو شيء من تلك الأعمال إنما هي مدفوعة

إشكالية احتقار العمل المهني أو الحرفي في المجتمع - وإن كانت قد ضعفت إلى حد ما - ما زالت تشكل عقبة كؤودًا تحول دون بناء طاقات تتصدى للقيام بأعمال مهنية ترتبط بشكل أو بآخر بالعلوم وتقنياتها

قسرًا تحت ظروف ومتطلبات سوق العمل التي لم تدع لها خيارًا آخر، ولعلنا لا نعفي النظرة الاجتماعية القاسية تجاه تلك المهن، ونعدّها من عوامل التخلف العلمي، بل نشركها بوصفها دلالة على قصور الوعي بالعلم التطبيقي والأعمال المرتبطة به.

ومع أن الإسلام، هذا الدين العظيم، احترم كثيرًا المهن اليدوية، وحث على ممارستها - حيث إن إشكالية احتقار العرب للعمل اليدوي والحرفي إشكالية قديمة متأصلة في نفس العربي ومتلبسة في وجدانه - وقد جاء الإسلام يدعو الناس إلى أهمية تلك الأعمال فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على صناعة السلاح وامتهان الحرف كما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة، وقدّر اليد العاملة، وفي الحديث المشهور، عندما صافحت يده الشريفة يد صحابي فوجدها خشنة مشققة قال له صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب هذه اليد ورسوله». والذي يتصدى لمسألة صناعة الوعي يجب ألا يغفل البعد التاريخي والاجتماعي والنفسي تجاه احتراف العمل المهني والصناعي على وجه الخصوص.

٣- يعي كثير من العلماء المسلمين أهمية العلوم التطبيقية في حياة الأمة ويحضون على الاهتمام بها والاستزادة منها. لكن انتشار بعض المفاهيم التي تقصر العلم على العلم الشرعي دون غيره من العلوم، مع أن هذه العلوم لم تعد حاجات ثانوية، بل هي ضرورات لا تقوم للأمة المسلمة قائمة من دونها، هذه النظرة القاصرة زرعت اتجاهات أضعفت تقدير عامة الناس لتلك العلوم وأسهمت في تشكيل اتجاهات وجدانية سلبية تجاه طلب العلوم الحياتية أو التقصير في طلبها أو الاستزادة منها.

٤- تسهم لغة العلم إسهامًا فعالاً في اقتراب العلم من المفاهيم والأذهان، ومن ثم تداول مصطلحاته والتعامل مع مفرداته. ولأن العلوم اصطبغت بلغة الذين صنعوا التقدم البارز فيها والملموس والمشهود، ولضعف في برامجنا نحو التعريب، فإن قَصْرَ لغة العلم على لغة أجنبية لا يملك الناس في مجملهم القدرة على التعامل معها، خلق بدوره حاجزًا جعل كثيرًا من النشء وتيارًا واسعًا من جمهور الناس يعزف عن هذا العلم الذي يفتقد لأداة التواصل معه وهي اللغة.

إن صناعة الوعي مسألة حضارية، وشروطها يجب أن تتحقق كأدوات يملكها المتلقي، وإذا انتفت هذه الخاصية ضعف الوعي بالعلم، بل زُرعت اتجاهات سلبية تجاه تلقيه أو التفاعل معه. وتؤكد الدراسات أن عزوف كثير من الطلاب عن الالتحاق بالاختصاصات العلمية إنما مبعثه ضعفهم في اللغة الأجنبية التي تُدرس بها تلك الاختصاصات، وعجزهم عن التعبير عن مفاهيمهم حول العلم بتلك اللغة. وإذا كان هذا مشهودًا ملموسًا عند تلك المستويات، فإنه يصبح لدى جمهور الناس ذا أثر أكبر وأعمق دلالة، فالناس تصاب بعقدة الصمت والدهشة عندما تُوَاجَه بسيل من مصطلحات العلم بلغة لا تدركها، ولا تستوعب مفاهيمها، مما يجعلها تحجم عن التفاعل مع تلك العلوم أو تحاول الاستزادة منها. إن المجتمع لا يتفاعل مع علم لا يتكلم أبناؤه لغته.

٥- المتتبع للإعلام بشكل عام، والصحافة بشكل خاص، يدرك أن دور هذا القطاع من مسألة نشر الوعي العلمي أساسي في أية برامج تستهدف الرقي بهذه الصناعة. إلا أن ما يُعرض، وخاصة في الصحف، حول بعض القضايا العلمية لا يسهم في نشر الوعي وصناعته لعاملين: أولهما: أن محترفي العمل الإعلامي (الصحفي هنا) ربما لا يدركون أبعاد العملية العلمية جيدًا في المسألة المعروضة إعلاميًا، مما قد تسهم به العناوين المثيرة في بعض قضايا العلم من حالات قلق لتأتي بعدها عناوين أخرى في اتجاهات مغايرة لما تم عرضه مسبقًا، وخاصة في المسائل المتعلقة بصحة الإنسان وحياته، وهذا التوجه الذي ينم على طغيان العمل المهني على تلمس الحقائق وحسن عرضها قد يشكل اتجاهات سلبية تجاه العلم، ناهيك عما يزرعه من حالات قلق لا مسوّغ لها. هذا من جانب. أما الجانب الآخر فهو ملازم لسوء عرض المادة العلمية حيث تأتي هذه المادة جافة ثقيلة محشوة بالمصطلحات الأجنبية، وكأنها ترجمة ركيكة تنفر عين القارئ وتصرفه عنها. والأمثلة هنا كثيرة.

وهنا تأتي مهمة الإعلام العلمي الذي يحاول أن يمس جوهر هذه المسألة من جانبين: أولهما: رسوخ معطيات الفكر العلمي عند الطرح الصحفي بحيث لا تؤثر مهنيات الصحافة واحترافها وإثارتها في معطيات العلم. وثانيهما: تأسيس توجه إعلامي علمي يمارس المحرر العلمي من خلاله مهنته التي تتطلب تبسيط الحقائق العلمية وتقديمها بأسلوب يسهل إقبالهم عليها والاستفادة من معطياتها.

إن صناعة الوعي بالعلم ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالإعلام العلمي الذي يستطيع أن يجعل الاهتمام بالعلم ومتابعة نتائجه والاندماج في معطياته وتمثله جزءًا من المنظومة الثقافية للناس؛ تلك المنظومة التي تتنازعها في الغالب الأعم اهتمامات شتى قد تكون أضعف حلقاتها ما يتعلق بالعلوم وتقنياتها.

من مقومات صناعة الوعي

١- تبسيط العلوم: تحاط منجزات العلم وتطوراته بهالة من القداسة والغموض لدى قطاع عريض من الناس، ويحجم الكثيرون منهم عن التساؤل والاستشكال أو التعليق على بعض التطورات العلمية لشعور يتلبسهم بأن محاولة فهم تلك التطورات والأسس العلمية المبنية عليها إنما هو ضرب من المستحيل على عقولهم وأفهامهم؛ بينما يخوض كثير من المثقفين وجمهور واسع من القراء والمطالعين في القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية - بثقة مفرطة أحيانًا - ويشاركون بعقل جماعي حيال تلك القضايا وما يدور في فلكها.

وتأتي هنا مسألة تبسيط العلوم وإشاعة المفهوم والوعي العلمي ضرورات ملزمة في أية برامج تستهدف بناء مجتمع يدرك أهمية العلوم ويتفاعل مع منتجاتها وبرامجها تفاعلاً صحيًا، ويندمج في آفاق تلك المعارف مقدرًا أهميتها ودورها في حياته. وهذا يحول بلا شك دون الانحياز إلى نوع من المعرفة والانفتاح عليه والانغلاق تجاه أنواع أخرى.

إن الوعي بالعلوم ومنجزاتها المبني أساسًا على تبسيط تلك العلوم هو الذي يسهم في صياغة عقلية المجتمع صياغة علمية متجددة تجعل متابعة العلم ومنجزاته جزءًا من اهتماماته، حيث يكون أكثر إدراكًا لدور العلم في حل مشكلاته، وأكثر قدرة على الاستفادة من تلك المنجزات وتوظيفها

تؤكد الدراسات أن عزوف كثير من الطلاب عن الالتحاق بالاختصاصات العلمية إنما مبعثه ضعفهم في اللغة الأجنبية التي تدرس بها تلك الاختصاصات، وعجزهم عن التعبير عن مفاهيمهم حول العلم بتلك اللغة

التوظيف الأمثل، مع قدرته على تلافي ما قد يظهر من سلبيات قد تصاحب عملية التقدم العلمي أو تنتج منه.

وندرك أن مسألة تبسيط العلوم تتطلب أعمالاً مؤسسية تُسَخَّر لهذا الغرض الذي يتطلب إلمامًا بأسلوب الكتابة العلمية العربية، وتبسيطًا للطرح العلمي، ليكون في متناول شرائح اجتماعية واسعة. إن الكتابة العلمية باللغة العربية تبدو مهمة شاقة لبعض المتخصصين غير الملمين بأسس الكتابة العربية والمصطلح العلمي العربي، وقد تبدو أكثر صعوبة عندما تُوَجَّه لفئات عمرية وشرائح اجتماعية ذات مستويات ثقافية وتعليمية مختلفة، وهذا كله يتطلب أن تضطلع بهذه المهمة أجهزة مهيأة ومسخرة لخدمة هذا الهدف، ويجب ألا يقتصر دورها على هذه المهمة؛ بل يجب أن يتبعها قياسٌ لمستويات الثقافة العلمية في المجتمع وتَتَبُّعٌ لتلك النتائج وبحثٌ عن أفضل السبل لنشر الوعي العلمي. وإذا كان محور الحديث هنا عن تبسيط العلوم قد اتخذ جانبًا قد يفهم منه القارئ أنه موجّه نحو التأليف والكتابة العلمية؛ إلا أن مهمة تبسيط العلوم يجب أن تتجاوز ذلك إلى أسلوب عرض المعرفة والمادة العلمية بأي وسيلة إعلامية (صحافة، تلفاز، إذاعة) بطريقة مبسطة سهلة التناول قوية التأثير، إذ ما زالت المادة العلمية عندما تُعرض في وسائل الإعلام المختلفة تبدو جافة منفرة غامضة على أفهام كثير من الناس، وهذا يتطلب بناء جماعات علمية مؤهلة تدرك هذه المسألة وتمارس دورها على أساس المشاركة في صنع المادة العلمية الإعلامية، لا نقلها جاهزة بقوالبها التي صاغها المؤلف أو المعد أو المصدر أيًا كان.

٢- تقوية النزعة نحو تقدير العلوم: يؤكد عدد من الباحثين في علوم المستقبل أن ضعف النزعة نحو العلوم إشكالية قد تهدد مستقبل العلم في دول العالم المتقدم، ويعزو بعض الباحثين ضعف النزعة نحو تقدير العلوم إلى الأنظمة التربوية التي لم تُعنَ بتدريس أهمية المعرفة العلمية لشرف الفكر الإنساني - على حد تعبيرهم -، ودور تلك المعرفة في تاريخ التطور البشري وفائدتها في ثقافة المجتمع، وإسهاماتها في تكوين الأذهان. إن الاهتمام بالمعرفة العلمية لا يتأتى إلا بإشاعة الأفكار العلمية بين الجمهور وجعلها سهلة التناول، وكما يقول أحدهم: «يجب في الواقع أن نعير اهتمامنا لنقل العلم من جيل لآخر لتكوين الفكر العلمي، ولطبع الفكرة العلمية بعمق في النفس الإنسانية».

إذا كانت هذه النقولات من بعض المصادر التي عُنيت بهذا الجانب في بعض دول العالم الصناعي المتقدم، فإننا في مجتمعاتنا النامية نكون بحاجة أشد وأمس إلى إدراك أهمية تقوية النزعة نحو العلم وتقدير دوره في تقدم البشرية والحياة الإنسانية. وهذا لا يتأتى إلا من خلال نظام تربوي يُعنى بقضية العلم منذ مراحل التعليم الأولى، فتاريخ اكتشاف ما، والحقبة التي حدث فيها، وما يجلبه من نتائج، وكيف تطور، هذه كلها أمور تزيد الفضول المعرفي والقدرة على الفهم.

إن الاهتمام بتاريخ العلوم أو فلسفتها عامل مهم يسهم في الإبقاء على جذوة العلم متألقة، ودوره في التطور البشري حاضر في العقول والأذهان؛ مما يبقي عليه حاجةً أساسية لا يمكن الاستغناء عنها أو إغفال دورها أو عدم الاهتمام بها.

إن الإشكالية التي يؤكدها بعض الباحثين في هذه المسألة هي أن ما يهدد مستقبل العلم يرتبط ارتباطًا كبيرًا بضعف الاهتمام بالثقافة العلمية، ومن ثم ضعف الوعي العلمي، وأن الخطر الذي يهدد العلم قد يكون ناتجًا من عيوب في أسلوب التفكير بعد إهمال التفكير العلمي؛ مما يتيح طغيان الفكر غير العقلاني أو السحر الإعلامي اللذين يفتقدان عادة للقراءة العلمية العميقة.

إن قاعدة بشلار(٥) التي تقول: «للإبقاء على الاهتمام بالثقافة العلمية يجب دمجها بالثقافة العامة. وإن السبيل إلى ذلك أن نساعد الأذهان على إدراك القيمة الإنسانية للعلوم اليوم» أصبحت حكمة يتمثلها بعض هؤلاء العلماء الذين أدركوا عمق الهُوَّةِ وتزايدها بين المعرفة العلمية والثقافة العامة.

وتأكيد أهمية الإعلام والتربية العلمية التي يجب أن تكون حية في ذهن الجيل القادم وضمائر أفراده منذ مراحل التعليم الأولى - بدءًا من معرفة تاريخ العلم وتطور الاكتشافات، وانتهاءً بالإيمان بفلسفة العلم - أصبح الوصية الأثيرة لدى كثير من علماء اليوم. يقول أحدهم: «إن المهمة الآن هو أن نفعل كل شيء للإبقاء على المعرفة العلمية حاجة أساسية لمجتمعات المستقبل».

إن صناعة الوعي ليست مهمة ناجزة يمكن التعامل معها من خلال إصدارات خاصة أو برامج إعلامية توعوية، إنها مهمة مستمرة تبدأ من الصفوف الأولى في مراحل التعليم، حيث يكون للعلم وتقدير إنجازاته ودوره في الحياة ومنطقه نصيب مهم وكاف في برامج تعليمية تسعى لصياغة شخصية حضارية تدرك دور العلم في حياتها، وترتبط وجدانيًا بمعطياته، وتحاول أن تسهم في تقدمه الذي سينعكس على تقدم الإنسان وازدهار حياته.

٣- البعد الاقتصادي وصناعة الوعي: الملاحظ أن الوعي للشيء قد يُربط بالحاجة إليه، والوعي العلمي يمكن تصوره حاجة اجتماعية، وعندما يندمج قطاع اجتماعي واسع في صناعة العلوم والإنتاج العلمي والصناعي فإنه سيجد نفسه مندمجًا تلقائيًا في آلة العلم، يبحث في تفاصيلها وتفهم دقائقها، لأنها ما عادت متطلبات جاهزة، بل حاجة يومية ينجزها لينال خيرها.

وكما أن وعي العلوم الشرعية حاجة اجتماعية أملاها دور هذه العلوم في تنظيم حياة الناس وفي علاقاتهم بربهم وبإخوانهم من البشر، فإن وعي العلوم الحياتية هي حاجة اجتماعية يمكن تصور انتشارها وطلبها عندما تكون حاجة اقتصادية تملي على شرائح اجتماعية واسعة أن تندمج في نشاطات العلم والإنتاج الصناعي. وعلى هذا الأساس فإن السياسات الاقتصادية في بلد ما إذا ما ارتكزت على الإنتاج الصناعي، وعززت دورها في مجتمعها، فإنها ستُجيِّش طبقات اجتماعية واسعة في تلك المؤسسات. وعندما يصبح قوت تلك الشرائح الاجتماعية مغموساً بمهمات التصنيع والتطوير وما يتعلق بالعلم، عندها يتوقع أن تتطور مفاهيم العلم في الذهنية الاجتماعية، وأن يحظى العلم بنصيبه من الاهتمام، كونه حاجة حياتية أساسية تدخل في مقومات العيش الكريم والرفاه الاقتصادي المنشود.

الهوامش:

١- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢١٥.

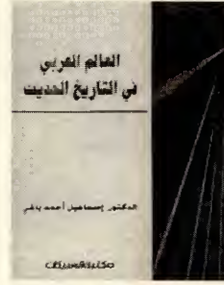
٢- لسان العرب للعلامة ابن منظور، مادة: وعي.

٣- سلام سيد أحمد: تنمية الوعي العلمي لدى طلاب المرحلة الثانوية في دول الخليج العربية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٤- تايلور، تشارلز: التربية العلمية والتكنولوجيا لعالم الغد، منشور في كتاب: التجديدات التربوية والتكنولوجية، اليونسكو، ١٩٨٨م، ١٨٤.

٥- جان، همبرغر: مستقبل العلوم، ترجمة مكي الحسني الجزائري، دار طلاس للنشر، دمشق، ١٩٩٥م.

العنوان: العالم العربي في التاريخ الحديث.
المؤلف: د. إسماعيل أحمد ياغي.
الناشر: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٢٧٢ص.



غلاف الكتاب

دراسة تأريخية تحليلية للعالم العربي خلال أربعة قرون منذ الفتح العثماني للبلاد العربية في القرن السادس عشر الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

يبدأ الكتاب بمقدمة ضمنها الباحث موضوع كتابه، ثم لمحة سريعة عن جغرافية الوطن العربي. ويقع الكتاب في أربعة فصول. تناول الفصل الأول وضع العالم العربي قبيل الفتح العثماني، وتحدث عن الحروب بين الدولتين الصفوية والعثمانية، والدولتين العثمانية والمملوكية، والدولة العثمانية والدول الأوروبية الطامعة في العالم العربي. وعلل سبب اتجاه الدولة العثمانية نحو العالم العربي. ثم تحدث عن فتح بلاد الشام ومصر، وخضوع الحجاز للسيادة العثمانية، وفتح اليمن، وفتح العراق، والخليج العربي، والمغرب العربي.

وتحدث في الفصل الثاني عن نظام الحكم العثماني الذي تأثر بالنظامين البيزنطي والفارسي، وكيف اصطبغ هذا النظام بصبغة عسكرية، وأن الدولة العثمانية كانت معلنة الحرب والجهاد ضد دار الكفر بصفة مستمرة. وكان الرئيس الأعلى للدولة العثمانية هو السلطان، وهو الحاكم سياسيًا وعسكريًا، وله سلطة على جميع موارد الدولة، وهو الحامي والمنفذ للشريعة الإسلامية، والمدافع عن العقيدة.

ثم ذكر الديوان الذي يشبه مجلس وزراء يرأسه الصدر الأعظم، ويتكون من الوزراء وكبار موظفي الدولة، كالولاة والقضاة وقادة الجيش. وقراراته خاضعة لموافقة السلطان.

وتحدث في هذا الفصل كذلك عن التنظيمات الإدارية، والمالية، والاجتماعية والعسكرية. واحتلال الجيش مكانة مهمة في الدولة العثمانية لأنه أداة الحكم والحرب. وتناول الإدارة العثمانية في الولايات العربية التي اكتفت بالسيطرة العسكرية والسياسية عليها، وتركت لشعوبها إدارة بلادها.

وخص الفصل الثالث بحديث موسع عن الحركات الاستقلالية في المشرق العربي. فقد تحدث عن عوامل ضعف الدولة العثمانية: الداخلية كضعف السلاطين بعد سليمان القانوني بسبب حياة الترف والبذخ، والبعد من تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية والتأثر بالغرب، وضعف الاقتصاد العثماني، وفساد الجيش الإنكشاري وغيرها. والخارجية: وأهمها تغير ميزان القوى لمصلحة الدول الأوربية، ووجود خصوم أشداء كالإمبراطورية الرومانية، وروسيا القيصرية، والدولة الصفوية. ونتيجة لضعف الدولة العثمانية قامت حركات استقلالية في البلاد العربية مثل حركة فخر الدين المعني الأول في جبال لبنان الذي أعلن العصيان ضد الدولة العثمانية فقُتل وقُتل ابنه كذلك. ثم ثار فخر الدين المعني الثاني، ومعه علي جنبلاط الكردي ضد الدولة العثمانية؛ إلا أن العثمانيين نكلوا بالمعنيين وقضوا عليهم. ثم جاءت الأسرة الشهابية التي حكمت جبل لبنان، ودعمت الإقطاع والطائفية؛ إلى أن جاءت فرنسا واحتلت لبنان. ثم حركة ظاهر العمر في فلسطين وبعده أحمد باشا الجزار الذي نشر الرعب والفزع في بلاد الشام. ثم اضطرابات الحكام المماليك في العراق وثورات العشائر، وحركة علي بك الكبير في مصر والمماليك معه، واضطرابات تونس واستلام الأسرة الحسينية إلى دخول الفرنسيين، والأسرة القرمنلية في ليبيا والاضطرابات التي رافقتها. واضطرابات الجزيرة العربية ونشأة الإمارات العربية في الخليج والقوة السعودية في نجد.

وعقد الفصل الرابع للحديث عن التنافس التجاري والصراع الاستعماري الأوربي حتى منتصف القرن التاسع عشر. وقد تناول فيه الامتيازات أو قواعد تنظيم إقامة الأجانب في الأراضي العثمانية، وعقد المعاهدات التجارية بين العثمانيين وجمهورية البندقية، ومملكة فرنسا ثم إنجلترا وهولندا. ثم تحدث عن المنافسة الإنجليزية الفرنسية حول إحياء طريق السويس البري، وذكر عوامل ثلاثة لاهتمام الإنجليز بمصر وطريق السويس البري. ثم تحدث عن الحملة الفرنسية على مصر وأسبابها، واحتلال مصر ثلاث سنوات ثم الرحيل عنها، وإخفاق حملة بونابرت، وأسباب هذا الإخفاق. كما تحدث عن بداية المسألة المصرية وحملة فريزر واحتلال الإسكندرية. وتحدث كذلك عن التغلغل البريطاني في أطراف الجزيرة العربية باحتلال عدن والمناطق المحيطة بها التي اتخذوها قاعدة للتوسع في جنوبي الجزيرة العربية في بلاد الصومال وشرق إفريقية. وأخيرًا تحدث عن الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وختم الكتاب بفهرس للمراجع العربية والأجنبية، وفهرس للموضوعات.

العنوان: المواجهة الجنائية والأمنية لخطف الطائرات.
المؤلف: خالد بن سعود البشر.
الناشر: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ١٥٠ص.


خالد بن سعود البشر



غلاف الكتاب

دراسة تأريخية قانونية لنشأة جريمة خطف الطائرات وتطورها وأسباب ارتكابها، ومظاهر الاهتمام بها؛ وأركانها، وأحكام العقاب عليها في القوانين الوضعية، والشريعة الإسلامية، والمواجهة الجنائية لهذه الجريمة، والعوامل المؤثرة في معدلاتها، وأثر العقوبات في معدلاتها، والمواجهة الأمنية لها؛ كالاحتواء الأمني، والخطط الأمنية وأثرها في الجريمة، وأساليب الاحتواء الأمني لها، والإجراءات الوقائية، والدبلوماسية السياسية، والإجراءات القمعية.

يبدأ الكتاب بتقديم موجز للدكتور محمد محيي الدين عوض عن هذه الجريمة وتاريخها وأسبابها ودوافعها، وتسليم فاعلها ومحاكمته، والمعاهدات الدولية في هذا المجال. ثم مقدمة المؤلف لكتابه التي تحدث فيها عن أهمية موضوع خطف الطائرات محليًا وإقليميًا ودوليًا، وخطورة

آثار تلك الجرائم التي تؤدي إلى فقدان الأمن، ووضع التصورات الجنائية والأمنية التي تحول دون ارتكاب هذه الجرائم.

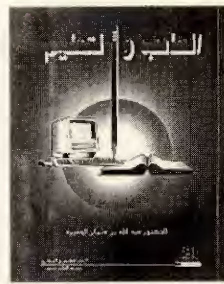
يتضمن الكتاب ثلاثة فصول: الأول تحت عنوان: نشأة جريمة خطف الطائرات وتطورها، وانشعب هذا الفصل إلى مبحثين: الأول: تحدث فيه عن نشأة الجريمة وأسباب ارتكابها والتطور التاريخي لها، وذكر من أسبابها: دوافع سياسية، ودوافع شخصية؛ كالهروب من بلد معين لأسباب سياسية، أو اقتصادية، أو قضائية، أو لأمراض عقلية لدى الخاطف، أو لابتزاز الأموال. والثاني عن الجريمة ومظاهر الاهتمام بها في الأوساط القانونية والأمنية وعقد المؤتمرات الدولية بهذا الشأن.

أما الفصل الثاني: فيقع تحت عنوان: المبادئ القانونية لجريمة خطف الطائرات، وتفرع هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث: الأول: تناول فيه أركان جريمة خطف الطائرات كالركن المادي للجريمة، ويندرج تحته عدم مشروعية الفعل، واستخدام القوة أو التهديد بها، وارتكاب الفعل على متن الطائرة، ووجود الطائرة في حالة طيران، والاستيلاء على الطائرة. والركن المعنوي للجريمة كالعلم بالأحكام والإرادة. والثاني: تحدث فيه عن أحكام العقاب في الجريمة في القوانين الوضعية، والشريعة الإسلامية، ولأنها تشبه جريمة قطع الطريق (الحرابة) فإن فاعليها يُقتلون ويُصلبون. والثالث: طبيعة الجريمة، وهل هي داخلية أم دولية. وقد تكلم فيه على اختلاف الفقهاء حول طبيعة الجريمة، وتوصل إلى أنها جريمة دولية، وذكر النتائج المترتبة على طبيعة الجريمة كتسليم مختطف الطائرات، وعقابه، والدولة المختصة بعقابه.

والفصل الثالث بعنوان المواجهة الجنائية والأمنية للجريمة، وقد انقسم هذا الفصل إلى مبحثين: تناول في الأول: المواجهة الجنائية للجريمة، والعوامل المؤثرة في معدلات الجريمة، كعدم الاستقرار السياسي، وعدم وجود معاهدة دولية صريحة تنص على تسليم مختطفي الطائرات، ودعم بعض الدول للمنظمات الإرهابية وتشجيعها على عمليات الاختطاف، وضعف الإجراءات الأمنية في المطارات، وفي الثاني: أثر العقوبة في معدلات الجريمة كالمنع الخاص وردع الجاني، والمنع العام على عموم الناس. ومما يؤدي إلى قمع هذه الجريمة: فرض عقوبات مناسبة على مختطفي الطائرات، وإعلان العقوبة على الرأي العام وسرعة تنفيذها بصورة علنية، والاحتواء الأمني للجريمة، كالخطط الأمنية وأثرها في منع الجريمة، وأساليب الاحتواء الأمني كالإجراءات الوقائية، والإجراءات السياسية الدبلوماسية، والإجراءات القمعية.

وختم الكتاب بالنتائج التي توصل إليها، وذكر بعض التوصيات في مجال مكافحة خطف الطائرات، وبعض الملاحق التي تضمنت نصوص المعاهدات والاتفاقات الدولية حول مكافحة الإرهاب وتسليم المجرمين، وقمع الاستيلاء على الطائرات، والاعتداء عليها. وذكر المراجع التي استفاد منها في نهاية الكتاب، وصنع فهرسًا للموضوعات في أول الكتاب.

العنوان: الحاسب والتعليم.
المؤلف: د. عبدالله بن عثمان المغيرة.
الناشر: مطابع جامعة الملك سعود، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ١٨٩ص.


غلاف الكتاب

الكتاب يسدّ ثغرة في التأليف العربي عن الحاسب، ويرمي إلى إعطاء فكرة أولية مبسطة عن الحاسب ودوره في العملية التربوية. وهو - في أصله - مذكرات أُعدّت لطلاب كلية التربية بجامعة الملك سعود، ثم هُذِّبت وحُوِّلت إلى هذا الكتاب الذي بين أيدينا. وقد قسم المؤلف كتابه إلى جزأين، يختص الأول بنظام الحاسب الآلي، ويتكون من خمسة فصول:

الفصل الأول: نبذة تاريخية عن تطور الحاسبات: يستعرض هذا الفصل المراحل التي مرّ بها الحاسب في تطوره؛ ابتداء من آلات العدّ البسيطة، وانتهاء بأجيال الحاسب الحديث.

الفصل الثاني: نظام الحاسب الآلي: ويبدأ بمقدمة عن أهمية الحاسب وتعريف مبسط له. بعد ذلك يستعرض بعض فوائد الحاسب الكثيرة، كفائدته في التجارة والصناعة والحكومة والتعليم والعلوم. كما تم في هذا الفصل استعراض أجزاء الحاسب الصغيرة ومكوناته، مثل: وحدات الإدخال، والذاكرات وأنواعها، ووحدات التخزين الخارجية، ووحدات المعالجة المركزية، ووحدات الإخراج، والبرامج بأنواعها.

الفصل الثالث: تشغيل الحاسبات الصغيرة: يناقش هذا الفصل أنظمة التشغيل، ويركز على نظام (دوس) بصفة خاصة، كما يستعرض بعض أوامر التشغيل المهمة والضرورية فقط.

الفصلان الرابع والخامس: مقدمة في البرمجة بلغة لوجو، ومقدمة في البرمجة بلغة بيسك. ولأن هاتين اللغتين من اللغات المشهورة في مجال التعليم، فقد تم استعراض كل منهما على حدة بصورة مبسطة، مع إيراد الكثير من الأمثلة والتطبيقات.

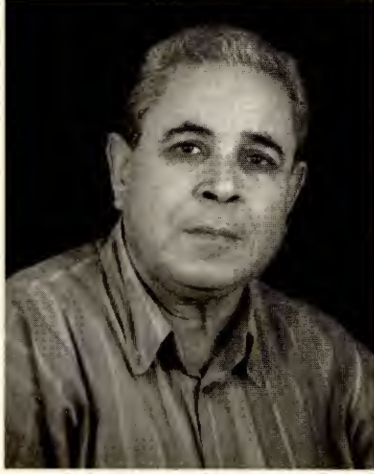
أما الجزء الثاني فيختص بموضوع الحاسب والتعليم، ويتكون من أربعة فصول:

الفصل السادس: الحاسب والتعليم: يبدأ بمقدمة عن الحاسب وأهميته في التعليم، ثم يستعرض تاريخ الحاسب في التعليم، ويورد بعض البرامج الشهيرة المستخدمة فيه. ويختتم الفصل بمناقشة أثر الحاسب في التعليم، وعلى سبيل المثال: أثره في طريقة التدريس، وفي المحتوى.

الفصل السابع: ثقافة الحاسب: يركّز هذا الفصل على أهمية الحاسب كموضوع مدرسي يُقدَّم للتلاميذ في التعليم العام حتى تتكون لديهم ثقافة عامة عن الحاسب.

الفصل الثامن: اختيار البرامج التعليمية المعدّة مسبقًا: نظرًا لكثرة البرامج التعليمية المتوافرة حاليًا في الأسواق، فإن اختيار البرنامج الجيد الملائم للتعلم أصبح أمرًا مهمًا للمعلم. وفي هذا الفصل تمّ استعراض بعض صفات البرامج التعليمية المعدة مسبقًا ومناقشتها، حتى تكون عونًا للمدرس على الاختيار الأنسب.

الفصل التاسع: استخدامات الحاسب في التعليم: يستعرض هذا الفصل بعض استخدامات الحاسب الكثيرة في التعليم، وقد قُسِّم إلى قسمين أساسيين: يهتم القسم الأول بالتدريس بمساعدة الحاسب، أي استخدام الحاسب مباشرة في عملية التدريس نفسها، مثل استخدامه في التدريبات، والشرح والتوضيح، ووسيلة للنمذجة أو المحاكاة، وللألعاب التعليمية، وتدريس حل المشكلات. أما القسم الثاني فهو إدارة التدريس بالحاسب، أي كل تطبيقات الحاسب التي تساعد المدرس على أداء المهام الإدارية لعملية التدريس، مثل الاختبار بمساعدة الحاسب، ومساعدته في الأعمال الكتابية، وتقديم الواجبات، وتصحيحها، وإنتاج المواد التعليمية، وحفظ المعلومات عن الطلاب أو المادة الدراسية واستعادتها. وقد زُوِّد الكتاب بصور كثيرة عن الحاسب. وأخيرًا صنع المؤلف فهرسًا للمراجع العربية والأجنبية، وثبتًا بالمصطلحات العربية وما يقابلها بالإنجليزية، والإنجليزية وما يقابلها بالعربية، وكشافًا للموضوعات.



الشاعر عبدالمنعم عواد يوسف

الاتجاه الواقعي في قصائدي كان على حساب القيمة الفنية!

حاوره في تجربته: **طارق إبراهيم حسان**

هو أحد الشعراء البارزين في الوطن العربي بما قدمه من نتاجات شعرية مهمة تضاف إلى ديوان الشعر العربي منذ الخمسينيات. وقد صدرت له حتى الآن تسع مجموعات شعرية منها: عناق الشمس، للحب أغني، الضياع في المدن المزدحمة، بيني وبين البحر، وكما يموت الناس مات.
وله قيد الطبع: المرايا والوجوه.
وهو شاعر متنوع الاتجاهات الأدبية، حيث يصدر له في مجال النقد: «القصيدة الحديثة وتجلياتها عبر الأجيال»، وفي نقد النقد: «الشعر بين النقد والتذوق»، بالإضافة إلى «الطفل والزهرة» وهي مجموعة مسرحيات للأطفال.

في هذا الحوار يجيب الشاعر عن عدد من الأسئلة التي تغوص في تجربته الشعرية من بداياتها الأولى حتى الآن.

ـ كيف كانت نشأتكم الثقافية، وبدايتكم مع الأدب عامة والشعر على وجه الخصوص؟

* أعتقد أنه باستمرار تُوجد الظروف التي ينشأ فيها الإنسان ليجد من يوجهه إلى السير في أحد دروب الإبداع. لكن الأسرة التي نشأت فيها لم يكن بين أفرادها من له اهتمامات أدبية، فكان اتجاهي إلى الأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص اتجاهًا شخصيًا بحتًا. لم تكن هناك مؤثرات داخلية تدفعني إلى السير في طريق الأدب؛ غير أنني كنت منذ الصغر ميالاً إلى القراءة، وكنت ملازمًا لعمي الذي كان يحرص على اقتناء المجلات التي كانت تصدر في ذاك الوقت، فكنت حريصًا على قراءتها وخاصة المادة الأدبية التي كان لها حضورها القوي في مجلات ذلك الزمان.

وربما كان أول من نبهني إلى أنني سأكون أديبًا يومًا ما هو مدرس اللغة العربية في المدرسة الأولية الذي أثنى على موضوع إنشاء كتبته. وقال لي إنني سأكون أديبًا، وقد تكون هذه العبارة السبب في زيادة اهتمامي بالقراءة ومحاولة الكتابة. وعندما انتقلت إلى المدرسة الابتدائية وجدت فيها مكتبة عامرة بالكتب الأدبية، وكانت هناك فسحة غداء تزيد على الساعة كنت أقضي معظمها في التهام ما يقع تحت يدي من كتب أدبية، وكان اهتمامي الأكبر بدواوين الشعراء التي كنت أجد في قراءتها متعة خاصة. واستمر شغفي بالقراءة بعد انتقالي إلى المرحلة الثانوية، وفي السنة الأولى من المرحلة الثانوية كتبت من وحي المعركة التي نشبت في ذلك العام (عام دخولي الثانوية) ١٩٤٨م، أقصد معركتنا مع العدو الصهيوني. كتبت ما خيل إليّ يومها أنه شعر، ويبدو أنه كان شعرًا بالفعل، كانت قصيدة موزونة مقفاة أسمعتها لمدرس اللغة العربية فأعجب بها وطلب مني أن أُلقيها على زملائي الطلاب الذين تجاوبوا معها، ولم أعد أذكر منها إلا أبياتا ثلاثة هي:

دماء تسيل ودمع يسيل
وهذا يقوم وذاك يميل
وشعب ينادي فيأتي الرفاق
يقولون جئنا نصدّ الدخيل
سنهزم كل عدوٍ لدود
وسوف نبيد العدو النزيل

وقد كنت وقتها في نحو الرابعة عشرة من عمري، وقد أغراني ما صادفتْه أبياتي من تقدير من استمع إليها أن أواصل الكتابة. فكتبت الكثير من القصائد التي كان زملائي الطلبة يتبادلونها فيما بينهم بحفاوة دفعتني إلى محاولة النشر.

كان والدي يحرص على متابعة جريدة كانت تصدر قبل الثورة اسمها «الزمان» لاحظت أن بها ركنًا للأدب يشرف عليه الشاعر محمد الأسمر يرحب فيه بنشر إبداعات الشعراء الشبان. كان هذا الباب ينشر لمن كانوا وقتها شعراء شبانًا مثل محمد الفيتوري، ومحمد مهران السيد، وفتحي سعيد، ومحمود الربيعي، وهاشم الرفاعي، وبدر شاكر السياب، ومحيي الدين فارس، وإبراهيم عيسى، وجليلة رضا، وغيرهم. فأغراني ذلك بأن أرسل إليه ما أكتب، وأهمل الركن في أول الأمر نشر ما أبعث به إليه حتى فوجئت عام

١٩٥٠م بنشر أولى قصائدي، وكانت قصيدة اسمها «خلود» وليست قصيدة «بائس رحل» التي ذكرتُ في مقدمة ديواني «وكما يموت الناس مات» ـ الصادر في عام ١٩٩٥م ـ أنها أولى قصائدي التي تُنشر. وقد اكتشفت ذلك ـ مؤخراً ـ في أثناء مراجعاتي لأعداد قديمة من جريدة «الزمان» بقاعة الدوريات بدار الكتب المصرية.

المهم أن النشر جاء اعترافًا تحريريًا بشاعريتي ليؤكد اعتراف أساتذتي بالمدرسة وزملائي بهذه الشاعرية. وباختصار شديد أقول: إن النشر بـ«الزمان» أغراني بالنشر في أكبر مجلتين أدبيتين كانتا تصدران في ذلك الوقت هما مجلتا الرسالة و الثقافة فنشرت أولاً في الرسالة ثم الثقافة، ومنهما انتقلت إلى النشر في أكبر مجلتين أدبيتين كانتا تصدران في بيروت في خمسينيات هذا القرن وهما مجلتا الأديب والآداب. وكان النشر فيهما فرصة للانتشار على مستوى العالم العربي كله.

والحقيقة أنني مدين لجريدة الزمان بشيئين: الأول أنها كانت أول نافذة أدبية أطل منها على الساحة الشعرية، والآخر أن هذا الرجل ـ أقصد الشاعر الأسمر ـ كان من التفتح بحيث نشر لي أولى قصائدي اقترابًا من النهج التفعيلي، حيث لم يكتف بنشرها؛ إنما كتب مشيداً بالتجربة قائلاً: «القصيدة الآتية أهداها ناظمها الأديب عبدالمنعم عواد يوسف الطالب بكلية الآداب إلى روح كل أديب مات في ريعان شبابه. ونحن إذ ننشر للأديب عبدالمنعم هذه القصيدة يسرّنا أن ننوه بأنه خطا في سبيل الشعر خطوات موفقة، فعليه أن يحرص على التقدم المستمر.. فإلى الأمام».

كان ذلك في السادس من تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٥٢م، والقصيدة المذكورة بعنوان «زهرة تذوي» ومنها:

عند الغروب
والشمس يعلوها شحوب
مات الأديب
في نضرة الزهر الرطيب
وذوى الشباب
ومضى وغاب
يا للمصاب.. مات الأديب
وغفا الهزار
هذا الذي غنّى.. وثار
وشدا وطار
في السفح.. في هذي القفار
نجم يضيء
ليث جريء
ظبي بريء.. كان الأديب..

ـ وما الروافد التي ترون أنها أسهمت في تشكيل خلفيتكم الأولى للشعر؟

* أعتقد أن إقبالي على قراءة دواوين الشعراء، وخاصة المختارات الشعرية التي كانت تحرص وزارة التربية على توزيعها على الطلاب ممثلة لكل العصور الأدبية، من أهم الروافد التي رفدت تجربتي الإبداعية في مرحلتها الأولى، غير أن العوامل الأساسية التي شكلت تجربتي الإبداعية كانت بعد التحاقي بكلية الآداب، حيث التَفَتَ إلى موهبتي الشعرية مجموعة من الأساتذة كان لهم فضل توجيهي ورعايتي والدفع بتجربتي الشعرية إلى الطريق الصحيح، بطريقة مباشرة مثل د. شوقي ضيف ود. عبدالعزيز الأهواني ود. عبدالحميد يونس، أو بطريقة غير مباشرة من خلال التلمذة كأستاذنا الدكتور طه حسين والدكتورة سهير القلماوي.

فقد كان هناك كل يوم (اثنين) اجتماع للجمعية الأدبية بالكلية حيث كنّا نلقي أشعارنا بحضور الأساتذة والطلبة الذين كانوا قد سبقونا في التخرج، ولكنهم كانوا حريصين على الحضور يوم الاثنين للمشاركة في هذا الاجتماع الأسبوعي، أذكر منهم أعضاء الجمعية الأدبية المصرية (جمعية النقد الأدبي) مثل د. عز الدين إسماعيل ود. عبدالغفار مكاوي و د. أحمد كمال زكي والشاعر صلاح عبدالصبور، وغيرهم. وأعتقد أن الاحتكاك بهؤلاء الأساتذة وهؤلاء الزملاء، وتبادل وجهات النظر حول نتاجنا الأدبي كان من الروافد المهمة التي رفدت تجربتي. ولاسيما أن هؤلاء الزملاء أصبح لهم وزنهم في حياتنا الثقافية، مثل الناقد رجاء النقاش، والأساتذة بهاء طاهر وكامل أيوب ومحفوظ عبدالرحمن ومجاهد عبدالمنعم مجاهد وصافيناز كاظم وهدى العجيمي.

أستطيع القول أيضا: إن اجتهاداتي الشخصية من خلال قراءة الشعر وحفظه والاطلاع على الكتب النقدية، إلى جانب الدراسة المنهجية في قسم اللغة العربية على يد هؤلاء الأساتذة. كل ذلك كان له دوره في بلورة تجربتي الإبداعية والدفع بها إلى الإمام.

ـ هل كانت قراءات لشعراء بعينهم لها الفضل في إغناء تجربتكم الشعرية منذ بداياتها؟

* كنت أحرص ـ منذ البداية ـ على التهام كل ما يقع تحت يدي من دواوين لشعراء المهجر ودواوين لشعراء الرومانسية في مصر. فكدت أحفظ معظم إبداعات أبي ماضي على سبيل المثال، أما شعراء الرومانسية فكنت حريصاً على قراءة دواوين علي محمود طه بشكل خاص، وحفظ الكثير من إبداعاته. وأذكر أنني كنت أجمع أبناء بلدتي «شبين القناطر» ممن لهم اتجاهات أدبية ونجلس فنتبادل فيما بيننا قراءة دواوين علي محمود طه ومناقشتها في شبه حلقة دراسية.

ـ قصيدتكم «زهرة تذوي» تمثل إرهاصة أولى لظهور الشعر الحر بالشكل الذي نراه عليه الآن.. فهل وُفِّقَتْ الحياة الثقافية والإعلام حقك بما يلائم هذا السبق الريادي في حركة الشعر الحديث في مصر؟

* على أن هذه القصيدة الإرهاصية لم تكن التجربة الحقيقية في مسيرتي الشعرية كواحد من رواد القصيدة الجديدة، وإنما كانت قصيدتي «الكادحون» هي المحطة الأولى الحقيقية التي انطلقت منها في طريق الشعر الحر؛ فقد ظلت هذه الحقيقة مطموسة لا يشير إليها أحد، بل وجدت من يقدِّمون عليّ شعراء ظهروا بعدي بسنوات بصفتهم روّاداً لهذه القصيدة الجديدة، ولعلّ أول من أشار إلى سبقي في هذا المضمار هو الصديق مجاهد عبدالمنعم الذي كتب في جريدة «المساء» منذ سنوات بعيدة ما يؤكد هذه الريادة. ثم جاء الراحل د. علي شلش ونبه على دوري الريادي في كتابه «اتجاهات الأدب ومعاركه في المجلات الأدبية في مصر» حيث قال: «لم يحدث قبل عام ١٩٥٢م أن نشرت المجلات شيئًا من محاولات الشباب في كتابة الشعر القائم على التفعيلة الواحدة مما سمي بعد ذلك باسم الشعر الحر. وقد اتخذ هذا النوع معنى مختلفًا عن معنى الشعر الحر الذي ساد في الثلاثينيات والأربعينيات، ورأينا بعض نماذجه هنا حيث قامت على تعدد البحور. فقبل أسابيع من توقف مجلة الثقافة انفردت بنشر بعض محاولات الشباب في هذا المجال، ولم تكن هذه المحاولات قد توسعت في نظام التفعيلة الواحدة بعد، وقد شارك فيها صلاح عبدالصبور وعز الدين إسماعيل وعبدالمنعم عواد يوسف». غير أن علي شلش رحمه الله لم يتنبه إلى أن قصيدة «انعتاق» لعبد الصبور ليست من الشعر الحر، وإنما هي في الواقع قصيدة عادية من شعر المقاطع متعددة القافية. وهذا التصور غير الصحيح لطبيعة هذه القصيدة جعله يقدمها على قصيدة عز الدين إسماعيل «العملاق» وقصيدتي «الكادحون». وقد أثبت هذه الحقيقة ـ أقصد سبقي لعبد الصبور في النشر ـ الشاعر د. حسن فتح الباب في كتاب نقدي صدر ـ مؤخراً ـ بعنوان «سمات الحداثة في الشعر العربي المعاصر».

وكم كان مؤلمًا لنفسي أن أجد هذا التعتيم على دوري الريادي في حركة الشعر الحر، ويمنعني حيائي من أن أصحح كثيراً من المفهومات الخاطئة حول الدور الريادي في هذه القصيدة الجديدة. بل لقد بلغ الأمر ببعض الأدباء أن ينسبوا قصيدتي «وكما يموت الناس مات» إلى غيري من الشعراء، مع أن هذه القصيدة يراها كثير من النقاد، ومنهم

الشاعر عبدالمنعم عواد يوسف

الاتجاه الواقعي في قصائدي كان على حساب القيمة الفنية!

الراحل د. عبدالمحسن طه بدر علامة فاصلة في مسيرة الشعر الحر، هذه القصيدة التي تأثر بها كثير من الشعراء، ومنهم أمل دنقل الذي اقتبس جزءاً منها في قصيدته «مقتل القمر» حيث أشار إلى ذلك أحد الإخوة النقاد السوريين في مجلة «الأسبوع العربي»؛ مما يدل على أن الحقائق الأدبية قد تختفي بعض الوقت لكنها لا تظلّ مختفية طول الوقت.

- ما أبرز المراحل الفاصلة والقفزات الفنية التي مرّت بها تجربتكم الشعرية؟

• أستطيع القول: إن تجربتي الشعرية مرت بمراحلها الطبيعية، بمعنى أنني بدأت، بحكم قراءاتي الأولى، شاعراً كلاسيكيًا حريصًا على التقيد بالوزن الواحد والقافية الموحدة. لكن بحكم قراءاتي في شعر المهجر وشعر المدرسة الرومانسية حاولت أن أتحرر قليلاً من هذا الالتزام، فنوّعت في نظام التقفية، فكتبت الثنائيات والرباعيات مع الاحتفاظ بوحدة الوزن. ثم كانت المرحلة التي وجدتني فيها بحاجة ماسة إلى الخروج من أسر القصيدة التقليدية؛ سواء التزمت فيها القافية الموحدة أم خرجت إلى نظام المقطوعات المتعددة القافية، حتى كانت تجربة «زهرة تذوي» التي لا أدري الدوافع التي دفعتني إلى كتابتها على هذا الشكل. فلم أكن فيها متأثرًا بقصيدة بعينها قرأتها في تلك الآونة. غير أنني لاحظت فيما بعد أن هناك نمطًا جديداً من الشعر كان عبدالوهاب البياتي ينشره في مجلة الثقافة في أوائل الخمسينيات، ووجدت فيه امتداداً لما نُشر للسيّاب ونازك الملائكة من قبل. وقد أغراني ما قرأته للبياتي بالسير على منواله، فكتبت عدداً من القصائد التي أحتفظ بها حتى الآن، وإن كانت لم تُنشر، حتى قصيدة «الكادحون» التي ألقيتها أولاً في الجمعية الأدبية بكلية الآداب، ثم أخذها مني أحد أعضاء الجمعية الأدبية المصرية ولم أعد أذكر من هو بالضبط، فنشرها في مجلة الثقافة حيث كانت الجمعية تتولى أمور النشر بها تحت رئاسة تحرير الراحل محمد فريد أبو حديد، ومن ثم واليت كتابة قصيدة الشعر الحر مثل «وكما يموت الناس مات» وغيرها من القصائد التي نشرتها في مجلة الرسالة الجديدة التي صدرت بعد أن احتجبت مجلتا الثقافة والرسالة من الساحة الأدبية. إذن فأنا أعتقد أن انتقالي من مرحلة إلى مرحلة كان انتقالاً طبيعيًا بحكم معايشتي للحركة الأدبية وتفاعلي معها وتأثري بمستجداتها.

- لا شك أنكم عايشتم المدّ العربي الكبير عن قرب. كيف كان أثر ذلك فيكم فكريًا وشعريًا؟

• وَجَدَ جيلي في التحولات السياسية التي تزامنت مع التحاقي بالجامعة تعبيراً عن طموحات هذا الجيل، وما كان يحلم به، وما كان يعتمل في نفوسنا من آمال ورغبات. وكانت الثورة ترجمانًا لما كنّا نحلم به لهذه الأمة التي طالما عانت من صنوف القهر والحرمان، فكان طبيعيًا أن نلتف حولها وأن تشيد إبداعاتنا الشعرية بخطواتها نحو التحرر من بقايا الاستعمار والتبعية الأجنبية، وتحقيق ما ينشده الإنسان من حرية وخلاص من كل ما يعوق مسيرته ويكبل خطاه، وكان من الطبيعي أن أتخلص من بقايا الرومانسية في تجربتي الشعرية وأتجه نحو الاتجاه الواقعي في الشعر.

غير أنني أعترف أن هذا الاتجاه الواقعي كان على حساب القيمة الفنية، ويبدو أنني كنت كلما توغلت في هذا الاتجاه الواقعي كنت أضحي بكثير من القيم الفنية. وقد تجسد ذلك في مشاركتي في مجموعة شعرية بعنوان «أغاني الزاحفين» ضمت قصيدتي «من شاب عربي إلى الرئيس أيزنهاور» إلى جانب قصائد أخرى لعدد من شعراء الاتجاه الواقعي. ولما كانت النوايا الطيبة لا تصنع فنًا جيداً، فقد لاقت هذه المجموعة من القصائد السياسية، التي لا تنطوي على قيمة جمالية كبيرة، من النقد الصارخ ما جعلني أفيق من هذه الغفوة الفنية، ومن ثم صححت مساري وعدت إلى طريق الشعر الصحيح مقيمًا موازنة سليمة بين متطلبات الفن ومتطلبات الحياة، واضعًا نصب عيني دائمًا أن الشعر لابد أن يظل شعراً، وإلاّ انقلب إلى مجرد شعارات ومنشورات سياسية.

- إقامتكم في دولة الإمارات مدة طويلة، وفي السعودية الآن جعلتك أقرب منّا إلى المشهد الثقافي في منطقة الخليج العربي. كيف ترون حال الثقافة هناك؟ وكيف كانت علاقتكم بالمثقفين؟

• معيشتي الطويلة بدولة الإمارات جعلتني وثيق الصلة بالحياة الأدبية والثقافية فيها، بل إنني كنت متبنيًا لكثير من المبدعين بدولة الإمارات منذ بداياتهم الأولى، ومنهم من كان تلميذاً صغيراً لي نما تحت عيني، وواكبت مراحله الإبداعية منذ بداياتها الأولى. وقد هيأ لي هذا الأمر طول المدة التي عشتها في دولة الإمارات مشاركًا في صنع الحياة الأدبية فيها. وعندما أقول مشاركًا فإن ذلك على سبيل الحقيقة لا المجاز، فقد كنت عضواً في كل الأندية والاتحادات الأدبية بها، ومشاركًا في كل فعالياتها الثقافية كأنني واحد من أبنائها؛ لذلك فأنا أعدّ نفسي مرجعًا للحياة الثقافية في الإمارات. أما في المملكة العربية السعودية فإن المدة القصيرة التي عشتها فيها لا تؤهلني للدور نفسه الذي قمت به في الإمارات. غير أنني أستطيع القول إنني أصبحت عارفًا الحركة الثقافية والأدبية بالمملكة، مقدِّراً لإسهامات أبناء المملكة في المجالات الإبداعية المختلفة من شعر ونثر، كما أن مشاركتي في نادي الرياض الأدبي جعلتني على صلة وثيقة بالأجيال الشابة من مبدعي المملكة في مجالات الشعر والقصة والرواية، واحتكاكي بالنقاد من أبناء المملكة جعلني أكتشف قممًا نقدية جديرة بكل تقدير، ومنها من له مكانته الكبيرة في الساحة العربية كلها كالدكاترة عبدالله الغذامي وسعيد السريحي ومعجب الزهراني وسعد البازعي وميجان الرويلي، وغيرهم.

- كيف يتراءى لكم المشهد الثقافي العربي الآن؟ وكيف ترون معطيات تقدمه وانحساره؟ أو كيف تتجلى لكم الساحة الإبداعية؟

• إذا تأمل الإنسان المشهد الثقافي يجد بعض الفنون الإبداعية قد نما نمواً جعله قريبًا من العالمية، بينما يجد بعضها قد تدهور وساده الكثير من الفوضى والاضطراب. فعلى سبيل المثال نجد الرواية العربية المعاصرة قد حققت قفزة هائلة، ويكفي أن نجيب محفوظ حصل على جائزة نوبل التي لم يظفر بها شاعر عربي على حصول بعض المغمورين من شعراء الأمم عليها. فالرواية العربية وكذلك القصة القصيرة قد حققتا مستوى رفيعًا يجعلنا نفخر به، أما الشعر فلم يحقق ما حققته الرواية أو القصة القصيرة من التقدم والازدهار. ومن يوازن المشهد الشعري الآن بما كان عليه في الماضي يجد المسيرة تنحدر إلى الأسفل بدلاً من أن تتجه إلى الأمام أو ترقى إلى الأعلى.

وإذا كان القارئ يُقبل الآن على الرواية بحيث أصبحنا نجد من يقول: إننا في عصر الرواية، وإن الرواية أصبحت ديوان العرب، فهذه المقولات صحيحة إلى حد بعيد، والقارئ له عذره حين يلجأ إلى الرواية وينصرف عن الشعر، فقد وجد في الرواية طموحاته وآماله وتطلعاته بينما وجد الشعر يدير له ظهره. فكان على القارئ أيضًا أن يدير له ظهره.

إن ما شاع في الشعر من غموض وألاعيب شكلية وتخلٍّ عن كثير من القيم الفنية كالصورة - مثلاً - التي هي عصب القصيدة بدعوى السرد واستخدام اليومي والمعيش، أو التخلي عن الموسيقى فيما يسمى بقصيدة النثر؛ كل ذلك كان على حساب الدور الذي كان للشعر يومًا ما. والذي يؤلم النفس أكثر أن المشهد الشعري واحد على مستوى الوطن العربي، فالصورة هي نفسها في كل الأقطار العربية.

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع

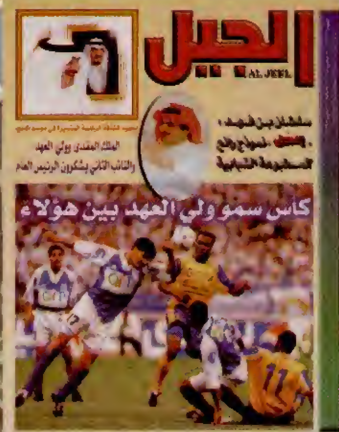
الجيل

«الصحافة الشابة لكل الأجيال»



تقرأ فيها باستمرار:

- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.



لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة





كوكبنا في خطر

التصحر، التلوث، كوارث بيئية نحن معها على موعد

س. نعيم شلالا

تقطيع الأشجار لاستخدامات مختلفة في غابة الأمازون يضر بالتوازن البيئي في العالم

خلق الله هذه الأرض وأوجد عليها كائناتها النباتية والحيوانية والإنسانية، واستعمر الله الإنسان فيها ليبنيها ويذود عنها: *هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها*. **هود**: ٦١. لكن الإنسان أهدر ثرواتها وخلّف فيها كمًا هائلاً من وسائل التدمير ومخلفات خطرة: *ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس*. **الروم**: ٤١. وراح يقضي على مصادر الحياة فيها يومًا بعد يوم: *ولا تعثوا في الأرض مفسدين*. **البقرة**: ٦٠.

وأمام هذا المفترق الخطير هبت الهيئات والمؤسسات الدولية اليوم منادية بالاهتمام بالبيئة والمحافظة على ما تبقى من صور الحياة فيها. والرجوع إلى احترام تلك القواعد التي سنها الله منذ بدء البشرية للتعامل مع الكون والأرض ضمن قواعد تضمن استمرارية الحياة وقدسيتها. ولعل في هذه الجهود الدولية ما يحمي المستقبل البيئي، ويحفظ كوكبنا الصغير هذا - الأرض - مما يحيق به من كوارث.

وتشير الدراسات العلمية المستقاة من الواقع إلى كثير من الكوارث التي تنتظر الإنسان إذا تمادى في الإخلال بالتوازن البيئي. وإذا كان من العسير تناول كل تلك المهددات البيئية، إلا أن في الإشارة إلى بعضها ما يعطي صورة تقريبية عن حجمها.

طريق مقطوعة بسبب تقدم كثبان الرمل في منطقة وادي النيل

كانت الصحراء دومًا في ذهن الزائر الغربي مرادفة للجمال والهدوء والسكينة، بينما يلتمس أي فرد من الطوارق الأمل الذي تمثله تلك البقع الخضراء المبعثرة هنا وهناك، التي تبشره بقربه من الواحات الخضراء التي ينشد فيها الماء والطعام والراحة.

ومنذ السبعينيات، وبعد المجاعة التي ضربت الصحراء الكبرى، تنبه العالم للخطر الذي يشكله زحف الرمال والصحارى،



والتهديد المتزايد عامًا بعد عام، وهذا التمدد المطّرد الذي بدأ يهدد حياة مليار نسمة من البشر تهديدًا مباشرًا، هذا حتى بات من المتوقع أن أربعة مليارات هكتار من الأراضي المزروعة حاليًا ستتحول إلى أراضٍ جرداء قاحلة، وهذه الأراضي الشاسعة سوف تتزايد لتبلغ ستة أضعاف مساحة الصحاري الحالية.

ففي وادي مصر تزحف الرمال على الطرقات السريعة، وتتقلص المساحات الزراعية كما هي الحال أيضًا في تومبوكتو بمالي، إلى حدّ أن هذه المدينة التاريخية أصبحت عرضة للضياع والاندثار تحت الرمال.

وليس هناك من يلام على الإخلال بالتوازن الطبيعي للبيئة الذي أوجده الله سبحانه غير الإنسان، الذي حاول تحقيق أقصى استغلال ممكن لها، من دون النظر إلى عواقب فعله المعبر عن الجشع والطمع، ولا أدل على ذلك من أن الدول الصناعية الكبرى تنفث في الأرض والبيئة نحو ٩٠٪ من النفايات الخطرة في العالم، و٨٤٪ من ثاني أكسيد الكربون المتسبب في سخونة الغلاف الجوي وزيادة متوسط حرارة الأرض، وليس تآكل طبقة الأوزون إلا جزءًا من مركبات الكلوروفلور كربون التي تبثها تلك الدول.

وينجم من ارتفاع الحرارة الشديدة من درجة مئوية واحدة في الوقت الحالي إلى ثلاث درجات ونصف الدرجة عام ٢١٠٠م ارتفاع في مياه المحيطات والبحار يهدد السواحل وكثيرًا من المدن بالدمار والغرق. وإنجلترا مثلاً تستخدم الفحم في صناعتها، وبفضل ذلك الاستخدام تتراكم الملوثات في الهواء، وتتساقط أمطارًا حمضية مما يقضي على الثروات النباتية والحيوانية والإنسان.

ويستمر الإنسان في عدائه لكوكبه، فبعد أن كانت بحيرة



الأجزاء الصفراء على هذه الخريطة توضح المناطق المعرّضة للتصحر، والسبب في ذلك سخونة الجو وكثافة النشاطات الإنسانية. خريطة صادرة عن (برنامج الأمم المتحدة للبيئة)



منطقة تاريخية في شمال تومبوكتو غطتها كثبان الرمال التي تهدد بدورها تومبوكتو نفسها التي تعد مركزًا حضاريًا إسلاميًا مهمًا منذ القرن السادس عشر



إحدى جزر المالديف المهددة بالغرق إذا ارتفعت نسبة المياه في البحر

«آرال» يومًا من الأيام أجمل ثالث بحيرات العالم وأكبرها، أصبحت اليوم امتداداً معزولاً من المياه الداكنة، بينما كانت تستثمر مياهها في توسيع زراعة القطن وتطويرها في سهول آسيا الوسطى في الستينيات، لكن، وبعد التوسع الصناعي الكبير الذي تشهده سواحلها، انخفض مستوى المياه فيها إلى ١٦ متراً، وتقلصت مساحة البحيرة، وأصبحت المياه مالحة، واختفت الأسماك وملايين أخرى من النباتات والطيور والحيوانات المائية، وأصبح الري صعباً جداً.

ولا يزال الإنسان يعيث فساداً في الغابات، ونتيجة لأنانيته يقتل وحيد القرن الأسود والنادر، لقاء حفنة من البودرة، ويصطاد النمر البنغالي للتمتع بجلده، ويقنص الخفاش المارياني لإشباع نهمه، وتبقى شريعة الغاب هي السائدة في الغابات الاستوائية حيث تقطع الآلات المختلفة ملايين الأشجار للتجارة بالأخشاب والنباتات الطبية وشجر المطاط في البرازيل.

نظرة سريعة إلى غابات المملكة العربية السعودية:

تُغطي الغابات فيها ما نسبته ١.٢٪ من مساحتها البالغة ٢.٢٥مليون كلم٢، وقامت المملكة ومنذ بداية الستينيات ومع خططها الخمسية للتنمية بتشجير الصحارى، وتقليم الغابات، وإقامة المشاتل والمتنزهات لزيادة رقعتها الخضراء. وتكثر تلك الغابات في مرتفعات الحجاز وعسير وفي جبال السروات، ومن أهم أشجارها العرعر والزيتون البري (العتم) والفستق البري والشث إلخ. وأسهمت زراعة القمح إسهامًا كبيراً في ازدياد الرقعة الخضراء، كما حصلت المملكة على عدة جوائز عالمية دولية في إنتاج القمح والطحين من منظمة الأغذية العالمية FAO.



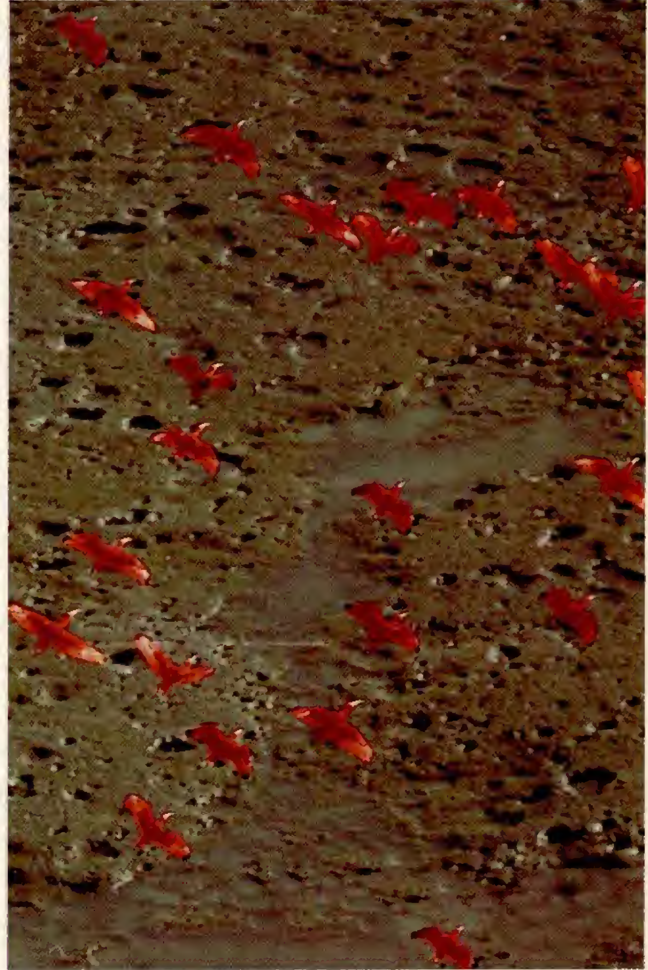
يقول الخبراء: إن المياه في عام

كثافة السكان في بعض العواصم وكثرة السيارات والمصانع سبب كبير في التلوث الذي يغطي كثيرًا من العواصم في العالم على شكل ضباب وغيوم

٢١٠٠م، إذا ما استمرت بالارتفاع، سوف تبتلع جزر المالديف لؤلؤة المحيط الهندي، وبعض المدن مثل مدينة البندقية وأبيدجان عاصمة ساحل العاج اللتين ستتعرضان للفيضانات، ومن المدن والمناطق والحيوانات المعرضة لكوارث التلوث والفيضانات والاندثار، نذكر منها:

دلتا اليوكن في ألاسكا، وإيفرجلاد بفلوريدا، وأوكلاهاما في الولايات المتحدة، وصحراء تنيري بالنيجر، ومحمية يللوستون الأمريكية، وأنهار وغابات في جزر الأنتيل الكبرى، والشعاب المرجانية ببيليز، وطيور الكندور والطنان بمانو في البيرو، وجزر جالاباغوس الاستوائية ومخزون جليد لوس جلاسيارس بالأرجنيتن، ومخزون جبال الألب في فرنسا، وغابة الكونغو الاستوائية، والشاطئ الأطلنطي بالبرازيل، ومستنقع أوكافاكو في بوتسوانا، ودلتا الدانوب ببلغاريا، والسد الكبير في استراليا، وأرخبيل الفلبين، وهضبة أثيوبيا، وغابات مدغشقر، وجزر السيشل، وغابات بورنيو في أندونيسيا، ومقاطعات الكونغا في أستراليا، ودلتا الهند وبنغلاديش، وغيرها من الجزر الصغيرة الساحرة التي تختفي عن سطح الأرض خلال هذا العصر، بالإضافة إلى مساحات كبيرة من الشعاب المرجانية التي ستفقد ألوانها من جراء سخونة الأرض والجو الغلافي لها، وذلك سيزيدمن ارتفاع مستوى المحيطات من ٥٠ سم إلى متر، مهدداً الموانئ والمدن الساحلية مثل دلتا النيل ودلتا داكا بكوارث بيئية. كما أن ٥٠٠ جنس من الحيوانات والنباتات مهدده بالانقراض إذا كان في كل يوم ينقرض ثلاثة أجناس من الحيوانات.

وقد انعقدت عدة مؤتمرات مهمة لتدارس ظواهر التصحر والتلوث وبحث سبل الحد من



سرب من طيور أبو منجل الحمراء يحلق فوق مياه دلتا أماكورو العذبة في (فنزويلا)، وهي مهددة بالانقراض بسبب تأثير سخونة الغلاف الجوي الذي يسببه تقدم مياه البحر المالحة نحو المياه العذبة ودفعها إلى الوراء



جبل من الجليد في الأرجنتين مهدد بالذوبان تدريجيًا، والشيء ذاته في مناطق جليدية أخرى في العالم

كوكبنا في خطر



من الحيوانات المهددة بالانقراض: عجل البحر أو الفقمة، غوريللا الجبال، وحيد القرن الأسود، الأغوندة (ضرب من الديناصور الصغير)، المهاة (البقرة الوحشية) الجنجر، الكندور (نسر أمريكي كبير)

الكوارث المستقبلية، والحفاظ على الثروة الحيوانية وعلى الإنسان نفسه. ومنها قمة الأرض في الريودي جانيرو عام ١٩٩٢م، ومؤتمر القاهرة عام ١٩٩٤م، ومؤتمر كيوتوعام ١٩٩٧م.

ووقع على توصيات قمة الريودي جانيرو أو قمة الأرض عام ١٩٩٢م أكثر من ٦٠ دولة، وتلخصت تلك التوصيات في المحاربة والحد من التصحر دون التوصل إلى نتائج محسوسة، فماذا تستطيع أن تطلب من شعب ما محروم من التفكير بمستقبل أراضيه بينما ينصب همه الأول والأخير على كيفية تأمين الخبز لأطفاله؟

كما أوصت منظمة اليونسكو بأن المحميّة الواقعة بين الأرجنتين والبرازيل Iguacu هي واحدة من ذلك الإرث الأرضي الطبيعي الذي يجب المحافظة المطلقة عليه، على الرغم من ذلك فقد شُقَّت طريقٌ طويلة فيها، ثم أُغلقت، ثم أعيد فتحها من جديد، وهي لا تزال مشكلة كبرى يعاني منها سكان تلك المحمية، وهي تهدد مئات الفصائل من الحيوانات التي تعيش فيها بالانقراض.

ومن أهم التوصيات التي خرجت بها المؤتمرات:

- الخفض من الغازات الضّارة بنسبة ٥٪ حتى عام ٢٠١٢م.
- دراسة المدّ العمراني، والحد من التوسع والتزايد العمراني العشوائي.
- الحد من الحرائق، ووقف قطع الأشجار، وتصحيح مسارات رعي القطعان.
- تنظيم الصيد، وسن القوانين لحماية البيئة الفطرية، وإقامة محميات طبيعية.
- تطبيق القواعد الكفيلة بمنع التلوث البيئي.
- المراقبة الدولية الميدانية للتنقيب عن المعادن.
- الإقبال على الزراعة، وتوسيع رقعتها، وتوفير المياه الصالحة للري.
- زراعة الصحراء وتثبيت الرمال والكثبان بواسطة الأشجار ومصدات الرياح.
- تحلية مياه البحر، وإعادة تشكيل التربة الملوثة.
- نشر الوعي البيئي في تنمية المهارات والقدرات لدى الإنسان، حتى يدرك العلاقة بينه وبين ما يحيط به من عناصر بيئية ومظاهر طبيعية، وإيجاد صيغة جديدة بينهم تقوم على التعاون الدولي البناء الذي يرمي إلى صالح البشرية وحضارتها. وعلى الإنسان أن يعمل لحماية نفسه وحماية بيئته، وبذلك يحافظ ويحمي ما يحيط به من هواء وماء وأرض.

ونهاية القول، إن الأمل لا يزال فسيحاً أمامنا وأمام تلك الجمعيات والمؤتمرات التي تنادي بالحفاظ على البيئة، والعمل على مصادقة الطبيعة التي من حولنا. ولكن السؤال: هل ستفي البلاد الصناعية بوعودها في التزام القرارات أوالتوصيات التي تم التوقيع عليها.

قد يستطيع الإنسان إيجاد حلول مقنعة للحيلولة دون وقوع تلك الكوارث البيئية وتحقيق توازن بين متطلباته الصناعية والحفاظ على كوكبه، لكن كيف، ومتى؟

هذان سؤالان يستحقان الإجابة قبل أن تقع الكارثة!!!

من نوادر التصنيف

ثم إذا جاز للمعلم التعزير، فله الضرب، ويلزمه أن يكون ما يراه كافياً بالنسبة إلى جريمة الولد، فلا يجوز له أن يرتقي إلى مرتبة وهو يرى ما دونها كافياً...

حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

تحرير المقال

في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال

تأليف: ابن حجر الهيتمي (٩٠٩-٩٧٣هـ)

لا أتخيل نشوءَ أمة وارتقاءَها إن لم يكن أساس بنيانها قائمًا على العلم والمعرفة، ولا أتخيل كذلك أمة يكون بناؤها المعرفي سليمًا إن لم تكن اللبنة الأولى منه هي حجر الأساس فيه، وأعني بتلك اللبنة الطفل الصغير، فإهمال هذه الفئة الكبيرة والشريحة العظيمة من المجتمع يجعله مختل الأساس، واهي الأركان.

ولذا نجد التربويين والقائمين على شؤون التعليم في شتى أصقاع العالم ينادون بضرورة الاهتمام بالنشء من أممهم، فيضعون المناهج التعليمية المناسبة في نظرهم، ثم يبدو لهم تغييرها بعد حين، لأنها أصبحت غير ذات جدوى، وهكذا.

إلا أننا نجدهم يغفلون أحيانًا عن جانب عظيم يتعلق بالطفل، ألا وهو الجانب التربوي، فينشأ الطفل ولديه حصيلة معرفية جيدة، إلا أنها لا تقوم على أساس تربوي سليم. من أجل ذلك تعالت الأصوات من الآباء والمسؤولين وكل فئات المجتمع، تنادي بضرورة الاهتمام بالناحية التربوية جنبًا إلى جنب مع الناحية التعليمية، بحيث تصبحان شيئًا واحدًا.

وقد تنبه لهذه المسألة علماؤنا الأوائل، من فقهاء ومعلمين وقائمين على تربية الأطفال وتأديبهم، ومثال على ذلك: هذا الكتاب الذي نتحدث عنه، وهو من تأليف الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد، المعروف بابن حجر الهيتمي، وكان من خيرة علماء عصره، حيث برع في علوم كثيرة؛ من تفسير وحديث وفقه وأدب ولغة، وغير ذلك، وألف في كل هذه العلوم التآليف النافعة.

والكتاب إجابات عن مجموعة من الأسئلة طُرحت عليه من أحد معلمي الأطفال ومؤدبيهم، يستوضح منه عن قضايا تهم كل العاملين في هذا المجال، وقدَّم بين يدي ذلك بمقدمات أورد فيها الأحاديث والآثار الدالة على شرف أهل العلم والقرآن، والأحاديث والآثار الواردة في فضائل معلمي القرآن ومتعلميه. ثم ذكر الأسئلة الواردة عليه من ذلك المعلم، وكان من جملتها: هل يلزم المعلم أن يرسل خلف من غاب من الأطفال عن الكُتَّاب؟ وهل يلزمه إعلام الناظر بمن غاب منهم؟ وهل للمؤدب ضرب الطفل في المدرسة على ذنب اقترفه؛ كتقصير في الحفظ، أو إساءة الأدب، أو التغيب عن الدرس؟ وأسئلة أخرى غيرها.

وكما ترى، فإن مثل هذه الأسئلة مازال يُطرح في عصرنا الحاضر، فإن على المعلم أن يتابع تلاميذه ويتفقدهم من حيث الحضور والغياب، وإعلام الناظر أو المسؤول عن المدرسة بمن تغيَّب من طلبته عن الدرس في يوم من الأيام.

أما ضرب الأطفال وعقابهم، فمسألة اختلف فيها أهل الاختصاص فريقين، بل فرقًا، بين مؤيد مطلقًا ومعارض مطلقًا ومؤيد بشروط. وهذه المسألة بحثها الهيتمي بالتفصيل في كتابه هذا، وبيَّن آراء فقهاء الإسلام ومؤدبي الأطفال فيها، من حيث المنع والإباحة، وشروط ذلك، ومقدار الضرب اللازم عند من يبيحه، والأسباب التي توجب إيقاع العقاب البدني على الطفل، فقال: «إن من أباح الضرب اشترط إذن ولي أمر الطفل وموافقته على ذلك»، ويقول: «فإذا وجد الإذن المعتبر جاز للمعلم الضرب على كل خلق سيئ صدر من الولد، وعلى كل ما فيه إصلاح للولد».

ومن الأسباب التي يراها الهيتمي موجبة لعقاب التلميذ وضربه: تكاسله في الدرس وتقصيره فيه، وإساءته الأدب مع معلمه وزملائه، وهروبه من الدرس إن ثبت ذلك عليه، فيقول: «والظاهر أنه يرجع في الضرب للإصلاح لتكاسله عن الحفظ، وتفريطه فيما علمه. وأما الضرب لوقوع فحش منه؛ كهربه أو إيذائه غيره، أو تلفظه بما لا يليق، فلا بد من تيقنه له بالمعاينة، أو إخبار من يقبل خبره أنه فعل ذلك». ويرى الهيتمي رحمه الله أن الضرب ليس مقصودًا لذاته، إنما هو وسيلة تربوية تسهم في تقويم اعوجاج الطفل وتنشئته النشأة الصالحة «فإذا ظن انتفاء فائدتها، فلا مقتضى لجوازها».

ثم إن الضرب له ضوابط وحدود، تقتضيها مصلحة الطالب أولاً، ومقدار الذنب الذي اقترفه ثانيًا، ويقول المؤلف في ذلك: «ثم إذا جاز للمعلم التعزير، فله الضرب، ويلزمه أن يكون ما يراه كافيًا بالنسبة إلى جريمة الولد، فلا يجوز له أن يرتقي إلى مرتبة وهو يرى ما دونها كافيًا... ثم إن هذا الضرب ينبغي أن يجتنب فيه المؤدب بعض المواضع في جسد الطفل؛ مثل الوجه والمقاتل، لأن القصد ردعه لا قتله. ثم كيفية ضربه أن يكون مفرقًا لا مجموعًا في محل واحد.. وأن يكون بين الضربتين زمن يخف فيه ألم الأولى..».

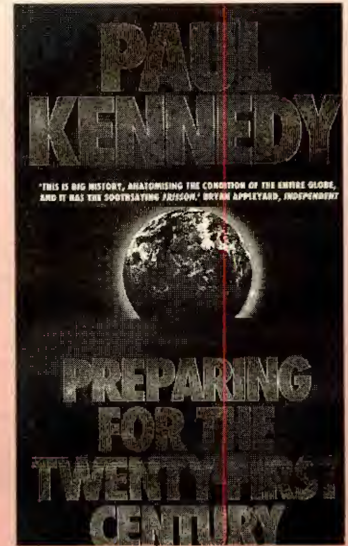
ومن جملة القضايا التربوية والتعليمية التي يتعرض لها المؤلف في إجاباته عن أسئلة السائل: مسألة ترسيخ الحفظ من خلال الممارسة العملية، وذلك بالتدريب على التدريس، حيث يقوم الطلبة المتميزون والأذكياء بتدريس من هم أقل ذكاءً منهم؛ «لأن ذلك من جملة التعليم الواجب على المعلم؛ لأنه باعث على بقائه وحفظه، أو زيادة على تدريبه الواجب على المعلم وسهولته عليه».

ثم يختم المؤلف كتابه بخاتمة يذكر فيها «أحاديث حاثة ومؤكدة للفقهاء والمعلمين على الرحمة بالمتعلمين، والمبالغة في إسداء الإحسان إليهم، والقيام بمصالحهم ما أمكنهم».

هذه بعض الموضوعات التي طرحها الإمام الهيتمي في كتابه هذا، والتي نرى أن لا غنى لرجال التربية والتعليم عن الاستفادة منها، وهي تبرز كذلك مدى التطور التربوي الذي كان عليه العلماء الأوائل من هذه الأمة، وما الهيتمي إلا نموذج من هؤلاء العلماء؛ فهناك سحنون والقاضي عياض وابن جماعة، وكل لهم إسهامات وكتابات في هذا المجال. وحري بأهل الاختصاص أن يبرزوا دورهم الريادي في تأسيس النظريات والأسس التربوية.

الإعداد للقرن

بول كيندي من مواليد نيوكاسل في بريطانيا، وقد عمل أستاذًا للتاريخ في جامعة شرق أنجليا، ويعمل حاليًا أستاذ كرسي ديلورث للتاريخ في جامعة ييل. ويقيم في الوقت الحالي في مدينة هامدن بولاية كينيكتكت. وإضافة إلى عمله أستاذًا للتاريخ فإنه مدرب فريق هامدن لكرة القدم تحت سن الخامسة عشرة، وقد وصل حبه لذلك الفريق إلى أن صَدَّر كتابه «الإعداد للقرن الحادي والعشرين» بإهداء رقيق يقول فيه: «إلى فريق كرة القدم للأولاد تحت سن الخامسة عشرة بهامدن من مدربهم».



تأليف:
بروفيسور بول كيندي
عرض وتعليق:
د. بشير العيسوي

وتشمل الكتب السابقة للمؤلف:

- الاستراتيجية والدبلوماسية Strategy and Diplomacy
- الحقائق وراء الدبلوماسية في الفترة من ١٨٧٠ إلى ١٩١٤م The Realities Behind Diplomacy 1870-1914.
- صعود القوى العظمى وسقوطها The Rise and fall of the Great powers
- صعود السيادة البحرية البريطانية وسقوطها The Rise and fall of the British Naval Mastery

أما: الإعداد للقرن الحادي والعشرين Preparing for the Twenty First Century (١٩٩٣م) فهو آخر ما صدر للبروفيسور بول كيندي. وهو باختصار شديد استقراء لأحوال العالم في القرن الحادي والعشرين حتى سنة خمسين وألفين من الميلاد أحيانًا، إلا أنه يركز على الفترة من ١٩٩٢م إلى ٢٠٢٥م تركيزاً خاصًا. وحين نستخدم لفظة استقراء فنحن لا نستخدمها جزافًا؛ ولكن نستخدمها لأن وضع الكتاب الذي معنا هو تعامل مع حقائق وأرقام. وما وصل إليه المؤلف هو نتائج منطقية مبنية على حقائق علمية استند إليها المؤلف ساعده فيها فريق بحث وتحرير يتكون من أربعة وثلاثين باحثًا، من دونهم ما كان الكتاب ليخرج إلى النور بشكله الذي بين أيدينا.

وضمن فريق البحث، باحثة في الشؤون الإسلامية من آسيا، إضافة إلى ناقدين هما: ياسون إيشتين وزوجة بول كيندي نفسه: كاث. والرجل يعترف لهذا الفريق من الباحثين والمعاونين بالفضل في المشاركة والإعداد والتحرير حتى إنه لم ينس - إضافة إلى شكر الأربعة والثلاثين باحثًا كلاً باسمه - أن يشكر أولاً، وقبل الجميع، شيلا كلاين وسوما كلاين اللتين قامتا بطبع مادة الكتاب على الآلة الكاتبة.

والكتاب الذي بين أيدينا (طبعة ١٩٩٤م) يقع في أربعمئة وثمان وعشرين صفحة من القطع الصغير، وطبعته فونتانا لصالح دار هاربر كولينز للنشر. وهو ينقسم إلى ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: اتجاهات عامة (٣-١٣٤) وينقسم إلى سبعة فصول: توطئة: تحديات قديمة وأخرى جديدة، الانفجار الديموغرافي، الاتصالات والثورة المالية وصعود الهيئات المتعددة الجنسيات، زراعة العالم والثورة الحيوتقنية، الإنسان الآلي والميكنة وثورة صناعية جديدة، أخطار بيئتنا الطبيعية، مستقبل الدول الأممية.

الجزء الثاني: تأثيرات إقليمية (١٣٧-٣٢٥) وهو أكبرالأجزاء، وينقسم إلى أربعة فصول: خطة يابانية لعالم ما بعد سنة ٢٠٠٠م، الهند والصين، الكاسبون والخاسرون في العالم النامي، ما عرف سابقًا بالاتحاد السوفييتي وإمبراطوريته المنهارة، أوربا والمستقبل، المأزق الأمريكي.

الجزء الثالث: خاتمة (٣٢٩-٣٥٢) وعنوانها: الإعداد للقرن الحادي والعشرين، وبعدها ملحق في صفحتين عنوانه: مؤشر التنمية البشرية، ثم الهوامش (٣٥٣-٣٨٨) وثبت للمراجع (٣٨٩-٤٠٥) وفهرست (٤٠٧-٤٢٨). والكتاب فائق التوثيق حيث إن الصفحات المكتوبة بقلم

الحادي والعشرين

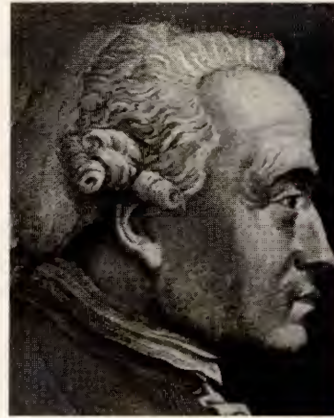
المؤلف ثلاثمئة واثنتان وخمسون صفحة، والهوامش في خمس وثلاثين صفحة، وثبت المراجع في ست عشرة صفحة. وإذا كنا نبحث عن موثوقية المعلومات التي ترد في أي كتاب أو بحث من خلال النظر في الهوامش وثبت المراجع؛ فإن هذا الكتاب فائق التوثيق حيث إن النسبة بين عدد صفحاته المكتوبة وعدد صفحات الهوامش والمراجع هي نسبة ١:٧؛ حيث كل سبع صفحات بقلم المؤلف تقابلها صفحة كاملة للهوامش والمراجع. لكن تلك الموثوقيه تفتقد بعض، أو كل جلائها، حينما يتناول المؤلف أحوال العالم الإسلامي، وخصوصاً مصر، كما سنرى بعد قليل.

هذا الكتاب يحدد شكل العالم في القرن الحادي والعشرين، وهو ليس قراءة نوستراد موتيكية [نسبة إلى عالم الفلك الفرنسي نوسترادامس (١٥٠٣-١٥٦٦م)]، كما أنه ليس ضرباً من العرافة أو قراءة الطالع. وقد صاغ بول كيندي كتابه في أسلوب راق بليغ ذي سبك رائع يقربه من الكتاب المبدعين أكثر من كونه كتاباً في علوم المستقبل يعتمد الأرقام والحقائق أساساً له.

ولقد حدث لغط كثير حول قضية زيادة السكان وتأثيرها في الموارد الطبيعية. وأثيرت القضية بشكل واسع في أثناء مؤتمر السكان بالقاهرة عام ١٩٩٢م، وطرح الكثيرون نظرية مالتوس، حتى إن بعض من تناولوا الموضوع صوروا مالتوس كأنه حي يعيش في جنبات عالمنا. وقد صور مالتوس - الذي كتب مقالته عام ١٧٩٨م - كأنه يتآمر على نمو سكان العالم الإسلامي والمسلمين بصفة خاصة. وهذا ينافي الواقع، فقد كتب مالتوس مقالته - وربما لم يسمع عن الإسلام والمسلمين - ليعالج مشكلات السكان المتفاقمة في إنجلترا، بلده.

ويتناول بول كيندي بالتحليل العلمي تخطئة وجهة نظر مالتوس، ويثبت في الفصل الأول أن مالتوس إنسان ضيق الأفق لم يكن لديه أي قدر من التفكير المستقبلي. فهو لم يتصور أي ثورة زراعية قد تحدث، لم يتصور آلات زراعية تؤدي إلى إنتاج الوفرة، ولم يتصور قيام ثورة صناعية تؤدي إلى إنتاج الباخرة والطائرة ووسائل التبريد والاتصالات والمواصلات الحديثة. وقد حدث كل ذلك وحلّت أزمة السكان في بريطانيا أحسن حل، وأصبحت زيادة السكان في بريطانيا نعمة وليست نقمة. وبذا يكون كيندي قد رد على مالتوس مقولته وهما بنو جلدة واحدة. إلا أن المكابرين لدينا ما يزالون يصرون على أن زيادة النسل خطر، وتتوقف جهودهم عند مجرد قرع ناقوس الخطر دون طرح أبدال ممكنة تواجه زيادة النسل. ونحن نعرض هذا الكتاب الشائق لعل بعضهم يحاول تغيير وجهة نظره حول مشكلة زيادة السكان، وأن نستفيد من الزيادة بدل أن نخاف منها.

إلا أن حسابات كيندي ليست كلها موضوعية. فهو يتوجس خيفة من زيادة السكان لدى الشعوب النامية، ويرى في ذلك تهديداً للأمن القومي لأوربا ولدول حلف الناتو عموماً. ويحدد عام ٢٠٢٥م موعداً لهذه المواجهة بين النمو السكاني لدى الشعوب النامية وما يقابله من انخفاض في عدد السكان في دول الناتو. ويركز بول كيندي تخوفه من النمو السكاني للمسلمين في الاتحاد السوفيتي السابق، إبان قيامه وحتى بعد انحلاله وتفككه. لذا نجده يقول ما يلي: «.. كان تعداد سكان العالم أقل من بليون عندما كتب مالتوس مقالته(١). والآن فإنه يتجه لأن يصبح سبعة أو ثمانية بلايين على الأقل، وربما سيزيد قليلاً على عشرة البلايين. وإذا صحّت وجهة نظر المتفائلين، فإن العالم سيحوي أناساً يعيشون في حالة رخاء يزيد عددهم على ما هو عليه الآن، حتى لو كان ذلك الرخاء غير موزع بالتساوي. وإذا جانب وجهة نظرهم الصواب، فإن الجنس البشري ككل سيعاني أكثر بسبب ملاحقة غير مسؤولة للنمو الاقتصادي مما قد يفقده بسبب تغيير عاداته القائمة(٢). ويستمر الرجل في تناوله لتأثير الانفجار السكاني في الأمن القومي فيقول: «حتى قبل أن يصبح العالم في وضع يمكنه من الحكم على محصلة هذا الحوار - ولنقل: إن ذلك سيكون في عام ٢٠٢٥م - فإنه سيكون مشتبكاً مع نتيجة ممكنة للانفجار السكاني في العالم ألا وهي: تأثير ذلك في الأمن القومي. وتقليدياً، فإن ذلك القلق كان يركز على القوة البشرية من قبل العسكريين؛ حيث إن انخفاض عدد السكان يعني عدداً أقل ممن سيلتحقون بالقوات المسلحة، والذي يعني أنه إذا ما تمتعت الشعوب المنافسة بميزة الخصوبة العليا، فإن ذلك يضع الدولة في حالة من الضعف النسبي على المدى الطويل. وهكذا، فإن مخططي الناتو منذ عدة سنوات حذروا من أن تدني المتوسط العمري للجماعات السكانية من الشباب الصالحين للخدمة سوف يؤدي إلى تخفيض قواتها المسلحة. ليس فقط أن إصلاحات البريسترويكا واتفاقات خفض التسلح بين الشرق والغرب جعلت تلك المخاوف تبدو غير ذات علاقة، بل إن مخططي الناتو تجاهلوا المشكلات الديموغرافية الخاصة بالاتحاد السوفيتي. وحتى في السبعينيات من هذا القرن ظهرت فروق في معدلات الخصوبة الكلية بين معدل السكان الروس الشبه الثابت، والمعدلات السكانية السريعة النمو للجمهوريات الجنوبية؛ حيث توجد تركيبة عنيفة من الوطنية المحلية، ودين المسلمين وطريقة حياتهم، والجهل باللغة الروسية، وكراهية عميقة لهيمنة موسكو؛ مما كان يزعج مخططي القوة البشرية العسكرية السوفيتية. والآن، وقد أصبحت تلك الجمهوريات مستقلة، فإن المشكلة الملحة قد تبدو أنها اختفت، لكن القضية الكبرى، وهي أن مجموعات عرقية تنمو بسرعة أكبر من جيرانها، تظل قائمة»(٣).



إيمانويل كانط



رونالد ريغان

ونتوقف مع الكتاب عند بعض الصفحات التي تستشرف صورة العالم في القرن الحادي والعشرين من خلال قراءات للحاضر تعتمد الرقم والحقيقة - غالباً - أساساً في التناول:

١- خطر الجماعات الأصولية العرقية:

وهو يعود إلى مقولة إيمانويل كانط (١٧٢٤-١٨٠٤م) أن فروق اللغة والدين هي التي تفرق بين الناس. وهذه الوسائل نفسها هي التي ستشعل مزيداً من الحروب الإقليمية مستقبلاً، وهي التي ستهدد وضع الدول ذات القوميات المتعددة. وليسا مثالا تفكك الاتحاد السوفييتي، والحرب بين أقطار الاتحاد اليوغسلافي السابق هما آخر الأمثلة(٤).

٢ـ إفريقية والإيدز:

الإيدز يؤثر في نمو الزيادة السكانية في الدول النامية وأداء الفرد فيها، فـ«في حين كان عدد المصابين بالإيدز في إفريقية عام ١٩٨٨م فقط نحو ١٠٠٠٠٠ حالة، فقد ساد الاعتقاد بأن هذا العدد يمثل ٥٪ أو أقل من بين الذين أصيبوا بـHIV وعليه، فإن إجمالي عدد المتوفين بالإيدز قد يصل إلى مليونين في التسعينيات. إلا أن ذلك العدد قد يبدو منخفضًا جدًا إذا ما وضعنا في الحسبان سيل التقارير حول هذه المشكلة. وأحد تلك التقارير نشرته منظمة الصحة العالمية وهو يحصي ما بين ٢٥٪ ـ٣٠٪ من الحوامل في بعض المدن الإفريقية كانت فحوصات HIV إيجابية لديهن، وهذا يقدم دليلاً على أن عائلات بأكملها تعاني من هذا المرض. وقد تراجعت منظمة الصحة العالمية ـ مؤخرًا ـ عن تقديراتها بأن ٢٥ـ٣٠ مليون فرد على مستوى العالم سيكون فحص HIV إيجابيا لديهم بحلول عام ٢٠٠٠م، ليرتفع الرقم إلى إجمالي ٤٠ مليونًا (شاملاً أعدادًا أخرى أكبر في آسيا). ومن ثم فإن ٩٠٪ بالتمام من ضحايا الإيدز سيكونون من دول نامية، وأساسًا من الدول الأكثر فقرًا. كما أن تقريرًا صدر في عام ١٩٩٢م عن اختصاصي الأوبئة في جامعة هارفارد رفع إجمالي عدد الضحايا إلى ١٠٠ مليون فرد، مع ظهور المزيد في آسيا وإفريقية»(٥).

٣ـ يعقد بول كيندي موازنة بين حال بريطانيا في نهاية العصر الفيكتوري (١٨٣٧ـ١٩٠١م) وحال اليابان منذ الخمسينيات حتى الآن. وينتهي إلى أن الانتصار الاقتصادي والصناعي في الأخيرة إنما أتى من أن الثقافة اليابانية هي السبب وراء هذه القوة وتلك الانتصارات. كما أن دور المرأة اليابانية أساسي في تلك النجاحات. ففي حين فقدت بريطانيا ريادتها الصناعية بأن قلدتها الدول الأخرى، فإن اليابان ما تزال محافظة على ريادتها للأسباب الآنفة الذكر. ومع ذلك يعلن كيندي: «أن شمس اليابان قد تكون ساطعة مشرقة، لكنها الآن في وقت ما بعد الظهيرة وبدأت في الغروب»(٦).

٤ـ جدول رقم ١١:
عدد العلماء والمهندسين
لكل مليون من السكان:

اليابان	٣٥٤٨
الولايات المتحدة الأمريكية	٢٦٨٥
أوربا	١٦٣٢
أمريكا اللاتينية	٢٠٩
الدول العربية	٢٠٢
آسيا (من دون اليابان)	٩٩
إفريقية	٥٣

وهذه الإحصائية المفزعة لا تشمل الأطباء وهي للعلماء والمهندسين فقط(٧). وبالطبع تأتي الدول العربية ضمن آخر ثلاث دول فيها. وهذا قد يفسر كثيرًا من أسباب تخلفنا التقني.

٥ـ يتنبأ كيندي بتفكك الصين إذا استمر الوضع على ما هو عليه منطلقًا من أحداث ١٩٨٩م التي شهدت مواجهات دامية بين الليبراليين ورجال الحرس الشيوعي القديم: «إذا ما استمرت الفجوة بين سكان المناطق الداخلية والساحلية في الازدياد، فإنه من الصعب النظر إلى الكيفية التي يمكن بها الحفاظ على الوحدة الوطنية»(٨).

٦ـ جدول ١٢: مقارنة معدل وفيات الأطفال (وفيات الأطفال بين كل ألف من الأحياء)(٩)

البلد	١٩٦٥ـ ١٩٧٠م	١٩٨٥ـ ١٩٩٠م
الجزائر	١٥٠	٧٤
مصر	١٧٠	٨٥
السودان	١٥٦	١٠٨
الجمهورية العربية اليمنية	١٨٦	١١٦
المملكة العربية السعودية	١٤٠	٧١
الكويت	٥٥	١٩
العراق	١١١	٦٩
اليابان	١٦	٥
الولايات المتحدة الأمريكية	٢٢	١٠
السويد	١٣	٦

وهذا يرتبط ارتباطًا طرديًا بمدى الرعاية الصحية المقدمة للأطفال الحديثي الولادة، فحيثما تكون الرعاية الصحية متقدمة تنخفض نسبة الوفيات، والعكس صحيح.

٧ـ أنفقت الدول النامية في عام ١٩٨٨م وحده ١٥٠ بليون دولار أمريكي على الأسلحة والجيوش. وتنفق سنويًا ٤٣ بليون دولار لشراء الأسلحة من الدول الغربية وأمريكا. وهذا يعني أن سيلاً هائلاً من الأموال التي يُفترض أن تُخَصَّص لمشاريع التنمية والغذاء والتعليم تذهب إلى الحديد والنار في المعدة العسكرية لتلك الدول. وعليه فإن الدول النامية تظل تستورد حاجاتها من الغذاء والسلاح على حد سواء؛ ناسية بذلك مشاريع التنمية والإعمار(١٠). وفي حين يغرق الغرب في «بحيرات النبيذ» ويطل على «جبال من الزبد»، نجد أسعار الغلال والأرز في الدول النامية تنخفض ـ إذا أرادت بيعها ـ بينما هي ترتفع في دول الغرب النامي الذي يقذف بفائض حبوبه إلى البحر(١١).

٨ـ جدول ١٣: معدل التعليم للنساء البالغات وإجمالي معدل نسبة المواليد في بلدان مختارة(١٢)

البلد	نسبة تعليم النساء البالغات	إجمالي نسبة المواليد
أفغانستان	٨٪	٦,٩
سلطنة عُمان	١٢٪	٧,٢
الجمهورية العربية اليمنية	٣٪	٧
هوندوراس	٥٨٪	٥,٦
بوركينا فاسو	٦٪	٦,٥
السودان	١٤٪	٦,٤
سنغافورة	٧٩٪	١,٧
كندا	٩٣٪	١,٧
شيلي	٩٦٪	٢,٧
المجر	٩٨٪	١,٨
تايلاند	٨٨٪	٢,٦

وهذا يظهر علاقة عكسية بين التعليم والإنجاب. فكلما زادت نسبة التعليم كما في حالات كندا وشيلي والمجر قلَّت نسبة المواليد. إلا أن سنغافورة تأتي مثالاً خاصًا، فعلى أن نسبة تعليم النساء البالغات فيها ٧٩٪ فقط إلا أن نسبة المواليد هي ١,٧، وهذا يضعها في مكان واحد مع كندا، وهي من دول العالم المتقدم، في حين أن السابقة من دول العالم النامي.

٩ـ العرب والمسلمون ـ ليس جميعهم ـ يعيشون في القرن التاسع عشر حيث يقول كيندي: «بعيدًا من الإعداد للقرن الحادي والعشرين، فإن جزءًا كبيرًا من العالمين العربي والإسلامي يبدو أن لديه صعوبة في التعامل مع القرن التاسع عشر الميلادي مع موجوده العلماني، والديمقراطية، والاقتصاد الحر، والروابط التجارية الصناعية البينية، والتغير الاجتماعي والخلافات الفكرية. وإذا احتاج المرء إلى مثال للتدليل على أهمية المواقف الثقافية في شرح استجابة المجتمع للتغيير، فإن الإسلام المعاصر يعطينا الإجابة عن ذلك»(١٣). وللأسف الشديد فإن بعضًا منا يعطي أمثلة في النظرية والتطبيق تساعد على أن يصنِّفنا كيندي في القرن التاسع عشر، والأمثلة نفسها تعطي كُتَّابًا آخرين الفرصة لتصنيفنا في قرون أسبق على التاسع عشر، وإن يكن كيندي نفسه قد صنف الإيرانيين المعاصرين على أنهم يعيشون في القرن الخامس عشر(١٤).

١٠ـ إلا أن توقف بول كيندي أمام مصر ووضعها حاليًا في القرن العشرين أثار دهشتي، حيث يضع مصر في المقام نفسه مع بنجلاديش. ولا أدري تعليلاً لذلك إلا استناده إلى إحصاءات الأمم المتحدة وبعض المشابهات في الأرقام فقط. ويغفل عاملاً أساسيًا في حالة مصر هو الثروة البشرية. فلا يمكن إغفال حقيقة أن الحالة المعرفية Knowhow في مصر

تختلف حتمًا عن الحالة المعرفية في بنجلاديش، كما أن النظام السياسي والاقتصادي المصري يختلف حتمًا عما يقابله في بنجلاديش. لذا أرى أن تناوله حالة مصر هو تناول مغرض في كثير من جوانبه وإن عززته الأرقام والإحصاءات. فهو يغفل تقارير البنك الدولي الأخيرة وآراء الخبراء الاقتصاديين - التي سبقت صدور كتاب كيندي بكثير - حول النهضة الاقتصادية التي تشهدها مصر حاليًا والتي سيكون استمرارها عاملاً مهمًا في تغيير وضعية مصر بين دول العالم النامي.

يقول كيندي: «إن معدل دخل الفرد في مصر يبلغ ٧٠٠ دولار أمريكي [في العام] أما في بنجلاديش فهو ١٧٠ دولارًا فقط، وذلك واحد على مئة من دخل الفرد الأوربي الغني ودول أمريكا الشمالية»(١٥). ولا يمثل فارق ٥٣٠ دولارًا أمريكيًا أي شيء بالنسبة لكيندي، ولا يرى أن هذا الفارق لا بد أن يضع مصر في مكان يختلف عن مكانها مع بنجلاديش. إلا أنه يستمر في التناول نفسه قائلاً: «إن مصر وبنجلاديش من بين أكثر عشر دول يهددها منسوب مياه البحر، أما الدول الثماني الأخرى فهي: جامبيا، إندونيسيا، المالديف، موزمبيق، الباكستان، السنغال، سورينام، وتايلاند. وذلك لا يعني أن الدول المتقدمة آمنة وأنها جافة، فالماء يزحف على الدول الغنية والفقيرة على حد سواء. وهو يمثل تهديدًا للمساكن الباهظة التكاليف وكذا الصناعة التي تحيط بخليج طوكيو ومنخفض الراين بالقدر نفسه الذي يهدد دلتا بنجلاديش. وقائمة الأمم المتحدة تشمل الدول التي تعاني من ذلك الخطر لعدم قدرتها على دفع التكلفة؛ إما للإجراءات الوقائية أو لعمل خطة لإعادة إعمار الأرض المرتفعة عن سطح البحر. أما الدول الغنية فستضخ الأموال في دفاعاتها لحماية سواحلها هي (أحد التقديرات يقول: إنه لحماية إحدى أراضي الدول المتقدمة، والجزر الفاصلة في الولايات المتحدة من ارتفاع متر واحد فقط من مياه البحر، قد يُنفق أكثر من مئة بليون دولار) على الرغم من أن كثيرًا من تلك التكلفة ستكون حتمًا عبثًا، وأن هذه الأموال من الأفضل أن تخصص لأغراض بيئية مختلفة»(١٦).

ويعود كيندي مرة أخرى إلى الموازنة بين مصر وبنجلاديش: «كما رأينا مسبقًا، فإن أعداد السكان في مصر وبنجلاديش من المتوقع زيادتها بشكل كبير في العقود القليلة القادمة. في مصر سيرتفع عدد السكان من ٥٤ مليونًا في عام ١٩٩٠م، إلى ٩٤ مليونًا بحلول عام ٢٠٢٥م. وفي بنجلاديش من ١١٥ مليونًا إلى ٢٣٥ مليونًا في الفترة نفسها. وعليه فإن الانفجار السكاني والنشاط الاقتصادي، الذي يحرك، نتيجةً لذلك، الرقعة المنزرعة، قد يتسبب في النهاية في تقلص الأرض في أماكن تناضل ضد انفجار ديموغرافي تعانيه داخل مناطقها. والمآسي القائمة لا يبدو أنها ستبقى محلية في تأثيراتها، فلو انهارت مصر بسبب النمو السكاني وتقلص قاعدة الأرض، فإن المضاعفات السياسية والعسكرية، وكذا الاجتماعية قد تؤثر في جيرانها كإسرائيل وأوربا. وإذا ما دُمرت بنجلاديش بهبوب العواصف وأغرقتها المياه، فإن ملايين من المهاجرين سيندفعون عبر الحدود إلى المناطق التي تزدحم تمامًا بالسكان في الهند؛ مضيفة بذلك مزيدًا من المشكلات للأخيرة. لقد تعود العالم فيضان المهاجرين من الحروب الأهلية، وقد نشهد قريبًا فيضانًا أكبر من لاجئي كوارث البيئة مع تفكك المجتمعات أو تجربة الحروب الأهلية في مواجهة الكوارث الطبيعية. ولقد أشار عدد من العلماء إلى أهمية التغيرات البيئية كأسباب للصراعات الحادة»(١٧).

والعجيب أن كيندي، في الفقرة السابقة، يخشى على سلامة إسرائيل وأمنها من الانفجار السكاني في مصر أو انهيار نظام الدولة بها. وهو بذلك يتخلى عن كل موضوعية اتسم بها تناوله الذي أشرنا إليه في البداية. وخطورة الانفجار السكاني في مصر تكمن في تهديدها لأمن الجارة المدللة إسرائيل، ولا يتنبأ بما يمكن أن تعانيه أو تفعله مصر إزاء تلك المشكلة؛ وذلك انحياز لطرف على حساب طرف آخر، يفقد كيندي بموجبه كل نزاهته! وينسى كيندي أن المجتمع الإسرائيلي هو المهدد بالانفجار والتفكك. ولواستخدمنا أدواته، وكذا أدوات كانط، لوجدنا أن إسرائيل مؤهلة للتفكك والانحلال أكثر من غيرها بين دول المنطقة، إضافة إلى اعتماد إسرائيل على المعونات الخارجية التي تشتري بها المدفع ورغيف الخبز. فلا توجد في إسرائيل مصادر ثروة طبيعية. فإسرائيل - شئنا أم أبينا - شركة مقرها فلسطين، وممولو هذه الشركة وأصحاب الأسهم فيها هم أعضاء اللوبي الصهيوني ومن ورائهم أربعون مليونًا من الأمريكيين المسيحيين (الإنجيليين). وهؤلاء الأربعون مليونًا يعتقدون أن حربًا بين العرب واليهود لا بد أن تقوم وأن تُزهق فيها أرواح المسلمين إلى أن يظهر المسيح ثانية حتى يتمكن هؤلاء المسيحيون من عبادته بحق مرة ثانية لأنهم - وهذا ما تبثه الصهيونية في أذهانهم - لم يعبدوه جيداً حينما بعثه الله أول مرة!! وكان ضمن تلك الطائفة الرئيس رونالد ريجان الذي تمنى أن تقوم تلك الحرب في عصره لينال أقدس شرف مسيحي!!

وزيادة على ذلك فإن كيندي يرى أن الإسلام المعاصر والتقنية (التكنولوجيا) خصمان لا يلتقيان(١٨)؛ حيث يرى أن تعليم المرأة لا يمثل أكثر من ٣٪ بين نساء اليمن، و١٢٪ بالمملكة العربية السعودية، و٣٩٪ في إيران. إلا أنه يحزن كثيرًا للوضع المأساوي للتعليم في مصر!! إذ يرى أن النظام الجامعي يعمل فقط على تخريج عاطلين عن العمل. وهذا يناقض طرحه في هذه الجزئية عن العلاقة الوطيدة بين الإسلام المعاصر والتخلف التكنولوجي. فهناك تعليم في مصر، ومصر بلد إسلامي، إلا إذا أراد نسبتها إلى عالم آخر. ونلمس من تناوله لحالة التعليم في مصر رضاه عن تعليم المرأة، وأن عدد المتعلمات - حسب تخميناتنا حول طرحه - قد يساوي عدد الرجال، لكنه يظل مصراً على وجود الهوة بين التكنولوجيا والإسلام في الدول الإسلامية. وإن دلل على ذلك بمصر، فهو إنما يدلل بالرأس على باقي جسم الأمة.

وهناك ثأر مبيت بين كيندي والقاهرة التي يرى أن سكانها البالغ عددهم ١٣مليونًا يعيش مئات الألوف منهم في المقابر والأكواخ والأزقة(١٩)، ولم يذكر شيئًا عن سكنى بقية الملايين من سكان القاهرة. ونحن نوافق البروفيسور كيندي حول مئات الألوف الذين يسكنون المقابر والأكواخ والأزقة، وإن أشارت تقارير إلى أن العدد يصل إلى ملايين منهم. مع ذلك فإن طرح هذا الجانب فقط دون غيره عن مساكن القاهرة هو تشويه متعمد لا يبذل كيندي معه أي جهد حتى لا يُضبط متلبسًا بالإساءة المتعمدة. ولكنه ترك للطرح اللغوي والخيال القارئ تكوين ذلك التصور الخاطئ عن قاهرة المعز.

ألم يسمع البروفيسور كيندي بأحياء جاردن سيتي، ومصر الجديدة، والمعادي، ومدينة نصر، وعشرات المدن الجديدة التي أقيمت حول القاهرة منذ عشرين سنة حتى الآن وستستمر مستقبلاً، لأنه لا حل إلا الاختناق داخل القاهرة الكبرى التي يتحدث عنها كيندي؟ إن طرح البروفيسور كيندي لجميع قضاياه حول مصر والإسلام طرح جانبته الموضوعية وقد خاب أملي فيه كثيرًا عند توقفه أمام تلك القضايا.

ويكفينا ما توقفنا عنده من أحكام غير موضوعية حول مصر فقط، وفي الكتاب نصيب وافر من أحكام مشابهة توزع عند كل مناسبة على بقية دول العالم الإسلامي.

لقد كان كيندي في الفصل الأول من كتابه موضوعيًا وعقلانيًا في تناوله مشكلة تزايد السكان والموارد الطبيعية وقد فنّد آراء مالتوس. ونلمس في تفنيده أن التكاثر السكاني والانفجار السكاني في بريطانيا لم يكونا نقمة كما تصور مالتوس؛ بل هما نعمة كبرى تمنى معها كيندي - مما بين السطور - لو زيد عدد البريطانيين إلى الضعف. وبمعنى آخر، فإن زيادة السكان تمثل خطرًا في نظره إذا كانت في الدول النامية وخصوصًا الإسلامية منها. أما زيادة السكان في بريطانيا وأوربا فهي محمودة. أليست تلك ازدواجية في الأحكام كما هو الغرب عمومًا صاحب ازدواجية في المعايير أيضًا؟!

هوامش العرض والدراسة:

١- وعنوانها: «مقال حول عنصر السكان حيث إنه يؤثر في تنمية المجتمع» (لندن: ١٧٩٨م)، وأعيد كتابتها عام ١٨٠٣م وتبعتها طبعات تالية - المترجم.

2- Paul Kennedy, Preparing for the Twenty-first Century (London:Fontana Press, 1994).

3- Ibid, pp33-34.

4- Ibid, p133.

5- Ibid, p28.

6- Ibid, pp146-147.

7- Ibid, p216.

8- Ibid, p177.

9- Ibid, p220.

10- Ibid, p224.

11- Ibid, p68.

12- Ibid, p342.

13 -Ibid, p208.

14 - Ibid, p17.

15- Ibid, p110.

16 -Ibid, p p110-111.

17 - Ibid, p 111.

18- Ibid, p210.

19 - Ibid, p220.

مفهوم البطالة

في الاقتصاد الإسلامي

حين دعا الإسلام إلى العمل، وحثَّ عليه، نهى عن البطالة وقعود الرجل فارغًا من العمل؛ لأن البطالة تؤدي إلى فساد المجتمع واضطرابه. فعندما يتعطل عدد كبير من العمل؛ سواء أكانوا مكرهين على ذلك أم كسلاً منهم، فإنّ جهودًا عظيمة تضيع على الأمة كان مؤملاً أن تنتج وتكسب وتؤدي دورها في تقدم الإنتاج، ودفع عجلة الاقتصاد.

زيد بن محمد الرماني

والبطالة مشكلة اقتصادية واجتماعية وإنسانية، ذات خطر، فإذا لم يوجد لها العلاج الناجع، فإنّ خطرها يتفاقم على الفرد، والأسرة، والمجتمع. يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله: «مَنْ تعطَّل وتبطَّل انسلخ من الإنسانية؛ بل من الحيوانية، وصار من جنس الموتى....».

بين يدي المفهوم

لقد كان من نتائج الكساد الكبير الذي عَمَّ العالم في نهاية العشرينيات من القرن العشرين الميلادي ظهور أفكار اقتصادية جديدة، تناقش في محتواها جوهر النظرية الرأسمالية التي كانت تنادي بضرورة توفير الحرية الاقتصادية لأفراد المجتمع، مع عدم السماح للدولة بالتدخل في النشاط الاقتصادي.

بَيْدَ أن نظام الحرية الاقتصادية عجز عن تحقيق الأهداف العامة للمجتمع في القضاء على الكساد والبطالة، والوصول إلى مستوى التوظف الكامل الذي يبشِّر به أصحاب هذه النظرية.

ولذا، نادى «كينز» بضرورة زيادة الطلب الفعّال، ثم دعم هذا الطلب بزيادة الإنفاق الحكومي وذلك لانتشال الاقتصاد من حالة الكساد التي لازمته خلال تلك الفترة. وفي مناداة كينز مخالفة لما رآه التقليديون (الكلاسيك)، ورأي مستقل ومسار اقتصادي جديد.

ولا شك في أنّ من أبرز المشكلات التي يواجهها النظام الرأسمالي وأخطرها أثرًا في الكيان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي: ظاهرة البطالة، التي صاحبته منذ نشأته، والتي يعاني منها العالم المصائب والخسائر الاقتصادية والاجتماعية العديدة.

ومن هنا، فلا بد من أن تستحوذ هذه الظاهرة على قدر أكبر من اهتمام علماء الاقتصاد وتفكيرهم، خاصة، ليكشفوا أسبابها ودوافعها توخيًا لمعرفة آثارها وأضرارها، وتلمسًا لسبل العلاج ووسائل المواجهة المناسبة، حتى يبرأ المجتمع من أخطر أمراضه.

وقد ظلّ الهدف الأساسي من الدراسة الاقتصادية، خلال حقبة من الزمن، هو رسم الخطوط العريضة لرفع مستوى المعيشة، والقضاء على البطالة والتعطّل.

مصطلح البطالة في المفهوم الوضعي

على شيوع استخدام لفظ البطالة في مجال الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، إلاّ أنه يوجد اختلاف في تحديد ماهيته بين الاقتصاديين، يقول راشد البراوي في موسوعته الاقتصادية: «البطالة في أوسع معانيها عبارة عن عدم استخدام عامل من عوامل الإنتاج. وجرى العرف على استخدام مصطلح (بطالة) عند الحديث عن (العمل). وطبقًا لهذا المفهوم المحدّد يكون العاطلون هم الأفراد القادرين على العمل والراغبين فيه، ولكن لا تتوافر لهم فرصة الحصول عليه».

إنه ليس من السهل أن نجد تعريفًا عامًا شاملاً للبطالة، ولكن يمكن تحديدها بأنها: الحالة التي يكون فيها الفرد قادرًا على العمل وراغبًا فيه ولكن لا يجد العمل والأجر المناسبين.

كان الاقتصاديون الكلاسيك (المدرسة التقليدية) يعتقدون بأنّ البطالة حالة مؤقتة ليس لها صفة الدوام، وأنها خلل مؤقت سرعان ما تستطيع قوى التوازن التغلب عليه، وإعادة الاقتصاد القومي إلى حالة العمالة. وكانوا يبنون هذه الفكرة على أنّ منشأ البطالة يرجع إلى زيادة النفقات التي تسببها زيادة الأجور. فإذا ما قَبِل العمال أجورًا أقلّ، أمكن توظيفهم من جهة، وأمكن تخفيض النفقة ثم السعر، مما يساعد على بيع المنتجات من جهة أخرى. ومن ثم يعود مستوى الإنتاج إلى ما كان عليه، وتنتفي البطالة.

وأما في التحليل الكينزي (المدرسة الكينزية) فقد أشار كينز إلى أنّ البطالة صفة ملازمة للتقلبات الاقتصادية، وخاصة في مرحلة الكساد التي قد تمتد إلى مدد طويلة، إن لم تتدخل الدولة لرفع مستوى الطلب الكلي.

ويبني كينز فكرة استمرار البطالة مدة طويلة على أساس أن بطالة جزء من عوامل الإنتاج يعني انخفاض الطلب الكلي، بالنظر إلى أن عوائد هذا الجزء المعطّل من عوامل الإنتاج، ستؤدي إلى خفض الدخل الكلي عن ذي قبل.. وهبوط الدخل، يعني هبوط الطلب الفعّال، الذي يؤدي بدوره إلى مزيد من البطالة، فمزيد من هبوط مستوى الطلب الفعّال. وعلى هذا، فلا بد من زيادة الطلب الفعّال، فالإنتاج والتوظف، لتنتفي البطالة.

ونتيجة للأنظمة الوضعية التي يسير عليها

المجتمع الغربي المعاصر، فإن هناك كثيراً من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، ومنها مشكلة البطالة، فقد ارتفعت نسبة البطالة في مرحلة الثمانينيات من القرن العشرين في كثير من الدول الأوربية، وعلى سبيل المثال ارتفعت نسبة البطالة في ألمانيا من ٣.٣٪ إلى ٤.٨٪، وفي الدنمارك من ٥.١٪ إلى ٧٪، وفي فرنسا من ٥.٩٪ إلى ٧.٤٪، وفي هولندا من ٥.٨ إلى ٧.٦٪، وفي بريطانيا من ٧.٣٪ إلى ١١٪، وفي أمريكا من ٧.٤٪ إلى ٨٪. ومازالت الأزمة مستمرة والعاطلون يتزايدون عامًا بعد عام.

مصطلح البطالة في المفهوم الإسلامي

عرف الفكر الإسلامي تعبير البطالة والعطالة، والمتتبع للفظ بطل في القرآن الكريم وما اشتق منه، يجد أنه ورد قرابة ٣٦ مرة، وكذا المتتبع للفظ بطل في الحديث النبوي ومشتقاته اللغوية، يجد أنه ورد قرابة ٤٠ مرة.

جاء في معاجم اللغة العربية: بَطَل الشيء يَبْطُل بُطْلاً وبُطُولاً وبُطْلانًا: ذهب ضياعًا وخُسْرًا، فهو باطل. والتَّبطُّل: فعل البطالة، وهو اتباع اللهو والجهالة، وبَطَل الأجير - بالفتح - يَبْطُل بَطالة وبطالة أي تعطّل فهو بَطَّال. والبطّال: الذي لا يجد عملاً.

وقد أورد إسماعيل العجلوني في كتابه «كشف الخفا ومزيل الإلباس» أحاديث عن البطالة منها: حديث: «إنّ الله يكره الرجل البطّال...»، وحديث: «إن البطالة تُقَسّي القلب».

وذكر ابن نجيم الفقيه الحنفي في كتابه «الأشباه والنظائر» صوراً من البطالة فقال: «ومنها البطالة في المدارس... وقد اختلفوا في أخذ القاضي في يوم بطالته ما رتّب له من بيت المال...».

ولذلك كان «الشيخ تقي الدين القشيري إذا أبطل يومًا غير معهود البطالة في دروسه، لا يأخذ لذلك اليوم معلومًا».

وقد ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: «كسب فيه ريبة خير من عطلة». وقال عروة بن الزبير: شر شيء في العالم البطالة، وقال ابن وهب: «لا يكون البَطّال من الحكماء».

ذكر أبو حامد الغزّالي رحمه الله في كتابه «إحياء علوم الدين» أنّ الأنشطة الاقتصادية والصناعات تحتاج إلى تعليم ومكابدة في الصبا، وإذا غفل بعض الناس عن القيام بذلك في بداية عمرهم، أو منعهم من ذلك مانع، أصبحوا عاجزين عن العمل، فيأكلون من عمل غيرهم، ويكونون عالة على غيرهم، فهم عاطلون.

وذكر الوصابي محمد اليمني في كتابه «البركة في فضل السعي والحركة» أنّ البطالة هي الكسل، والكسل إما ترك الكسب الحلال أو ترك القيام بأمر الآخرة. وفي الربط بين البطالة والكسل فائدة عظيمة، وهذا الربط يحدّد لنا كيفية معالجة البطالة، وكيفية مواجهة هذه الظاهرة المدمرة اجتماعيًا واقتصاديًا.

لقد بيّن الاقتصاد الإسلامي أنواعًا عديدة للبطالة، ووقف منها موقفًا حازمًا، يكشف عن الأسباب، ويحلّل الدوافع، ويشرح الآثار، ويقدم العلاج. ومن أمثلة هذه البطالة: بطالة المضطر «البطالة الإجبارية»، وبطالة الكسول «البطالة الاختيارية»، وبطالة المتواكل «البطالة التعبدية»... وهكذا.

البطالة الإجبارية هي التي لا اختيار للإنسان فيها، وإنما تُفرض عليه، أو يُبتلى بها، وقد يكون السبب عدم تعلّم مهنة في الصغر، وقد يحتاج إلى آلات وأدوات لازمة لمهنته، ولا يجد مالاً يشتري به ما يريد، وقد يفتقر إلى رأس المال مع معرفته بالتجارة، وقد يكون من أهل الزراعة ولكنه لا يجد أدوات الحرث.

إنّ المضطر الذي لا حيلة له في إيجاد العمل، مع رغبته فيه، وقدرته عليه، ينبغي أن تتكفل الدولة بإيجاد العمل المناسب له، وتعطيه من حصيلة الزكاة إن كان محتاجًا، ولا يملك حد كفايته، ويُصرف له ما يكفي حاجته. وإذا كان من أصحاب الحرف والمهارات أو قادراً على مزاولة مهنة ما، فيمكن إعطاؤه ما يمكّنه من مزاولة مهنته، بحيث يعود عليه وعلى عائلته الدخل المناسب من وراء ذلك.

والبطالة الاختيارية هي بطالة مَنْ يقدر على العمل ويجنح إلى القعود، ويستمرئ الراحة، ويؤثر العيش عالة على الآخرين. وهؤلاء لا حظ لهم في الزكاة، أخذًا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحل الصدقة لغنيّ ولا لذي مرّة سويّ». يقول الماوردي رحمه الله في كتابه «الأحكام السلطانية»: «وإذا تعرّض للمسألة ذو جلد وقوة على العمل، زجره الوالي، وأمره أن يتعرض للاحتراف بعمله...».

والبطالة التعبدية هي بطالة دفع إليها تصوّر معيّن لمبادئ الدين الإسلامي، إذ قد فهم بعض الناس أن بعض المبادئ الدينية يستدعي ترك العمل، والركون إلى الرهبنة أو التواكل أو التسوّل مثلاً.

وقد قامت الدولة الإسلامية في عهودها الزاهية بتصحيح المفهومات الخاطئة، فهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل أهل اليمن: مَنْ أنتم؟ قالوا: نحن متوكلون. قال: كذبتم، ما أنتم متوكلون، إنما المتوكل رجل ألقى حبة في الأرض، وتوكل على الله. وقال الفاروق أيضًا لأناس فارغين لا يعملون ويدّعون أنهم متوكلون: كذبوا هم المتآكلون، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل. وقال كذلك: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أنّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.

إنّ التوكل لا ينافي الأسباب، ولا ينافي الاحتراز، ولا ينافي الكسب، ولذا قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للأعرابي: «اعقلها وتوكل»، وفي هذا ردّ على مدّعي الرهبنة، أو الزهد الأعجمي.

لقد قدّم الاقتصاد الإسلامي من خلال مصادره وأعلامه، الحلول المناسبة، والوسائل الكفيلة، والأساليب اللازمة، والطرق المؤدية لمعالجة ظاهرة البطالة في المجتمعات، ومن ذلك:

١- تشغيل العاطلين وإرشادهم إلى العمل: ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر العاطلين بالعمل، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يؤكد ذلك، إذ جاء رجلان إلى رسول الله فسألاه، فقال: «اذهبا إلى هذه الشعاب فاحتطبا فبيعاه». ثم جاءا، فباعا، فأصابا طعامًا، ثم ذهبا واحتطبا، فابتاعا ثوبين، ثم حمارين، فقالا: قد بارك الله لنا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- النهي عن المسألة والكُدية والتسول: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم». وقال كذلك: «مَنْ سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنما يسأل جمرًا، فليستقل أو ليستكثر». وقال أيضًا: «لأن يأخذ أحدكم حبله، ثم يأتي الجبل

فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

٣- استغلال الأموال المعطّلة والإفادة منها في فتح مشروعات جديدة.

٤- تكريم العمل اليدوي وحضّ الناس عليه.

٥- ألقى الفكر الإسلامي على ولي الأمر مسؤولية إعداد العاملين وتدريبهم.

٦- إعانة الناس الذين يريدون العمل، ولا يجدون إليه سبيلاً.

إن من واجبات الدولة الإسلامية أن تقوم بتأهيل العاطلين تأهيلاً نفسيًا وماديًا للعمل، وتوجيه كل عاطل إلى عمل يناسب قدراته ومواهبه، ومتابعة العاطلين بعد توجيههم إلى عمل محدّد، يقول الفاروق رضي الله عنه: «يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم واتجروا، فقد وضح الطريق، فاستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين».

يظنّ بعض الناس أن الزكاة صدقة تُعطى لكل سائل، وتوزع على كل متسول، ويظنّ أنها تعين على كثرة السائلين والمتسولين، ومن ثم فهي تشجع على البطالة!!

والحقيقة، أنّ الزكاة إذا فُهمت كما شرعها الله وجُمعت من حيث أمر الله، ووُزِّعت حيث فرض الله، تكون أنجح وسيلة في مواجهة ظاهرة التسوّل.

كما أنّ هذا الظنّ خاطئ لأسباب منها:

١- موقف الإسلام من العمل: فالعمل فرض على القادر عليه، وحق له في الوقت نفسه، قال تعالى: *هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ*. **الملك**:١٥.

٢- الزكاة لا تُعطى للقويّ القادر على العمل، قال صلى الله عليه وسلم: «لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب».

٣- مصارف الزكاة تشجع على العمل، فسهم العاملين عليها، أول دعوة لإطلاق الحوافز المادية، فكلما اجتهد العامل في جمع الزكاة وأحسن الأداء، زاد الدخل من الزكاة، وارتفع سهم العاملين عليها ليفي بأجورهم كاملة منهم. وسهم في الرقاب، من شأنه أن يحرّر قوة عاملة تسهم في الأعمال الاقتصادية، بما يعود عليهم بمزيد من الإنتاج ومزيد من فرص الاستثمار. وسهم الغارمين، من حسناته تعويض المدينين عما يلحق بهم من خسائر، وإيجاد نوع من الاطمئنان لدى المتعاملين، ويدعم هذا الائتمان والاستقرار الاقتصادي.

وقف الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يودِّع أحد نوابه على بعض أقاليم الدولة، فقال له: ماذا تفعل إذا جاءك سارق؟ قال: أقطع يده. قال عمر رضي الله عنه: وإذن، فإنْ جاءني منهم جائع أو عاطل، فسوف يقطع عمر يدك، إنّ الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفّر لهم حرفتهم. فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها. يا هذا إنّ الله خلق الأيدي لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

وبتحليل هذه الوثيقة نستخلص ما يلي:

١- اهتمام الدولة بتحقيق التقدم الاقتصادي، بحيث لا يظلّ هناك جائع أو عاطل.

٢- اهتمام الدولة بتحقيق التنمية، فإنّ وظيفة الدولة الأمن الغذائي «نسد جوعتهم»، والأمن النفسي والبدني «نستر عورتهم»، والأمن الاقتصادي «نوفّر لهم حرفتهم».

٣- أحقية كل فرد في العمل وفي إشباع احتياجاته الأساسية، وفي سبيلها يذهب للحاكم.

٤- وعي الدولة لمشكلات البطالة «إنّ الله خلق الأيدي لتعمل».

وهكذا لا نستطيع أن نرى دولة اتخذت في معالجة البطالة أسلوبًا حكيمًا، كما اتخذه الإسلام.

الخلاصة

نخلص مما سبق إلى أنّ الإسلام عالج ظاهرة البطالة من طريق التعاون بين ولي الأمر، المكلّف تدريب العامل وتعليمه، وإيجاد فرص العمل المناسبة له من خلال حصيلة الزكاة، من جهة، والعامل نفسه، من جهة أخرى، بدعوته إلى العمل، ومنعه من التسوّل.

كما أن الإسلام وضع من القواعد والأصول الكفيلة بمواجهة ظاهرة البطالة، ما ينفي عن الإسلام تهمة تحبيذ جانب الزهد والابتعاد من الدنيا، وكذلك شبهة تعطيل عوامل الإنتاج المتعددة، وتحبيذ جانب الفقر على الغنى.

ومن هنا فإن معالجات الاقتصاديين أو السياسيين لمشكلات الاقتصاد يجب ألاّ تتعرض لظاهرة البطالة بوصفها مشكلة فردية، فقد أصبحت - مؤخرًا - ظاهرة اقتصادية واجتماعية تشكل ضغطًا غير خفي على الساسة في قراراتهم والباحثين في أبحاثهم.

المراجع:

١- الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، المنصورة: دار الوفاء، د.ت، ص٣٨٢.
٢- راشد البراوي: الموسوعة الاقتصادية، جدة: دار الشروق ١٣٩٩هـ، ص٩٤.
٣- صقر أحمد صقر: النظرية الاقتصادية الكلية، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٧م، ص٤٠٠.
٤- أبو بكر متولي: مبادئ النظرية الاقتصادية، القاهرة: نشر جامعة عين شمس، ١٩٧٨م، ص١٦٠-١٦١.
٥- رجاء عبد رب الرسول: البطالة وحقيقة الأرقام، مجلة الأهرام الاقتصادي، القاهرة: ١٩٨٩م، ص٣٤-٣٥.
٦- ابن منظور: لسان العرب، مادة: بطل.
٧- إسماعيل العجلوني: كشف الخفا ومزيل الإلباس، ج١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
٨- ابن نجيم: الأشباه والنظائر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ، ص٩٥-١٠٢.
٩- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، بيروت: دار الندوة الجديدة، د.ت، ص٢٢٨.
١٠- شوقي دنيا: أعلام الاقتصاد الإسلامي، الرياض: مكتبة الخريجي، ١٤٠٤هـ،ص١٥٥-١٥٩.
١١- محمد الوصابي الحبشي: البركة في فضل السعي والحركة، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت، ص٣-٧.
١٢- رفعت العوضي: من التراث الاقتصادي للمسلمين، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٥هـ، ص٨٥-٩١.
١٣- يوسف القرضاوي: الاقتصاد الإسلامي، مكة المكرمة: جامعة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٦هـ، ص٢٢٦.
١٤- سعيد مرطان: مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ، ص١٨٤.
١٥- عبدالعزيز الخياط: المجتمع المتكافل في الإسلام، بيروت: دار السلام، ١٤٠٦هـ، ص٩٠.
١٦- أبوالحسن الماوردي: الأحكام السلطانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ، ص٢٤٨.
١٧- عبدالحي الكتاني: التراتيب الإدارية، ج٢، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت، ص٢٢-٤٣.
١٨- شوقي دنيا: الإسلام والتمية الاقتصادية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٩م، ص٣١٠-٣١٢.
١٩- فضل إلاهي: التدابير الواقية من الرّبا، باكستان: إدارة ترجمان السنة ١٤٠٦هـ، ص٢٩٦-٣٠١.
٢٠- عزالدين الخطيب التميمي: العمل في الإسلام، عمّان: دار عمار، د.ت، ص٢٥-٢٧.
٢١- عبدالسميع المصري: مقومات العمل في الإسلام، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٢هـ، ص١٠٤.
٢٢- أحمد العسّال: النظام الاقتصادي في الإسلام، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٠هـ، ص١١٥-١١٧.
٢٣- مصطفى الهمشري: النظام الاقتصادي في الإسلام، الرياض: دار العلوم، ١٤٠٥هـ، ص٤٧٩.
٢٤- محمود سفر: إنتاجية مجتمع، الرياض: نشر تهامة، ١٤٠٤هـ، ص٥٧.
٢٥- حمد عبدالرحمن الجنيدل: مناهج الباحثين في الاقتصاد الإسلامي، ج٢، الرياض: شركة العيكان، ١٤٠٦هـ، ص٣٦-٣٧.

بطليموس قيّد الفلك وأطلقه العلماء المسلمون

عبد الأمير المؤمن

في التاريخ الفلكي الطويل، يقترن اسم العالم الفلكي اليوناني بطليموس القلوذي باسم العالم الفلكي البولندي كوبرنيكوس، يقترن من باب التضاد، على الفاصل الزمني الطويل بين العالمين (في حدود ١٤ قرنًا). فالأول اشتهر بنظرية مركزية الأرض Geo-centric System، والثاني اشتهر بنظرية مركزية الشمس Heliocentric Sys-tem، وماتت النظرية الأولى أو بادت، وعاشت الثانية إلى اليوم وسادت.

ولكن بقي بطليموس اسمًا تاريخيًا شهيرًا، لا يخلو منه كتاب فلكي أو في تاريخ العلم أو تاريخ الحضارة، بقي أشهر اسم في سماء الفلك القديم.

فمن هذا العالم الفلكي الشهير؟ وما أثره في التاريخ الفلكي؟ وما حسناته وما سيئاته؟

في هذا الموضوع سنتحدث عنه، وعن أثره السيئ في التاريخ الفلكي، وكيف أن العرب والمسلمين خالفوه ونقدوه، على مكانته والإجماع الواسع على أهميته ومتانة نظريته!! وكيف أن نظريته (المقدسة) لم تنج من معاول علمائنا الذين استوحوا المنهج العلمي الصحيح من القرآن الكريم، فكانت نظريته هدفًا للنقد والسهام حتى أثخنوها بالجراح، ممهدين بذلك للثورة العلمية الفلكية التي أحلّت الشمس محل الأرض في مركز الكون، ثم في مركز المجموعة الشمسية.

حياته وشخصيته العلمية

وبطليموس القلوذي(١) شخصية علمية تاريخية كبيرة، لم نعرف الكثير عنها. الذي نعرفه، أنّ هذا العالم يوناني الأصل نشأ وعاش في مدينة الاسكندرية في مصر، في القرن الثاني الميلادي، ودرس في أثينا، ورصد في الاسكندرية، وبنى على أرصاد أبرخس (هيبارخوس) الذي رصد في برودس(٢). وكانت مدينة الاسكندرية عاصمة عقلية للعالم القديم، نبغ فيها عددٌ من العلماء والمشاهير. توفي بطليموس في حدود ١٧٠م، وهو من غير البطالسة(٣) الذين حكموا مصر بعد موت الاسكندر المقدوني.

وبطليموس عالم متعدد الجوانب، كان فلكيًا رياضيًا، جغرافيًا، مؤرخًا، يقول شمس الدين الشهرزوري: كان بطليموس رجلاً مقدمًا حاذقًا بصناعة الهندسة والنجوم(٤).

لم تسُد شخصية علمية فلكية في طول تاريخ القرون الوسطى كما سادت شخصية بطليموس. فقد حظي هذا العالم اليوناني من التقدير والتقديس، ما جعل نظريته الفلكية أمرًا لا يجوز النيل منه، حكمت التاريخ الفلكي الطويل منذ القرن الميلادي الثاني حتى عصر النهضة العلمية في القرن السادس عشر، عصر كوبرنيكوس. حكمت ١٤ قرنًا وفعلت فعل المخدر في العقول، فأنست كل الاقتراحات الفلكية المضادة مكتسحة كلَّ ما عداها من الأفكار الفلكية، القوية والضعيفة على حد سواء. فلم يجرؤ أحد على مخالفتها والخروج عن إطارها العام، إلا في حدود، كخروج بعض العلماء المسلمين عن بعض عناصرها. أما الإطار العام للنظرية، فلم يتأثر، فالأرض مركز الكون، وكلّ ما عداها تابع لها. والنظرية لم تخرج عن الصورة الكونية العامة التي تخيلها القدماء للكون.

وعلم الفلك عند بطليموس هو خلاصة مركزة لكل العلم الفلكي القديم. فهذا الفلكي الشهير جمع ورصد وبوّب نتائج الأعمال الفلكية السابقة، وأفرغ هذا الجهد في بوتقة واحدة اسمها (المجسطي) أشهر كتبه. يقول القفطي: «وإلى بطليموس انتهى علم حركات النجوم، ومعرفة أسرار الفلك وعنده اجتمع ما كان متفرقًا من هذه الصناعة بأيدي اليونانيين والروم وغيرهم من ساكني أهل الشق الغربي من الأرض، وبه انتظم شتيتها وتجلّى غامضها»(٥).

المجسطي أشهر كتاب فلكي في التاريخ

المجسطي أشهر مؤلفات بطليموس وأهمها(٦)، وهو موسوعة فلكية شاملة جمعت خلاصة علم الفلك القديم إلى عهده، وهو مبني على أساس المؤلفات التي كتبها سابقوه وخاصة هيبارخوس. ومن هذا الكتاب تأصّلت في العصور الوسطى فكرة الأرض المركزية الثابتة.

وهو أشهر كتاب فلكي في التاريخ العلمي على امتداده، اقترنت شهرته ببطليموس. والمجسطي هو الترجمة العربية للمخطوط الإغريقي القديم Megale Syn-taxis؛ أي المؤلف العظيم. ومن الواضح أن المترجمين العرب الذين كانوا أول من نقلوه إلى أوربا، قد غيّروا لفظ Megale بمعنى عظيم إلى صيغة التفضيل Megiste بمعنى الأعظم، ومن ثم صار معروفًا عند العرب باسم المجسطي ومنه نشأت الصيغة اللاتينية Almagestum(٧).

وكان الكتاب موضع إعجاب الجميع، يقول صاعد الأندلس: «ولا أعرف كتابًا في علم من العلوم قديمها وحديثها اشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بجميع أجزاء الفنّ غير ثلاثة كتب، أحدها كتاب المجسطي هذا في علم الهيئة والفلك وحركات النجوم، والثاني كتاب أرسطاطاليس في علم صناعة المنطق والثالث كتاب سيبويه في

علم النحو العربي»(٨). ويقول حاجي خليفة في حقه: «وهو أشرف ما صُنِّف في الهيئة، بل هو الأم، ومنه يُستخرج سائر الكتب المؤلفة في هذا الفن»(٩).

لقد كان الكتاب مرجعًا فلكيًا في البلاد الإسلامية والأوربية على السواء، حتى عصر النهضة العلمية في القرن السادس عشر الميلادي. وأسلوب الكتاب غامض، فهو قليل الألفاظ كثير المعاني، جاء على طريقة القدماء في التأليف، قاصرًا معانيه على العلماء والمتخصصين دون غيرهم. وقد دارت حوله التفسيرات والتعليقات والشروح والحواشي والنقد، وترجمه العرب عدة ترجمات. وأول من عُني بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك، ونقله الحجاج بن مطر أيضًا وكذلك إبراهيم بن الصلت وغيرهم(١٠). ويتضمن الكتاب ثلاث عشرة مقالة:

الأولى: في المقدمات، كالبرهان على كروية السماء والأرض، وعلى ثبوت الأرض في مركز العالم، ثم ميل فلك البروج ومطالع درج البروج في الفلك المستقيم.

الثانية: في المباحث فيما يختلف باختلاف عروض البلدان مثل طول النهار وارتفاع القطب والمطالع في الأقاليم والزوايا الناشئة عن تقاطع دائرتين من دوائر الأفق ونصف النهار ومعدِّل النهار وفلك البروج وغيرها.

الثالثة: في تعيين أوقات نزول الشمس في نقطتي الاعتدال ونقطتي الانقلاب، ثم في مقدار السنة الشمسية وحركتي الشمس المعتدلة والمختلفة والطريقة الهندسية لبيان اختلاف الحركة بفلك خارج المركز أو بفلك تدوير، ثم في اختلاف الأيام بلياليها، وتحويل الأيام الوسطى إلى المختلفة وبالعكس.

الرابعة: في حركات القمر المعتدلة في الطول والعرض.

الخامسة: في بيان اختلافات حركات القمر وحسابها، ثم حساب اختلاف المنظر في الارتفاع والطول والعرض.

السادسة: في اجتماعات النيرين واستقبالاتهما وكسوفاتهما.

السابعة: في الكواكب الثابتة (أي النجوم) والأشكال العارضة لها مع الشمس.

الثامنة: في جريدة الكواكب الثابتة ومواضعها في الطول والعرض.

التاسعة والعاشرة والحادية عشرة: في بيان حركات الكواكب الخمسة المتحيِّرة (أي الكواكب السيَّارة) في الطول.

الثانية عشرة: في الرجوع والاستقامة والمقامات العارضة للكواكب الخمسة المتحيِّرة.

الثالثة عشرة: في عروض الكواكب الخمسة المتحيِّرة وظهورها واختفائها(١١).

صورة الكون عند بطليموس

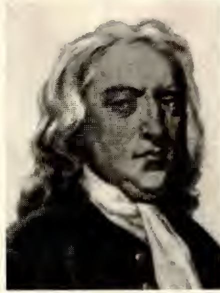
صورة الكون عند بطليموس هي نهاية مركَّزة للأفكار الفلكية السابقة التي رسمت الكون، فقبل بطليموس كانت الصورة الشائعة أن الكون كرة كبيرة مجوَّفة تقع الأرض في مركزها، وفي مقابل هذه الصورة الشائعة كانت هناك أخرى مهمة تختلف في الأساس عن الصورة التي اتخذت الأرض مركزًا لها؛ تلك هي نظرية ارسطرخس الساموسي، الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد، فقد قدَّم هذا العالم الفلكي الفذُّ الصورة الصحيحة للكون، فاقترح الشمس مركزًا للكون بدلاً من الأرض، وأن الكواكب السيَّارة، ولاسيما الأرض، تدور حولها. وهذه النظرية هي نظرية كوبرنيكوس التي قال بها في القرن السادس عشر الميلادي. وقد علل فكرته تلك بأن الشمس أكبر من الأرض والقمر، وليس من المعقول أنَّ حجمًا صغيرًا كالأرض يتحكَّم بجسم كبير كالشمس(١٢). يا له من تعليل رائع.

لقد كانت نظرية ارسطرخس الشمسية الأساس الأول لنظرية كوبرنيكوس التي فجَّرت العصر الفلكي الحديث، لكنها لم تسُد، وضاعت في ظلِّ قوة شخصية بطليموس. والحقيقة أن نظرية بطليموس اعتمدت بشكل أساسي على أفكار الفلكي الشهير هيبارخوس(١٣) الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد. وخلاصة نظرية بطليموس هي: الأرض ثابتة ساكنة في مركز العالم (الكون)، والأجرام السماوية كافة تدور حول هذا المركز في أفلاك دائرية كاملة الاستدارة. والدائرة الأولى أو الفلك الأوَّل هو فلك القمر وفيه كرة القمر، ثم فلك عطارد وفيه كرة عطارد، ففلك الزهرة وفيه كرة الزهرة، ففلك الشمس وفيه كرة الشمس، ففلك المريخ وفيه كرة المريخ، ففلك المشتري وفيه كرة المشتري، ففلك زُحل وفيه كرة زُحل، ويلي فلك زُحل فلك النجوم الثابتة (والثابتة هنا تعني الثبات النسبي فيما بينها، أما في حقيقتها فهي متحركة)، وفوق هذا الفلك فلك آخر اسمه الفلك المحيط أو الفلك الأطلس. وبه ينتهي الكون وينغلق على نفسه (لاحظ كم هو صغير هذا الكون). هذه هي الصورة الإجمالية عند بطليموس عالم الفلك القديم.

والكوكب عند أغلب القدماء مغروس في الفلك كالفصِّ في الخاتم - على حد تعبيرهم - فالفلك يجري ويجري معه الكوكب. هكذا تصور القدماء الأجرام السماوية، تصوروا الأفلاك أطواقًا تدور حول الأرض مركز الكون كله.

كان بطليموس فلكيًا موسوعيًا أحاط بعلم الفلك، فتحدث عن السماء ووصفها وصفًا دقيقًا، لعله أقدم وصف معروف، حيث وضع جدولاً أحصى فيه ١٠٢٩ نجمًا وكوكبًا. وقد أورد القزويني بعض مسائل الفلك عند بطليموس ذكر فيها: «ومسح الأفلاك برجًا برجًا ودرجة درجة وثانية ثانية حتى يقول: في يوم كذا وفي ساعة كذا يكون الكسوف أو الخسوف، ويقع كما قال. وأعجب من هذا أنه يبين بالبراهين الهندسية: كم ميلاً مسافة ما بين السماء والأرض، وكم ميلاً كلُّ فلك من الأفلاك تحتها، وكم ميلاً دورتها، وقطرها. ومن أعجب الأشياء وضع الاصطرلاب والتقويم. فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم»(١٤).


نيكولاس كوبر نيكوس


اسحق نيوتن

بطليموس يقيِّد الفلك ويعقِّده

قدَّم بطليموس نظرية شاملة سميت باسم نظرية بطليموس، أو النظام البطلمي Ptolemaic System، وهو نظام أرضي، أي إن الأرض تقع في مركز الكون، وكل ما عداها من كواكب ونجوم وظواهر كونية أخرى تدور حول ذلك المركز (الأرض). وإضافة إلى اعتقاده المخطئ بمركزية الأرض، اعتقد أنَّ مدارات الكواكب والنجوم والشمس والقمر دائرية كاملة الاستدارة، سائرًا في ذلك على نهج أسلافه القدماء، أي على تفكير اليوناني الذي آمن بجمال الكون وتناسقه وانتظامه، غاضًا النظر عن الواقع، ومعرضًا عن أية نتيجة رصدية تصل به إلى خلاف ذلك التفكير المجرد، فلا يستطيع قبول أن تكون مدارات الأجرام غير دائرية، بيضية إهليلجية، لأن ذلك يخالف الجمال والكمال والتناسق الذي اعتقد به التفكير اليوناني. وحين وجد أن الواقع الرصدي يخالف ذلك التفكير المجرد، فالكواكب لا تجري بصورة منتظمة في مداراتها، فتارة تبدو سريعة، وأخرى بطيئة، وثالثة واقفة، ورابعة راجعة. وتارة تبدو كبيرة وأخرى صغيرة. حين وجد ذلك وقع في حيرة بين إيمانه بالأفكار العقلية الجمالية، ووقوفه على الواقع الرصدي الحي.

من هنا بدت المسألة معقدة، كيف يمكن التوفيق بين الأمرين؟ فالنظرية الآن غير منسجمة وغير أنيقة، إنها مرتبكة مضطربة.. فلم تتطابق الأرصاد الظاهرية مع أصل النظرية المجردة. ماذا يفعل لتنسجم نظريته مع الواقع المشاهد؟ لاشك أنه لا يستطيع

بطليموس قيّد الفلك وأطلقه العلماء المسلمون

إصلاح المدخل الذي دخل فيه، لأنه واقع ضمن التفكير اليوناني العقلي الراسخ. فالنظرية أساساً خطأ، فليست الأرض في مركز الكون، ولا مدارات الكواكب دوائر كاملة الاستدارة، وما لم يدرك هذا الأمر فلا يستطيع علاج المسألة.

من هنا بدأ التخبط والتعقيد، إنه يريد حلاً لكي لا تسقط نظريته العظيمة، لا بد من العلاج والترقيع والترميم. هنا شمّر عن ساعديه مستغلاً ذكاءه وقدرته العلمية، محاولاً إنقاذ النظرية من السقوط.

لقد أراد بطليموس أن يرى الكواكب - وهي تدور حول الأرض - تدور بسرعة منتظمة، وأن يراها بأحجام ثابتة (لأن المدارات دائرية كاملة الاستدارة)، وحين لم ير ما يحب استخدم عدداً من الحيل الهندسية لتعليل ذلك الاختلاف؛ فافترض دوائر فرعية صغيرة سميت أفلاك التدوير Epicycle تتحرك مراكزها على محيط دوائر تقع الأرض في مركزها، إضافة إلى حيلتين هندسيتين أخريين(١٥). وهذه الإجراءات الذكية وفرت حلولاً وقناعات مؤقتة، بدت الكواكب من خلالها، كأنها منسجمة في مسيرها. لكن ما اقترحه بطليموس كان تعقيداً للنظرية، فالبناء لم يكن على أساس صحيح بالمرة! فمركزية الأرض والدوائر الكاملة مجرد فرضيات ومقدمات خطأ بالأساس. لقد كانت أخطاء بطليموس سبباً لأخطاء أخرى لاحقة، فتعقدت النظرية وأصبحت غير مقبولة من الناحية الفلسفية والعقلية، فتصدى لها بعض العلماء والفلاسفة بالملاحظات والنقد والتعديلات، مما فتح باباً لتطورات لاحقة أدّت إلى انحسارها عن ساحة العلم تماماً.

علماؤنا يطلقون الفلك ويحررونه

لقد وجد العلماء والمفكرون المسلمون أمامهم نظرية فلكية شهيرة جداً، لكنهم أدركوا، في الوقت نفسه، أنها مريضة سقيمة، فيها ترقيعات وترميمات، وليس هناك مانع من الخروج عليها إذا توافر المنهج العلمي الصحيح، من خلال الروح العلمية التي بثها القرآن الكريم في النفوس والعقول. وحين وجدوا في النظرية ثغرات واضحة في كبدها، بدؤوا بنقدها وتسجيل الملاحظات عليها، غير مبالين بشهرة صاحبها ونفوذه العلمي وقدسيته التاريخية، بوصفه أكبر شخصية فلكية في التاريخ.

إنّ المنهج العلمي يحتم نقد ما هو غير منسجم مع العلم والفكر الصحيحين مهما كانت قدسيته. فأفلاطون وأرسطو وبطليموس وغيرهم ليسوا مقدسين في نظر العلماء المسلمين ولو قدسهم كل الناس، وليس لهم أي حق في احتكار العلم وقصره على أنفسهم أو على جماعة خاصة. ومن هذا المنطلق كان نقد أفكار العلماء السابقين؛ فنقد علماؤنا بعض ما جاء في نظام بطليموس، وكادوا يأتون عليه من القواعد، لكن المرحلة العلمية لم تكن تكفي لإسقاط نظام بتلك الضخامة وبتلك الهالة، كان على النظام أن ينتظر القرن السادس عشر، ليطيح به كوبرنيكوس (ت١٥٤٣م) ليحل الشمس محل الأرض في مركز الكون.

لم يسلم الفلكيون المسلمون بكل ما جاء به بطليموس. فعلى أنهم قبلوا بأفكاره على إجمالها، إلا أنهم قدّموا ملاحظات على كثير من مفرداتها، وعدلوا ما قَبِل به بطليموس. فقد عدّل البتّاني (ت٣١٧هـ) قياسات بطليموس الفلكية وحدّد فلك الشمس على وجه أكثر دقة من تحديد بطليموس. وراجع عبدالرحمن الصوفي (ت٣٧٦هـ) جداول بطليموس ونقدها.

وبمرور الزمن شدّد العلماء والفلاسفة المسلمون نقدهم ضد نظام بطليموس، ويقف في طليعة الناقدين الحسن بن الهيثم (ت٤٣٢هـ) الذي كتب كتاباً بعنوان: «الشكوك على بطليموس» حاول فيه اقتناص التناقضات الواردة في بحوث بطليموس(١٦) واعترض على بعض اقتراحات بطليموس الباطلة حول الفلك المعدل للمسير الذي اقترحه ليفي بمتطلبات الحركة الدائرية. ثم يقول صراحة: إن نماذج الكواكب التي وردت في المجسطي غير صحيحة وغير معقولة(١٧).

وتلا ابن الهيثم فلكيون وفلاسفة آخرون وجّهوا نقوداً شديدة إلى النظام البطلمي، فهذا جابر بن الأفلح (ت٥٤٠هـ) يضع آراء بطليموس موضع النقد. ومثله نور الدين البطروجي (كان حيّاً سنة ٦٠٠هـ) الذي كان لتصوراته الفلكية فضل في زعزعة تعاليم بطليموس والإعداد لتقويضها. وكذلك كان الفيلسوف الأندلسي ابن باجة (ت٥٣٣هـ) والفيلسوف الأندلسي ابن طفيل (ت٥٨١هـ) والفيلسوف الأندلسي ابن رشد (ت٥٩٥هـ). وقد انتقد هذا الأخير الدوائر الفرعية المذكورة انتقاداً شديداً.

وتطور النقد في القرن السابع على يد نصير الدين الطوسي ومؤيد الدين العرضي وقطب الدين الشيرازي وغيرهم.

أما القرن الثامن فقد أنجب شخصية فلكية فذّة، ورثت النقود والملاحظات السابقة ضد بطليموس، تلك الشخصية هي العالم الفلكي ابن الشاطر (ت٧٧٧هـ). فعلى أن هذا الفلكي الفذ لم يخرج عن نظرية مركزية الأرض (كما لم يخرج سابقوه) إلا أنه كان ثائراً على التعقيد الكبير الذي كبّل به بطليموس نظامه الكوني، فاقترح أفكاراً خالف فيها بطليموس، وكمّل فيها جهود الفلكيين السابقين، ونقى نظام بطليموس من زلاته، وفي الوقت نفسه حافظ على درجة عالية من الدقة في حساب مواضع هذه الكواكب(١٨)، وبذلك كان ممهداً قريباً لثورة كوبرنيكوس الفلكية، حيث لم يكن الفاصل بين العالمين يتجاوز القرن ونصف القرن إلا قليلاً. وهكذا فكك العلماء والمفكرون العرب والمسلمون الكثير من عناصر نظام بطليموس (المقدس) وزرعوا في صلبه بذرة خصبة أفرزت الفلك الحديث.

القيود تتكسر والفلك يتطور

لقد حطم العلماء والمفكرون المسلمون قيود بطليموس، تلك التي كبل بها علم الفلك، حطموها تدريجياً، ليوفروا موطئ قدم لمن يأتي بعدهم، ليسدد الضربة النهائية، وهكذا كان.

لقد جاء كوبرنيكوس فعلاً، وسدد الضربة القاضية، وأسكت بطليموس إلى الأبد، وقدّم بديلاً علمياً، نظاماً متيناً أحل الشمس في المركز ووضع الأرض تابعة لها.

وبذا افتتح عصر الفلك الحديث، ثم جاء بعده من أكمل نظريته، جاء كبلر وغاليليو ونيوتن وهرشل وأينشتين وعلماء أفذاذ آخرون، أسهموا في صنع الفلك الحديث؛ الفلك الذي أنزل بشراً على القمر واكتشف الكواكب السيّارة ميدانياً بأقمار صناعية ومركبات فضائية وأجهزة متطورة، وقرّب لنا حدود الكون..

الهوامش:

١- ويسمى في اللاتينية كلوديوس بطليموس Claudius Ptolemaeus ويسمى أيضاً بطلميوس Ptolemy بتقديم الميم على الياء.

٢- شمس الدين الشهرزوري: تاريخ الحكماء، تحقيق عبدالكريم أبو شويرب، ص٢٥٢، جمعية الدعوة، ليبيا.

٣- البطالسة أو البطالمة: أسرة ملكية حكمت مصر بعد وفاة الاسكندر الأكبر من عام ٣٢٣ إلى عام ٣٠ ق م، أسسها بطليموس الأول، ومن أشهر ملوكها: بطليموس الثاني والثالث.

٤- الشهرزوري: تاريخ الحكماء، ص٢٥٢.

٥- جمال الدين القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص٦٨، دار الآثار، بيروت.

٦- أورد ابن النديم في الفهرست عدداً من مؤلفاته، ولعل أشهرها المجسطي (المذكور) والمقالات الأربع، وغيرها. راجع ص٣٧٤، دار المعرفة، بيروت.

٧- السير جون هامرتين: تاريخ العالم، ٦١/٤، وزارة المعارف العمومية، مصر.

٨- صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص٣٣-٣٤، مطبعة محمد محمد، مصر.

٩- حاجي خليفة: كشف الظنون، ١٥٩٤/٢، دار الفكر، بيروت.

١٠- ابن النديم: الفهرست ص٣٧٤.

١١- كارلو نالينو: علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ص٢٢١-٢٢٢، طبعة روما ١٩١١م.

١٢- جورج سارطون: تاريخ العلم، ١١٦/٤، طبعة دار المعارف بمصر.

١٣- يقول الشهرزوري في كتابه تاريخ الحكماء: وبنى - أي بطليموس - على أرصاد ابرخس (أي هيارخوس) الذي رصد في برودس. ص٢٥٢.

١٤- زكريا القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٧٢، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

١٥- انظر في تفصيل ذلك كتابنا: التراث الفلكي عند العرب والمسلمين، ص١١٤ وما بعدها، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٦- ابن الهيثم: الشكوك على بطليموس، تحقيق د. صبرة ود. الشهابي، ص٤٣، دار الكتب، مصر.

١٧- جنكريتش: علم الفلك الإسلامي، مجلة العلوم الأمريكية (الترجمة العربية) ص١٨، المجلد الأول، العدد الأول لسنة ١٩٨٦م، الكويت.

١٨ - د. الكندي ود. غانم: ابن الشاطر فلكي عربي، ص٢٤، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب.

دائرة المعارف

الكنى في التراث العربي

٤

بنت(*) وبنات وما يُنسب إليهما من كنى وبيان مدلولاتها

إعداد:
مصطفى مقبول حلاوة



بنت أُدْحية:

هي النعامة، والأدحية: مَبيض النعامة في الرمل، فهي تدحوه (تبسطه) برجلها ثم تبيض فيه فليس للنعامة عش. الجمع: بنات أدحية. قال الشاعر:

باتا كرجليْ بنت أدحيةٍ
يرتجلان الرَّجْل بالنّعلِ
فأصبحا والرَّجْل تعلوهما
تزلع عن رَجْلهما القحل

النَّعل: الأرض الصلبة، والرّجل تعلوهما: أي ماتا من البرد والجراد يعلوهما، تزلع: تزلق، والقحل: اليابس.

بنات الأخدري:

هي الأُتن جمع أتان.

بنت الأرض:

بقلة صغيرة، وقيل: هو كل ما يخرج من جوف الأرض من نبات، وجداول صغيرة. الجمع: بنات الأرض، وقد أطلقها الشاعر على الكلأ والماء فقال يصف إبلاً:

حملن بنات الأرض حتى قطفنها
وكادت بنو داياتها أن تكونها

يقول الشاعر: إن الإبل حملت مارعته وما شربته من كلأ الأرض ومائها، وأسرعت كأنها طائرة كالغربان (بنو داياتها).

بنت اقعدي وقومي:

كناية عن الأمَة لكثرة قعودها وقيامها في خدمة أهلها ومواليها. يقال في المثل: ضربه ضرب بنت اقعدي وقومي؛ أي ضربًا مبرحًا قعد منه وقام لشدة وجعه.

بنات الله:

كنية الملائكة. قالوا: كانت قبيلتا خزاعة وكنانة تقولان: الملائكة بنات الله! وذلك لاستتارهم عن العيون مثلهم في ذلك مثل النساء في الاستتار؛ فأطلقوا عليهم لفظ البنات. قال تعالى: *وَيجعلُون للّه البنات سُبحانه ولهُم ما يشتهونَ*. **النحل**:٥٧. وقالَ تعالى: *وخَرقُوا له بنينَ وبنات بغير علمٍ سُبحانه وتعالى عَمَّا يصفُونَ*. **الأنعام**: ١٠٠، وخرقوا: أي اختلقوا.

بنات أوبَر:

ضرب من الكمأة. قال أبو حنيفة: كمأة كأمثال الحصى صغار.. وهي رديئة الطعم، وهي أول الكمأة. أنشد خلف الأحمر:

ولقد جنيتُك أكمؤًا وعساقلاً
ولقد نهيتك عن بنات الأوبر



بنات بَحْنَة:

ضرب من النخل طوال نُسبت لامرأة كانت تُسمى بحْنة وكانت النخلات بفناء بيتها، فكانت إذا سُئلت عنهنَّ قالت: هُنَّ بناتي، فقيل: بنات بحنة، وفي اللسان: بنات بحن، وقيل: هي السياط، وبحنة: نخلة طويلة كانت معروفة بالمدينة شُبهت السياط بها لطولها، وهذا من كلام أهل المدينة، ويقال للسوط الواحد: ابن بحنة وابن بُحينة لأن السوط مذكر فإذا جُمع قيل: بنات بحنة؛ لأن ما يضاف إلى ابن لغير الإنسان فإنه يجمع على بنات.

بنت برْح:

كنية الشر والشدة، يقال: بَرَّح بي هذا الأمر تبريحًا: إذا غلظ واشتد. يُضرب بها المثل في الأمر الشديد فيقال: لقيت منه بنات برح: أي شدة وأذى، ويقال: بنت برح شرّك على رأسك: أي لا جاوزك الشر وبقي مصبوبًا عليك حتى لا يدهم الناس.

بنات البطون:

كناية عن الأمعاء. سميت بذلك لوجودها في البطن. كانت العرب تقول للجائع: سكِّن بنات بطنك إذا أُمِر بالأكل. ومثلها: بنات الجوف، وبنات الحشا.

بنات البكر:

هي الأمطار، والبكر: السحاب أول ما ينشأ. قال الشاعر:

وذات عين وقرن لا دماغ لها
وقرنها ليس منها ذلك العجب
أخرجت منها بنات البكر ضاحية
بكل أبرق من أمّاته العطب

الشاعر يصف بئرًا استقى منها الماء الذي صار فيها من السحاب وهي يعني بعين البئر: ماءها، وقرنها: ما ينى على رأسها لتوضع البكرة عليه، والأبرق: الحبل المفتول من العطب (القطن) وغيره.

بناتُ البلى:

هي حوادث الدهر ونوائبه، قال ابن أحمر الباهلي:

إلى عيثة الأطهار غيَّر رسمَها
بناتُ البلى من يخطئ الموتُ يهرمِ

العيثة: الأرض السهلة، ومثلها يقال: بنات الزمان،

وفي هذا قال البحتري:

متى ما نَسِيْت الحادثات وجدتها

بنات زمانٍ أرصدت لبنيه

بنات البيد:

هي الإبل، والبيـد: الصحارى، سـميت بذلك لأن الإبل يُقطع بهـا الصـحارى والقـفـار، ومثلهـا: بنات الأسـفـار لأن العرب أكـثـر مـا يسافـرون عليـهـا من دواب، وبنات السُّرى، وبنات السَّير لأنه يُسار عليها، وبنات الفلا، وبنات المفاوز، وغيرها.



بنات التنانير:

هي الخبز. سمي بذلك لأنه يُخبز في التنانير.



بنت الجبل:

هي الصـدى، وهو الصـوت الذي يـرجع للصـائح بين الجبال، وقـد أنثت على أساس أن الصيحـة مؤنثة. يُكنى بهـا عن الشـخص الإمَّـعـة الذي يكون مع كل إنسان فيقال: هو كـبنت الجبل مهما تَقُل يَقُل، وذلك لأن الصدى يردد كل ذي صوت بمـثل كلامه. وهي صفة مكروهة ففي الحـديث: «لا تكونوا إمَّعة تقولون إن أحـسن الناس أحـسنت..». وقـيل هي: الداهيـة، وحيَّة الجبل التي لا تجيب الراقي. يضرب بها المثل إذا اشتـد الأمر فيقال: صُـمِّي ابنة الجبل: أي اخـرسي يا داهية. قال امرؤ القيس:

بُدِّلتُ من وائلٍ وكندة عدْ

وان وفهمًا، صُمِّي ابنة الجبل

وقيل: هي القوس. قال الشاعر:

لا مال إلا العِطاف تُؤزِرُه

أمُّ الثلاثين وابنة الجبل

يقول: لا مـال إلا العطاف (السيف)، وأم الـثلاثين (جعبة النشاب)، وابنة الجبل (القوس).

بنت الجداول:

كناية عن مـاء الأنهـار الصـغـار (الجـداول). قـال الشاعر:

عشيَّتها ما تغدَّت بعدما اغتبقت

بنت الجداول من مَرْتٍ ومجلوح

المرت: الأرض القفر، والمجلوح: الذي قد رُعي نباته كله. والمعنى: أن هذه الإبل لَمَّا لم يـكن لهـا مـرعى تـتـعشى به، أخـرجـت الجرة فـلاكتـهـا وصار غـداؤها عشاءها.

بنات جنب:

هي السِّهام إذا كـانت في الكنانة، سميت بذلك لأن الرامي يشـدها على جنبـه. ومـثلهـا بنات الحنايا، والحنايا: جمع الحنية وهي القوس.



بنت الحجال:

هُنَّ العذارى من النسـاء لجلوسهن وراء سـتـار كان يُضرب لهُنَّ في جوف البيت يسمونه حَجَلة، وجمعه حَجَل وحـجـال، وفي الحديث: «ليـس لبيوتهم سـتور ولا حجـال»، وفي حديث آخر: «أعـرُوا النساء يلزمن الحجالَ». قال أدهم بن الزعراء:

وبالحَجَل المقصور، خلف ظهورنا،

نواشئ كالغزلان نُجلٌ عيونها

بناتُ حَذَف:

ضرب من الغنم سود، جردٌ، صغار تكون باليمن، وقيل بالحجاز، يقـال لها النَّقَدُ، واحدتها حَـذَفة، وفي الحديث: «تراصـوا في الصف لا يتخـللكم أولاد الحَذَف»، قـيل: يا رسـول الله! مـا أولاد الحذف؟ قـال: «ضـأن جردٌ، سـود تكون بأرض اليـمن»، وفي رواية: «أقـيـموا صـفـوفكم لا تتخللكم الشياطين كأنها بنات حذف».



بنات الخدور:

هُنَّ العـذارى من النسـاء لأنهنَّ يلزمن الخـدور، والخِدْر: سـتر كان يُمدُّ للفـتيات في ناحيـة البيت، ثم صار كل مـا يواريهنَّ من بيت ونحوه خـدرًا، الجمع: خدور وأخدار، يقال: اختـدرت المرأة في خدرها: أي اسـتـتـرت. وفي الحـديث أنه صلى الـله عليـه وسلم: «كان أشد حياء من العذراء في خدرها».

ابنة الخُرْشُبِ:

هي فـاطمـة بنت الخُرْشُبٍ الأنمارية، زوجهـا زياد العبسي. يُضرب بها المثل في النجابة فيقال: أنجب من بنت (أو ابنة) الخـرشب. ولدت لزياد العبـسـي الكَمَلَة وهم: ربيع الكامل، وعمارة الوَهَّاب، وقـيس الحفَّاظ، وأنس الفـوارس. ويقـال في المعنى نفسـه: أنجبُ من بنت الحـارث، ومـن بنت رياح، ومـثل ذلك كـثـيـر مبسوط في كتب الأدب والتاريخ والأمثال.



بنت الدَّن:

كناية عن الخـمر. والدَّن وعـاء ضخم تُحـفظ فيـه الخمـر، ومثلهـا يقال: بنت الحـان، وابنة العنب، وابنة العنقود، وابنة الكَرْم.

بنت الدَّهر:

كنيـة المصـيبـة. الجـمع: بنات الدهر: أي حـوادثه ونوائبه. قال عمرو بن قميئة:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أدري

فكيف بمن يُرْمَى وليس برامِ

فلو أنها نَبْل إذن لاتَّقيتها

ولكنني أُرمى بغير سهام

وقد كنّى بها المتنبي عن الحُمَّى فقال:

أبْنتَ الدَّهر عندي كلُّ بنت

فكيف وصَلت أنت من الزّحام



بنات رباط:

هي الخـيل. يقـال: لفـلان رباطٌ من الخـيـل، ورباط الخيل: مرابطـهـا، وهو من الخـمـسة فـمـا فوق، قـال تعالى: *وَأَعِـدُّوا لَهُم مَـا اسْتَطَعـتُم مِن قُـوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيلِ*. **الأنفال**: ٦٠.

بنات رَضْوَى:

كنية الصدى، كبنت الجبل، قال أبو شجرة السلمي:

كأنِّي إذْ دعوتُهُم لنصري

دعوت بنات رَضْوَى أو ثبير

يقـول: إنني حين دعـوتهـم لنجـدتي أسـرعـوا إلى إجابتي في سرعة كبيرة كسرعة الصدى.

بنت الرمل:

كناية عن النعامة، سميت بذلك لأن النعامة تدفن بيضـها في الرمـل، فإذا ما فـقس هذا البيـض خرجت صغارها من الرمل. قال الشاعر:

فإمَّا تريني كابنة الرمل ضاحيا

على رقة أحفى ولا أتنعَّلُ



بنات السحاب:

كنيـة البَرَد، والبَـرَدُ: قطرات المطر تنزل جامـدة، سميت بذلك لأنها تنزل من السماء. قال عدي بن

الرقاع:

كأنّ ثناياها بنات سحابة

سقاهن شؤبوبٌ من الليل باكرُ

ويقال للبرد أيضًا: حبُّ الغمام.

بنت السرّ:

كناية عن الكلمة، سميت بذلك لأن الإنسان يحتفظ بها في سرّه (نفسه) قبل البوح بها. الجمع: بنات السرّ.



بنت الشفة:

كنية الكلمة لأنها تخرج من بين شفتي الإنسان. يقال: ما سمعت منه ذات شفة: أي بكلمة قط؛ وكذلك يقال: ما كلمته ببنت شفة، ولم ينبس ببنت شفة. ويقال: ما سمعت منه ذات شفة؛ أي كلمة.

بنات شحّاج:

البغال.

بنات الشمس:

هي لعابها، ولعاب الشمس: السهام التي تراها تنحدر من السماء إذا الشمس حميت، وقام قائم الظهيرة، ويقال لها أيضًا: ريق الشمس. قال جرير:

أنخن لتهجير وقدْ وَقَدَ الحصى

وذاب لعابُ الشمس فوق الجماجم

بنات الشوق:

هي ما يحدثه الشوق من الأفكار والوساوس، والشوق: الاشتياق، ونزوع النفس إلى الشيء، يقال: شاق إليه شوقًا واشتياقًا. قال الصِّمَّة القشيري:

ولما رأيت البِشْر أعرض دوننا

وحالت بناتُ الشوق يحننّ نُزَّعا



بنات الصَّدر:

كنية الهموم والأفكار. وكل ما يضمره الإنسان من خير وشر في صدره، وقيل: هي الأسرار، قال تعالى: *وربُّك يعلمُ ما تُكنُّ صُدورهم وما يُعلنون*. **القصص**:٦٩. وقال الشاعر:

أخو ثقة يُسَرُّ بحسن حالي

وإن لم تُدنه منّي قرابه

أحبُّ إليّ من ألفيْ قريب

بناتُ صدورهم لي مُسترابه

ومثلها يقال: بنات الضمير، وبنات النفس، وبنات القلب.

بنات صَمَام:

هي الدواهي والنوائب. سميت بذلك لأن الداهية إذا أصابت الإنسان صمّت آذانه عن سماع غيره لشدة ما فيه، كالصِّمام الذي يسد به رأس القارورة، يقال في المثل: وقع في إحدى بنات صمام: أي في شدة. قال الفرزدق:

يخافون منّي أن تَصُكَّ أنوفهم

وأقفاءهم إحدى بنات صمام

بنات صهّال:

هي الخيل.

بنات الصُّوى:

الحجارة الصغيرة، الواحدة صُوَّة، والجمع صُوًى، وهي كومة من الحجارة تم جمعها كعلامة يُهتدى بها في المفازة، وبناتها صغارها. وفي الحديث: «إن للإسلام صُوًى ومنارًا كمنار الطريق». وقال الراعي النميري:

بعيدٌ من الحادي إذا ما ترقَّصتْ

بنات الصُّوى في السَّبسب المُتماحل

يصف جملاً فيقول: هذا البعير على قوته على السير، ونشاطه في الوقت الذي يرتفع فيه الآل، كانت بنات الصّوى ترقص من بعيد. والسبسب: المكان القفر، والمتماحل: البعيد.



بنات طارق:

كنية بنات الأشراف، تمثلت بها هند بنت عتبة يوم أحد تحض على الحرب فقالت:

نحنُ بنات طارق

نمشي على النّمارق

المِسكُ في المفارق

والدُّرُّ في المخانق

إن تُقبلوا نعانق

أو تُدبروا نُفارق

فراق غير وامق

وتعني: أننا بنات ذوي الشرف من الناس كالنجم المضيء في علو قدره، فالطارق هو النجم لقوله تعالى: *والسَّماء والطارق. وما أدراك ما الطارقُ. النَّجمُ الثَّاقبُ*. **الطارق**:١-٣. ويقال إن هذا الشعر لهند بنت بياضة بن رباح بن طارق الإيادي، قالته حين لقيت إياد جيش الفرس في الجزيرة، وكان يُضرب بنساء قومها المثل في الحسن والشرف.

بنت طبق:

هي الحيَّة، الجمع: بنات طبق، قيل: سميت بذلك لأن الحية إذا استدارت صارت كالطبق، ومنه قيل للداهية: إحدى بنات طبق. ومن أمثالهم في ذلك: أصابته إحدى بنات طبق، ووقع فلان في بنات طبق، وذلك إذا وقع في الأمر.

ومثلها يقال: بنات طَمَار، وبنات طَبْل فيقال: وقع في بنات طَمَار وبنات طَبْل: أي في داهية أو بلية، وركب بنات طمار: للذي يسير في الضلال.

بنات الطريق:

هي الطرق الصغار التي تتشعب في كل ناحية عن معظم الطريق، وقد تُصغَّر فيقال: بُنيّات الطريق، وتقال أيضًا للأكاذيب والأباطيل، ومن أمثالهم: فلان يتشبث بُنيَّات الطريق: أي جاء بالأكاذيب، وركب فلان بُنيَّات الطريق: أي سار في الأباطيل. قال محمود الوراق:

تنكَّبْ بنيّات الطريق وجورْها

فإنّك في الدّنيا غريبٌ مسافرُ

وقيل: هم الفقراء والمساكين الذين يفترشون الطرق.

بنت الطود:

كنية القوس، والطود: الجبل العظيم لقوله تعالى في انفلاق البحر لموسى: *فانفلَق فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّود العظيم*. **الشعراء**:٦٣. كنيت القوس بذلك لأنها تُتَّخذ من نبتة صلبة في الجبل. قال الشاعر:

في كفّه بِنْتُ طود لا تفارقه

ولا يُفارقها داعٍ له غَرِدُ

والداعي الغرد: وتر القوس.



بنات عم المُرشقات:

هي الظباء، والمُرشقات: البقر، والإرشاق: النظر بحدة. سميت بذلك لأن الظباء تشبه في عيونها عيون البقر. قال أبو دواد الإيادي:

ولقد ذعرتُ بنات عمٍّ

المُرشقات لها بصابص

ابنة العنقود:

هي الخمر. سميت بذلك لأنها تُعصر من عناقيد العنب.

بنات العين:

هي الدموع. سميت بذلك لأنها تفيض من العين. قال تعالى: *ولهم أعينٌ لا يبصرون بها*. **الأعراف**:١٧٩. وقال: *ترى أعينَهم تفيضُ من الدَّمع*. **المائدة**:٨٣. وقيل: العين هي ذات الشيء فيقال: هو بعينه أي هو نفسه، وأريد الشيء بعينه: أي بنفسه. قال ابن الرومي يرثي الشباب:

تذكّرته والشّيب قد حال دونه
فظلّت بنات العين منّي تحدَّرُ

بنات العيون:

هي جداول الماء التي تنبثق من عيون الأرض. والعين هنا: ينبوع الماء الذي يخرج من الأرض. قال تعالى: *وفجّرْنا الأرض عيونًا*. **القمر**:١٢، وقال تعالى: *إنَّ المُتقين في جنَّات وعُيُون*. **الحجر**:٤٥، **الذاريات**:١٥. قال ثعلب:

أولئك عين الماء فيهم وعندهم
من الخِيفة المنجاةُ والمُتحوَّلُ

وقال آخر:

طوال الذّرى قامت بريِّ بناتها
بناتُ عيونٍ ما لهُنَّ هُجوعُ

يصف الشاعر نخيلاً طوالاً حولها نخلات قصار هي لها كالبنات تسقيها جداول تخرج من عيون .



بنات الغَلْي:

هي قطع اللحم التي تغلي بالقدر. قال الشاعر:

تسامى بنات الغَلْي في حجراتها
تسامي عتاق الخيل وَرْدًا وأشْهبا

يصف الشاعر قطع اللحم التي تغلي فيقول: إن منها نضيجًا، ومنها نيًا كالخيل منها الشّقر ومنها الشّهب.

بنات غَيْر:

كنية الكذب والباطل، يقال للرجل إذا جاء بالكذب: جاء ببنات غَيْر: أي بغير الحقيقة. قال ابن الأعرابي:

إذا ما جئته ببنات غير
وإن ولَّيت أسرعن الذهابا



بنت الفكر:

كناية عما يضمره الإنسان في فكره من أمر، وقيل: هي الرأي والشعر. والفكر: إعمال الخاطر في الشيء. يقال: ليس لي في هذا الأمر فكر: أي ليس لي فيه حاجة. قال شاعر:

ودونك البِكْرَ بنتَ الفكر قد برزت
من خِدرها تخدُم الأستاذَ سيِّدنا

الجمع: بنات الفكر، يقال: بث مقالته بنات فكره أي خواطره، ومثلها يقال: بنات الصدور، وبنات النفس، وبنات العقول فيقال: بالقلم تُزَفُّ بنات العقول إلى خدور الكتب.

بنات الفلا:

كنية الإبل. سميت بذلك لأنها يُقطع بها الفلاة، وهي الصحراء الجرداء والأرض القفر التي لا ماء فيها ولا نبات، لأنها فُليت أي عُزلت عن كل خير. الجمع: فلاً وفلوات وفُلِيٌّ. قال الشاعر:

إليك أمينَ الله جابت بنا الفلا
بناتُ الفلا في كلِّ برٍّ وفَدْفَدِ

الفدفد: الفلاة، وأما بنات القفر فهي الوحوش؛ لأن القفر تجمع فيه أنواعها.



بنات القلب:

هي كل ما يضمره الإنسان في قلبه من خير وشر، وقيل: هي النيات الطيبة. والقلب: عضو ضخ الدم في الجسم. الجمع قلوب. قال تعالى: *واللَّهُ يعلمُ ما في قُلوبكم*. **الأحزاب**:٥١. وقيل: هو العقل لقوله تعالى: *لهُم قلوبٌ لا يفقهونَ بها*. **الأعراف**:١٧٩. وقيل: وسط الشيء فيقال: كان فلان في قلب المعركة. وهناك معان أخرى كثيرة، ومثله أيضًا: الفؤاد والجمع: أفئدة، وفي الحديث: «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبًا». قال أمية بن أبي عائذ الهذلي:

فَسَبتْ بنات القلب فهي رهائنٌ
بخبائها كالطّير في الأقفاص

بنات قَيْن:

ماء لبني فزارة، ويوم من أيامهم يقال له: يوم بنات قين (وقعة كانت أيام عبدالملك بن مروان). قال أرطأة ابن سهية:

صبحناهم غداة بنات قين
ململمةً مناكبها زُبورا

وقال عُويف القوافي:

صبحناهم غداة بنات قين
مُلَملمةً، لها لجبٌ، طحونا



بنات الكرى:

كنية الأحلام، والكرى: النوم والنعاس، يقال: كرى الرجل يكْرى كرًى إذا نام فهو كرٍ وكرِيٌّ وكَرْيان، سميت الأحلام بذلك لأنها تُرى في أثناء النوم وهو الكرى. قال الشاعر:

أرته بُنيّات الكرى شخصَ طارق
فقام إليها مُصْلتًا بحُسام

يقول: إنه رأى في المنام أن ضيفًا طرقه، فقام إلى ناقته مجردًا سيفه لينحرها.



بنات اللهو:

كنية الأوتار التي يُضرب بها، واللهو: اللعب، قال تعالى: *وما الحياةُ الدُّنيا إلاَّ لَعبٌ ولهوٌ*. **الأنعام**:٣٢. يقال: لهوت بالشيء ألهو به لهوًا: أي لعبت به وتلهيت به. وقيل اللهو: الطبل، وقيل أيضًا: كل ما تُلْهِيَ به، ومنه كانت الملاهي آلات اللهو وأماكنه. قال البحتري:

تلقّينا الشتاء به وزُرْنا
بنات اللّهو إذ قَرُبَ المزار

وقد يُكنى ببنات اللهو عن النساء الغانيات لأنه يُلهى بهنّ. ومثلها: بنات الليل وبنات الهوى.

بنات الليل:

هي الأحلام، وقيل: النساء البغايا لظهورهن ليلاً، وقيل: الهموم، وكلها جاء بها الشعر. قال ثعلب في الهموم:

تظل بنات الليل حوليَ عُكَّفًا
عُكوف البواكي بينهن قتيلُ



بنات الماء:

كل ما يألف الماء كالسمك، والضفادع، وبعض الأنواع من الطيور يسمى الواحد منها: ابن الماء، والجمع بنات الماء. قال الشاعر:

كأنَّ جوانحي شوقًا إليها
بنات الماء ترقص في جفاف

بنات المزن:

هي غدران الماء، سميت بذلك لأن مصدرها المزن، والمزن: جمع مُزنة وهي السحاب عامة، وقيل: السحاب ذو الماء (الغَيْم)، قال تعالى: *أأنتم أنزلتموه من المُزن أم نحنُ المنزلون*. **الواقعة**:٦٩. وقال أبو العميثل:

وأضحت بنات المُزن زُرقًا كأنّها
سلوقية الأبدان شفّت سُرودها

يعني أنها صافية كالدّروع الصافية الحلق حين جرت عليها الريح فاطّردت.

بنات المنايا:

كنية السهام. سميت بذلك لأن من تصيبه تؤدي به الى الموت. والمنايا: جمع منية، وهي الموت لأنه قُدِّر علينا. يقال: منيت بكذا وكذا: أي أُبتليت به. قال ابن الرومي في وصف الأتراك:

لهم عُدَّةٌ تكفيهم كلّ عُدَّة
بنات المنايا والقسيّ الموتّر

بنت المنية:

هي الحمّى لأنها بريد الموت. وأبلغ ما قيل في وصفها قول عبدالصمد بن المعذّل:

وبنت المنية تنتابني
هُدُوًا وتطرقني سَحْرَه
فقد سلبت أعظمي نحضها
ولم تترك من دمي قطره

ومثلها يُقال: بنت الموت. قال بعض الشعراء:

وبنت الموت بالآلا
م والأوجاع تطرقني
تؤرّقني تحرّقني
تُعرّقني تُغرّقني



بنت نارين:

هي المرقة المسخنة، ويقال كذلك: ابنة نارين. سميت بذلك لأنها قد عُرضت على نارين، والمرقة: هي اللحم إذا طُبخ ثم سُخن، والجمع مرق، قال بعض المترفين: جنبوا مائدتي بنت نارين. قال أبو طالب المأموني يصف مائدة جمعت أطايب الطعام، وبدائع الألوان:

لم يرض طاهيها بنقصٍ ولا
شقّق في شيء ولا موّه
لا ابنةَ نارين أرانا ولا
مصنوعةً بالرّفع مأسوّه

بنات النجائب:

هي النوق الكرام. قال الشاعر:

ودويّة قَفْرٍ تحار بها القطا
أدلاّء ركْبَيْها بنات النجائب

يقول: إن السائرين في الصحراء المقفرة، وهي الدوية، يستدلون على الطريق فيها بما يسقط في الطريق من أولاد النوق النجائب فتبقى مطروحة عليه. وقد أراد الشاعر بالركبين: الذاهب والجائي.

بنات نعش:

هي كواكب سبعة معروفة في السماء منتشرة جهة القطب الشمالي؛ منها أربعة تشبه النعش في تربيعها تسمى بنات نعش الكبرى ويسميها أصحاب النجوم الدب الأكبر، وثلاثة (بنات نعش صغرى) وتسمى الدب الأصغر. والنعش: محفة يُحمل فيها الميت. ويسمى الواحد منها: ابن نعش، لأن النجم مذكر فإذا جُمع قيل: بنات نعش. قال الشاعر:

وكُنا في اجتماع كالثريا
فصيّرنا الزّمان بنات نعش

بنات النفس:

هي الهموم والأفكار، وقيل الوساوس. سميت بذلك لأنها تنبع من النفس، قال تعالى: *وتُخفي في نفسكَ ما اللّهُ مُبْديه*. **الأحزاب**:٣٧. والنفس: ذات الإنسان وحقيقته، فنفس الشيء ذاته. وقيل: هي الإنسان جميعه لقوله تعالى: *اللّهُ يتوفّى الأنفُسَ حين مَوتِها*. **الزمر**:٤٢. الجمع: أنفس ونفوس. ومثلها يقال بنات الصدور، وبنات الضمير، وبنات الفكر.

بنات النّقا:

النقا: الرمل. وبنات النّقا: دويبات صغيرة تلزم الرمل، وقيل: هي كل ما كان من هوام الأرض. قال ذو الرمة:

خراعيب أُملودٍ كأنّ بناتها
بنات النّقا تخْفى مرارًا وتظهرُ

الخراعيب: القضبان الناعمة اللينة، والأملود: الذي يتثنى للينه.



بنات الوادي:

هي طرقه التي فيه، والوادي: كلُّ مفرج بين الجبال والتلال، والجمع أودية. قال أبو دواد الإيادي:

كأنّي والقتود ونِسْعَتَيْها
على بَيْدانة بنات وادي

يشبه الشاعر ناقته لسرعة عدوها، وخِفتها بالأتان (البيدانة).

بنات وَرْدَان:

هي دويبات صغيرة تشبه الخنفساء، تلزم الكُنُف، وذات رائحة كريهة، قال الصاحب ليلة في مجلس بعدما تأذى فيه برائحة سيئة:

فما عدِمْنا من الكنيف
قعدت إلاّ بنات وَرْدان



بنت اليمن:

كنية البن، وذلك لأنه المحصول الرئيسي باليمن. والبن حب شجرة صغيرة، يُجمع ويُحمص ثم يُطحن ويُغلى فيكون منه مشروب مثل الشاي، وهو المعروف بالقهوة. وقد أُنّث على أساس أن القهوة مؤنثة. والبن اليمني من أشهر أنواع البن في العالم.

(*) البنت: الأنثى من الأولاد، وهي مؤنث: ابن، ومثلها: ابنة. الجمع: بنات. وهي ملحقة بجمع المؤنث السالم من حيث الإعراب، فنقول: هذّبتَ بناتك، وجوّزوا: بناتَك بفتح التاء. وتُستعمل في تسمية بنات الأقارب فنقول: بنت (أو ابنة) العم أو العمة، بنت الخال أو الخالة، بنت الأخ أو الأخت؛ كما يقال: هذه بنت فلان أو ابنة فلان.

وهي تضاف كذلك إلى أسماء تكنى بها للدلالة على معانٍ مختلفة مثل: بنت الشفة: الكلمة، وبنت العين: الدمعة، وبنات الصدور: الهموم. وفي مقالنا هذا سوف نستعرض بعضها مع بيان مدلولاتها.

المراجع:

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، تحقيق أحمد عبدالسلام، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندي، تحقيق بكري حياني، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- لسان العرب لابن منظور، القاهرة: دار المعارف، (دت)، مادة: بنى.
- المرصع في الآباء والأمهات والبنات لابن الأثير الجزري، تحقيق فهمي سعد، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- معجم الأمثال العربية، خير الدين شمسي باشا. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (تحت الطبع).
- معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية، أحمد أبو سعد، بيروت: دارالعلم للملايين، ١٩٨٧م.
- موسوعة أمثال العرب، إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الجيل الجديد، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الهادي إلى لغة العرب: قاموس عربي - عربي، حسن سعيد الكرمي، بيروت: دار لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م. مادة: بنت.

ألعاب الأطفال في التراث اليمني الشعبي

علوي عبد الله طاهر

كان بعض الناس يفهمون اللعب على أنه مضيعة لوقت الطفل في غير المفيد من العمل، أو قد يؤدي إلى انحرافه نتيجة اختلاطه في أثناء اللعب بأصدقاء السوء، ولاسيما إذا كان الطفل بليد الذكاء ضعيف العقيدة؛ لذلك كانوا يمنعون الأطفال من اللعب بحرِّية، ويتشددون في مراقبتهم، ويتدخلون في تحديد نوع الألعاب التي يلعبها أطفالهم، وتحديد أوقات اللعب ومدته، ولا يتركون لأطفالهم حرية اختيار الألعاب التي يميلون إليها، والملائمة لجنسهم ولأعمارهم.

كانوا يفعلون ذلك ربما لأنهم لا يدرون أن اللعب يحقق للطفل عددًا من الفوائد التي تساعده على النمو في الجوانب المختلفة، مثل:

١- الجانب الجسدي:

فاللعب الحركي النشيط يساعد على نمو الجسم وتقوية العضلات.

٢- الجانب التربوي:

فاللعب يفسح المجال واسعًا أمام الطفل لكي يتعلم أشياء كثيرة من خلال الأدوات التي يستعملها في أثناء اللعب؛ فيتعرف الأشكال المختلفة، والألوان المتعددة، والأحجام المتباينة، والملابس المتنوعة، كما يتعلم مهارات الاكتساب وتجميع الأشياء وتصنيفها، فيحصل من ذلك على معلومات قيمة.

٣- الجانب الاجتماعي:

فمن خلال اللعب تبرز علاقات متشابكة بين الأطفال، ذات أوجه متعددة، وتتشكل الميول المشتركة، وتتسع العلاقات الودية بين الأطفال بعضهم مع بعض؛ كالصداقة والتعاون المشترك، بالإضافة إلى أن الطفل يقيم علاقات اجتماعية جيدة مع الآخرين من طريق الأخذ والعطاء والتفاعل المشترك.

٤- الجانب الأخلاقي:

فالطفل يتعلم من خلال اللعب بدايات المفاهيم عن الخطأ والصواب، كما يتعلم بشكل مبدئي بعض المعايير الأخلاقية كالعدل والصدق والأمانة وضبط النفس والروح الرياضية.. إلخ.

٥- الجانب الإبداعي:

يستطيع الطفل من طريق اللعب إبراز قدراته الإبداعية وإظهار طاقاته الخلاقة وتطوير مهاراته المختلفة، عبر التمييز بين الألعاب المتعددة، وتفضيل بعضها عن بعض، مما ينمي عنده الميول والإبداع وتطوير الخيال الإبداعي.

٦- الجانب الذاتي:

فمن طريق اللعب يستطيع الطفل أن يكتشف أشياء كثيرة عن نفسه، ويتعرف قدراته ومهاراته الخاصة من خلال تعامله مع زملائه، ومقارنه نفسه بهم.

٧- الجانب العلاجي:

فالطفل يستطيع من طريق اللعب أن يصرِّف كثيراً من طاقاته المكبوتة، ويزيل عن نفسه بعض التوترات النفسية التي تتولد نتيجة للقيود الاجتماعية التي قد تُفرض عليه، بدليل أن كثيراً من الأطفال الذين تضغط عليهم القيود، وتكثر عليهم الأوامر والنواهي من قبل أفراد أسرهم، نراهم في المدرسة والشارع يلعبون أكثر من الآخرين، لأنهم يريدون أن يزيلوا عن أنفسهم بعض التوترات النفسية.

وإلى جانب ذلك كله فإن اللعب وسيلة مهمة لتصريف غريزة العدوان المكبوتة.

ويتصف لعب الأطفال - عادة - بأنه يتأثر بالتقاليد الشعبية الشائعة في المجتمع الذين تُمارس فيه تلك الألعاب، إذ غالبًا ما يقوم الصغار بتقليد من هم أكبر منهم سنًا في ألعابهم، وبذلك انتقلت الألعاب الشعبية من جيل إلى آخر؛ فلا غرابة أن نجد أطفالنا اليوم يلعبون ألعابًا كنا - نحن الكبار - نلعبها في طفولتنا، ولا يزالون يلعبونها كما كنا نحن نلعبها وكما لعبها آباؤنا من قبلنا، إلا ما كان منها مرتبطًا بآلات وأجهزة أنتجتها بعض مصانع ألعاب الأطفال.

ونحن حينما نتكلم في هذه المقالة على ألعاب الأطفال في اليمن فإننا نتكلم على الألعاب الشعبية التراثية المرتبطة بالبيئة اليمنية، تلك الألعاب التي تأثرت بتقاليد الشعب

اليمني وتراثه العريق، في أدائها وطريقة لعبها، وأخذت من البيئة اليمنية موادها وأدواتها، وشاعت بين الأطفال في أنحاء مختلفة من اليمن، بصرف النظر عن التسميات المختلفة للعبةالواحدة، أو اختلاف مواد اللعبة من بيئة إلى أخرى. ولن نتطرق من قريب أو بعيد إلى الألعاب المصنّعة التي أنتجتها مصانع الألعاب، إلا إذا اقتضت المقارنة ذلك، حيث إن بعض الشركات المتخصصة بصناعة الألعاب قد استفادت من بعض الألعاب الشائعة في اليمن وقامت بصنع ألعاب مماثلة لاجتذاب الطفل اليمني.

ولما كانت ألعاب الأطفال التراثية كثيرة، فإن من الصعب أن نذكرها كلها في مقال واحد، لذلك فإننا سنكتفي بذكر أكثرها شيوعًا في المجتمع اليمني، والتي لا تزال محتفظة بطابعها التراثي وخصوصيتها المحلية، كالألعاب التاليةالتي نرتبها بحسب أوائل حروفها:

١ـ الأرجوحة:

لعبة الأرجوحة من ألعاب العرب القديمة، وهي لعبة شهيرة في الوطن العربي، ومنتشرة في مختلف أنحاء العالم، وهي من الألعاب السهلة والمرغوب فيها لدى الأطفال على اختلاف أجناسهم وأعمارهم، ولا تخلو منها حديقة عامة من حدائق الأطفال.

وكان العرب قديمًا يصنعونها من خشبة طويلة يُوضع وسطها على تل لتترجَّح، ثم يجلس غلامان على طرفيها، فتترجَّح الخشبة بهما، ويتحركان صعودًا وهبوطًا، فيميل أحدهما بالآخر.

أما في اليمن فقد كانوا يصنعونها إلى وقت قريب بالطريقة القديمة ذاتها، حيث كانت تُعمل من خشبة يوضع وسطها على جذع شجرة ذي شعبتين، ثم يجلس طفل على أحد طرفيها، بينما يجلس آخر على الطرف الآخر، فتترجح الخشبة بهما.

وقد تكون الأرجوحة في بعض الحالات حبلاً يعلق على فرع شجرة، أو لوحًا يعلق على السقف، أو نحو ذلك.

وقد يتخذ بعض الناس من الأرجوحة مورد رزق لهم، فيعمدون إلى صنع أرجوحة من صناديق الخشب على شكل كراسي متحركة مثبتة بعضها ببعض ومعلقة على قوائم ثابتة، يتم تحريكها يدويًا من قبل صاحبها، إلى الأمام والخلف، مقابل بعض النقود التي يأخذها من الأطفال. وقد مهر النجارون في صنع أشكال متعددة منها لاجتذاب الأطفال. ومهما اختلفت أشكالها فإن وظيفتها واحدة.

ولشهرتها عند العرب قديمًا اتخذوا من وصفها لغزاً يختبرون به أذهان النابهين، ومن ذلك ما أورده الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء (ج٢ص٢١٧ بتحقيق المأموني) في وصف الأرجوحة:

سفينة لا على ماءٍ ملجلجةٌ
تجري براكبها في لجة الريح
إذا انتهت بي إلى أقصى نهايتها
عادت كجري أتيٍّ سال مسفوح

والأتيُّ: هو الجدول الذي يؤتى به لسقي الأرض من مجرى آخر. ويُفهم من هذا الوصف أن الأرجوحة تطلق على التي تعلق بالحبال، وتسمى في عدن «الدُّرهانة»، كما تسمى في بعض المناطق «الزحلوقة» وهي تسمية قديمة أوردها الراجز في قوله:

لمن زحلوقة زلٌّ
بها العينان تنهلٌّ

٢ـ الخُذْرُوف:

لعبة شعبية يمنية قديمة، لها تسميات مختلفة، ومن أهم أسمائها «الخرَّارة». جاء في لسان العرب لابن منظور: الخذروف: عويد مشقوق في وسطه يشد بخيط، ويمد فيُسمع له حنين، وهو الذي يسمى « الخرَّارة» وقيل: الخذروف شيء يدوِّره الصبي بخيط في يده، فيُسمع له دوي، وقد ذكره امرؤ القيس في قوله يصف فرسه:

درير كخذروف الوليد أمرَّه
تتابُع كفيه بخيط مُوصَّلِ

وكان الأطفال في اليمن يلعبون هذه اللعبة بالطريقة التي لعبها بها العرب قديمًا، وكانوا يصنعون الخذروف من «المدر» أي الفخار أو الطين المحروقة، من بقايا الجرار المكسورة، أو من القرع اليابس، فكانوا يأتون بقطعة منه ويشكلونها على شكل دائرة تشبه القطعة المعدنية، إذ يحكون أطرافها بحجر، ويثقبونها ثقبين بينهما فاصل، ويدخل اللاعب خيطًا متينًا مفتولاً في الثقبين بحيث يخالف بينهما، ثم يربط نهايتي الخيط، ويدخل إبهامي اليدين فيهما، ويدوِّر الخيط بشدة حتى ينعقد من شدة الدوران، وبعدها يمد الخيط بقوة عدة مرات بصورة سريعة، فيُسمع للخذروف صوت يشبه خرير الماء. ويظل الطفل يكرر عملية مد الخيط إلى أن ينتهي الالتواء ويضعف الصوت.

٣ـ الدوَّامة:

جاء في لسان العرب: دوَّمت الشمس في كبد السماء: دارت. وفي تهذيب اللغة للأزهري: الشمس لها تدويم كأنها تدور، ومنه اشتُقت دوامة الصبي التي تدار كدورانها. وفي القاموس المحيط: الدوامة كرمانة: التي يلعب بها الصبيان فتدار.

ولعبة الدوامة من ألعاب الأطفال الشائعة في اليمن، ويسمونها في عدن لعبة «الدُّروان»، ومادتها قطعة صغيرة من الخشب الصلب يصنعها النجار بعناية فائقة، فيمشقها ويهندمها ويكورها على شكل الكمثرى، ثم يغرز في أعلاها مسماراً حاداً، ويبيعها للأطفال مع خيط مبروم ومفتول جيداً يسمى «جديلة».

وطريقة اللعبة: يقوم الطفل بلف الجديلة ويطويها جيدًا على الدوامة ابتداء من المسمار في أعلاها حتى تنتهي الجديلة، ويربط نهاية الجديلة بعود صغير ليساعده على الإمساك بها جيداً في أثناءاللعب، ثم يدخل اللاعب العود بين أصابعه، ثم يضرب بالدوامة بقوة إلى الأرض، فتدور الدوامة دورانًا سريعًا من شدة الضربة، وبقدر ما يكون اللاعب ماهراً يكون دوران الدوامة سريعًا، وفي أثناء دورانها يلتقطها اللاعب بمهارة فائقة بوساطة الخيط، ثم يرفعها إلى باطن كفه، وهي ما تزال مستمرة في دورانها. ويتسابق اللاعبون في إظهار مهاراتهم في هذه العملية.

٤ـ عجَام التمر:

العجام: جمع عَجْمة أو عجامة، وهي نوى التمر، وقد حرَّفت العامة لفظة عُجامة إلى عُجاجة لذلك يقولون: «عجاج التمر».

ولعبة «عجام التمر» لعبة شعبية في اليمن محببة لدى الأطفال، ويكثر لعبها في



اللعب يكسب الطفل روح الجماعة، وتتشكل من خلاله الميول المشتركة

موسم البلح. وطريقتها أن يقوم الأطفال بجمع عجام التمر من الطرقات لتكون رأس مال في اللعبة، وعندما يتجمع لدى كل منهم كمية معينة من العجام، يبدأ اللعب باجتماع الأطفال في مكان معين إلى جوار جدار، ثم يتفقون على تحديد نوع اللعبة التي سيلعبونها بالعجام، لأن هناك أنواعًا مختلفة من ألعاب عجام التمر، نذكر منها واحدة هي «لعبة البيوت». وفيها يشرع الأطفال في بناء بيوت من عجام التمر التي جمعوها، وذلك برص العجام بعضها فوق بعض إلى أقصى عدد ممكن يستطيعه اللاعب، على أن يختم البناء بعجمة واحدة يضعها في أعلاه للدلالة على اكتمال البيت. بعد ذلك يبتعد اللاعبون مسافة معينة لا تقل عن عشرة أذرع أو بحسب تراضيهم، فيرسمون خطًا لا يُسمح بتجاوزه، ثم يقف كل لاعب عند ذلك الخط ويرمي تلك البيوت بعجام التمر، فإن أصاب بيتًا من تلك البيوت، فإن ذلك البيت يصبح له، ويستمر اللعب إلى أن تسقط جميع البيوت. واللاعب الفائز هو الذي يستولي على أكثر البيوت. وبعدها إما أن يكرروا اللعبة أو يمارسوا لعبة أخرى بتلك العجام ذاتها.

ومن ألعاب عجام التمر الأخرى اللعبة التالية:

يلتقي لاعبان ويحفر كل منهما لنفسه عددًا من الحفر الصغيرة بحسب ما يتم الاتفاق عليه. ثم يوزع كل منهما عجامه على الحفر الصغيرة بالتساوي، بعدها يبدأ أحدهما من طريق القرعة بأخذ العجام من إحدى الحفر الخاصة به، ويقوم بتوزيعها على جميع الحفر بحيث يضع عجامة واحدة في كل حفرة إلى أن تنتهي العجام التي بيده، فيأخذ ما في الحفرة التالية لآخر حبة، ويكرر العملية إلى أن تنتهي عجامه عند حفرة تليها حفرة فارغة واسعة، وعندها يستولي على جميع ما في الحفرة المجاورة للحفرة الفارغة، وتنتقل اللعبة لزميله، واللاعب الفائز هو الذي يحصل على عدد من عجام التمر أكثر من زميله.

٥ـ الغُزَيْز:

«الغُزَيْز» تصغير «غُزّ»، وهو ما يُتنازع عليه، يقال في اللغة: تَغَازَّ القوم الشيء؛ أي تنازعوا عليه.

ولعبة الغزيز لعبة شعبية يمنية يلعبها الصبيان، وهي تعتمد على قدرة اللاعب العضلية ومهارته في إصابة الهدف من طريق رميه بالحجارة. وطريقتها أن ينقسم اللاعبون إلى فريقين متساويين من حيث العدد والقدرة الجسمانية، ثم ينصب اللاعبون أحجارًا مستطيلة الشكل متباعدة بعضها عن بعض على خط مستقيم لا يزيد طوله على مترين ومثله يفعل الفريق الآخر شرط أن تكون المسافة بين أحجار كل منهما لا تقل عن عشرين مترًا، إذا كان اللاعبون كبارًا، أما إذا كانوا صغارًا فيُسمح بإنقاص المسافة إلى النصف. بعد ذلك يتبارى اللاعبون في الرمي بالحجارة فيعمد كل منهم إلى رمي إحدى أحجار فريقه والمسماة «غُز» ويلتقط حجرًا مناسبًا فيرمي به الغز المقابل التابع للفريق الآخر بحجرة واحدة فقط، فإن أصابه أعاد الرمية بحجرة أخرى ليصيب الغز الثاني فالثالث، وهكذا.. فإن أصابها جميعها قبل الفريق الآخر عُدَّ فائزًا. ولما كان من الصعب إصابة «الأغزاز» الثلاثة من قبل لاعب واحد أو بلعبة واحدة، فإن اللاعبين يتعاونون لتحقيق هذه الغاية، إذ قد يتمكن أحدهم من إصابة الغز الأول ولكنه يعجز عن إصابة الثاني فيصيبه رفيقه الآخر، فيُحتسب ذلك لفريقه، وإذا لم يستطع اللاعبون إصابة أي من الأغزاز تنتقل اللعبة للفريق الاخر، وهكذا. والفريق الفائز هو الذي يستطيع إصابة جميع الأغزاز الخاصة بالفريق المنافس ولعدة مرات، وفي الحالة التي يتمكن من إصابة الثلاثة (الأغزاز) معًا في لعبة واحدة، يكون قد كسب الجولة. وتسمى كل جولة «عَمْيَة»، والعمية ثلاثة أغزاز. وقد تتحقق العمية في لعبة واحدة أو عدة لعبات. وفي نهاية اللعبة يحسب كل فريق عدد العميات التي لدى الفريق الاخر، ثم يعزم على أن يثأر لنفسه أو يحافظ على فوزه في اللعبات القادمة.

٦ـ الغُمَيْضَان:

لعبة الغُمَيْضَان لعبة شعبية قديمة يلعبها الأطفال من الجنسين، وطريقتها أن تُغمض عينا أحد اللاعبين بخرقة أو منديل. ثم يتفرق اللاعبون ويتخفون في أماكن متفرقة، وبعد أن يتفرقوا جميعًا يقوم اللاعب المغمض عيناه بالعد العكسي من عشرة إلى واحد، وما إن يصل بالعد إلى واحد، حتى يكون رفاقه قد اختفوا عن الأنظار، فيزيل الخرقة عن عينيه، ثم يذهب للبحث عنهم في مخابئهم، وفي الوقت نفسه يقوم بمهمة الدفاع عن المركز من أي متسلل، لأن وصول أي لاعب إلى المركز قبل اكتشافه يؤدي إلى انتقال الدور إليه، ويُعدّ اللاعب حينئذ مهزومًا. أما إذا وفق في اكتشاف مخابئ جميع اللاعبين قبل احتلال أحدهم المركز، فإنه يستمر في صدارة اللعبة، وهكذا إلى أن تنتهي اللعبة.

٧ـ القُدَة:

لعبة القُدَة من الألعاب الشعبية الشهيرة في اليمن، وهي قديمة جدًا عرفها العرب في الجاهلية والإسلام بتسميات مختلفة، مثل «القُلَة» و«القلا» و«المقلاء»، واسمها الشائع في اليمن: «القدة» أو «القولة» و«القاحش». وفي اللسان: المِقلى: العود الكبير الذي يُضرب به، والقُلَة: الخشبة الصغيرة التي تُنصب وهي قدر ذراع.

ودليل قدم هذه اللعبة أنها وردت في قول امرئ القيس:

فأصدرها تعلو النجاد عشية

أقبُّ كمقلاء الوليد خميصُ

وهي من ألعاب الصبيان، وطريقتها أن يؤتى بعودين أحدهما طويل «العصا» والآخر قصير «القدة»، فيحفر اللاعب بالعصا حفرة صغيرة بقدر طول القدة، ثم يضع القدة فوق الحفرة، ثم يغرز العصا في الحفرة، ويرفع القدة رفعة كبيرة ويدفعها بعيدًا إلى أقصى مسافة ممكنة، وفي الوقت نفسه يكون اللاعب المنافس مهيأ لالتقاط القدة قبل أن تصل إلى الأرض، فإن استطاع الإمساك بها، يكون بذلك قد أبطل لعبة منافسه، فيحل محله، أما إذا لم يستطع الإمساك بها فإن اللاعب يستمر في اللعب، وحينئذ عليه أن يضرب القدة بالعصا ضربة قوية لإبعادها من الحفرة إلى أقصى مسافة ممكنة، وذلك بالضرب على أحد طرفيها مرة واحدة فقط لترتفع عن الأرض، فإن ارتفعت ضربها بقوة، ويكرر العملية عدة مرات إلى أن يعجز عن تحريك «القدة» من موضعها، أو لا يستطيع رفعها عن الأرض بعد ضربها بالعصا، وفي هذه الحالة عليه أن يعود إلى المركز، أي الحفرة، وفي أثناء رجوعه يعد خطواته من آخر نقطة وصلت إليها «القدة» إلى الحفرة، وتسمى كل عشر خطوات «جبل»، واللاعب الفائز هو الذي يحوز أكبر عدد من الجبال.

٨ـ الكُبَن:

في لسان العرب، مادة: كبن: الكُبْنَة: لعبة للأعراب، تُجمع كُبنًا، وأنشد:

تدكَّلت بعدي وألهتها الكُبَن

تدكلت: أي تدلَّلت.

ولعبة الكبن لعبة شعبية قديمة في اليمن يلعبها الأطفال حينما يكونون في جماعة، وطريقتها أن يجتمع الأطفال المشتركون في اللعبة في مكان ما، ثم ينقسمون إلى فريقين. بعد ذلك يتوزع أعضاء كل فريق في اتجاهات متفرقة تنتشر في أماكن متعددة ، كالأزقة وبين الدَّرَج، ويشرع كل لاعب في بناء عدد غير محدود من «الكبن» أي الأكوام من الرمل الناعم بحيث لا يعلم عددها وأماكنها إلا الذي بناها. وفي الوقت ذاته يسعى كل فريق للبحث عن الكبن التي بناها منافسه ثم يقوم بإزالتها، وذلك بسحقها وطمسها وتسويتها بالأرض. وبعد أن ينهي كل لاعب مهمته يعود الجميع إلى أماكنهم ، وقد يظن كل واحد منهم أنه قد بنى عددًا لا بأس به من الكبن في أماكن خفية، أو يعتقد أنه قد طمس ما بناه غيره. وعند اجتماعهم يذهبون معًا لعد ما بقي من الكبن؛ أي التي لم يهتد إليها أحد، فيدل كل لاعب زملاءه على أماكن الكبن التي بناها، فإن وجدوها باقية، احتسبوها لصالح الفريق الذي ينتمي إليه اللاعب، وتُعطى نقطة لكل «كبنة» لم تُطمس. وفي نهاية اللعبة تُحتسب النقاط، والفريق الحاصل على أعلى النقاط يعدّ فائزًا.

الحركة الثقافية في شهر

بعد إقرار الدراسة الخاصة بتطوير أعماله:
برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية ينشئ جائزة عالمية

توزيع جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية، وجوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

تقرير ينذر بالخطر: ارتفاع معدلات الأمية بين الفتية العرب!

استحداث جائزتين جديدتين في مصر؛ أولاهما باسم «جائزة مبارك الكبرى»، وأخراهما باسم «جائزة التفوق»

ندوة دولية حول ترجمات معاني القرآن الكريم تناقش المعوقات التي تواجه الترجمة في بعض اللغات

إنشاء متحف للذاكرة الفلسطينية لتوثيق نضال الشعب الفلسطيني والمآسي التي عاشها في ظل الاحتلال

جائزة الأمير سلمان بن عبدالعزيز لأفضل حافظ وحافظة للقرآن الكريم



صاحب السمو الملكي
الأمير سلمان بن عبد العزيز

أمر صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض بتخصيص مبلغ مليون ونصف المليون ريال للجائزة السنوية التي تحمل اسم سموه لأفضل حافظ وحافظة للقرآن الكريم في مختلف مناطق المملكة، وذلك على نفقة سموه الخاصة.

وصرح معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بأن مشروع نظام الجائزة التي سيتم الاحتفاء بها ضمن الاحتفال بالمسابقة المحلية للقرآن الكريم قامت بإعداده وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وسوف تُقام مسابقة مخصصة للبنات، بالتنسيق مع الرئاسة العامة

معارض متنوعة

شهدت مدينتا جدة والظهران - مؤخرًا - تنظيم مجموعة من المعارض الفنية والتراثية في أوقات متقاربة.

ففي جدة أقيم معرض مسابقة «ملون السعودية» الرابعة للفن التشكيلي برعاية صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة وبحضور مدير عام الخطوط السعودية د. خالد بن عبدالله بن بكر، ومشاركة ٢٧١ فنانًا وفنانة قدموا ٥١٧ عملاً فنيا .

وتحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن ماجد بن عبدالعزيز محافظ جدة، نظمت الصالة العربية للمزادات، بالتعاون مع الجمعية الفيصلية الخيرية النسائية، معرض مقتنيات التراث الإسلامي الأول الذي ضم مجموعة من التحف النادرة والأبواب والمحاريب والعملات والسيوف والسجاجيد القديمة، إضافة إلى مخطوطات ولوحات فنية سعودية وعربية وعالمية.

كما افتتحت صاحبة السمو الأميرة مها بنت محمد السديري في المركز السعودي للفنون التشكيلية معرض «سلفادور دالي» الذي شاركت فيه فنانات تشكيليات سعوديات بارزات.

وأقيم في صالة روزنتال بجدة المعرض الجماعي الثالث للفنانين التشكيليين السوريين.

وفي الظهران أقامت عمادة شؤون الطلاب بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن المعرض السنوي الثالث للحفاظ على التراث.

كما نظمت الجامعة المعرض التشكيلي الأول لطلابها وعرضت فيه ١٧٥ لوحة.

لتعليم البنات والجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة. وتعد هذه المسابقة أول مسابقة تُقام على مستوى المملكة للبنات.

وتتكون الجائزة من خمسة فروع هي:

* الفرع الأول: حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التلاوة والتجويد، وتفسير جزأين من أجزائه يُحددان سنويًا.
* الفرع الثاني: حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التلاوة والتجويد.
* الفرع الثالث: حفظ عشرين جزءًا من القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد.
* الفرع الرابع: حفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد.
* الفرع الخامس: حفظ خمسة أجزاء من القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد.

ويُشترط للتقدم للمسابقة أن يكون المتقدم سعوديًا، وألا يزيد عمره على ٢٥ عامًا، وألا يكون قد سبق له الفوز في المسابقة الدولية التي تقيمها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وألا يكون قد سبق له الفوز بهذه الجائزة، وألا يشارك مرة أخرى في الفرع نفسه أو أدنى منه باستثناء الفرع الأول فيحق له المشاركة في الفرع نفسه مرة أخرى.

ويُشترط أن يكون المرشح قد فاز على مستوى المنطقة، وأن يحصل الفائز على معدل لا تقل نسبته عن ٨٥٪ من الدرجات، وأن يلتزم الفائز استعداده للمشاركة في أي مسابقة لحفظ القرآن الكريم ترى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ترشيحه لها.

ويُصرف لكل متسابق حضر واستمعت إليه لجنة التحكيم من غير الفائزين مبلغ ألفي ريال.

وستكون جائزة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز التي تُصرف للفائزين الأول والثاني والثالث في كل فرع من فروع الجائزة وفق ما يلي:

* الفرع الأول: يحصل الفائز الأول على ٧٠ ألف ريال، والثاني على ٦٨ ألف ريال، والثالث على ٦٦ ألف ريال.
* الفرع الثاني: يحصل الفائز الأول على ٥٠ ألف ريال، والثاني على ٤٨ ألف ريال، والثالث على ٤٦ ألف ريال.
* الفرع الثالث: يحصل الفائز الأول على ٤٠ ألف ريال، والثاني على ٣٨ ألف ريال، والثالث على ٣٦ ألف ريال
* الفرع الرابع: يحصل الفائز الأول على ٣٠ ألف ريال، والثاني على ٢٨ ألف ريال، والثالث على ٢٦ ألف ريال.
* الفرع الخامس: يحصل الفائز الأول على ٢٠ ألف ريال، والثاني على ١٨ ألف ريال، والثالث على ١٦ ألف ريال.

مسابقة ثقافية وطنية لنادي جازان

ينظم نادي جازان الأدبي مسابقة ثقافية للمثقفين السعوديين من الجنسين (فوق ٢٢ سنة) بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة، وذلك في مجالات: الشعر، والكتابة المسرحية، والدراسات الأدبية.

يُشترط ألا تقل أبيات القصيدة عن ٢٠ بيتًا، وأن تكون المسرحية من فصلين كل فصل يضم مشهدين، ويمكن كتابتها شعرًا أو نثرًا، وألا تقل صفحات الدراسة عن عشرين صفحة عن إحدى الملاحم الشعرية التي تناولت سيرة الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود.

ترسل المشاركات إلى النادي على عنوانه: ص.ب: ١٦٠ جازان، في موعد غايته نهاية جمادى الآخرة المقبل.

الزيلعي يفوز بجائزة معرض الكتاب بالكويت

حصل د. أحمد بن عمر الزيلعي، الأستاذ بقسم الآثار والمتاحف في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، على جائزة معرض الكتاب العربي الثاني والعشرين لعام ١٩٩٧م - الذي تنظمه مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - لأفضل كتاب مؤلف باللغة العربية في الفنون والآداب الإنسانية، وذلك عن كتابه «الخلف والخليف: آثارهما ونقوشهما».

والكتاب يُعنى بالآثار الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ويختص بدراسة موقعين أثريين مهمين ومتجاورين بتهامة في منطقة الباحة، يُسمى أحدهما الخلف والثاني الخليف.

مؤتمر الأدباء السعوديين

يُنتظر أن يُعقد خلال شهر شعبان المقبل مؤتمر الأدباء السعوديين الذي تنظمه وتشرف عليه جامعة أم القرى في مكة المكرمة.

وتجري حاليًا استعدادات لتنظيم المؤتمر وتحديد محاوره المتوقع أن تركز على روافد الأدب السعودي، والشعر بين التراث والمعاصرة، والرواية والقصة والمسرحية وتقنياتها وتطورها، إضافة إلى الدراسات الأدبية ودورها في صياغة الأدب وتشكيله، والكتاب ومشكلات تأليفه ونشره.

أول مزاد للمقتنيات الإسلامية

اختتم - مؤخرًا - في الرياض أول مزاد من نوعه للمقتنيات الإسلامية والتحف النادرة.

ضم المزاد مجموعة من القطع تزيد قيمتها على عشرين مليون ريال. منها أبواب خشبية ملكية هندية عمرها مابين


صاحب السمو الملكي
الأمير طلال بن عبد العزيز

بعد إقرار الدراسة الخاصة بتطوير أعماله:
برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية

ينشئ جائزة عالمية

عقدت لجنة إدارة برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية اجتماعها التاسع والثلاثين يوم ٢١ صفر ١٤١٩هـ بمقر البرنامج في الرياض. وقد ترأس الاجتماع - بتكليف من صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز رئيس البرنامج - الأستاذ محمد بن إبراهيم الدريس، نائب الرئيس ومندوب المملكة العربية السعودية لدى البرنامج.

وأقرت لجنة الإدارة في هذا الاجتماع دراسة تطوير أعمال البرنامج، التي أعدها بتكليف من سمو الرئيس، أحد المكاتب الاستشارية الوطنية المتخصصة. وشملت الدراسة: استراتيجية البرنامج، والتنظيم الإداري الجديد، ونظام الموظفين والنظام المالي.

واعتمدت الدراسة رؤية طموح لمستقبل البرنامج، والنهوض برسالته الإنسانية النبيلة، فاستحدثت آليات إدارية ومالية مرنة لتجويد الأداء وضبطه، ولإبراز دور البرنامج التنموي في دول العالم الثالث، وفي المنطقة العربية على وجه الخصوص. وفي هذا الإطار اشتملت الدراسة على هيكلة جديدة لتوجهات البرنامج؛ بما يؤدي إلى تركيز مشاركاته وإبرازها في القطاعات ذات التأثير المباشر في التنمية البشرية.

وتحقيقًا للفكرة التي كانت لجنة الإدارة قد أقرتها منذ سنوات عديدة بتخصيص جائزة عالمية باسم البرنامج تبلغ قيمتها ثلاثمئة ألف دولار، في

٢٠٠-٣٠٠ عام عليها نقوش إسلامية بديعة وآيات قرآنية، ومنبر إسلامي لا يقل عمره عن مئتي عام، ومجموعة من الدروع والسيوف من العهد العثماني، ومحراب إسلامي يزيد عمره على ٣٠٠ عام، ومعروضات أخرى متنوعة.

كتب جديدة

الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة، تأليف د. عبدالله الخاطر، صدر عن المنتدى الإسلامي.

الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف - وادي السرحان ١٨٤٥-١٩٢٢م، إعداد وتحرير: عوض البادي، صدر ضمن سلسلة «رحلات في بلاد العرب» عن دار بلاد العرب.

من أحكام الديانة، جـ١، تأليف أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، صدر عن دار ابن حزم بالرياض.

محاضرات وندوات

«تعليم الفتاة بين التفرد والمحاكاة»، عنوان محاضرة ألقاها معالي الدكتور علي بن مرشد المرشد في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

«البيئة والمحافظة عليها من منظور إسلامي»، عنوان محاضرة ألقاها الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في المدينة الجامعية لجامعة الملك سعود في الرياض.

«مقومات الصمود الحضاري في العالم العربي»، عنوان محاضرة ألقاها د. حسن ظاظا في نادي القصيم الأدبي ببريدة.

«مصادر تاريخ الدولة السعودية الأولى»، عنوان محاضرة ألقاها د. عبدالرحيم عبدالرحمن في دارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

«تاريخ العمارة البهمانية»، موضوع محاضرة ألقتها د. هيلين فيليون على مسرح عبدالله السالم التابع لدار الآثار الإسلامية بالكويت.

«الأصول الفلسفية للمذاهب الأدبية المعاصرة»، عنوان محاضرة ألقاها د. ناصر بن سعد الرشيد في نادي المنطقة الشرقية الأدبي.

«مراح الجنين بين الوحي والعلم»، عنوان محاضرة ألقاها د. محمد جودي في دار الرعاية الإسلامية في لندن.

«المكفوفون والمجتمع» عنوان محاضرة ألقاها د. محمد بن سعد بن حسين.

«دور آل الشيخ في التعليم والإصلاح من ظهور الإمام تركي إلى عهد الملك عبدالعزيز»، عنوان محاضرة ألقاها أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

ألقيت المحاضرتان السابقتان في جمعية رعاية الأطفال المعوَّقين بالرياض.

«الإذاعة السعودية في عامها الخمسين»، عنوان محاضرة ألقاها د.

المجالات التنموية؛ وضعت الدراسة نظامًا متكاملاً للجائزة. وسوف تُمنح جائزة برنامج الخليج العربي للمشاريع التنموية الرائدة، وبخاصة المشاريع الموجهة للفئات الأكثر احتياجًا في دول العالم الثالث، ولاسيما الأطفال والنساء.

وستُمنح الجائزة في ثلاثة مجالات:

١- الجائزة الأولى، وقيمتها مئة وخمسون ألف دولار: تخصص للمشاريع الريادية المنفذة من قبل المؤسسات الإقليمية والعاملة في مجالات التنمية المستدامة.

٢- الجائزة الثانية، وقيمتها مئة ألف دولار: تخصص للمشاريع الريادية المنفذة من قبل الجمعيات الأهلية بقصد خدمة أهداف التنمية المستدامة في محيطها.

٣- الجائزة الثالثة، وقيمتها خمسون ألف دولار: تخصص للمشاريع الفردية المنفذة من قبل الأفراد بقصد الإسهام في دعم جهود التنمية المستدامة.

الإمارات العربية

معرض لفن البورتريه

شارك ٥٢ فنانًا وفنانة من أعضاء جمعية الإمارات للفنون التشكيلية في معرض لفن «البورتريه» نظمته الجمعية.

أقيم المعرض في متحف الشارقة للفنون، وضم قرابة ١٥٠ عملاً تشكيليًا وأعمالاً زيتية ومائية وفوتوغرافية، إضافة إلى النحت والجرافيك.

كتب جديدة

العرب والبرتغال في التاريخ، تأليف فالح حنظل، صدر عن المجمع الثقافي في أبو ظبي.

الكويت

التعريب.. المشروع الحضاري للمعاصرة

أكدت ندوة «واقع التعريب والترجمة في الوطن العربي» أن قضية التعريب هي خيار الأمة، والمشروع الحضاري للمعاصرة الفعالة المنتجة.

وأوصت الندوة في ختام أعمالها - مؤخرًا - في الكويت بضرورة وضع قوانين وتشريعات ملزمة بشأن الاهتمام بهذه القضية في بلدان العالم العربي؛ مؤكدة أهمية العمل على نشر الوعي التعريبي، وإنشاء مراكز متخصصة تجمع المتخصصين في مجالي التعريب والترجمة في الوطن العربي، وتنشيط خطة منظمة الألكسو عام ١٩٨٢م وتفعيلها بشأن الخطة الوطنية للتعريب والترجمة.

جوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

أقر مجلس إدارة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في اجتماعه السابع والسبعين - مؤخرًا - برئاسة سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح أسماء الفائزين بجوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية.

والفائزون هم: محمد بن ناصر العجمي (جائزة أفضل كتاب مؤلف عن الكويت)، عن كتابه «من صور الحياة العلمية في الكويت: روضة الأرواح»، وتقاسم جائزة أفضل كتاب مؤلف باللغة العربية في الفنون والآداب والإنسانيات كل من: د. أحمد بن عمر الزيلعي عن كتابه «الخلف والخليف: آثارهما ونقوشهما»، ود. زاهي ناصر عن كتابه «مدخل إلى دراسة الذهنية الشعبية».

ونال جائزة أفضل كتاب مترجم إلى اللغة العربية في الفنون والآداب والإنسانيات كل من: د. محمد نجيب

عبدالرحمن بن صالح الشبيلي في نادي القصيم الأدبي ببريدة.

«العروبة في الدساتير العربية»، عنوان محاضرة ألقاها د. جورج جبور في المركز الثقافي العربي بدمشق.

«اللسان العربي بين الازدواجية والدينامية»، عنوان محاضرة ألقاها نادر سراج في المعهد العالي للدراسات الإسلامية في بيروت.

«الريادة العلمية للعرب والمسلمين»، عنوان محاضرة ألقاها محمد عبدالخالق محمد فضل في القاعة الكبرى بكلية الآداب بجامعة الملك سعود.

«مستقبل البرمجيات العربية»، عنوان محاضرة ألقاها د. حازم عبدالعظيم في قاعة المحاضرات بقصر المؤتمرات في مدينة نصر بالقاهرة.

«صحيفة الوطن حوار من أجل المستقبل»، موضوع محاضرة ألقاها د. فهد العرابي الحارثي في نادي أبها الأدبي.

«أشعار الشاعر الشعبي محمد العوني ومسيرته»، موضوع محاضرة ألقاها محمد دخيل العصيمي في مقر جمعية الثقافة والفنون بالدمام.

«الحكم السعودي: المنطلقات والأهداف»، عنوان محاضرة ألقاها عبدالله محمد الشهيل في نادي مكة المكرمة الثقافي الأدبي.

«نصائح للمرأة المسلمة»، عنوان محاضرة ألقاها د. سعيد بن مسفر القحطاني في الجامع الكبير بمدينة إسكان الحرس الوطني في جدة.

«فاوست في الأدب العربي»، عنوان محاضرة ألقتها د. علية خطاب في معهد جوته الثقافي بالقاهرة.

«الصراع العربي الصهيوني: رؤية مستقبلية»، عنوان محاضرة ألقاها معن بشور في مركز ناصر الثقافي في بعلبك بلبنان.

«قرن من الاستعمار الاستيطاني»، عنوان محاضرة ألقاها كامل زهيري في المركز الثقافي العربي في بيروت.

«التجربة الفنية والنقدية»، عنوان محاضرة ألقاها أسعد عرابي في كلية الآداب بجامعة البحرين.

«الرابطة الأدبية في النجف»، عنوان محاضرة ألقاها د. السيد محمد بحر العلوم في ديوان الكوفة بلندن.

توزيع جائزة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية

رعى سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر حفل تكريم الفائزين بجائزة مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، التي تعد أول جائزة عالمية تُرصد في قطر في مجال الفكر الإسلامي والعلوم الشرعية.

كان موضوع المسابقة «الوقف ودوره في التنمية»، وقد فاز بها كل من: الدكتور عبدالستار إبراهيم رحيم الهيتي (عراقي الجنسية)، وهو حاصل على الدكتوراه في الاقتصاد الإسلامي من جامعة بغداد، والأستاذ الدكتور محمد السيد الدسوقي (مصري الجنسية)، وهو حاصل على الدكتوراه في الشريعة من جامعة القاهرة، والأستاذ محمود محمود إبراهيم النجيري (مصري الجنسية)، وهو حاصل على الماجستير في التربية من جامعة عين شمس. أما الفائز بطباعة بحثه فهو الدكتور منذر قحف الأمريكي الجنسية من أصل سوري، وهو حاصل على الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة يوتا الأمريكية.

ويرجع إنشاء مكتبة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني الوقفية إلى ما بذله الشيخ - يرحمه الله - من جهود في طباعة كتب العلوم الشرعية والعربية والأدبية ونشرها وتوزيعها مجانًا، وكذلك جمع المخطوطات القديمة، وطباعتها محققة على نفقته الخاصة.



الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني

وكانت المكتبة تتبع وزارة التربية والتعليم، ثم آل الإشراف عليها إلى وزارة الإعلام والثقافة، ثم أصبحت تابعة لإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدءًا من عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

أما الجائزة فتجيء تحقيقًا لهدف الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني - يرحمه الله -، وتقديرًا لجهوده الخيرة في خدمة العلم وأهله، وهي جائزة سنوية تُمنح للبحث أو البحوث المتميزة في فرع من فروع العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، وتبلغ قيمتها المادية خمسة وسبعين ألف ريال قطري.

والشيخ علي بن عبدالله آل ثاني الذي تحمل المكتبة اسمه ولد سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، وتولى الحكم في ٢٥ شوال ١٣٦٨هـ (٢٠ أغسطس/آب ١٩٤٩م)، وتنازل عن الحكم لولده الشيخ أحمد بن علي آل ثاني في ٤ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ (٢٤ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٦٠م). وقد توفي يرحمه الله عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

الصبوة، ود. مصطفى محمد كامل، ود. محمد الحسانين الدق عن كتابهم المشترك «علم النفس المعرفي».

وفي جائزة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، حُجبت الجائزة في مجال الممارسة المبنية على التجربة المختبرية أو السريرية المحكومة بالضوابط العلمية المرعية، ونال الجائزة في مجال الفقه الطبي وتحقيق التراث وفق أصول فن التحقيق مناصفة كل من: د. محمد نزار الدقر (سورية)، ود. محمد سليمان الأشقر (الأردن).

الفائزون بجوائز معرض ٢٥ فبراير

مُنح الفنان التشكيلي السعودي عبدالله الشيخ الجائزة الأولى لمعرض ٢٥ فبراير الثالث عشر.



عبدالله الشيخ

واحتل المراكز من الثاني إلى الخامس كل من الفنانين التشكيليين على التوالي: حسين البلوشي (سلطنة عمان)، وعبدالله الجيران (الكويت)، وعبدالرحمن زينل (الإمارات)، ومحمد الشيباني (الكويت)، وقد حصلوا جميعهم على الدانة الذهبية.

كتب جديدة

علم الاجتماع وقضايا اجتماعية: دراسة تحليلية نقدية. تأليف د. نضال حميد الموسوي، صدر عن منشورات ذات السلاسل.

المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك. تأليف د. عبدالعزيز حمودة، صدر ضمن سلسلة عالم المعرفة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.



مصر

شفاء أقدم مريض في العالم

تحت رعاية الرئيس محمد حسني مبارك، وبحضور المدير العام لليونسكو فيدريكو مايور، احتُفل بانتهاء مشروع ترميم تمثال أبي الهول، الذي استغرق تسع سنوات، وتم وفق معايير علمية.

وقدم أبوالهول نفسه لضيوفه بثلاث لغات: العربية والإنجليزية والفرنسية، متحدثًا عن ٤٥ قرنًا عاش معظمها مريضًا متآكلاً بفعل المياه الجوفية وعناصر الطبيعة وأعمال الترميم الخاطئة، وشاركت تقنيات الليزر في تقديم أبي الهول واستعراض تاريخ مصر قديمًا وحديثًا.

يذكر أن عملية ترميم أبي الهول تكلفت قرابة عشرة ملايين جنيه مصري، وقام بمراحلها جميعها فنيون مصريون.

جائزة مبارك الكبرى وجوائز جديدة

تم استحداث جائزتين جديدتين تحمل أولاهما اسم «جائزة مبارك الكبرى» وتضم خمس جوائز في مجالات شتى: الآداب، الفنون، الدراسات الاجتماعية، العلوم، والتقنية المتقدمة قيمة كل منها مئة ألف جنيه.

وتحمل الجائزة الثانية مسمى «جائزة التفوق» وتشمل سبع جوائز، قيمة كل منها ٢٥ ألف جنيه.

كما تقرر رفع قيمة جوائز الدولة

التقديرية لتصبح خمسين ألف جنيه، وجوائز الدولة التشجيعية لتصبح عشرة آلاف جنيه مع زيادة عدد الأخيرة لتصبح ٣٢ جائزة بدلا من ٢٤ جائزة.

وجميع الجوائز السابقة تمنح للمصريين ومعفاة من الضرائب والرسوم.

مهرجان القراءة للجميع

افتتحت قرينة الرئيس محمد حسني مبارك الدورة الجديدة لمهرجان القراءة للجميع الذي يقام في صيف كل عام.

ويشهد مهرجان هذا العام تواصل إصدارات «مكتبة الأسرة»، وإعداد مكتبات محمولة ومتنقلة بالقرى والمدن والمستشفيات والحدائق العامة والشواطئ وأماكن التجمعات الشعبية والسجون.

توصية بإصدار معجم عربي للمصطلحات الأدبية

شدد المشاركون في مؤتمر «قضايا المصطلح الأدبي» على ضرورة بلورة مفهوم المصطلح الأدبي والتدقيق في أحكام صياغته، وإصدار معجم عربي للمصطلحات الأدبية.

وأوصى المؤتمرون بإنشاء بنك للمعلومات الاصطلاحية المتصلة بالأدب والنقد عبر اتباع عدة خطوات منها: دعوة المجلات الأدبية والثقافية لتخصيص نافذة دائمة فيها تطرح المصطلحات الحديثة، وتدير حوارًا حولها، وتشكيل لجنة علمية نقدية تراسل تلك المجلات وتتدارس دوريًا نتائج أعمالها.

وكان خمسون باحثًا وناقدًا من أقطار عربية مختلفة قد شاركوا في أعمال المؤتمر الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة واستمر خمسة أيام.

تصاعد الأميَّة بين الفتية العرب

أشار تقرير إلى أن معدلات الأمية في سن الخامسة عشرة في الدول العربية قد ارتفعت عام ١٩٩٥م إلى ٦٥ مليونًا ونصف المليون نسمة مقابل ٥٥ مليونًا و٨٠٠ ألف نسمة عام ١٩٩٠م.

وأوضح التقرير الذي يصدره سنويًا المؤتمر القومي العربي أن الأمية بلغت حدها الأقصى في موريتانيا بواقع ٦٢.٣٪ من السكان، فيما كان لبنان صاحب الحد الأدنى للنسبة، حيث لم يتجاوز عدد الأميين اللبنانيين في تلك السن ٧.٦٪ من السكان.

وأرجع التقرير سبب ارتفاع معدلات الأميين في بلدان الوطن العربي إلى الظروف والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى مشكلة التعريب في بلدان المغرب العربي.

ندوة دولية عن الحكيم

يعد اتحاد كتاب مصر - حاليًا - لتنظيم ندوة دولية عن الكاتب والمفكر الراحل توفيق الحكيم خلال شهر ربيع الآخر المقبل.

وتتواصل حاليًا اجتماعات اللجنة التي شكلها الاتحاد وتضم د. مدحت الجيار، ومحمد السيد، من أجل وضع محاور الندوة، وتوجيه الدعوات للمشاركين فيها من داخل الوطن العربي وخارجه.

أنيس منصور لـ«القاهرة» وخورشيد لـ«عالم الكتاب»

عُيِّن الكاتب أنيس منصور رئيسًا لتحرير مجلة «القاهرة» خلفًا للدكتور غالي شكري، والكاتب فاروق خورشيد رئيسًا لتحرير مجلة «عالم الكتاب».

وتقرر أن تصدر «عالم الكتاب» شهريًا بدءًا من هذا الشهر بعد أن كانت تصدر فصليًا.

ندوة الجارم

نظم المجلس الأعلى للثقافة ندوة موسعة عن شاعر العروبة الكبير علي الجارم بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاته خلال شهر صفر الماضي.


علي الجارم

استمرت الندوة يومين وناقشت عددًا من الموضوعات المرتبطة بدور الجارم في حركة الأدب العربي الحديث شاعرًا، وناقدًا، وروائيًا، وتربويًا، وعضوًا في المجمع اللغوي.

وأقيمت على هامش الندوة أمسيتان قُدِّمت خلالهما قراءات من شعر الجارم، كما صدر كتاب يتضمن مختارات من شعره تغطي مختلف مراحل إبداعه.

الفائزون بجوائز تيمور للمسرحية

مُنح الكاتب المسرحي محمد نصرالدين أحمد طه جائزة محمد تيمور للإبداع المسرحي لعام ١٩٩٨م عن مسرحيته «وغابت شمس الأندلس».

وجاء في المركزين الثاني والثالث على التوالي كل من: محمد عبدالحافظ ناصف عن مسرحيته «طلوع النهار.. أول الليل»، وعبير محمد سامي سليمان عن مسرحيتها «ذات مساء»، وهي تراجيديا من جزأين.

بينالي القاهرة للخزف

شارك ٣٥٦ فنانًا من ٦١ دولة في أعمال بينالي القاهرة الدولي الرابع للخزف.

ونال الجائزة الكبرى للبينالي الفنان المصري الشاب عيد محمد عبداللطيف؛ فيما توزعت جوائز البينالي الخمس كالتالي: جيرد باستروم (الدنمارك)،

نيكولاس بيث (لوكسمبرج)، تهاني محمد نصر العادلي، وجمال الدين أحمد عبدالله، وزينات أحمد عبدالجواد (مصر).

وحاز جوائز لجنة التحكيم كل من: تولا إلسون (النرويج)، فنسنت مجراث (أستراليا)، ودورثيا لورتزين (ألمانيا)، وكريستا زيتلهوفر (النمسا)، وعماد عبدالنبي أبوزيد، ومعتز محسن نصرالدين، وعمر محمد عبدالعزيز (مصر).

كتب جديدة

رفع الإصر عن قضاة مصر، تأليف ابن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد عمر، صدر عن مكتبة الخانجي بالقاهرة.

الصليبيون الجدد: الحملة الثامنة، تأليف يوسف العاصي الطويل، صدر عن مكتبة مدبولي.

الحملة الفرنسية: تنوير أم تزوير؟ تأليف د. ليلى عنان.

ماذا حدث للمصريين؟ تأليف جلال أمين.

صدر الكتابان السابقان عن مؤسسة دار الهلال.

نظريات السرد الحديثة، تأليف والاس مارتن، ترجمته إلى العربية حياة جاسم محمد.

عالم الماك: مواجهة بين التأقلم والعولمة، تأليف بنجامين باربر، ترجمه إلى العربية أحمد محمود.

مذكرات رحالة عن المصريين، تأليف جون أنتيس، ترجمه إلى العربية سيد الناصري.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة ضمن سلسلة المشروع القومي للترجمة عن المجلس الأعلى للثقافة.

الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، الشيخ الغزالي: الموقع الفكري والمعارك الفكرية، كتابان جديدان للدكتور محمد عماره، صدرا عن دار الرشاد.

لبنان

بيان لألف مثقف في ذكرى اغتصاب فلسطين

في الذكرى الخمسين لاغتصاب فلسطين، شهدت بيروت نشاطًا ثقافيًا مكثفًا، وأذيع بيان وقعه ألف مثقف عربي أدانوا فيه جريمة اغتصاب وطن من أهله، ومحوه من الخارطة.

وطالب الموقعون على البيان بحق العودة للفلسطينيين الذين شردوا خارج بلادهم كافة، وأكدوا أن قضية فلسطين هي قضية العرب ومسؤوليتهم، وأن السلام لا يكون بمحو الذاكرة الفلسطينية أو في ظل هيمنة الصهيونية؛ بل يكون بتقرير حق كل شعوب المنطقة في العيش بكرامة وسلام.

جائزة جديدة لأفضل كتاب إبداعي عربي

أعلن الأديب والكاتب اللبناني أحمد عويدات عن إنشاء جائزة سنوية لأفضل كتاب إبداعي في الوطن العربي في مجالات الأدب والشعر والعلوم الإنسانية.

يُشترط أن يكون الكتاب المشارك مطبوعًا خلال عامي ١٩٩٨-١٩٩٩م، وتحددت نهاية شهر يونيو من العام الميلادي المقبل (١٩٩٩م) موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات مصحوبة بالسيرة الذاتية للمشارك، ولا تُقبل مشاركات سبق أن نالت جائزة من قبل.

غياب الشاعر إيليا أبو شديد

بعد صراع مع المرض توفي - مؤخرًا - الشاعر الشعبي اللبناني إيليا أبو شديد عن عمر ناهز ٦٤ عامًا.

وأبو شديد من مواليد المطيلب بالمتن

رسائل جامعية

«الولاء التنظيمي للموظفين الحكوميين في مدينة جدة: بعض المحددات والآثار»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدمت بها سوزان محمد أحمد القرشي.

«فلسفة الإعلام النفسي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أسيوط بمصر، تقدم بها عدنان المهنا.

«وضع مجموعة اختبارات لقياس الصفات البدنية الخاصة المميزة للاعبي الأسكواش»، عنوان رسالة ماجستير نُوقشت في كلية التربية الرياضية في الهرم بمصر، تقدم بها وائل قنديل.

«ظاهرة الفقر واستراتيجيات التنمية في مصر»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية التجارة بجامعة عين شمس، تقدم بها مؤنس السيد محمد.

«المتغيرات المؤثرة في دور الصحافة»، موضوع رسالة دكتوراه نُوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها جمال عبدالعظيم.

«مدارس اللغات وأثرها في البناء النفسي والشخصية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات الإنسانية بجامعة القاهر، تقدمت بها إسعاد حسين.

«رقابة دستورية القوانين بين أمريكا ومصر»، عنوان رسالة دكتوراه نُوقشت في كلية الحقوق بجامعة عين شمس، تقدم بها هشام محمد فوزي.

«الأيديولوجية والتربية في عهد الدولة الأموية»، عنوان رسالة دكتوراه

الشمالي عام ١٩٣٤م. هاجر إلى غانا عام ١٩٥٠م، ثم عاد مرة ثانية إلى لبنان، وحين اشتعلت الحرب الأهلية هاجر مرة أخرى إلى غانا ثم عاد عام ١٩٨١م ليستقر في وطنه.

أصدر أبو شديد مجلة «المراسم» عام ١٩٦٦م، وتميز شعره بمحاولة المواءمة بين العامية والفصحى، وترك عدة مؤلفات منها: «ليالي النار»، «صوت المارد»، «خيمة عنكبوت»، ومؤلفات أخرى.

كتب جديدة

موانئ المشرق، رواية لأمين معلوف، ترجمتها إلى العربية نهلة بيضون، وصدرت عن دار الفارابي في بيروت.

الميثاق العربي لحقوق الإنسان: عرض وتحليل ونقد، تأليف جورج جبور، صدر عن دار العلم للملايين.

الجندي المستعرب، حوارات مع المستشرق الفرنسي ماكسيم رودنسون، حررها وقدم لها فيصل جلول، وصدرت عن دار الجديد.

كتاب الموت والموتى، مجموعة شعرية لإبراهيم نصرالله، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الشمسية في القواعد المنطقية، تأليف نجم الدين القزويني، تحقيق د. مهدي فضل الله، صدر عن المركز الثقافي العربي.

الفلسفة والتأويل، تأليف نبيهة قارة، صدر عن دار الطليعة.

راضية والسيرك، رواية لصلاح الدين بوجاه، صدرت عن دار الآداب.

الإنسان في فلسفة الفارابي، تأليف إبراهيم العاتي، صدر عن دار الينبوع.

سورية

متحف في حلب للمتنبي

تقرر تحويل جزء من المدرسة البهائية في حلب (نسبة للسيد بهاءالدين قدسي) إلى متحف للشاعر أبي الطيب المتنبي، بعدما تأكد أن الشاعر أمضى بهذا المبنى تسع سنوات كاملة إبان عهد سيف الدولة الحمداني.

ويقع المبنى في المنطقة القديمة من حلب (محلة سويقة علي) خلف خان الوزير، ويبعد عن قلعة حلب نحو ١٥٠ مترًا فقط.

كتب جديدة

طبيعة الشعر، تأليف هربرت ريد، ترجمه إلى العربية د. عيسى علي العاكوب.

سوء التنمية في أمريكا اللاتينية، تأليف رينيه ديمون، وماري فرانس موتان، ترجمه إلى العربية عيسى عصفور.

صدر الكتابان السابقان عن وزارة الثقافة.

حدث ذات مرة في سورية، تأليف سمير عبده.

الأسطورة في بلاد الرافدين، تأليف عبدالحميد محمد.

صدر الكتابان السابقان عن دار علاءالدين في دمشق.

أمريكا طليعة الانحطاط: كيف نجابه القرن الحادي والعشرين؟ تأليف روجيه جارودي، ترجمه إلى العربية صباح الجهيم وميكيل خوري، وصدر عن دار عطية للنشر.

تاريخ ابن قاضي شهبه (جـ٤ من المخطوطة)، تأليف تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبه الأسدي الدمشقي، تحقيق عدنان درويش، صدر عن المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية.

نُوقشت في كلية التربية بجامعة أسيوط، تقدم بها عادل إسماعيل عبدالحسيب.

«صور الكواكب الثابتة للصوفي الرازي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآثار بجامعة القاهرة، تقدم بها إيهاب أحمد إبراهيم.

«موقف القانون من جرائم تلويث البيئة ودور الشرطة على خريطة المكافحة»، موضوع رسالة دكتوراه نُوقشت في أكاديمية الشرطة بالقاهرة، تقدم بها فيصل فؤاد حجاج.

«تطوير الأزهر منذ القرن التاسع عشر الميلادي حتى عام ١٩٣٠م»، موضوع رسالة ماجستير نُوقشت في كلية الآداب بجامعة غرناطة بإسبانيا، تقدمت بها إيلينا أريخيتا ماثا.

«أحكام الترتيب في غير العبادات»، عنوان رسالة ماجستير نُوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها عبدالحكيم بن محمد العجلان.

«الضمان في عقد الإجارة: دراسة مقارنة بين المذاهب الأربعة»، عنوان رسالة ماجستير نُوقشت في قسم الشريعة بجامعة أم القرى ـ فرع الطالبات، تقدمت بها أفنان بنت محمد عبدالمجيد التلمساني.

«كيفية التوصل إلى التنغيم المتميز عند عازف الكمان»، عنوان رسالة دكتوراه نُوقشت في معهد الموسيقى العربية بالقاهرة، تقدم بها أشرف سعيد هيكل.

«آليات الإسكان العشوائي دراسة على المنيرة الغربية في إمبابة»، موضوع رسالة دكتوراه نُوقشت في كلية الهندسة بجامعة القاهرة، تقدم بها سيف فرج.

«تأثير مستوى اليود على إنتاج وتركيب اللبن للأبقار»، موضوع رسالة دكتوراه نُوقشت في كلية الزراعة بجامعة القاهرة، تقدم بها طارق المنير.

الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة، تأليف د. نزار أباظة، صدر عن دار الفكر.

الأردن

ندوة دولية حول ترجمات معاني القرآن

شارك باحثون من ثلاث عشرة دولة عربية وإسلامية وأجنبية في ندوة أقيمت - مؤخرًا - في عَمَّان حول ترجمات معاني القرآن الكريم إلى لغات الشعوب والجماعات الإسلامية، نظمتها جامعة آل البيت.

تضمنت الندوة عدة محاور عُرضت عبر ٣٠ ورقة عمل منها: شهادات لأصحاب الترجمات الجديدة، ودراسات تعريفية ونقدية للترجمات، والعقبات التي تواجه ترجمة معاني القرآن الكريم في بعض اللغات.

فلسطين

متحف الذاكرة الفلسطينية

تعتزم «مؤسسة التعاون» التي أسستها عام ١٩٨٣م مجموعة من رجال الأعمال الفلسطينيين إنشاء متحف في إحدى المدن الفلسطينية باسم «متحف الذاكرة الفلسطينية».

ولم تتحدد بعد المدينة المتوقع أن يقام المتحف فيها، وتحددت أهداف المتحف في توثيق نضال الشعب الفلسطيني لنيل حقوقه المشروعة، والمآسي التي عاشها الفلسطينيون بالتشتت والتهجير والنفي، كما يوثق المتحف لذاكرة مدن فلسطين وقراها وأبنائها الذين ضحوا بحياتهم من أجل بلادهم.

يذكر أن مجلس أمناء المؤسسة يترأسه عبدالمجيد شومان، وقد سبق للمؤسسة تمويل مشروعات تنموية داخل فلسطين وخارجها.

كتب جديدة

الخروج من وادي السلامة، رواية لزيد أبوالعلا، صدرت عن جماعة الإبداع الثقافي وطبعت في مطبعة الأمل في غزة.

تونس

معرض دولي للكتاب

شارك ٣٧٩ ناشرًا ينتمون إلى ٢٣ دولة بما يزيد على ٧٣ ألف عنوان في الدورة السادسة عشرة لمعرض تونس الدولي للكتاب، التي اختتمت أعمالها مؤخرًا.

واستأثر الكتاب العربي بنسبة ٧٥٪ من العناوين، يليه الكتاب الفرنسي بما نسبته ٢٢٪، وسجلت نسبة الإصدارات الجديدة حضورًا مكثفًا للكتاب العلمي بمختلف أصنافه.

كتب جديدة

التعاليق المنطقية، تأليف ابن باجه، تقديم وتحقيق محمد إبراهيم الوزاد، صدر ضمن سلسلة الفلسفة الإسلامية.

عندما صمت المغني، ديوان لعبدالحميد بطاو.

صدر الكتابان السابقان عن الدار العربية للكتاب في تونس.

المغرب

مهرجان عالمي للشعر

يستعد بيت الشعر بالمغرب والجمعية الحضرية بالدار البيضاء لتنظيم أول مهرجان شعري عالمي يقام في دولة عربية.

وتحددت المدة مابين ٢ إلى ٥ جمادى الآخرة المقبل (٢٣-٢٦ سبتمبر/ أيلول) لعقد المهرجان، الذي يشارك فيه ١٥ شاعرًا من بينهم ٩ شعراء أجانب، و٣ من الوطن العربي و٣ من المغاربة. ويحضره المدير العام لمنظمة اليونسكو فيدريكو مايور بصفته شاعرًا.

وتنطلق فكرة المهرجان من الرغبة في اللقاء والحوار بين التجارب الشعرية العربية والعالمية، وتتضمن التظاهرة عددًا من النشاطات من بينها أمسيات شعرية ومعارض للشعر والفن التشكيلي.

أيام التواصل الثقافي والاجتماعي بين أقطار إفريقية

نظمت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبدالمالك السعدي في تطوان بالتعاون مع كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس - ليبيا - خلال شهر محرم الماضي أيامًا في تطوان حول «التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية الواقعة على جانبي الصحراء الكبرى».

تضمن البرنامج - الذي يدخل ضمن التعاون العلمي والثقافي بين الجامعات في المغرب العربي - دراسات وأبحاثًا حول تاريخ إفريقية العربية، ووسائط تحقيق التواصل الثقافي بين شعوب القارة، وموضوعات أخرى.

جوائز للأدباء الشباب

يستقبل اتحاد كُتَّاب المغرب حاليًا المشاركات المرشحة لنيل جائزة إبداع الأدباء الشباب في مجالات الشعر، والرواية، والقصة، والمسرح.

والمسابقة مفتوحة للمبدعين من الجنسين تحت سن الثلاثين عامًا. ويستمر قبول المشاركات حتى السادس من شهر ربيع الآخر المقبل (٣٠ يوليو/ تموز ١٩٩٨م).

كتب جديدة

الإسلام بين الحقيقة والافتراء، تأليف مجموعة علماء معاصرين (د. محمود حمدي زقزوق وآخرين)، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في الرباط.

الشعرية العربية، تأليف جمال الدين بن الشيخ.

المشروع المغاربي والشراكة الأورومتوسطية، تأليف فتح الله ولعلو.

صدر الكتابان السابقان عن دار توبقال للنشر بالدار البيضاء.

الشعر والتأويل: قراءة في شعر أدونيس، تأليف عبدالعزيز بومسهولي، صدر عن منشورات إفريقية الشرق.

فرنسا

معرض للفنون الفاطمية في باريس

نظم معهد العالم العربي بباريس معرضًا عن «كنوز مصر الفاطمية» ضم أكثر من ٢٥٠ تحفة فنية تعود إلى مرحلة الحكم الفاطمي.

وقد جمع المعرض عددًا كبيرًا من الآثار النادرة التي تضمها المؤسسات والمتاحف العالمية التي تملك نماذج من الفن الفاطمي، كما ضم عددًا من المخطوطات النادرة.

تاريخ نكبة فلسطين بين المؤرخين الفلسطينيين والإسرائيليين

شارك باحثون ومؤرخون فلسطينيون وإسرائيليون في ندوة نظمتها - مؤخرًا - في مقر مجلس الشيوخ بباريس مجلة الدراسات الفلسطينية (الطبعة الفرنسية) وصحيفة «لوموند ديبلوماتيك» الفرنسية الشهرية حول إعادة كتابة تاريخ نكبة فلسطين.

حملت الندوة عنوان «إسرائيل - فلسطين: نظرات متقاطعة على ١٩٤٨م»، ودار النقاش حول المناهج التي استخدمها المؤرخون الفلسطينيون والإسرائيليون في تأريخهم لتلك الحقبة، واختلافات وجهات النظر حولها، وحروب عام ١٩٤٨م، ورهانات ٥٠ عامًا من النقاش، إضافة إلى مداخلتين: الأولى للكاتب والمفكر الأمريكي ذي الأصل الفلسطيني د. أدوارد سعيد، والثانية للإسرائيلي زئيف شترنيل.

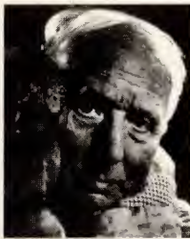
وفاة الروائية دومنيك أورى

توفيت الكاتبة الروائية دومنيك أورى المعروفة باسم بولين رياج عن عمر ناهز ٩٠ عامًا.

وكانت دومنيك لسنوات طويلة تكتب باسم مستعار هو بولين رياج، ولم يعرف العالم اسمها الحقيقي إلا قبل أربع سنوات فقط.

وتُعد روايتها «حكاية أو» التي صدرت عام ١٩٥٤م، وترجمت إلى العديد من اللغات أهم ما قامت بتأليفه في رحلتها الطويلة مع الكلمة وأبرزه، ونالت عنها جائزة «لي دو ماجو»، وكان يطلق على تلك الرواية اسم «الكتاب الملعون» لأنها ظلت سنوات طويلة ممنوعة من العرض في واجهات المكتبات.

معرض لأعمال ماكس إرنست


ماكس إرنست

يقام حاليًا في مركز جورج بومبيدو بباريس معرض للفنان الألماني الأصل الراحل ماكس إرنست.

يلقي المعرض ضوءًا علي رحلة إرنست مع الفن من خلال أعماله المتنوعة من رسم ونحت، التي توضح مذهبه الفني؛ حيث بدأ بالتعبيرية وانتهى إلى المدرسة الدادية.

رحيل الفنان التشكيلي فرانسوا دولت

توفي الفنان ذي الاتجاه التأثيري فرانسوا دولت عن عمر ناهز ٧٣ عامًا.

ودولت حاصل على درجة الدكتوراه في تاريخ الفن عام ١٩٥٣م، ويُعد من أكبر فناني الحركة التأثيرية في فرنسا وأوربا، واختير عضوًا في أكاديمية الفنون الجميلة الفرنسية.

أحدث الكتب

مدخل إلى السياسة، تأليف فيليب بينيتو، صدر عن دار نشر إف. يو. بي في باريس.

الحركة الثقافية في شهر

بناية ماتيلد، رواية حسن داود، ترجمها إلى الفرنسية يوسف صديق وصدرت عن دار سندباد - أكت سود.

الصناعة في العالم، تأليف ميشيل كوسو، صدرت عن دار أرمان كولين.

الدموع العائلية، رواية نادين جورديمر، صدرت عن دار نشر بلوت.

الديموقراطية في الهند، تأليف كريستوف جافريلو، صدر عن دار نشر فايار.

العولمة السعيدة، تأليف آلان منك، صدر عن دار بلون.

الألوان والكلمات، تأليف كوليت جيلمار، صدر عن دار نشر سوي.

كندا

معرض «أسرار مصر»

استضاف متحف الحضارة الكندي في أوتاوا - مؤخرًا - معرضًا للآثار الفرعونية تحت عنوان «أسرار مصر».

ضم المعرض ٣٦٥ لوحة وتمثالاً وحجرًا تحكي أهم جوانب الحياة في مصر القديمة وحضارتها وثقافتها.

بريطانيا

ملتقى القدس وحقوق الإنسان

أقامت المنظمة العربية لحقوق الإنسان ملتقى فكريًا في لندن - مؤخرًا - تحت عنوان «القدس وحقوق الإنسان».

ناقش المؤتمر ثلاثة محاور رئيسية هي: وضع مدينة القدس وحقوق الإنسان، والوضع الخاص بالقدس، والأمم المتحدة والقدس.

أقيم المؤتمر في مقر جمعية الجالية المصرية في بريطانيا.

أحدث الكتب

مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام، تأليف جورج طرابيشي، صدر عن دار الساقي في لندن.

التاريخ المحرم: قراءة تحليلية وقائعية في الفكر السياسي.. العراق نموذجًا، تأليف نبيل ياسين، صدر عن مؤسسة الرافد.

رحلة دنيا الفضائية، قصة خيال علمي للأطفال، تأليف توفيق مؤمن، رسوم هارلي بشوبس، صدرت عن دار أنكاستر هاوس.

نفوس ظامئة، مسرحيات وقصص قصيرة، تأليف مير بصري، صدرت عن دار الورّاق.

الولايات المتحدة

جائزة ابن خلدون لنجيب محفوظ

منح الروائي نجيب محفوظ جائزة ابن خلدون للأدب والثقافة التي تقدمها جمعية الأطباء الأمريكيين العرب ومقرها في مدينة هيوستن.

ونال الطبيب الأردني داود حنانيا جائزة ابن قرة للطب التي تقدمها الجمعية أيضا.

يذكر أن الجائزتين تأسستا هذا العام، ومن المقرر أن تُمنحا سنويًا لأديب وطبيب عربي أو من أصل عربي.

معرض لأعمال روثكو

يستضيف المتحف القومي الأمريكي للفنون في واشنطن - حاليًا - معرضًا لأعمال الفنان التشكيلي مارك روثكو، الذي يعد من رواد الحركة الفنية الحديثة في الولايات المتحدة.

يكشف المعرض عن تأثر الفنان بالمذهب التجريدي، الذي ساد في أمريكا خلال حقبة الأربعينيات الميلادية، كما تؤكد المعروضات ضلوع الفنان في إبراز الجانب الاجتماعي والبعد النفسي للعمل الفني.

ومن المقرر أن ينتقل المعرض إلى نيويورك وباريس عقب انتهاء عرضه في واشنطن الشهر المقبل.

ألمانيا

رحيل صاحب «المتجول»

توفي الأديب هرمان لنتس عن عمر ناهز ٨٥ عامًا.

ولنتس واحد من أكبر أدباء ألمانيا، وأكثرهم إخلاصًا لفنه دون انتظار شهرة أو جائزة.

ذلك أن أعمال لنتس لم تحظ - لسنوات طويلة - بدراسات أو دعاية؛ فظل صاحبها بعيدًا من الأضواء حتى ما قبل سنوات، وتحديدًا في حقبة السبعينيات، وأعقب ذلك حصوله على «جائزة بوشنر» كبرى الجوائز الأدبية الألمانية.

وقد بدأ لنتس الكتابة في وقت مبكر، حيث نشرت أولى قصائده عام ١٩٣٦م، ثم نشرت له قصة طويلة «لمحة شاملة جديدة» عام ١٩٣٨م، وتوالت مؤلفاته بعد ذلك وآخرها قصته «امرأتان» التي نشرت عام ١٩٩٤م. وهو عضو في أكثر من هيئة وجمعية أدبية، منها «هيئة بن»، و«الأكاديمية الألمانية للأدب والشعر».

ومن أبرز مؤلفاته: مجموعته الشعرية «حياة الزمن»، وقصصه الطويلة «شباب وكهولة»، و«الغرف المهملة»، و«المتجول»، وروايته «عينا الخادم».

إسبانيا

جائزة سرفانتس للكوبي أنفانتي

مُنح الكاتب الكوبي كابريرا أنفانتي (٦٩ عامًا) جائزة سرفانتس الأدبية لعام ١٩٩٨م.

وأنفانتي الذي يعيش في المنفى بلندن منذ ٣٠ عامًا، ويكتب باللغة الإسبانية، كان قد عُيّن نائبًا لرئيس اتحاد الكتّاب الكوبيين، وترأس تحرير المجلة الأدبية الرسمية، إلا أن المجلة ما لبثت أن مُنعت من الصدور لعدم احترامها نهج الحزب الشيوعي وتعاليمه. ونُقل أنفانتي مديرًا للمركز الثقافي الكوبي في بروكسل عام ١٩٦٥م، وحين عاد إلى هافانا شن الشيوعيون ضده حملة مسعورة؛ مما اضطره للهجرة والعيش في المنفى، لكنه رفض المشاركة في أي نشاط سياسي.

إيطاليا

جائزة أخرى لـ «مرافئ الشرق»


أمين معلوف

مُنح الأديب اللبناني أمين معلوف «جائزة فيتورياني» لأفضل عمل أدبي عالمي عن روايته الأخيرة «مرافئ الشرق».

وكانت الرواية ذاتها قد نالت قبل ثلاثة أشهر جائزة تونينو الأدبية الإيطالية.

يُذكر أن «جائزة فيتورياني» تُمنح سنويًا في مدينة سرقوسة التاريخية في قلب جزيرة صقلية.

مؤتمر دولي للآثار

شارك مئتا آثاري من ٢٤ دولة في أعمال «المؤتمر الدولي الأول للآثار في الشرق الأدنى وحوض البحر المتوسط» الذي نظمته - مؤخرًا - جامعة روما الأولى المعروفة بـ«لاسابينسا»، واستمر أسبوعًا.

ناقش المؤتمرون المشكلات والقضايا التي تخص الآثار ومستقبل التنقيبات في تلك المنطقة.

قصيدة

قانا

(١٨ نيسان/ أبريل ١٩٩٦م)

شعر: **أحمد القدومي**

نَسجَ الزمانُ لأُمَّتي أكفانا ... وبنى القُبورَ على مَشارِفِ قانا

واغْتالَ مِن كُلِّ الجوانحِ نَخْوَةً ... خَرْسَاءَ مَزَّقَ صَمْتُها لُبْنَانَا

وَخَبَتْ مع الأشلاءِ كُلُّ مهابةٍ ... للفجرِ داعَبَ نَفْحَها نَشْوانا

وبَدَت ليالي الأرْزِ رَجْعَ تَبَتُّلٍ ... يَنْثالُ مِنْ جَفْنِ الرَّدى أحزانا

واحسْرَتاهُ دَمٌ وجُرْحٌ نازِفٌ ... ورَدًى يُسَطِّرُ باللَّظى ذِكْرَانا

وأبٌ يُفَتِّشُ عَنْ وَجيبِ جَنانِهِ ... وأخٌ يُسَجِّي بالثَّرى إخْوَانا

طِفْلٌ يَمُدُّ يدًا وآخَرُ قَدْ قَضى ... والدَّمْعُ يُضْرِمُ في الحَشَا نيرانا

وَلِحُرْقَةِ الآهاتِ في صَمْتِ الدُّجَى ... ألَمٌ يَخُطُّ على الثَّرى أشْجَانا

وَيَصُوغُ باسْمِ الليلِ باسمٍ وُرَيْدَةٍ ... تَذْوي وباسْمِ فَجيعةٍ تَغْشَانَا

في كُلِّ يومٍ للعُروبةِ مَأتَمُ ... واليَومَ مَأْتَمُ أُمَّتي في قانا

كُلُّ البلادِ غَدَتْ جَنُوبًا والجَنُو ... بُ غَدا لِصحوةِ أمتي عُنوانا

سَتَعُودُ يا لُبنانُ أعْذَبَ بَسْمَةٍ ... تُحيي على شَفَةِ الزَّمان زَمَانا

سَتَعُودُ يا لُبنانُ مَوْعِدَ فَرْحَةٍ ... في القَلْبِ تُبْحِرُ نَشْوَةً وحَنَانَا

سَتَعُودُ يا لُبنانُ شَوْقَ خَميلةٍ ... أرْختْ لِشَدْوِ طُيورِها أغْصَانا

سَتَعُودُ يا لُبنانُ مَهْدَ حضارةٍ ... مَدَّتْ شِراعَ خُلودِها أزمانا

سَتَعُودُ للأحلامِ وَحْيَ قصيدةٍ ... خضراء تملأُ دَرْبَنا رَيْحانا



قصة الجمهورية القائمة في شمال قبرص

تناول المؤلف، عبدالعزيز المهنا، خيوط قصة الأزمة القبرصية، وتطورها منذ بدء النزاع على شرعية انتماء الجزيرة.

يشتمل الكتاب على مقدمة وأربعة أبواب، جاء الباب الأول بعنوان: «العلاقات التركية اليونانية الحديثة»، وقد ناقش المؤلف في هذا الباب تركيا القديمة واليونان القديمة ليخلص إلى الممر الذي عبر منه البَلَدان إلى العصر الحاضر، وتطرق إلى المكاسب السياسية لكليهما، والمواقف السياسية للبلدين وانعكاساتها على الطائفتين التركية واليونانية في جزيرة قبرص.

وفي الباب الثاني ناقش العلاقات بين القبارصة الأتراك واليونانيين من خلال رصيد أيام السلم وسنوات الصراع، وتناول العوامل التي أسهمت في وضع بنية تحتية كفلت التنافر الطائفي.

وجاء الباب الثالث بعنوان: «شمال قبرص بعد الاستقلال المنفرد»، وعرض فيه المقومات السياسية والدينية والعوامل السكانية والجغرافية التي حدت بالأتراك لإعلان الاستقلال بما يقرب من ٣٠٪ من مساحة الجزيرة القبرصية، وقدم سردًا لعمق التناحر بين الطائفتين من خلال قصص رواها عسكريون.

وفي الباب الرابع ناقش المؤلف مستقبل الجزيرة والتعايش السلمي، وعرض ملخصًا لما يراه حلاً للأزمة المحتدمة، وهو: إيجاد بنية ثقافية وسياسية مستقلة لاتحاد فيدرالي، وإيجاد أرض لحكومة الاتحاد، وموارد، وثلاثة أحزاب تمثل الاتجاهات السياسية السائدة مع الاحتفاظ بفرع من كل حزب في أراضي الطائفتين لتحقيق مبدأ التوازن وتكافؤ الفرص، وحق التعبير، وتقرير المصير. ويضم الكتاب وثائق توضح تعامل العثمانيين مع سكان قبرص.

يقع الكتاب في ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر في الرياض ١٤١٩هـ.



نحو تفكير جديد في قضايا الفكر والثقافة والمجتمع

كتاب يتضمن مقالات مختارة، تناقش واقع الأمة العربية والإسلامية ومستقبلها. يقول المؤلف ياسر الفهد إنه يرمي إلى «التأثير الإيجابي في العقول، وتغيير طرائق التفكير القديمة التي لم توصل العرب إلا إلى الأوضاع التي يجدون أنفسهم فيها».

تتناول المقالات التي يضمها الكتاب، وعددها ٤٦ مقالة، موضوعات وقضايا مختلفة، غير أن هناك خيطًا يربطها، هو: الدعوة إلى تغيير الأفكار البالية، وترك ما اعتاده الناس من بناء آرائهم ووجهات نظرهم إزاء الأحداث والحياة بعامة، على أحكام مسبقة وغير مؤسسة.

ويرى المؤلف أن مواكبة العصر والمشاركة الإيجابية في تطوراته وتحولاته يتطلبان تبني أفكارٍ جديدة تلبي الحاجات الجديدة والمتجددة، وتلائمُ الواقع العالمي الذي نعيش في رحابه، مع ضرورة المحافظة على ثوابت الأمة وعقيدتها وأخلاقها، أي إيجاد موازنة دقيقة بين ما ينبغي التمسك به وما يجب تركه أو تجديده.

يقع الكتاب في ٢٠٨ صفحات من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار الحكمة في دمشق.



تراث الإسلام

رؤية بحثية ـ من المنظور الغربي ـ للجهد الحضاري الذي أسهم به الإسلام عبر تاريخه.

والكتاب في جزأين، وقد صدر في طبعته الثالثة عن سلسلة «عالم المعرفة». وقد قام بتصنيف الكتاب جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث، وترجمه إلى العربية د. محمد زهير السمهوري، ود. حسين مؤنس، و د. إحسان صدقي العمد، وراجعه د. فؤاد زكريا، وعلق عليه وحققه: د. شاكر مصطفى.

تنبع أهمية هذا الكتاب من «أن العلماء الذين قاموا على تأليفه يتمتعون بقدر وافر من التميز في مجالات بحثهم»، ولكن على الرغم مما قدموه من معلومات ثرية مشفوعة بالتحليل والتفسير للتفاعل العظيم بين العقيدة الإسلامية وأحداث التاريخ، فإنهم لم يستطيعوا إلا أن يصدروا، في رؤيتهم، عن أحكام تتفق مع منظورهم ونشأتهم في ظل حضارة مغايرة.

ويرى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الذي يصدر سلسلة عالم المعرفة، أن إعادة نشر هذا الكتاب من شأنه أن «يفتح الطريق أمام علمائنا ومتخصصينا، لكي يواجهوا مثل هذه الأفكار رأيًا برأي وحجة بحجة، واثقين من رؤيتنا الثقافية المتسامحة التي تؤمن بأنه لا يكفي أن نعرف الكثير عن أنفسنا، ولكن يجب، إلى جانب ذلك، أن نسعى لمعرفة ما يقوله الآخرون عنا، فبهذا وذاك معًا نستطيع أن نحدد مكاننا بين الآخرين، وأن نثبت أقدامنا على الخريطة الحضارية التي يعاد تشكيلها الآن».

يقع الكتاب في ٤٧٠ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر ضمن سلسلة عالم المعرفة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....

مسابقة مجلة الفيصل

١- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150 ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد ٢٥٨

ج١: من أقوال العلماء في عدد الرضعات الموجبة للتحريم (على سبيل الاختصار):

• قليل الرضاع وكثيره في التحريم سواء؛ لما رواه البخاري ومسلم عن عقبة بن الحارث قال: تزوجت أم يحيى بنت أبي أهاب، فجاءت أمة سوداء فقالت: قد أرضعتكما، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت له ذلك، فقال: «وكيف، وقد قيل؟.. دعها عنك». فترك الرسول صلى الله عليه وسلم السؤال عن عدد الرضعات، وأمره بتركها دليل على أنه لا اعتبار إلا بالإرضاع، فحيث وجد اسمه وجد حكمه.

وهو مذهب علي وابن عباس وابن المسيب والحسن البصري والزهري وقتادة وحماد والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة ومالك، ورواية عن أحمد.

• التحريم لا يثبت بأقل من خمس رضعات متفرقات؛ لما رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فيما نزل من القرآن: «عشر رضعات معلومات يحرمن»، ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهن فيما يُقرأ من القرآن. (وهذه المسألة فيها تفصيل كبير، فليراجعها من أراد).

• التحريم يثبت بثلاث رضعات فأكثر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تُحَرِّم المصة ولا المصتان». وهذا صريح في نفي التحريم بما دون الثلاث، فيكون التحريم منحصرًا فيما زاد عليهما. وإلى هذا ذهب أبو عبيد وأبو ثور وداود الظاهري وابن المنذر، ورواية عن أحمد.

ج٢: أنجبت قرطبة عددًا كبيرًا من العلماء الأفذاذ في كل علم وفن، ومن المحال أن نذكرهم جميعًا، ولاسيما المشهورين منهم. لكن نذكر بعضهم على سبيل التمثيل ليس غير:

- عبدالله بن الحسن بن أحمد الأنصاري القرطبي (٥٥٦-٦١١هـ): من حفاظ الحديث، ومن الكتاب اللغويين الشعراء.
- يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ): المؤرخ الأديب، من كبار حفاظ الحديث.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، أبو عبدالله القرطبي (ت٦٧١هـ): المفسر المشهور.
- محمد بن أحمد بن رشد، أبو الوليد [الجد] (٤٥٠-٥٢٠هـ): قاضي الجماعة بقرطبة.
- محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، أبو الوليد [الحفيد] (٥٢٠-٥٩٥هـ): الفيلسوف الطبيب الفلكي.
- عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم (ت٤٠٠هـ): أديبة شاعرة خطاطة كاتبة للمصاحف. قيل: لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من تعادلها فهمًا وعلمًا وأدبًا وفصاحة.

نتائج مسابقة العدد ٢٥٨

أ- فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، محمد محمد البنداري، بورسعيد، مصر.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، عبير محمد شتير، طرطوس، سورية.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، لعساكر إبراهيم محمد، روي، سلطنة عُمان.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- علي بن محمد بن عبدالله الحجيلان، القصيم، المملكة العربية السعودية.
٢- عبدالكريم محمد عبدالله الوظاف، صنعاء، اليمن.
٣- فوزية أحمد مزالي، سوسة، تونس.
٤- أمل حامد سالم، عمَّان، الأردن.
٥- محمد عبدالحميد خميس سليم، حلفا الجديدة، السودان.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة (١٢ عددًا)، كل من:

١- إبراهيم بن أحمد بو عدي، تزنيت، المغرب.
٢- فريد الأخضر حمينة، المسيلة، الجزائر.
٣- محمد زورز، رحيبة، سورية.
٤- حمدة حسن، المحرق، البحرين.
٥- محمد حسين سليمان، مصراته، ليبيا.
٦- هند بنت محمد بن عبدالعزيز الورثان، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٧- محمد عبدالكريم دهسي، القصر الكبير، المغرب.
٨- علاء الدين علي بصل، دمياط، مصر.
٩- عبدالعزيز محمود محمد سلمان، عمَّان، الأردن.
١٠- حسني بن سعيد إشبينو، الزهراء، تونس.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- أحمد سلمان عبدالله بن عميرة، الدوادمي، المملكة العربية السعودية.
٢- الشيخ باي بن المجتبي، نواكشوط، موريتانيا.
٣- عبدالرحمن مروان موسى، أم القيوين، الإمارات العربية المتحدة.
٤- مريم سيد علي، المسيلة، الجزائر.
٥- مريم أحمد مؤمن، الخرطوم، السودان.

أسئلة مسابقة العدد ٢٦١

(سؤالان فقط)

س١: قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنوا أن تُصيبوا قومًا بجهالة فتُصبحوا على ما فعلتم نادمينَ. الحجرات:٦. اذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة.

س٢: «أوليفر تويست»: واحدة من الروايات الشهيرة في القرن التاسع عشر. من مؤلفها: فيكتور هوجو، أم تشارلز ديكنز، أم مارك توين؟

قسيمة مسابقة مجلة
الفيصل
العدد ٢٦١
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال:

لا تَقْعَنَّ الْبَحْرَ إلاّ سَابِحًا

أي لا تباشر أمرًا إلا وأنت مستعد له.

ذلك أن المرء إذا وقع في البحر أو نزل فيه كان بين أمرين: إما أنه يجيد السباحة فيسبح وينجو من الغرق في ذلك البحر المتلاطمة أمواجه، وإما أنه لا يجيد السباحة فيغرق.

وكذا كل من يزاول ما لا يحسنه ولا يؤهل نفسه له، يناله ضرره ويتعرض لأذاه.

أدب الجار والغلام

ذهب الحسن بن عيسى النيسابوري يومًا إلى عبدالله بن المبارك وقال له:

ـ جاءني جاري وشكا غلامنا أنه أتى إليه أمرًا غير مقبول، ولما سألت الغلام أنكر ذلك. وإني أكره أن أضربه فلعله بريء. وأكره كذلك أن أدعه فيغضب مني جاري. فماذا أفعل؟

فقال له ابن المبارك:

ـ لعل غلامك أحدث أمرًا كرهه الجار ويستوجب الأدب من أجله. فراقبه؛ فإذا فعل شيئًا وشكاه جارك فعليك أن تؤدبه. وبذلك تكون قد أرضيت جارك وأدبت غلامك على فعله!

ناس أدبتهم الحكمة

وصف أعرابي قومًا فقال:

أولئك قوم أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم فقالت ألسنتهم بالوعد، وانبسطت أيديهم بالإنجاز؛ فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال.

العقل والعلم

قيل لسهل بن هارون يومًا: صف لنا علاقة العقل بالعلم ومرد ذلك عند الناس.

فقال: إن العقل هو رائد الروح، والعلم هو رائد العقل، والبيان عند الإنسان هو ترجمان العلم!!

أدب

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمستمعيه يومًا:

الأدب كنز عند الحاجة، وعون على المروءة، وصاحب في المجلس، وأنيس في الوحدة، تعمر به القلوب الواهية، وتحيا به الألباب الميتة، وينال به الطالبون ما حاولوا.

رجل لا قيمة له!

قال الحسن رضي الله عنه يومًا: الناس ثلاثة: رجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل!

فأما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة.

أما الرجل الذي هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور.

وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي ولا يشاور، وهو كعدمه ولا قيمة له.

الدنيا تفنى والآخرة تبقى

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه يومًا: أيها الناس! إن الله عز وجل قد أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكم إياها لتركنوا إليها. إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تُبطرنَّكم الفانية ولا تشغلنَّكم عن الباقية، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله. فاتقوا الله عز وجل، فإن تقواه جُنَّة.

الرشيد والأصمعي

يروى أن الأصمعي دخل يومًا على هارون الرشيد بعد غيبة طويلة فقال له الرشيد: يا أصمعي كيف كنت بعدي؟

قال: ما لا قتني بعدك أرض!

فتبسم الرشيد. ولما خرج الناس قال للأصمعي: ما معنى قولك: ما لاقتني أرض؟

قال: أي ما استقرت بي الأرض.

فقال الرشيد: هذا حسن، ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين الناس إلا بما أفهمه، فإذا خلوت بي فعلِّمني فإنه يقبح بالسلطان ألا يكون عالمًا!

خصم سوء

بينما كان عبدالله بن جعفر راكبًا تعرَّض له أعرابي وأمسك بعنان فرسه وقال: أيها الأمير سألتك بالله أن تضرب عنقي!

فعجب عبدالله وقال له: أمعتوه أنت؟

فقال الأعرابي: لا ورب الكعبة! ولكن لي خصم سوء لا قبل لي بمواجهته ولا عندي طاقة لأصمد أمامه!

فقال عبدالله: ومن خصمك هذا؟

فقال الأعرابي: الفقر!

فالتفت عبدالله إلى غلامه وقال له: ادفع إليه ألف دينار. ثم التفت إلى الأعرابي وقال له: خذها ونحن مسؤولون، وإذا عاد إليك فإنَّا منصفوك منه!

فقال الأعرابي: أطال المولى بقاءك، أما أنا فإن معي من جودك ما أدحض به حجة خصمي بقية عمري.

وظيفة أفضل!

كان المخترع توماس إديسون لا يشرب الخمر. وعندما سأله بعضهم من باب المداعبة: ألم تجربها ولو مرة واحدة؟ أجاب قائلاً:

ـ لا! فأنا أعرف تمامًا أن الخمر وسيلة للتهرب من مسؤوليات الحياة وأثقالها، إنها توفر للمرء بعض رغباته غير الواقعية فيبدو قويًا وهو

استراحة العدد

الضعيف، وشجاعًا وهو المرتعب، ولديَّ في هذا المجال قصة باسمة: يروى أن فأرة وجدت برميلاً في قبو يقطر خمرًا فتناولت بلغة منه وأخذت تجس عضلاتها وتقول: والآن فلتأت الهرة!

إن البشر الذين هم من صنف الفئران يشعرون تحت تأثير الخمر بأنهم قادرون على مواجهة صعاب الوجود الإنساني! وإني ممسك كليًا عن تناولها. أتدرون لماذا يا سادة؟ لأن الخمر حرمتها كل الأديان، ولأن لرأسي وظيفة أخرى أفضل!

هكذا كانوا

يروى أن سلطان دمشق «طغتكين بن عبدالله» طلب أن يتخيَّر له العلماء محتسبًا، فذكروا له رجلاً من ذوي الفضل والعلم والأدب، وقالوا له: إن هذا سيكون أفضل من يشغل هذه الوظيفة. فأمر بإحضاره لمناقشته والاطمئنان إليه. فلما أحضروه قال له السلطان:

- إني وليتك أمر الحسبة على الناس، فعليك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقال الرجل: حسنًا أيها السلطان الكريم! إذا كان الأمر كذلك فقم عن هذه المرتبة التي تجلس عليها وارفع هذا المسند فإنهما من حرير، واخلع هذا الخاتم فإنه ليس ذهبًا فقط وإنما هو مرصع بجوهرة ثمينة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهب والحرير: «إن هذين حرام على ذكور أمتي حِلٌ لإناثها». ومن هنا وجب عليك أن تكون قدوة للشعب الذي تحكمه، والقدوة لا يكون أول المخالفين.

قال الرواة: فنهض السلطان عن مرتبته وأمر برفع المسند الذي كان متكئا عليه، وخلع الخاتم من أصبعه وقال للرجل:

- حسنًا أيها الرجل الصالح، وقد ضممت إليك النظر في أمور الشرطة أيضًا فهم أولى بالمراقبة والقدوة الحسنة.

وبالفعل شهدت الرعية بأن المحتسب الجديد كان من أفضل المحتسبين قولاً وفعلاً وأطهرهم يدًا وقلبًا.



«حصان يتدرب عند البحر» للرسام البريطاني تيرنس جيلبرت

الأمر بالمعروف

قال الحسن البصري - يرحمه الله - لمطرف بن عبدالله بن الشخير:

- عظ أصحابك بما تفعل.

فقال مطرف:

- إني أخاف أن أقول ما لا أفعل!

فقال الحسن:

- يرحمك الله! وأينا يفعل ما يقول؟ يود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر!!

فإياك أن تكون مقلدًا للشيطان فتصبح واحدًا من إخوانه وأنت لا تدري!!

رمقته



يقصد الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصيدة

نفثات وجدانية

شعر:

مظهر عبدالرحمن الويس

دير الزور، سورية.

كَسَّرتُ أقلامي سفحت دواتي ... وطويت أوراقي على مأساتي

وتركت أقلام النفاق لأنها ... بئس المعين لأحلك الأزماتِ

لو كنت مَيْتًا لاستراحت مهجتي ... ولكنت في صمت مع الأمواتِ

فالقلب مطعون بأرماح الأسى ... والعين تذرف أحرق الدمعات

فَقَنَتُّ في وحي القريض كأنني ... ذاك الذي قد كان في صلوات

هو جنتي وعقيدتي هو مذهبي ... وبه أبث مسرتي وشكاتي

فالشعر إكسير الحياة وتاجها ... بالشعر من هذا الزمان نجاتي

كم مرةٍ ذقت الصبابة والهوى ... كان الدواء وكان خير أساتي

ما قلتُ هذا كي يقولوا شاعر ... لكنَّ شعري صادق الكلمات

تالله إني بالقريض متيم ... ملأ القريض عليّ كل حياتي

التعليق: هذه أبيات جيدة الصياغة سليمة الموسيقى، من البحر الكامل، يمجّد قائلها الشعر الذي يجد فيه راحة نفسه حين تشتدّ عليه الأزمات، وقد بنى أبياته على هذا المعنى. ومثل هذا الاعتقاد في الشعر إذا ارتكز إلى ملكة تعهّدها صاحبها بالصقل فإنه يبشّر بميلاد شاعر إذا قال شعراً أحسن وأمتع؛ ألم يقل الشاعر:

والشعر من نَفَس الرحمن مُقْتَبَسٌ
والشّاعر الفَذُّ بين الناس رحمانُ

استهلّ الأخ مظهر أبياته بنفثة أحسن اختيار مفرداتها، فاستعمال الفعل المضعّف «كسَّرت» يدلّ على شدة الكسر وتكراره. أما الفعل «سفح» فإن فيه معنى قويًا ليس في صَبَّ أو أراق أو سكب ومرادفاتها. ثم كانت الخاتمة بطيّ الأوراق دليلاً على ذروة اليأس. وجاء المطلع موفّقًا. ثم مضى بعد ذلك يبيّن أسباب هذا القنوط الذي ألجأه إلى محراب الشّعر. فالأبيات عمومًا جيدة ويرجى من قائلها الكثير.

وإن كانت لنا ملاحظة على الأبيات - سوى قصَر النَّفَس - فهي على البيت الخامس؛ فقوله: «ذاك الّذي قد كان في صلوات» فيه ضعف في أسلوب التعبير، ولو تَأنّى الأخ مظهر لتأتّتْ له صياغة أفضل من هذا «العجْز»، فلعله أراد «ناسكًا أو عابدًا خاشعًا في صلواته» ولكنه وصل إلى مراده من طريق بعيد.

كذلك أرى أن عجز البيت التاسع لا يناسب صدره، فأخونا مظهر لا يقول الشعر كي يقال عنه شاعر. لكنه لَمْ يُرِنَا لِمَ يقول الشعر؟ فوصف شعره بأنه صادق الكلمات ليس هو التعليل المنتظر!

ولعله يوافقني أن «إكسير الحياة وتاجها» فيهما تباعد، وأنّ العقيدة والمذهب يَحْسُنَان في غير هذا الموضع، مع علمنا بأن المراد هنا التَّوسُّع والمجاز والاستعارة. نرجو له دوام التقدّم.

د. إبراهيم القرشي عثمان

الأخ صالح مصطفى أحمد، عمادة شؤون الطلاب، جامعة الملك سعود، الرياض:

قصتك «جزاء المعروف» فيها كثير من المباشرة التي تغضّ من القيمة الفنية للقصة القصيرة. وأوّل ملامح هذه المباشرة يبدو في أوّل قصتك: «جلس (بطل قصتي)..». فلست بحاجة إلى القول: بطل قصتي لأنّ الأمر واضح؛ فأنت تستخدم ضمير الغائب ليدلّ عليه، وتجعل من نفسك عالمًا بكل ما يختلج في صدره. وتُكرّر استخدام هذه المباشرة في قولك: «.. وحيث أن بطل قصتي نذر نفسه ليكون طبيبًا نفسانيًا....». هذه المباشرة والمعلومات التي تنقلها عن بطل قصتك كان يمكن أن تُوَظَّف توظيفًا فنيًا استعاريًا رمزيًا يتفق مع البنية الفنية للقصة القصيرة. أرجو أن تعيد النظر في البناء الدرامي لقصتك ليصبح أكثر إحكامًا وبعدًا من المباشرة التي تقتل ما نسميه بـ«العقد الدرامي»، كما أرجو الانتباه إلى بعض أخطاء الاستعمال اللغوي. فقولك: «لم يفاجأ الطبيب للمسألة فهو كطبيب نفساني...» فيه اختيار لحرف جر غير مناسب، والصواب «لم يفاجأ الطبيب بالمسألة». وقولك: «فهو كطبيب نفساني» أسلوب غير عربي دخَل إلى تعبيرنا المعاصر من آثار الترجمة. والعرب تستخدم هنا واو الحال فتقول: «لم يفاجأ الطبيب بالمسألة وهو الطبيب النفساني الذي يستطيع...»؛ ناهيك عن استخدام «حيث» في غير ما وُضعت له. وهمزة فعل «يكافئه» تُكتب على نبرة وليس على ألف لأنها همزة متوسطة. وأنت تضع همزات قطع في كثير من الأماكن التي لا تحتاج إلى ذلك. فالانتقام والانتظار والانسجام وغيرها كثير همزاتها همزات وصل. وأجد في بعض عباراتك تناقضًا سببه سوء التركيب؛ مثل قولك: «فيمم وجهه شطر مكتب المدير ممتطيا صهوة الغضب واستطاع أن يستدر عطف المدير...» فمن يمتطي صهوة الغضب لا يستدر العطف.

نرجو لك التوفيق في محاولات قادمة.

الأخ علاء الدين محمد علي آل رشي، دمشق، سورية:

أسلوبك جيد، ولغتك غنية ومتينة. ولكنّ اللهجة الوعظية التي تسيطر على ما كتبت جعلت النص خاطرة إصلاحية ليس لها سمة من سمات القصة القصيرة.

إن اللهجة الوعظية الممزوجة بكثير من الخطابية والحماسة والغيرة المشكورتين صرفتك عن مراقبة نصك فتسرب إليه بعض الخطأ اللغوي والأسلوبي.

فنجدك تقول: «ففتت في عضدهم» والصواب «ففتّ في عضدهم»، وتقول: «وقد رزحت إبلهم بلا رجعة أو أوبة» ولا أستسيغ هذا التعبير الذي يخرج عن سنن العربية في هذا المقام. ثم تقول: «وتتوق نفسك للتحوير» وكلمة «التحوير» أراها غير مناسبة هنا.

إنّ الشعور الديني الصادق والرغبة في الإصلاح والإرادة التي تبدو من خلال نصك تحتاج إلى إتقان أكثر وأسلوب أمتن، ونرجو أن نجد ذلك في إنتاجك في المستقبل.

نرجو أن تكثر من القراءة، وأن تتمهل في إرسال ما تكتبه للنشر حتى يشتد عودك ويستقيم أسلوبك، والله ولي التوفيق.

الأخ خيري محمد إبراهيم أبو الروس، كفر الجرايدة، بيلا، كفر الشيخ، مصر:

مقالاتك فيها خلط بين خطبة الجمعة الوعظية والمقالة الفنية. عاطفتك جميلة، لكنها تحتاج إلى أداة فنية للتعبير عنها، وسوف تكتسبها بالممارسة والاستمرارية إن شاء الله.

رُدُودٌ خَاصَّةٌ

الأخ وسام أبو صيام، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم، السودان:

تنأى المجلة عن الخوض فيما يفرق المسلمين، وتسعى دائمًا لأن تكون منبرًا للحوار البنّاء في القضايا الثقافية والفكرية التي تؤثر في حاضر الأمة ومستقبلها، ونأمل أن يحقق الله آمال المسلمين في توحيد كلمتهم وجمع شملهم على الخير دائما.

الأخت أنيسة بلحاج، تيبازة، الجزائر:

يبدو أنك أخطأت العنوان، فالمجلة ليس بها باب للعيادة النفسية كما تقولين. والمشكلة التي تتحدثين عنها هي مشكلة نفسية لا تُحَلّ من خلال المراسلة، أو على صفحات المجلة، وإنما تستدعي متابعة طبية دقيقة. أما أن يكون ختام خطابك «المخلصة لدينها...» ثم نراك تتحدثين عن فكرة الانتحار، ففي هذا تناقض واضح، لأن المسلم الحق لا يفكر مجرد تفكير فيما يدخله زمرة الكفار، والعياذ بالله. فنأمل أن تكون ثقتك بالله كبيرة دائمًا، فمن يتوكل عليه سبحانه وتعالى، فهو حسبه. ودعواتنا لك بالشفاء إن شاء الله.

الأخت عائشة بكور، المغرب:

حُوّل خطابك إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، لعلك تجدين فيه ماترغبين من مراجع لموضوع بحثك للماجستير، كما يمكنك الاتصال المباشر بالمركز هاتفيًا أو بريديًا للاستفسار عما تريدين، حتى يمكنك تلقي الرد الواضح الذي يغنيك عن الانتظار. أما عنوان المركز فهو: ص ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣، هاتف ٤٦٥٢٢٥٥، فاكس ٤٦٥٩٩٩٣.

الإخوة محمد نظير بن حميد، إبراهيم بن حاج عبدالرحمن، محمد صقري بن وهب، خير النظام بن نوبخت، محمد مجاهد بن ميسران، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر الشريف بالمنوفية، مصر:

نشكر لكم ثقتكم بالمجلة، ونأسف لعدم القدرة على تلبية ما جاء من طلبات في خطاباتكم، لأن دار الفيصل الثقافية هي دار للنشر حسب، ولا علاقة لها بالمنح، وهناك جهات كثيرة في أنحاء المملكة العربية السعودية تتولى مثل هذه الأمور، لأنها تدخل في صميم أهدافها، وقد سبق نشر عناوين بعضها، ومنها مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

الأخ كريم جبر حسن، قم، إيران:

ترحب المجلة بكل ما يأتيها من مشاركات من الإخوة القراء في جميع أنحاء العالم، ولديها معايير للحكم على المقالات لاختيار ما يُنشر منها. لذا، فإن المجلة ترحب بمقالاتكم وبمقالات الإخوة القراء في كل مكان، آملين أن تجد طريقها للنشر وفق الضوابط الموضوعة.

الإخوة عبدالمنعم مجاهد عبدالوهاب، الدقهلية، مصر، د. جمال سيد، الجيزة، مصر، د. طارق مردود، الرقة، سورية:

نعتذر لكم من تأخر نشر مقالاتكم، نظرًا لوجود مقالات في الموضوعات نفسها قد نُشرت في القريب أو أدرجت في خطة النشر. وسوف تجد المقالات المجازة جميعها فرصة النشر وفقًا للضوابط المعمول بها في المجلة. ونود أن يثق جميع الإخوة الكتاب بأن مقالاتهم تجد الاهتمام من غير النظر إلى الأسماء والألقاب، وإنما طبقًا لمعايير موضوعية بحت، ولا يتأخر نشر بعض الموضوعات إلا لكثرة ما يرد إلى المجلة من مقالات، وهذا مانعتز به كثيرًا، ونجد فيه تجاوبًا كبيرًا مع المجلة، فمعذرة لكل من تأخر نشر مقالته بعد إجازتها، وسوف يجدها منشورة إن شاء الله في أحد أعداد المجلة، ونأمل أن يكون ذلك في القريب.

الأخ محمد قدي محمد، الجزائر:

دار الفيصل الثقافية تصدر عنها مجلة «الفيصل»، أما عنوان مجلة البحوث الإسلامية فستجده منشورًا في زاوية «عناوين».

الأخ المصطفى العبلاوي، خريبكة، المغرب:

قصتك «الليلة المؤرقة» المرسلة لباب «تباشير»، وغيرها من أعمال المواهب الشابة التي تُرسل لهذا الباب تجد اهتمامًا كبيرًا من المجلة، ويقوم على تقويمها نخبة من الأساتذة المتخصصين. وقد كثرت في الآونة الأخيرة الأعمال المرسلة لهذا الباب بشكل واضح، مما جعلنا نتيح حيزًا كبيرًا لزاوية «متابعات» لكي يجد من لا يحظى عمله بالنشر جوابًا شافيًا، وقد تتم زيادة المساحة المخصصة لهذا الباب مستقبلاً بعد دراسة وافية. لذا، نطمئن جميع الإخوة بأن أعمالهم محل اهتمام، وسوف تحظى الأعمال المجازة بالنشر حسب خطة النشر الموضوعة وفقًا لمعايير محددة.

الأخ الشريف كوزي، تطوان، المغرب:

الاهتمام بالرد على القراء وإجابة الطلبات التي تدخل في نطاق قدرة المجلة واجب تؤديه المجلة نحو قرائها، وما جاء في خطابك من شكر نعتز به، ونأمل أن تكون المجلة دومًا عند حسن ظن قرائها.

بين القارئ والقارئ

لديّ أعداد زائدة من مجلة الفيصل يبلغ عددها ٣١ عدداً، ويرجع تاريخها إلى الأعوام ١٩٩٥م، ١٩٩٦م، ١٩٩٧م، وبعضها يرجع إلى العام ١٩٨٨م. فمن يرغب فيها، عليه مكاتبتي للاتفاق على الطريقة الملائمة لذلك.

سمير عبدالعزيز محمد علي حميدة
ص.ب: ١٣ سنار المدينة، السودان.

أرغب في الحصول على نسخة من كتاب «يوميات رحلة إلى الحجاز»، الذي ترجمه الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم نظراً لما يمثله من أهمية.

البشير العيساوي
٤٧ نهج ٢٠٤٠٢٠، ١٠٠٧ تونس.

أرغب من الإخوة قراء «الفيصل» مساعدتي في الحصول على كتب ودراسات تتناول الأدب الإسلامي، وكذلك أشرطة سمعية وبصرية وبعض محاضرات أو ندوات للأديب الإسلامي الراحل د. نجيب الكيلاني يرحمه الله.

حسن الهينمي
حي الغمادين، زنقة ٢٤ رقم ١٢
سيدي سليمان، المغرب.

أرغب في الحصول على كتب ومطبوعات في مجال الصحافة والإعلام والتصوير الفوتوغرافي والصحفي، وبعض المجلات الصادرة في الخليج العربي. ومستعدة للتعاون في المجال نفسه.

فاطمة داودي بنت العياشي
سيدي بوجيدة ١، ص ب٤٦٣٥
فاس، المغرب.

ملحوظة:

تسعى هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الإخوة القراء من مدينة حلب الذين طلبوا عنوان المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو):

الرباط، المغرب
ص.ب ٢٢٧٥ الرمز البريدي ١٠١٠٤
حي الرياض، شارع الستين،
هاتف ٧٧٢٣٣، ٦٧٢٢٩٠
فاكس ٧٧٢٠٥٨، ٧٧٧٤٥٩

الأخت آمنة بنت وهب، أغادير، المغرب:

عنوان جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي:
ص.ب ٤٦٦٣ دبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف ٦٦٥٩٦٢ فاكس ٦٦٢٠٧١

عنوان جمعية الإصلاح الاجتماعي:
ص.ب ٤٨٥٠، الصفاة ١٣٠٤٩ الكويت
هاتف ٢٥٦٠٥٢٥، ٢٥٦٠٥٢٦
فاكس ٢٥٦٠٥٢٤، ٢٥٢١٨٢٦

عنوان جمعية الإصلاح الاجتماعي:
صنعاء، اليمن
ص.ب ١١١٦٥
هاتف ٢٣٠٠٩٠، فاكس ٢١٤٠٢٤

عنوان جمعية الاجتماعيين:
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ٣٧٤٥
هاتف ٥٤٨١٦١، فاكس ٥٢٢٢٦٧

وهي تصدر مجلة فصلية من عام ١٩٨٤م باسم: شؤون اجتماعية.

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات الحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

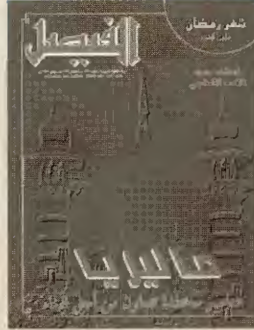
يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

من وحي إطلالة:

نعم.. الإنسان غاية التنمية



أصبحت أنتظر، ببالغ الشغف والاهتمام، مقالات الدكتور زيد الحسين الجامعة، يشاركني في ذلك طلابي بجامعة الاسكندرية، الذين لا يحرصون على قراءة هذه المقالات القيمة فقط، وإنما يقومون بدراستها دراسة متأنية فاحصة مدققة، وذلك لما تحمله من آراء سديدة وحقائق علمية واقعية، ولصدق كاتبها، وواسع خبرته. ولا شك أن ما خرج من القلب يحل في القلب. فالمقالات تنبض بحرارة كاتبها وحماسته الإسلامية والعربية والوطنية، وصدقه العلمي، وغيرته الشديدة على معالجة موضوعات الساعة ومشكلات المجتمع الراهنة. وتمتاز هذه المقالات بالعمق والتنوع والشمول، وخاصة مقاله الموسوعي الذي نحن بصدد الحديث عنه: «نعم.. الإنسان غاية التنمية» المنشور في العدد ٢٥٥.

فإلى جانب العمق والشمول والتنوع، تمتاز هذه السلسلة الرائدة من المقالات بالتشويق والأسلوب البليغ الجزل، وصدق التعبير، وجمال العبارة، بحيث نطالع فيها مزيجًا من المادة العلمية مذابة في كأس من الأدب والبلاغة معًا، فضلاً عن اتسام هذه المقالات بما يمكن أن يقال: إنه السهل الممتنع، الذي تبدو فيه مهارة الكاتب وخبرته التربوية الواسعة وحذقه وامتلاكه فن الكتابة العلمية والأدبية في آن واحد.

لقد طالعت مسرورًا مقال «نعم.. الإنسان غاية التنمية»، بكثير من الشغف والاهتمام والحماسة، وأثارني وحفزني إلى الكتابة معلقًا إذا جاز لي ذلك. فلقد أثار فيَّ الشجون والتعاطف مع كل فكرة وردت في المقال القيّم الهادف البنّاء، وخاصة أنه قابل للتطبيق، ولوضعه موضع النفاذ المعجل، إسهامًا عظيمًا من كاتبه في حركة التنمية المباركة التي تشهدها أقطارنا العربية الناهضة، وحركة التطوير والتقدم والرقي والازدهار المنشود. والأستاذ الدكتور زيد، حفظه الله وحمى قلمه السيال، يوجه النظر لما قد يوجد بيننا من سلوكيات سالبة، ويتناولها بالتحليل الدقيق والمتابعة لتعرف عواقبها الوخيمة، ويضرب لذلك مثالاً واحدًا هو العبث في السلوك المروري، ويوضح، بكل جلاء، مبلغ ما يصيب المجتمع في أرواح أبنائه وممتلكاتهم وصحتهم وأموالهم من الخسائر الفادحة والهدر الهائل، من جراء الاستهتار في سلوك قيادة المركبات، وما يخلفه من الإصابات المستديمة والعاهات التي لا تبرأ، وحالات الوفاة، أو البتر وما يتخلف عنها من العجز الكلي أو الجزئي، ومن ثم قعود المواطن عن مواصلة رحلة العمل والإنتاج والعطاء، بل يصبح عالة على ذويه، فضلاً عمّا يتكبده المجتمع من خسائر في التعويضات المستحقة عن هذه الحوادث ونفقات العلاج وما إلى ذلك.

ومما هو أشد أثرًا تلك المآسي الإنسانية التي تتركها هذه الحوادث من ترمل النساء، ويُتم الأطفال، وانهيار الأسرة، بعد فقدان عائلها، وما يخلفه من الأمهات الثكالى، وهي خسائر من النوع الذي لا يعالج. وإسلامنا الحنيف يحافظ على كرامة الإنسان وعلى حياته: ﴿ولا تُلقوا بأيديكم إلى التَّهلُكة﴾ البقرة:١٩٥. ومن حسن الطالع أن هذا المقال القيّم قد ذكرني بدراسة ميدانية واقعية سبق لي القيام بها حول حوادث المرور وأسبابها وخسائرها وسبل تحاشيها، أجريتها في السعودية الشقيقة إبان إعارتي للعمل في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ وكشفت هذه الدراسة عن تعدد أسباب وقوع الحوادث وتنوعها، ولكن كان أبرزها الخطأ الإنساني المتمثل في إهمال قادة السيارات قواعد المرور وآدابه، وإهمال القانون الذي يحكم حركة السير، وعدم إتقان مهارات القيادة بشكل كاف، وانعدام الوعي المروري، وقلة الخبرة المرورية والمعرفة المرورية، وتولّي الصبية وصغار الشباب قيادة السيارات، والعبث بها.

وكانت هناك أسباب أخرى أظهرتها الدراسة منها عدم كفاءة إضاءة السيارات أو إضاءة الطرقات، أو استخدام الضوء الباهر الزائد على الحد، وعدم وضع إشارات مرورية كافية، وعدم سلامة الطرق في بعض الحالات، وتجول الماشية، وخاصة الإبل، في الطرقات، وعدم سلامة السيارة، ووجود منحنيات فجائية في الطرق، وما إلى ذلك. وتركزت اقتراحات الوقاية والعلاج في التخلص من هذه الأسباب.

ومما يثير الإعجاب والتقدير بالمقال وصاحبه أنه يربط في براعة ومهارة بين حركة التنمية المباركة وهذه الحوادث، وتلك السلوكيات التي تمتص عائدات التنمية، وتهدرها، وتجهضها. وإذا كانت التنمية حركة بناء وتقدم ونماء وازدهار ورقي، فإن حوادث المرور تعد معولَ هدمٍ لهذا النشاط التنموي المنشود. وليست حوادث المرور التي استشهد بها كاتب المقال وحللها تحليلاً علميًا واقعيًا دقيقًا، ليست وحدها، ولكن هناك، سلوكيات أخرى سالبة تعمل عمل السوس في نخر العظام، وتنال من عضد المجتمع، ومن قوته ومنعته وثروته وأرواح أبنائه، وتصرفهم عن ملاحم البذل والعطاء والعمل والإنتاج والإبداع الخلاق، ويشمل ذلك المخاطر التي يتعرض لها الإنسان كافة، كحوادث العمل وإصاباته، ومن ذلك مواكب الأفراح بالسيارات التي تجوب شوارع المدينة محدثة ضوضاء لا تحتمل، وفوضى مرورية بالغة، مما يؤدي إلى زيادة التلوث الضوضائي، وإصابة الناس بالصمم أو بضعف السمع على الأقل. ومن ذلك أيضًا الإهمال الذي يؤدي إلى نشوب الحرائق، وكذلك تجريف التربة الزراعية والإسراف الزائد في استهلاك المياه. ومن تلك الأخطار الجسيمة التي يتعرض لها الإنسان وتحيله إلى حطام وركام، إدمان شرب الخمور أو تعاطي المخدرات، وحتى التدخين الزائد على الحد، والإفراط في تناول الطعام، مما يؤدي إلى الإصابة بالسمنة وما ينجم عنها من أمراض في الدورة الدموية أو أمراض القلب وتصلب الشرايين.

ويثير المقال أكثر من قضية حيوية، منها قضية ضرورة المحافظة على الإنسان العربي؛ لا من حوادث

المرور فقط، وإنما من المخاطر التي قد يتعرض لها كافة، والتي تبدد طاقته وتهدرها، كالأمراض والأوبئة والإدمان والتطرف والعنف والجريمة والجنوح والبطالة، وبعض السلوكيات الإدارية السالبة كتعاطي الرشوة والمحسوبية والاختلاس والربح الحرام والوساطة والإهمال والمحاباة وما إلى ذلك.

ومن القضايا الحيوية التي يفجرها المقال قضية وجود هوة أو فجوة واسعة بين التقدم العلمي والتقني، من جهة، والقيم الروحية والأخلاقية والإنسانية، من جهة أخرى. ففي الوقت الذي ظهرت فيه السيارة والطائرة والمذياع والتلفاز والفيديو، لم يظهر ما يواكبها من القيم والمثل والمبادئ والأخلاقيات التي تحكم استعمالها وترشّد هذا الاستعمال وتحيطه بالقيم الأخلاقية والإنسانية. ومن ذلك أنه عندما تم التمكن من شطر الذرة وتوليد طاقات هائلة عن ذلك، كان يتعين أن يواكب ذلك ظهور نسق قيمي أخلاقي يحكم استخدام الذرة، ويقصره على الأغراض السلمية فقط، كالعلاج وتوليد الطاقة، بدلاً من استخدامها في الهلاك وتدمير حضارة الإنسان، أو استخدامها في التهديد والوعد والوعيد وإثارة قلق الإنسان وفزعه. وكذلك منجزات العصر التقنية كافة في حاجة إلى وضع نسق يحكم استعمالها؛ فلقد أدى التخلف الثقافي أو الجانب المعنوي من الثقافة إلى أن يصبح الإنسان هو الذي يقتل نفسه من خلال الحوادث أو الإدمان أو الإهمال أو الإسراف أو الحروب والصراع المسلح. لقد أدى انعدام الوعي البيئي إلى أن يصبح الإنسان عدو البيئة الوحيد، فأصابها بالتلوث والتدمير والتحطيم والإساءة؛ مما يتطلب معه عقد «مصالحة» بين الإنسان والبيئة التي هي في الأصل «الرحم» التي يتربى فيها، أو «الحضانة» التي ينشأ فيها، فلا يعقل أن يدمر مصادر رزقه وأكله وشرابه وهوائه، وأن يصيب نفسه بالصمم وبالأمراض الصدرية وبالفشل الكلوي وبأمراض الكبد وبالأمراض الجلدية من جراء إفساد البيئة التي يعيش فيها.

والمقال دعوة تربوية هادفة، ورسالة إصلاح وترشيد، يبرز دور الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام. إضافة إلى رجال الوعظ والإرشاد والقادة ورجال الإدارة والنقابات والاتحادات العمالية وأصحاب القلم ودعاة الإصلاح، يبرز المقال القيّم دورهم في نشر الوعي والتربية الصالحة وتكوين المواطن الصالح، المواطن الإيجابي والمنتمي والفاعل والمخلص والمؤمن بربه ثم بوطنه وعروبته، والقادر على الإسهام الفاعل في الإضافة إلى خير المجتمع ورقيه وتقدمه ونهضته وعزته واستقلاله.

ومن الغريب أن السلوك السيئ ينتقل من المصاب إلى السليم كما تنتقل «عدوى الجراثيم والأمراض»، ومن هنا كانت ضرورة توفير القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدي به الأطفال والمراهقون والشباب والكبار عامة. فالقدوة العملية أكثر فاعلية من الوعظ والإرشاد والتوجيه اللفظي، ولنا - نحن المسلمين - في رسولنا الكريم قدوة حسنة.

ويعلمنا المقال، وصاحبه، ضرورة الاهتمام بالثروة البشرية التي هي، بحق، أغلى الثروات وأثمنها جميعاً، فعقول أبناء المجتمع وسواعدهم هي الثروة الحقيقية الدائمة، والإنسان أغلى ما يوجد في هذا الكون، وهو ليس «هدف التنمية» النهائي فقط، ولكنه أيضاً «صانع التنمية»، فهو المخطط والمشرع والمنفذ للأنشطة التنموية والتطورية والتقدمية. الإنسان هو الصانع الأول للتنمية، وعائدات التنمية ترتد إليه وتعود عليه بالنفع والخير، ومن دون الإنسان لا مكان للتنمية الحق، ذلك لأن التنمية تحتاج إلى الخبرة والتخطيط العلمي والموضوعي والواقعي الدقيق، وتحتاج إلى سن التشريعات التي تحفظها، وإلى المتابعة والتقويم، وتحتاج فوق ذلك كله إلى يقظة ضمير القائمين عليها، فالضمير الأخلاقي الحي هو الحماية والحراسة للجهود التنموية وما يخصص لها من المال العام أو الخاص. الإنسان هو الحارس الأمين للمال العام، وليس عليه واجب الحماية فقط، وإنما التنمية. ومن دون هذا الضمير تضيع الأموال وتُهدر الطاقات وتُبدد الإمكانات. الضمير هو الحارس الأمين لمشاريع التنمية وللعمل الوطني، وهو الرقيب الذاتي الداخلي في الإنسان، ومن دونه لا جدوى من مشاريع التنمية. وهو القوة الذاتية الداخلية والرقيب المستمر الذي يعمل حتى في غيبة السلطة الخارجية.

والحقيقة أن المقال يثير قضية التنمية والضوابط التي تكفل نجاحها، ومن ذلك أن تكون شاملة وليست قاصرة على التنمية الاقتصادية وحدها، وإنما لابد من التنمية الاجتماعية والتنمية البشرية، وبذلك تتناول جهود التنمية جميع مرافق الحياة وعناصرها. فلكي تحقق التنمية النشاط الإداري فيما يُعرف باسم التنمية الإدارية أو الإدارة العلمية، وكذلك التنمية الزراعية والصناعية والسياحية والثقافية والتعليمية أو التربوية، والتنمية الصحية، وفوق ذلك كله التنمية العقلية أو الذهنية، والتنمية الأخلاقية، والتجارية والقضائية، يجب أن تكون شاملةً حتى لا يهدم جانبٌ من الحياة ما نبنيه في الجوانب الأخرى، كأن تهدم الأسرة ما تقيمه المدرسة في أبنائها أو العكس. ومن هنا كانت الضرورة لتدعيم الأسرة لتمكينها من الوفاء برسالتها العظيمة التي جاءت على نحو ما شرح الدكتور زيد الحسين في مقاله الرائد.

لقد صعبت مهام الأسرة بعد أن ضعف سلطانها على أبنائها، وبعد أن خرجت الأم إلى العمل خارج المنزل، وبعد أن اضطر الأب للقيام بأكثر من عمل لتوفير حاجات أسرته الضرورية، وأصبح الأب: الحاضر الغائب، فلا يعود إلى منزله وإلى أسرته إلا في ساعات متأخرة من الليل؛ ولا يمكن في عصر نسعى فيه لإعادة بناء الإنسان العربي على أرضنا الطيبة أن تكون وظيفة المدرسة قاصرة على نقل المعلومات والحقائق إلى الطلاب وحشدها بأذهانهم، وإنما لا بد أن تكون تربية شمولية، تعنى بجسم المتعلم وعقله وروحه وحسه ووجدانه وضميرة وأخلاقياته وخبراته ومهاراته وعاداته وتقاليده وقيمه ومثله ومعاييره. لابد للتنمية أن تكون متعددة الأبعاد، وأن تكون على الصعيد الجغرافي ممتدة لتشمل، إلى جانب المدن، القرى والنجوع والمناطق الصحراوية والنائية. لابد أن تبسط التنمية إشعاعها على كل تراب الوطن، كذلك لابد أن تشمل المرأة كما تتناول الرجل. ومن خواص التنمية الحديثة أنها لابد أن تكون متواصلة، بمعنى إعادة التنمية للمشروعات التنموية بين الحين والحين حتى لا تصيبها الشيخوخة أو الهرم والتخلف. ولابد للنظر للتنمية على أنها ليست جهود الدولة وحسب، ولكنها في المحل الأول «عملية مجتمعية» لابد أن يسهم كل أفراد المجتمع في الوفاء برسالتها من رجال المال والأعمال والشركات والمصانع والمؤسسات الخاصة والاتحادات والجمعيات، بل سائر الأفراد. لايمكن للدولة، مهما بلغت إمكاناتها، أن تفي بأهداف التنمية العراض التي تستهدف تحقيق السعادة والرخاء والرفاهية والتقدم والتطور والنمو الأكبر، بل لابد من مشاركة عدد من أبناء المجتمع، من طريق الجهود المقصودة والمخطط لها، والتي تسرع بخطى النمو والتقدم من طريق التدخل العمدي للإسراع بعجلة التقدم.

ولا تقوم الجهود الخاصة أو الفردية بمنأى عن جهد

الدولة، وإنما في تناغم وتنسيق وتضافر الجهود الخيرة الرسمية والتطوعية لكلٍّ بقدر ما يحتمل ويطيق. وفي تصوري أن الإنسان قادر على أن ينمي نفسه بنفسه، وذلك أضعف الإيمان، دون الحاجة إلى اعتمادات مالية أو موازنات خاصة من قبل الدولة.

فالإنسان يستطيع أن يحافظ على صحته من الهلاك أو الضعف والهزال، وأن يرشد طاقته إلى ما فيه الخير والنفع، وأن يحسن استغلال وقته، وأن يكتسب بنفسه الخبرات والمعلومات والمهارات والثقافات من طريق «التعلم الذاتي»، أو القراءة والبحث والتنقيب والاطلاع، أو بوساطة التجارب والقيام بالرحلات والزيارات، ويستطيع أن يحصل على المؤهلات العلمية أو المهنية الإضافية التي تزيد في دخله، ويستطيع أن يقوم بأكثر من عمل، وأن يقيم مشروعًا ولو كان صغيراً جداً، وأن يمارس الرياضة، وأن يتوسط فيما يتناوله من طعام وشراب، وأن يدخر بغير تقتير، وأن يقوم ببعض الأعمال التطوعية لخدمة أبناء وطنه. كل هذا في وسع كل منا ولو بقدر يسير جداً.

وهكذا يطوف بنا الدكتور زيد، فتحية له، ولقلمه الوطني، ولجهوده المخلصة. وإلى المزيد إن شاء الله تعالى من فيض العطاء المبدع والخلاق، وإلى إثارة الحماسة والتوثب في نفوس الأجيال الصاعدة تشجيعًا لهم على البذل والعطاء والتضحية والجد والاجتهاد.

د. عبدالرحمن محمد العيسوي

أستاذ علم النفس بكلية الآداب

جامعة الاسكندرية، مصر.

بين بيع الوهم.. وتأصيل الفهم



لقد كان مقالاً ممتازًا ذلك المقال الذي تضمنه العدد ٢٥٦ من الفيصل حول القنوات الفضائية العربية للأستاذ الدكتور زيد الحسين رئيس التحرير.

وأتفق معه تمامًا حين يشير في مقاله الموسوم إلى ظاهرة بشعة هي جذب، أو محاولة جذب، المشاهدين من مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي إلى متابعة برامج هذه القنوات الفضائية عبر حصص ترفيهية أكثر منها علمية. ولا ينكر الإنسان أنها تحتوي على بعض الجوانب التثقيفية بارتكازها على تخصيص مبالغ مالية كجوائز ليست بالتحفيزية لكنها إغرائية لا أكثر ولا أقل.

هذه السبل لا يمكنها تحقيق المقاصد المتوخاة من تأسيس هذه القنوات الفضائية العربية على المدى البعيد أو المتوسط على الأقل. أو بعبارة أوضح سيصيبها الإفلاس المادي في مدى سنتين على أكثر تقدير إذا ما واصلت النهج المذكور آنفًا نفسه.

وبامتعاض شديد تحدث أحد المشاهدين ـ من بين المئات الذين تحدثنا إليهم في سبر للآراء أجريته لصالح جريدة يومية جزائرية السنة الفائتة ـ عن الفراغ القاتل الذي يعانيه، وانصرافه عن مشاهدة القنوات الفضائية وغير الفضائية العربية إلى مشاهدة القنوات الأوربية وقناتين عربيتين! والسبب في ذلك يرجعونه للتكرار الممل للبرامج نفسها، كالأفلام القديمة التجارية غير المفيدة، والحصص العديمة الأثر التربوي والتثقيفي.

ويرون القنوات الأوربية منافسًا حقيقيًا لهذه الأعداد الهائلة من القنوات الفضائية العربية، على الرغم مما تقدمه تلك القنوات الأوربية من البرامج الخطيرة الأهداف، ذات الأبعاد المشبوهة. والهدف من وراء بثها القضاء على مقومات الأمة العربية الإسلامية، بمحاربة أخلاق دينها وموروثها الثقافي وتشويه حضارتها وقيمها الأصيلة من خلال بثها لبرامج الخلاعة والجنس والعري والإثارة والعنف والسرقة والإرهاب والقتل والفساد، إضافة إلى برامج موجهة عبر حصص خاصة، يحضرها باحثون ومتخصصون أوربيون وعرب، الهدف منها صرف الرأي العام العربي عن قضاياه المصيرية كالقدس والوحدة الاقتصادية والتجارية العربية وأحداث الساعة.

ويذهب البعض إلى التأكيد أنه في المستقبل سيكون للقنوات الأوربية شأن آخر مع المشاهد في العالم العربي! فبعد إعطائه طعم العسل، بمتابعته لبرامجها الثرية، سيتحتم عليه الإدمان فيما بعد الاشتراك الطوعي عبر بطاقات خاصة (ديكودر)، وهذا هو الهدف المرسوم من طرف هذه القنوات الفضائية على المدى المتوسط.

وهو هدف تجاري بحت، يُنتظر من خلاله تحقيق أرباح خيالية، فالهوائي سهل الاقتناء، لكن آلة الديكودر غالية الثمن وكذلك بطاقة الاشتراك CARTE D, ABONNEMENT، ولذا تجد المشاهد العربي يلهث وراء اقتناء هذه الأجهزة والبطاقات/الفخ.

أما القنوات الفضائية العربية غير المغضوب عليها اليوم فتنحصر في قناتين أو ثلاث قنوات على أكثر تقدير لدقة اختيارها للطاقم الصحفي المؤطِّر لبرامجها، وللبرامج الجيدة والمرغوب فيها من طرف جل المشاهدين العرب. ويرجع ذلك في الدرجة الأولى إلى اعتمادها على الجانب الإخباري

ومعالجة الحدث بالصورة والتحليل من قبل مختصين، ومع ذلك تفتقر في كثير من الأحيان إلى المصداقية في المعالجة لأسباب وأهداف مشبوهة تحركها مصالح معروفة.

فمقارنة بالتحليل الأوربي من خلال قنواته الفضائية للأحداث الجارية في بلد عربي إسلامي كالجزائر، وما يتضمنه من مغالطات وتشويه مفضوح لصورة الإسلام بعرض الأعمال الوحشية والعمليات الهمجية من قبل المرتزقة المتطرفين باسم الجهاد والإسلام عمومًا ضد الأطفال الرضع، والنساء والشيوخ، وتخريب المنشآت التربوية والاستشفائية والاقتصادية، وتقديمهم على أنهم أصحاب قضية سياسية وحق مسلوب، ويدعون من خلال برامجهم وحصصهم إلى إشراكهم في دواليب الدولة ومحاورتهم، ومشاورتهم لأنهم - حسب افتراءاتهم - يحملون راية الإسلام!! وهذه عين المغالطة والتشوية لرسالة الإسلام الحنيف.

وتذهب بعض القنوات العربية بما تبثه من تحاليل، في الاتجاه نفسه، مما يجعل المشاهد العربي البعيد من واقع الأحداث يصدق تلك الادعاءات الكاذبة، ويصب هذا العمل في اتجاه يخدم أعداء الإسلام بالدرجة الأولى.

أضف إلى هذه الملاحظات المحزنة أن ٤٠٪ من البرامج ترتكز على الجانب الترفيهي المادي بتخصيص جوائز مالية، و٤٠٪ لعرض أفلام أكل الدهر عليها وشرب، والـ٢٠٪ الباقية للحصص الإخبارية والعلمية والوثائقية. هذا بالنسبة لمعظم القنوات الفضائية العربية الأخرى المتبقية.

والمطلوب هو تغيير العقليات التي تسيّر القنوات الفضائية بالابتعاد من الإثارة والتهويل والترفيه الفارغ، والنزول على رغبات المشاهد العربي الواعي، وتحقيق المشروع الحضاري للفرد والمجتمع العربي المسلم.

خنوس يعقوب بن محمد
كاتب صحفي ومراسل لإذاعات دولية
ص ب٥٨٤، المسيلة ٢٨٠٠٠، الجزائر.

الثقافة الجادة



طالعت في العدد ٢٥٧ في زاوية البريد الثقافي ذلك السؤال الجاد عن أزمة النشر، أو ما يُوصف في الواقع بالسلبية الموجعة من قبل الناشرين في نشر الكتب الجادة، وقد تفرعت عنها سلبية أخرى من قبل القراء والكتاب - على حد سواء - تمثلت في عدم الاهتمام بالمواضيع الحيوية وتناول القضايا العلمية الرصينة.

ولست أجد في نفسي حاجة إلى التنبيه على ضرورة الاعتناء والاهتمام بنشر المواضيع الجادة والثقافة المتينة، سواء أكان ذلك بإحياء كتب التراث العربي والإسلامي التي خلفها أسلافنا في مختلف المجالات والفنون، أم بالنسج على منوالهم والاغتراف من معينهم وترسُّم خطاهم في تناول القضايا الثقافية والتطرق إلى البحوث العلمية الرفيعة، فقد سبقني إلى هذا التنبيه الأستاذ محمد علي دولة، صاحب دار القلم، في إجابته عن السؤال المطروح، وهو من المعنيين بهذا الشأن والمتخصصين فيه، ويعد من أصحاب الجهد المشكور في هذا المجال.

ولكن الذي أحب التنبيه عليه والإشارة إليه هنا هو بعض القضايا المتعلقة بهذا الموضوع والعقبات المانعة من الوصول إليه. وكما ذكر الأستاذ محمد علي دولة فإن السؤال لا يطلب حل معضلة فكرية ولا يبتغي حل إشكال صارخ وتناقض واضح في عالم النشر، وإنما يتناول مشكلة سعى في إيجادها مثلث، قاعدته القارئ وضلعاه الكاتب والناشر كما ذكر الدكتور معتصم خليل في إجابته. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الدكتور قد جانبه التوفيق وفاته الصواب في إقحامه الموازنة بين الأمة العربية وغيرها في هذا المجال، وقوله بأن القارئ العربي لم يُسْتَقْطب للقراءات الجادة بعد. ونسي أن عدم الإقبال على القراءات الجادة إنما هو أمر عارض طرأ حديثًا على المجتمعات المعاصرة كافة، ولكن عند المقارنة نجد أمتنا العربية - بشكل عام - أحسن حالاً من غيرها في هذا المضمار. وقد كان الأولى به عقد الموازنة بين حال الأمة العربية اليوم وحالها في أمسها القريب في بداية وجود الطباعة في العالم العربي، عندما كان الناشرون والكتّاب في سباق على نشر الكتب الجادة، وكان القراء في إقبال على قراءتها واقتنائها بعكس حالهم اليوم. ونجد في هذه الموازنة ما يدهش العقول عند التفكير والتأمل؛ فالأمة الآن قد كثر القراء فيها؛ بل أصبحت جميع طبقات المجتمع من القراء على اختلاف مستوياتهم في ذلك. فالأمر يحتاج إلى كثير من الروية

والجدية في معالجته والنظر إليه.

وفي نظري أنه لا يمكن إصلاح هذا الوضع المتردي إلا من طريق إصلاح كل جزء من أجزاء صناعة النشر الثلاثة كلٌ على حدة.

فالقراء لابد من إيقاظ الوعي الفكري لديهم وتنبيه الحس الثقافي عندهم بحثِّهم على القراءة الجادة وتشجيعهم على ذلك بالوسائل والطرق الممكنة، وعدم مجاراتهم في واقعهم من قبل الناشرين والكتّاب.

وأما الجزء الثاني من هذا المثلث - وهم الناشرون - فلابد لهم من رقابة صارمة تكون سياجًا مانعًا من العبث الفكري الذي يمارسه بعضهم ضد القراء والمثقفين، ولابد أيضًا من متابعة نقد ما يظهر من المطبوعات ومحاربة الغث الخاوي منها، فإن ذلك أمر ذو أثر فعال في تقويم منهج النشر حتى يعود إلى وضعه السابق.

وأما الكتّاب فما عساني أن أقول لهم وهم الموجهون لمسار الأمة الثقافي؟ فعليهم أن يراعوا الأمانة العلمية والثقة المنوطة بهم من قبل القراء فيما يكتبون من بحوث ومؤلفات.

وهذا الكلام مسوق لأهل العلم وحملة الأمانة في مختلف التخصصات العلمية والمجالات الثقافية، مع وجوب مراعاة وجود أناس ليسوا من أهل العلم والثقافة الجادة لم يخلُ منهم عصر من العصور، فهؤلاء ليسوا مقياسًا للثقافة العربية، وليس وجودهم حاديًا يسوق الكتّاب لنشر الكتب الهزلية ومُتوكآً يعتمد عليه أهل النشر في بث تلك الكتب بهذه الكثرة المفرطة والمضامين الخاوية، وكل شيء بمقدار.

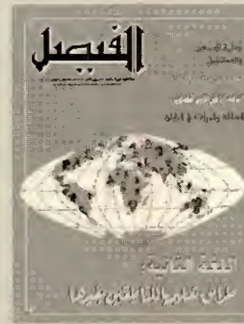
عقيل بن حامد الشمري

طالب في كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، القصيم.

تعليقات مناقشات وتعليقات مناقشات

عن المعرفة والتنمية وأشياء أخرى



قرأت مقال «المعرفة هي القوة» للأستاذ نور الدين بليبل، في العدد ٢٥٠ من «الفيصل» الغراء، ويسعدني أن أقول:

إن المعلومات اليوم أصبحت تحتل في سياق التنمية مكانة مرموقة جدًا، بل أصبحت تماثل في أهميتها المواد الأولية. فإذا كانت المواد الأولية ضرورية للإنتاج المادي في المجالات الصناعية والفلاحية والخدماتية؛ فإن إتاحة المعلومات وحسن استغلالها يمكّن من حسن استغلال المواد الأولية وتنميتها واختراع مواد بديلة.

فالمعلومات عنصر من عناصر الإنتاج كالمواد الأولية. وما يزيد هذه المادة أهمية كونُها وسيلة لتنمية الموارد البشرية وتطويرها وزيادة كفاءتها، وهي عملية تكتسب أهمية قصوى في حقل التنمية الاجتماعية والاقتصادية لبلدان العالم الثالث.

فتنمية المجتمع تتم حين يستطيع الأفراد تنظيم أنفسهم وتحديد حاجاتهم والتخطيط لتوفيرها، وهذا يقتضي تحديد الحاجات وتصنيفها وتحديد أهميتها، وتعرُّف المشكلات، وعوائق إشباع الحاجات، ورسم الخطط الكفيلة بتلبية الحاجات وعلاج المشكلات اعتمادًا على الإمكانات المتاحة. وهذه العمليات كلها يعتمد نجاحها على ما توفره المعلومات والبيانات من حقائق ومعطيات عن حياتنا وقضاياها وهياكلها ومشكلاتها. هذه البيانات والمعلومات إذا استطاعت أن تغطي هذه الجوانب فإننا نُكوِّن بها صورة حقيقية عن القطاعات المراد أخذ تصور عنها. (فالمعلومات ضرورية قبل اتخاذ القرارات).

ومن الأمثلة التي نسوقها لبيان أهمية المعلومات في التنمية والتقدم، نذكر حاجة قطاع التربية والتعليم إلى هذه المادة. فالتعليم نشاط اتصالي يقوم في شكله التقليدي البسيط والشائع على تبليغ معرفة ونشرها بين فئات المتعلمين الذين هم في حاجة إليها.

إن الإحاطة بمعرفة الموضوع المراد تدريسه يحتم على المعلم الإلمام بأكبر حجم من المعلومات المتعلقة به، كما أن معرفة المتعلم وتكوينه وظروفه توجب البحث في الطبيعة النفسية والحيوية والاجتماعية لهذا النامي البشري (المتعلم) ومحيطه، وهذا لا يتحقق أيضًا إلا بما يمكن أن توفره لنا الوثائق من معلومات دقيقة وجادة، فضلاً عن أمور أخرى تختص بها

العملية التربوية التعليمية دون سائر العمليات. فالتشعب الكبير لهذه العملية، واتساع شبكة العلاقات التي تربطها بالقطاعات والمجالات الأخرى الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، أمور تؤكد بشكل يدحض كل الشكوك ما سبق ذكره حول أهمية المعلومات.

وخير ما يُذكر في هذا المجال تجربة مصر التي كانت أسبق الدول العربية إلى إنشاء أول مركز للتوثيق العلمي والفني عام ١٩٥٢م. وبعد ذلك بأربع سنوات فقط، وحتى قبل اكتمال هياكل هذا المركز، وقبل تأسيس تقليد التوثيق في القطاعات الأخرى الاقتصادية والسياسية والقضائية والاستئناس به، أنشئ عام ١٩٥٦م، وبمبادرة شخصية من بعض المربين، مركز التوثيق والمعلومات التربوية بالقاهرة. ودل ذلك على وعي رجال التربية والتعليم في مصر بأهمية التوثيق والمعلومات في تطوير العمل التربوي، وكان من نتائج ذلك أن شهد البحث العلمي في المجال التربوي بمصر تطوراً مذهلاً شمل حتى الدول العربية الأخرى بما وصل إليها من كتب ومصنفات ودوريات تربوية مصرية. وسرعان ما احتضنت الحكومة المصرية - ممثلة في وزارة التربية - هذا المركز، وصدرعام ١٩٥٩م قرار وزاري ينظم اختصاصاته ويحددها في الأمور التالية:

- جمع الوثائق والبحوث التربوية داخل مصر وخارجها.
- الإعلام عن الوثائق المجموعة التي تكون الرصيد الوثائقي المخزون.
- القيام بالدراسات التاريخية والمقارنة.
- إعداد تقارير سنوية عن تطور التربية والتعليم في البلاد العربية.

إن إسهام وحدات التوثيق في نشر المعرفة وفي تطورالعمل التربوي والتعليمي مرتبط باعتماد البحوث العلمية على ما في مخزون هذه الوحدات من المعلومات. واستعمال هذه المعلومات وحسن استغلالها يتطلب توثيقها وتوفيرها في صورة صالحة للاستخدام والاستثمار بشكل يتيح الاستفادة القصوى منها في حصر المشكلات وتحليلها واختيار حلول لها. وهذه الخدمات التوثيقية تُعدّ من ركائز البحث العلمي وأسباب نجاحه، لأنها تساعد المعنيين بالأمر، باحثين كانوا أو مخططين أو قادة، في تعرُّف ما نُشر ويُنشر حول موضوع اهتمامهم، وتجعلهم على اتصال ومعرفة دائمة بكل التطورات الطارئة والمستجدات في حقلهم. ومن هنا تبرز أهمية الخدمات التي تقدمها المكتبات ومراكز المعلومات. ونذكر منها مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وخدماته التوثيقية المهمة، وخدمات الإحاطة الجارية التي يقدمها بالمجان للباحثين في العالم العربي الإسلامي، رغبة من المركز في سد فجوة المعلومات التي لا يزال الباحثون العرب يعانون منها.

لكن أكبر تحدٍّ يواجهنا عند إبراز أهمية المعلومات والوحدات التوثيقية هو أننا عمومًا لا نبحث! لا قبل لنا بالبحث العلمي ومشكلاته. وهذا يعني أننا لا نستهلك المعلومات، ولا نشعر بأهمية هذه المادة المستهلكة (التي - خلافًا لكل القواعد - تنمو بالاستهلاك) إلا عند غيابها وقت الحاجة إليها. لذلك لا ندرك عادة ما لتوافر المعلومات المناسبة من أثر إيجابي في موقف معيّن بالدرجة نفسها.

والباحث العربي اليوم أمام هذا التدفق الغزير للمعلومات التي ينتجها العالم المتحضر أصبح شبه معزول عن تداول حتى المعلومات الأساسية التي أضحت بسيطة، والمتعلقة غالبًا ببلاده وتراثه والعطاء العربي في مجال تخصصه.

يجب أن نثمن المجهودات العربية التي تتلمس طريقها في مجال توثيق المعلومات ونشرها وتشجيع البحث العلمي وتنسيقه، وندعو إلى تكثيف الجهود في هذا المجال، واستمرار تطوير الخدمات المقدمة للباحثين وتحسينها ووضع ضوابط لها. كما ندعو إلى إقامة جسور التعاون والتبادل بين مختلف المراكز المنتشرة في أرجاء البلاد العربية والإسلامية. ونؤكد أن المعرفة هي القوة، لذا فإن الوسيلة الوحيدة التي قد تحد من خطر الهيمنة الاقتصادية والعسكرية للدول الغربية على شعوبنا هي قدرتنا الذاتية على إنتاج المعلومات والتكنولوجيا والبحث. لأن استيرادنا المعلومات قد يرسِّخ التبعية لأنها تتضمن أنساق قيم اجتماعية وثقافية تهدد قيمنا وأصالتنا، وتؤكد تبعيتنا وتخلفنا. فالتعاون في مجال المعلومات والبحث العلمي لا يمكن أن يتم إلا بين أطراف متساوية ومتكافئة وذات أنساق قيمية واحدة كمجموعة الدول العربية والإسلامية، فلا يمكن أن يقوم تعاون بين المغرب وأمريكا أو بين اليمن واليابان. فينبغي التمييز بين التعاون وتبادل المعلومات، وبين ضرورة الاعتماد على النفس.

الزبير مهداد

ص ب ٣٧٦ الناظور ٦٢٠٠٠،
المملكة المغربية.

من وحي التربية:

الطلاب المشاكسون !!

محمود درويشة

كم تمنيت وإن عزَّت الأماني..!
وكم قلت بعد فوات الأوان: ليتنا ندرك في مبدأ حياتنا التعليمية ما ندرك في آخرها..!

قلَّما رأيت من المدرسين خلال مزاولتي مهنة الإدارة من يعطف على المشاغب ويرحم الطالب المشاكس ويدعو لاستيعاب الطلاب المعاندين.. ولم أدرك بدوري في أوائل حياتي التعليمية ما يحسن بنا أن نحمل لهذه الفئة من التلاميذ، من بُعْد النظرة وعمق الفكرة، ما يحدونا لمساعدتهم والأخذ بأيديهم حتى يتجاوزوا هذه المرحلة العصيبة من تطوُّر الفرد الذي لا يلبث أن يصبح بعدها رجلاً ويدخل معترك الحياة...!

ما سمعت، ولو مرة في مجلسٍ من مجالس المدرسين التي كنا نعقدها بشأن طالب مشاكس أو تلميذ معاند، دعوةً صريحة لدراسة نفسية هذا الطالب المشاغب ووضعه الاجتماعي دراسة موضوعية، ومعالجته معالجة إيجابية، وإنما كنا نسمع زئيرًا وهديرًا من سائر المدرسين عندما يجتمعون للنظر في شأن طالب ارتكب مخالفة للنظام، أو أساء التصرُّف حيال المدرِّس، أو أخلَّ بقضية الانضباط في أثناء الدرس، وخصوصًا إذا استأنس المدرسون من الإدارة عطفًا على الطالب، أو انتحلت له بعض الأعذار لتخفيف العقوبة، فكان ذلك يُحفظ المدرسين وكأنهم في وادٍ والإدارة في وادٍ، أو كأنهم مع النظام والإدارة ضد النظام..!

وتمرُّ السنون تعقبها السنون، ويتخرج في المدارس الثانوية أفواج الطلاب ويدخلون مدرسة الحياة. وللحياة مدرسة ليست كمدارس العلم والثقافة، مدرسة من دون بناء، ومن دون صفوف، ومن دون نظام ومناهج، ولكنها ذات أساتذة لا يحصيهم العدُّ، وذات نظام لا يرتقي إليه نظام المدارس والجامعات، وذات مناهج تضافرت على وضعها السماء والأرض، وصمَّمت برامجها أجيالٌ وأجيال. مدرسة تضافرت على التعليم فيها الطبيعة، وأسهم في برامجها المجتمع. وننظر إلى ما دَفَعْنَا لمدرسة الطبيعة والمجتمع من تلاميذ، ونرصد نجاح الناجح وإخفاق المخفق.. وما أشدَّ عجبنا وعظيم دهشتنا عندما نجد تلك الزمر المشاغبة والمشاكسة، والمتعبين في أثناء وجودهم في الثانوية؛ نجدهم على غاية من حسن السلوك ورفيع الأخلاق وموضع احترام الناس، ومثال الشباب الناجح والمواطن الصالح، فقد بذُّوا رفاقهم المنضبطين، وشأَوا زملاءَهم المجتهدين وكأنهم قد «أقامهم الله ووضع محلهم غيرهم»(*) كما يقول عامة الناس. حتى لقد وقر في ذهني أن الطالب المتعب في المدرسة قد يكون - على الأغلب - مريحًا في المستقبل، وأصبحت خلال السنين الأخيرة من حياتي التعليمية أنظر إلى الطالب المشاكس فأرى فيه صورة الرجل الناجح والمواطن الصالح، وأرى من خلاله أولئك الأفذاذ من قضاة عادلين وضباط نابهين وفنيين ناجحين وأساتذة صالحين ممَّن مثَّلوا دوره على صعيد المدرسة وتعرَّضوا لعسف مجلس الضبط واشتداد المدرسين، ولولا أن أدركتهم عناية الله لتعرَّضوا للطرد وباؤوا بالحرمان من التعليم، ولكانوا نكرة في المجتمع وهملاً على هامش الحياة.

أعود للقول: كم كنت أتمنى، وقد عزَّت الأماني، أن يكون لديَّ ذلك التصور لمستقبل المشاغبين في المدارس منذ اتخذت التعليم مهنة، إذن لكان وجهي يعبس بهم وقلبي يضحك لهم، ولكنت أحاول تقويمهم وأنا مقتنع بأن الحياة كفيلة بتقويمهم..!

وليت الذين ما فاتهم الركب بعدُ من رعيل المدرسين والمعلمين ينظرون للطالب وهو يشاكس ويشاغب، ويتصورون أنهم أمام أنموذجٍ رائع من إنسان المستقبل، وما عليهم إلا أن يأخذوا بيده ليتجاوزوا به مرحلة الغرور والتشتت والضياع، تلك المرحلة التي كثيرًا ما تضع الطالب على مفترق الطرق: إما نجاح بتفوق وإما سقوط وإخفاق وتدمير..! وفي كلتا الحالتين فالمدرسة والمدرسون هم الذين يؤدون الدور الإيجابي أو السلبي في تقرير هذا المصير.

ولن أنسى ولن يزايل خاطري قول تلك الشخصية الفذة السيد ح. ح أمام العديد من زملائه المتفوقين على مسرح الحياة: لقد كاد المدرس فلان يدمِّرني إلى الأبد لولا أن تداركتني رحمة من الإدارة ورأفة من أكثر أعضاء مجلس المدرسين الذين لهم اليد الطولى في الأخذ بيدي إلى حيث ترونني اليوم.

(*) اتخذت الإدارة الطالب (س)، وهو طالب مشاكس، صديقًا لها، وراحت تقدم له كل صباح كأسًا من الشاي؛ فما عتم أن أصبح مثال الطالب المنضبط وعونًا للإدارة على ضبط الفوضويين من الطلاب!